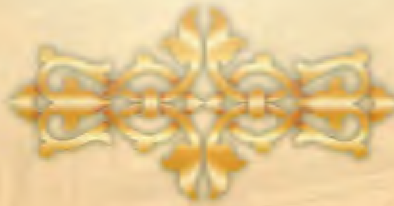
الدرر الفاخرة

جزء ١

من نفائس العترة الطاهرة



جمع وترتيب

السيد محمد بن عبد الله بن حسن المحضار

دار الأصول
الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت



الدرر الفاخرة

من نفائس العترة الطاهرة



الموزعون المعتمدون

الجمهورية اليمنية :

مكتبة تريم الحديثة (تريم)
هاتف ٠٠٩٦٧٥٤١٧١٣٠

الإمارات العربية المتحدة :

دار الفقيه للنشر والتوزيع (أبو ظبي)
هاتف ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢٠
حروف للنشر والتوزيع (أبو ظبي)
هاتف ٠٥٠٤٤٧٩٦٩٨

الكويت :

دار الضياء (حولي)
هاتف ٠٠٩٦٥٢٦٥٨١٨٠

سوريا :

المشرق للكتاب (دمشق)
هاتف ٠٠٩٦٣ ٩٤ ٦٦٩٥٩٥

الأردن :

مكتبة الرازي (عمان)
هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٦١٠٦

دار الرياحين
هاتف ٠٠٩٦٢٧٠٠٤٧٤٤٩١



دار الأصول
للنشر والتوزيع

الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت



الدرر الفاخرة

من نفائس العترة الطاهرة

جمع وترتيب
السيد محمد بن عبد الله بن حسن المحضار

دار الأصول
الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت

المطلع القرآني

قَالَ اللهُ تَعَالى :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[سورة الأحزاب: آية ٣٣]

المطلع النّبوي

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم :

« أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ »

فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيه .

ثُمَّ قَالَ: « وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي »(١) .

رواه الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٤٠٨)

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

« إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا بِمَا تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»

رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٧١١)

---

(١) بقيةُ الحديثِ : فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ [بن سَبْرَةَ] : وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ [بن أَرْقَمَ] أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ.



المقدّمة

وفضائل بيت النبوّة

رضي الله عنهم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقدِّمَةُ

الحَمْدُ للهِ ذُو الجَلالِ وَالإكْرام، نَحْمَدُه تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الجِسَام، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنا مُحمَّدٍ نُورِ الأَنَام، وَشَفِيعِنا يومَ الزِّحام، وَعَلَى أَهْلِ بيتِه الطَّاهِرِين مِنَ الأَرْجَاسِ وَالأَدْنَاس وَالآثَام، مَصَابِيحِ الظَّلام، أَهْلِ الجُودِ والإكْرام، العَالِمِين بالحلالِ والحرام، وعلى أَصْحَابِه الأَعْلام، البَاذِلِينَ أَرْواحَهُم في نُصْرةِ الإِسْلَام، وَرَفْعِ رَايَتِه عَلَى الدَّوَام، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ وَعَلَينا مَعَهُم وَفِيهِم بِرَحْمَتِكَ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرام.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ رَفَعَ أَقْوَاماً بِالإيمانِ والعِلْمِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وَأكرمَ أَقْوَاماً بِالتَّقْوى فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣]، وَأَعَزَّ أَقْوَاماً بِعِزَّتِه فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]، وَأَذَلَّ أَقْوَاماً فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وَآتَى أَقْوَاماً الحِكْمَةَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]، وَاخْتَصَّ أَقْوَاماً بِرَحْمَتِه فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٧٤]، وَاجْتَبَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [مريم:٥٨]، وَاصْطَفَى مَنْ يَشَاءُ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣]، وَلِهَذا الفَضْلِ وَالاصْطِفَاءِ اخْتَارَ أَهْلَ بَيتِ رَسُولِه وَخَصَّهُم بِخَصائِصَ وَمَزايا وَفَضائِلَ تَفرَّدُوا بِها عَنْ كَافَّةِ النَّاسِ، وَهَذَا الفَضْلُ مِنَ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهَبُه لِمَن يَشاءُ قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، وَقَالَ تَعالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن

فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤]، فَمِنْ خَصائِصِهِم رَضِيَ اللهُ عَنهُم كَونُهُم أَشْرَفَ النَّاسِ نَسَباً وَأَفْضَلَ الخَلْقِ حَسَباً، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ ﷺ: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْماعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيشاً، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِم) رَوَاهُ مُسْلِمٌ في «صَحِيحِه».

وَرَوَى البَيهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيمٍ وَالطَّبَرانِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ : (قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَها فَلَمْ أَرَ رَجُلاً أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَلَمْ أَرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِم) .

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّد، وَالتِّرمِذيُّ عَنِ العبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ ﷺ صَعَدَ المِنْبَرَ فَقَالَ: (مَنْ أَنَا؟ قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فقال ﷺ: أَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبدِاللهِ بنِ عَبدِالمُطَّلِب، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيرِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُم فِرْقَتَينِ فَجَعَلَنِي في خَيرِ فِرْقَةٍ، وَخَلَقَ القَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيرِ قَبِيلَةٍ، وَجَعَلَهُم بُيُوتاً فَجَعَلَنِي فِي خَيرِهِم بَيْتاً).

وَقَالَ ﷺ: (أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعُ له يومَ القيامة مِنْ أُمَّتي أهلُ بيتي، ثُمَّ الأقربُ فالأقربُ مِن قريش، ثُمَّ الأنصارُ، ثُمَّ مَنْ آمَنَ بي واتَّبعني مِنَ اليمن، ثُمَّ سائرُ العرب، ثُمَّ الأعاجمُ، ومَنْ أشفعُ لَه أَوَّلاً أَفْضَل) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي وَالدَّارقُطْنِي مرفوعاً.

وَمِنْ ذَلِكَ الكرَمِ والفضلِ الذِي تفضَّل الله به عَلَى أَهْلِ بَيتِه أَنْ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ يُسَمَّونَ بِذُرِّيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، لقوله ﷺ: (كُلُّ بَنِي أُنْثَى فَإِنَّ عَصَبَتَهُمْ لِأَبِيهِمْ مَا خَلا وَلَدَ فَاطِمَةَ فَإِنِّي أَنا عَصَبَتُهُمْ وَأَنا أَبُوهُمْ) رَوَاهُ الطَّبَراني.

وَذَكَرَ الإِمَامُ السَّيُوطِي في «الجامع الصغير»[١] أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (كُلُّ بني آدَمَ ينتَمُون إلى عَصَبَةٍ إلاّ ولَدَ فاطِمَةَ فأنا وَلِيُّهُمْ وأنا عَصَبَتُهُمْ) .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ لِكُلِّ بَنِي أَبٍ عَصَبةً يَنْتَمُونَ إِلَيهَا إِلَّا وَلَدَ فَاطِمَةَ، فَأَنَا وَلِيُّهم وَأَنَا عَصَبَتُهُم وَهُمْ عِتْرَتي خُلِقُوا مِنْ طِينَتِي، وَيلٌ للمُكَذِّبِينَ بِفَضْلِهم ، مَنْ أحبَّهم أَحَبَّه اللهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُم أَبْغَضَهُ اللهُ) رَوَاهُ الحَاكِمُ وَابْنُ عَسَاكِر «كنز العمال» (١٢/ ٩٨).

---

(١) انظر الجزء الثاني من «الجامع الصغير» صفحة ٩٦.

وَقَالَ ﷺ: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِه، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب) رَوَاهُ الطَّبَرانِي عَنْ جَابِرٍ، وَالخَطِيبُ عَنْ ابْنِ عَبَّاس.

ومِنْ خَصَائِصِهِم اتِّصَالُ نَسَبِهِم بِه ﷺ يَومَ القِيامَةِ وَانْتِفَاعُ المؤمِنينَ منهم بِهِ ﷺ، بِخِلَافِ سَائِرِ الأَنْساب فإِنَّها تنقطعُ ولا يُنتفعُ بها كما صرَّح به الحدِيثُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (كُلُّ نَسَبٍ وسَبَبٍ مُنقَطِعٌ يومَ القيامَةِ إِلَّا نَسَبي وسَبَبي) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي.

ومعنى الانقطاع: عَدَمُ الانتفاعِ بالأنسابِ، وأمَّا قولُه تعالَى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون:١٠١] ونحوه فهو مَخْصوصٌ بغيرهم، واستثنى ﷺ سَبَبَهُ ويكون بالتَّزويج، ونَسَبَهُ ويكونُ بالولادة؛ لأنَّ النفعَ بهما متصلٌ لا ينقطعُ في الدُّنيا والآخرة، ويُؤيدُه ما صحَّ عنه ﷺ من قولِه على المِنبر: (ما بالُ أقوامٍ يقولون: إنَّ رَحِمَ رسولِ اللهِ لا تنفعُ يوم القيامة، بلى إنَّ رحمي موصولةٌ في الدُّنيا والآخرة) أخرجَه الحاكمُ في «المستدرك»، وأحمد في «مسنده»، وهُمْ أبناء الرَّسول ﷺ قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١].

روى مُسلمٌ في «صحيحِه» عن سعدِ بنِ أبي وقَّاص، قال: لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ...﴾ [آل عمران:٦١] دعا رسولُ اللهِ ﷺ عَلِيّاً وفاطِمةَ وَحَسَناً وَحُسَيناً، فقال: اللَّهمَّ هؤلاءِ أَهْلي). قال في «الكشَّاف»: لا دليلَ أقوى مِن هذا على فضْلِ أصحابِ الكِسَاء وهُمْ: (عليٌّ وفاطمةُ والحَسَنان) لأنَّها لَمَّا نزلَتْ دعاهم صلى الله عليه وآله فاحْتضنَ الحسين وأخذَ بيدِ الحسنِ ومشَتْ فاطمةُ خلفَه وعليٌّ خلفَها فعُلِمَ أنَّهم المرادُ مِنَ الآية وأنَّ أولادَ فاطمةَ وذريتَهم يُسَمَّون أبناءَهُ ويُنسَبون إليه نسبةً صحيحةً نافعةً في الدُّنيا والآخرة.

ولَمَّا سأَلَ الرَّشيدُ ذاتَ يومٍ الإمامَ موسى الكاظمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كيف قُلْتُم نحنُ ذريّةُ رسولِ اللهِ ﷺ وأنتم بنو علي وإنما يُنسَبُ الرجلُ لأبيه؟ فقال الإمامُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال اللهُ تعالى في آيةِ المُباهَلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل

﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران:٦١] ولم يدْعُ ﷺ عند مباهلةِ نصارى نجرانَ غيرَ عليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ وهُما الأبناءُ وَقَالَ تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٥] وَلَيسَ لِعيسى أبٌ وإنما أُلحِقَ بذرِّيَّة الأنبياءِ مِن جهةِ أُمِّه وكذلكَ أُلْحِقنا بذريةِ النَّبي مِن قِبَلِ أمّنا فاطمةَ الزهراءِ، فسكَتَ الرَّشيدُ وأُفْحِم.

قال الشيخ العلامة الدكتور سعيد أيوب في كتابه «معالم الفتن» عن مُباهلةِ الرَّسولِ الأعظمِ سيدِنا محمدٍ ﷺ لِوَفدِ نصارى نجران: فهذا الحَدَثُ لم يكنْ لِيتِمَّ في الخَفَاء، ولأنَّ هذا الاجتماعَ سيترتَّبُ عليه نتيجةٌ حاسمةٌ، فلا بُدَّ أنْ يشْهَدَه كلُّ مَن سمِعَ بموعِدِه سواءٌ أكَانَ مِنَ المكذِّبين أو مِنَ المؤمنين أو غيرهم وبينَ هؤلاءِ يوجدُ الحَبَشِيُّ والفَارسيُّ والرُّوميُّ والنَّجرانيُّ إلى غير ذلك مِنَ الأجناس، باختصارٍ كانتِ العالميّةُ مُمَثَّلَةً بصورةٍ أو بأخرى بمشاهدَةِ هذا الحَدَث.

ويروي أصحابُ التفسيرِ بالمأثورِ أَنَّ رؤساءَ النَّصَارى قالوا لبعضِهم بعد أن اتّفقوا على موعِدِ المباهلة: إنْ باهلَنا بقومه باهلْناه، فإِنَّهُ ليس نبياً، وإِنْ باهلَنا بأهلِ بيته خاصّة لم نباهلْه، فإِنَّهُ لا يُقدِّمُ أهلَ بيته إِلَّا وهو صادِقٌ.

وَوَصَفَهم ربُّنا بأجملِ الأوصافِ فقالَ تعالى فيهم: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٧-٨]، وطهَّرهم عن جميعِ الأرجاسِ والأدناسِ قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب:٣٣] أي عملَ الشيطانِ وما ليس لله فيه رضا. وَقَالَ الأزهري: الرِّجسُ اسمٌ لكُلِّ مُستقْذَرٍ مِنْ كُلِّ عمل. وَقَالَ ابنْ حجَر: والمعنى التَّطهيرُ مِنَ الأرجاسِ والأدناسِ ونجاسةِ الآثام(١).

---

(١) انظر «الفتح الربَّاني» (١٨/٢٣٨).

وأَمَّا مَن هُمُ الذين أذهبَ الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرا ؟. فلقد روى مُسلم في «صحيحه» عن أُمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: خرَجَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَداةً وعليه مُرطٌ مرحلٌ من شَعَرٍ أَسْود، فجاءَ الحسنُ بن علي فأدْخَله ثُمَّ جاء الحسينُ فدخلَ معه ثُمَّ جاءتْ فاطمةُ فأدْخَلها ثُمَّ جاء عليٌّ فأدخلَه، ثُمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] ورواه الحاكم وَقَالَ : هذا حديث صحيح على شرطهما «المستدرك ١٤٧/٧» .

وفي «أسباب النزول» أَنَّ الآيةَ نَزَلَتْ في النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلي وفاطمةَ والحسنينِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ خاصّة لا يُشاركهم فيها غيرُهم .

وليعلمْ طالبُ العِلم أَنَّ هذا الحديثَ ثابتٌ في كُتبِ الأُمَّة بجميع دروبها ومذاهبها ، والرِّوايات كثيرة تزيد على سبعين. فقد رَوَاهَا أهل السُّنّة بطرقٍ كثيرة عن أُمِّ سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وسعد وواثلة بن الأسقع وأبي الحمراء وابن عباس وثوبان وعبدالله بن جعفر وعلي والحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في قريب مِن أربعين طريقاً. وآية التَّطهير نزَلَتْ في بيت أُمِّ سلمة، وإِنَّما أوردنا حديث عائشة في أَوَّلِ حديثنا عنهم لكونه ورَدَ في «صحيح مسلم» .

ومِنْ بيتِ أمِّ سلمة روى الحديث أُمُّ سلمة وعمرُ بن أبي سلمة وزينبُ بنت أبي سلمة فعن أم سلمة قالت: (دعا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فاطمةَ وحَسَناً وحُسَيناً وعليٌّ خلْفَ ظهرِه فجلَّلَهم بِكِسَاءٍ ثُمَّ قال: (اللهُمَّ هؤلاء هُمْ أهلُ بيتِي فأَذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطهِّرْهُم تطهيراً) فقالت أُمُّ سلمة: وأنا معهم يا نبيَّ اللهِ؟ قال: (أنتِ على مكانِكِ وأنتِ على خير).

وفي روايةٍ عند أبي حاتم : فقلت: يا رسول الله وأنا مِنْ أهل بيتك؟ فقال: (تنحَّي فإِنَّكِ على خير).

وفي روايةٍ عند الإمام أحمد : فرفعتُ الكِساء لأَدْخُلَ معهم، فَجَذَبَهُ مِنْ يدِي وَقَالَ: (إِنَّكِ على خير).

وبعد بيت أمِّ سلمة تكَرَّرَ المشهدُ في أماكن أخرى، روى الإمامُ أحمدُ عن شدَّاد بن أبي عمار أَنَّهُ قال: أتيت فاطمةَ أسألها عن علي، قالت: توجَّه إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فجلستُ أنتظرُه

حَتَّى جاء رسولُ الله ﷺ ومعه حسنٌ وحسينٌ، أَخَذَ كُلَّ واحدٍ منهما بيده، حَتَّى دَخَلَ فأتى علياً وفاطمةَ فأجلسهما بين يديه، وأجلَسَ حَسَناً وحُسَيناً كُلّ واحد منهما على فخذِه ثُمَّ لَفَّ عليهم ثوبَه ثُمَّ تلا هذه الآية، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أَحَقْ).

وعن إسماعيل بن عبد الله قال: لَمَّا نظَرَ رسول الله ﷺ إلى الرَّحمةِ هابطةً قال: ادعوا لي ادعوا لي فقالتْ صفيةُ: مَنْ يا رسول الله؟، قال: أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين. فَجِيئ بهم، فألْقَى النَّبيُّ ﷺ كساءَه، ثُمَّ رفَعَ يده وَقَالَ: (اللَّهُمَّ هؤلاءِ آلُ محمدٍ فَصَلِّ على محمدٍ وآلِ محمد). رواه الحاكم[1] وَقَالَ : حديث صحيح الإسناد.

وعن أنس بن مالك أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يمرُّ على بيتِ فاطمةَ ستةَ أشْهُر إذا خرَجَ إلى الفجر فيقول: الصلاةَ يا أهلَ البيتِ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] أخرجه الإمام أحمد وَقَالَ في «الفتح الربّاني» (١٠٣/٢٢): أورده ابن كثير وعزاهُ للإمام أحمدَ وأورده الطيالسي في «مسنده» ، ورواه الترمذي في «الجامع الصحيح» .

وَقَالَ في «الفتح الربّاني» : قال جماعةٌ مِنَ التابعين منهم مجاهد وقتادة : إنَّ أهلَ البيتِ هم: (عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسين). وتمسَّكوا بحديثِ الكِساء وحديث أنس أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَمُرُّ ببابِ فاطمةَ سِتةَ أشهر.

وَقَالَ في «تحفة الأحوذي» : قال أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة والكلبي :إنَّ أهلَ البيت المذكورين في الآية هُمْ: (عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ). والخطاب في الآية بما يصلح للذكورِ لا للإناثِ وهو قوله: ﴿عَنكُمُ﴾ و﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ ولو كان للنساء، لقال : (عنكن) و(يطهركن).

قال الشريف السمهودي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ .....﴾ [الأحزاب:٣٣] إلى آخرِ الآيةِ: كلمةُ ﴿إِنَّمَا﴾ للحَصْرِ تدلُّ على أَنَّ إرادتَه تعالى منحصرةٌ على تطهيرِهم وتأكيدُه بالمفعولِ المطلقِ دليلٌ على أَنَّ طهارتَهم كاملةٌ في أعلى مراتبِ الطهارة.

---

(١) في «المستدرك» ٣/ ١٤٨.

وَقَالَ العُلَماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] : وهذه الآيةُ منبعُ فضائلِ أهلِ البيتِ لاشتمالِها على غُرَرِ مآثرِهم واعتناءِ الباري عَزَّ وجلَّ حيثُ أَنْزلها في حقِّهم ، وابتُدِئَتْ بـ﴿إِنَّمَا﴾ التي هي أداةُ الحَصْر لإِفادةِ أَنَّ إرادتَه تعالى في أمرِهم مقصورةٌ على ذلك لا تتجاوزُه إلى غيرِه، وخُتِمَتْ بالمصدرية مبالغةً ليعلمَ أَنَّهُ في أعلى مراتبِ التَّطهيرِ ودفعاً للتجوُّزِ كَما يُستفادُ ذلك كُلُّه مِنْ عِلْمِ المعاني ، ونَكَّرَ ذلك المصدرَ إشارةً إلى كونِه نوعاً عجيباً ليس مِمَّا يعهدُه الخَلْقُ وإلى التكثيرِ والتعظيمِ بمعونةِ المقام كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر:٤] ، وقد ذَهَبَ بعضهم إلى عمومِ النَّكِرَة في سياقِ الامتنانِ وإِنْ كانتْ مُثبتةً .

وعَدَّدَ السيدُ السمهودي رَحِمَهُ اللَّهُ الأمورَ التي اشتملت عليها هذه الآيةُ أَعني ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ ....﴾ [الأحزاب:٣٣] إلى آخرها فقال: ومنها أيضاً أَنَّ قصْرَ الإرادةِ الإلهية في أمرِهم على إذهابِ الرِّجسِ يُشير إلى ما سيأتي في بعض الطرقِ مِنْ تحريمهم في الآخرَةِ على النارِ فمَنْ قَارَفَ منهم شيئاً مِنَ الأوزارِ يُرجى أَنْ يُتَدارَكَ بالتطهيرِ بإلهامِ الإنابةِ وأسبابِ المثوباتِ وأنواعِ المصائبِ والمؤلماتِ ونحو ذلك مِنَ المكفِّراتِ للذنوب وعدم إنالتِهم ما لغيرِهم مِنَ الحظوظِ الدنيوياتِ ، وكذا بما يقع مِنَ الشفاعات النبويات .اهـ.

وإذا كان الحديثُ قد تكَرَّر أكثر مِنْ مرَّةٍ في أكثر مِنْ مكَانٍ في زَمَنِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كي يتذكَّرَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يتذكَّر، وإذا كان قد رُويَ في عَالَمِ الخوف، أَيَّامَ بني أمية، فإِنَّهُ رُوي أيضاً في أَشَدِّ الأوقاتِ حيثُ كانتِ الدماءُ تنزفُ في كُلِّ مكان. فلقد رُوي أَنَّ الحسنَ بنَ علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عندما طالبَه القومُ بإبرامِ الصُّلْحِ مع معاويةَ خطبَ في الناس وَقَالَ: (أيها الناس: إِنَّما نحنُ أُمراؤكم وضيفانُكم، ونَحْنُ أهلُ بيتِ نبيِّكم الذين أذهبَ الله عنهم الرِّجسَ وطهرَهم تطهيرا، وكرَّرَ ذلك، حَتَّى ما بقيَ في المجلس إِلَّا مَنْ بكى حَتَّى سُمِعَ نشيجُه)(١) .

---

(١) ابن الأثير (٣/ ٢٠٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٦).

وإذا كان الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد ذكّرهم يوماً، فإنَّ عليَّ بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قد ذكّر أهلَ زمانِه أيضاً، فعن أبي الديلم قال: قال عليُّ بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لرجلٍ مِنْ أهلِ الشَّامِ: أَمَا قرأتَ في الأحزابِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ؟ [الأحزاب:٣٣]، قال: نعم ولأنتم هُمْ؟ قَالَ: نعم[١]. والمتدبِّر في حديث الكساءِ يجدُ أَنَّ أحداثَه وقَعَتْ في أكثرِ مِنْ مَكَانٍ، وَقَعَتْ في بيت أُمِّ سَلَمَة، وفي بيتِ عائشةَ، وفي بيتِ فاطمةَ، وأمامَ أكثرَ مِن واحدٍ، ويجدُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان ينادي عند بيتِ فاطمةَ وقتَ صلاةِ الفجرِ لمدّة ستة أشهر. وفي روايةٍ سبعة أشهر، وتكرارُ المشهد واستمرار النِّداء طيلةَ هذهِ المدّةِ يُعطي أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يقيمُ بذلك الحُجّةَ على كُلِّ مَنْ سَمِعَ ورأى وصلَّى في مسجدِه، بأَنَّ هؤلاءِ هُمْ أهلُ البيت.

وكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا أرادَ أن يُثْبِتَ أمراً مِنَ الأمور في ذَاكِرَةِ مَنْ حولَه يُكرِّرُ هذا الأمرَ مِن ثلاثةٍ إلى عشر مرَّات، ووَضَّحَ ذلك في عِدَّة رواياتٍ حَمَلَتْ تحذيراتٍ مِمَّا يستقبلُ الناسَ مِنْ أحداثٍ، ينتجُ عنها ما ليس للهِ فيهِ رِضَا. ودُعاءُ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ تحتَ الكِسَاءِ وتلاوتُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لآيةِ التطهير، يعطي للناس مفهومَ إذهابِ الرِّجس والتَّطْهير لمن تحتَ الكساءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[٢]. وهُمُ الذينَ قالَ فيهم النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي وأهلُ بيتي أَحَقُّ) رواه أحمد وأبو يعلى، وَقَالَ فيهم: (اللّٰهم ارْضَ عنهم كما أنا عنهم راضٍ)[٣]، وَقَالَ: (اللّٰهم هؤلاءِ آلُ محمدٍ فصَلِّ على محمدٍ وآلِ محمد)[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٨٦).

(٢) انظر كتاب «ابتلاءات الأمم» للشيخ العلامة سعيد أيوب.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن الطفيل وهو ثقة. «معجم الزوائد» (٩/١٦٩).

(٤) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد «المستدرك» (٣/ ١٤٨) ورواه أحمد «الفتح الرباني» (٢٢/ ١٠٣).

وفرَضَ مودّتَهم على جميعِ المؤمنين قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، وأخرَجَ أحمد في «مُسنده» عن سعيد بن جبير عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: لَمَّا نزلت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] قالوا: يا رسول الله مَنْ هؤلاءِ الذين وجَبَتْ لنا مودَّتُهم؟ قال: (عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ).

أيضاً أخرج هذا الحديث الطبراني في «مُعجمه الكبير» وابن أبي حاتم في «تفسيره» والحاكم في «المناقب» والواحدي في «الوسيط» وأبو نعيم الحافظ في «حِلْيَةِ الأولياء» والثعلبي في «تفسيره» والحمويني في «فرائد السمطين».

وفي «صحيحي البخاري ومُسلم» سُئِلَ ابن عباس عن هذه الآية فقال سعيد بن جبير: (هي قُربى آلِ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). وهذه خصوصيةٌ للآلِ دُوْنَ غيرِهم فهذِه المودَّةُ فريضةٌ مِنَ الله تعالى على كَافَّةِ المؤمنينَ لا يأتي بها أَحَدٌ مؤمناً مُخلصاً إِلَّا استوجبَ الجنة.

وروى السّدِّي عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾ [الشورى:٢٣] قال: (المودَّةُ لآلِ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، قيل: والظاهرُ العمومُ في أي حسنةٍ كانت إِلَّا أَنَّهَا تتناولُ المودَّةَ لآلِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تناولاً أَوْلَوِياً لذكرِها عقِبَ ذِكْرِ المودَّةِ في القُربى كأَنَّ سائرَ الحسناتِ توابعٌ للمودَّة.

فإِنْ قيل: لا يجوزُ طلبُ الأجرِ على تبليغِ الرِّسالةِ والوحيِ كما جاءَ في قولِه تعالى في قِصَّةِ نوحٍ وغيره ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٠٩] وكما في الآيةِ الأُخْرى ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣].

أجابَ العُلماء عن هذا: بأَنَّهُ لا نِزاعَ في عدَمِ جوازِ طلبِ الأجرِ على تبليغِ الرسالةِ لكنَّ معنى الاستثناءِ: لا أَطْلُبُ منكم إِلَّا هذا، وهذا في الحقيقةِ ليس بأجرٍ وإِنْ سُمِّيَ أَجراً مجَازاً، ومِنْ هذا قول النَّابغة:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أَنَّ سيوفَهم ... بِهِنَّ فلولٌ مِنْ قراعِ الكتائبِ

معناهُ : إذا كان هذا عيبُهم فلا عيبَ فيهم بل هو مدحٌ لهم ، وكيفَ تكون المودَّةُ أجراً على التبليغِ وهي بين المسلمين أمرٌ واجبٌ ؟ . وإذا كانتْ كذلك في حقِّ جميعِ المسلمينَ كانت في حقِّ قرابةِ النبي ﷺ أولى وأَوْجَبَ، فكانتْ محبَّتُهم وصِلتُهم لازمةً، واللازمُ لا يكونُ في الحقيقةِ أجْراً فكأنَّهُ لا أجْرَ البتَّة.

وَقَالَ البعض: إنَّ آية ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] منسوخةٌ !!؟ ورَدَّ الحسن بن الفضل على الذين قالوا بذلك، فقال: القولُ بنسخ هذه الآيةِ غيرُ مرضي، لأنَّ كفَّ الأذى عن النبيِّ ﷺ ومَودَّةَ أقاربِه مِنْ فرائضِ الدِّين، وهو قولُ السَّلَفِ، فلا يجوزُ القولُ بنسخِ هذهِ الآية.

وأَمَرَنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالصلاةِ عليهم في كُلِّ وقتٍ وحين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦] فقال الصحابةُ الكرامُ : يا رسولَ الله عَرَفْنا السلامَ عليك فكيف الصلاةُ عليكَ ؟ فقال لهم الرسولُ وأبو البتولِ والشافعُ لنا في اليومِ المهولِ مُفَسِّراً ومُبيِّناً للآيةِ الكريمةِ كما جاء في الحديثِ الصحيح: (قُولوا : اللَّهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّد ...) إلى آخرِ الحديثِ الذي يرويه البخاري في «صحيحه» .

وقد أورد السيوطي في «الدُّرِّ المنثور» ما يقربُ مِن عشرين حديثاً تَدُلُّ على إشراكِ آلِ النَّبي معَه في الصلاةِ. ولَمَّا كان النبيُّ ﷺ قد حَدَّدَ مَن هُمْ أهلُ البيت، فإنَّ البُخاريَّ رَوَى حديثاً يأمرُ فيه النَّبيَّ بالصلاة على أهلِ البيتِ كي لا يظنَّ الناسُ أَنَّ الآلَ والأهلَ كُلاً منهم في طريق، وإنَّما هُمْ وَاحِدٌ. فعن أبي ليلى قال: لقيني كعبُ بن عُجرةَ فقال: أَلَا أُهدي لكَ هديةً سمعتُها مِنَ النبي ﷺ ؟ ، قال: قلت : بلى فاهْدِها لي، فقال: سأَلْنا رسولَ الله ﷺ ، فقلنا : يارسول الله كيفَ الصلاةُ عليكم أهلَ البيتِ، فإنَّ اللهَ قد علَّمنا كيفَ نُسَلِّم؟ قال: (قُولوا : اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حميد مجيد، اللَّهم باركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حميدٌ مجيد).

وروى الديلميُّ والطبرانيُّ عن واثلةَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ جَمَعَ فاطمةَ وعلياً والحسنَ والحسينَ تحتَ ثوبِه وَقَالَ: (اللَّهم قد جعلْتَ صلواتِك ورحمتَك ومغفرتَك ورضوانَك على

إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، اللَّهم إنَّ هؤلاءِ مِنِّي وأنا منهم فاجعلْ صلواتِك ورحمتَك ومغفرتَك ورضوانَك عليَّ وعليهم).

وروى ابنُ عساكر وأبو يعلى عن أُمِّ سلمة أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال لفاطمةَ: (ائتيني بزوجِكِ وابنَيْكِ)، فجاءتْ بهم، ثُمَّ رفَعَ يدَه فقال: (اللَّهم إنَّ هؤلاءِ آلُ محمدٍ فاجعلْ صلواتِك وبركاتِك على آلِ محمدٍ كما جعلتَها على آلِ إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيد).

وصَدَقَ الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول:

يا أهلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبُّكمُ ... فرضٌ من اللهِ في القُرْآنِ أنزلَهُ
يكْفيكُمُ مِن عظيمِ الفَضْلِ أنَّكمُ ... مَنْ لا يُصَلِّي عليكُمْ لا صَلاةَ لَهُ

ونقل البيهقيُّ عن الرَّبيعِ بن سليمان وهو أحدُ أصحابِ الإمامِ الشافعي قال: قِيلَ للشافعيِّ أَنَّ أُناساً لا يصبرون على سماعِ منقبةٍ أو فضيلةٍ لأهلِ البيتِ فإذا رأوا أحداً مِنَّا يذكرُها يقولون: هذا رافضيٌّ، ويشتغلون بِكَلاَمٍ آخر فأنشأ الإمامُ الشافعيُّ يقول:

إذا في مجلسٍ نذْكُر عليّاً ... وسبطَيهِ وفاطمةَ الزَّكيّهْ
يُقَالُ: تجاوزُوا يا قومُ عنْ ذَا ... فهذا مِنْ حديثِ الرَّافِضِيَّهْ
برئتُ إلى المُهيمنِ مِنْ أُنَاسٍ ... يرونَ الرَّفْضَ حبَّ الفاطِميَّهْ
على آلِ الرَّسولِ صلاةُ ربي ... ولَعْنَتُهُ لتلكَ الجاهليّهْ

وسَلَّمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم السلام المبين، فقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠]، نقلَ جماعةٌ مِنَ المفسرين عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ المرادَ بذلك سلامٌ على آلِ محمد الطَّيبينَ الطاهرين). وروي في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠]، أَنَّ إِلْ يس هُمْ آلُ محمدٍ ﷺ(١). وقيل: إنَّ اللهَ تعالى لم يَقُلْ: سلامٌ على آل نوح، ولم يَقُلْ: سلامٌ على آل إبراهيم، ولا قال: سلامٌ على آل موسى وهارون، وَقَالَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠]

(١) تفسير ابن كثير (٢٠/ ٤)، البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» (٧/ ١٦٤) ط المنار ١٣٤٧هـ. نقلت ذلك من كتاب: «معالم الفتن» للدكتور سعيد أيوب.

يعني آل محمد. لأنَّهُمْ حُرَّاسُ العقيدةِ الخاتمةِ التي ترتبطُ بالقرآنِ وتلتقي معه عند حَوْضِ النَّبيِّ ﷺ يومَ القيامة[1].

وقرَنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سهْمَهُم بسهمِ رسولِه ﷺ لا ينقطعُ إلى يومِ الدِّين، فقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [الأنفال:٤١] فقَرَنَ سهْمَ ذي القُربى بسهمِه وبسهْمِ رسولِه ﷺ فهذا فضلٌ أيضاً للآلِ دُونَ الأُمّة.

وأَمَّا قولُه تعالى: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [الأنفال:٤١] فإنَّ اليتيمَ إذا انقَطَعَ يُتْمَه، والمسكينُ إذا انقطعَتْ مسكنَتُهُ، لم يَكُنْ له نصيبٌ مِنَ المَغْنَمِ، وسهمُ ذي القربى إلى يوم القيامة قائمٌ فيهم الغنيُّ والفقيرُ منهم سواءٌ فَقَرَنَ سهمَهم بسهمِه.

ولَـمَّا جاءت قصّةُ الصدقةِ نزَّه نفسَه ورسولَه ونزَّهَ أهلَ بيتِ رسولِه فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦٠] الآية، ولم يقُلْ: (ولذي القربى) لأنَّ الصدقة محرَّمةٌ على محمدٍ وآلِ محمدٍ وهي أوساخُ أيدي الناسِ لا تحلُّ لهم لأنَّهم مطهَّرونَ مِن كلِّ دنَسٍ ووَسَخٍ، فعن عبدالمطلب بن ربيعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ هذهِ الصدقاتِ إنما هي أوساخُ الناسِ وإنَّها لا تحلُّ لمحمدٍ ولا لآلِ محمد) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن أبي هريرة قال: أخَذَ الحسينُ بن علي من تمرِ الصدقةِ فجعلَها في فِيه، فقال رسول الله ﷺ: (كخٍ كخٍ إرمِ بها أمَا علمتَ أنّا لا نأكلُ الصدقة) رواه مسلم.

قال النووي في «شرحه لمسلم»: معنى أوساخِ الناسِ إِنَّها تطهيرٌ لأموالِهم ونفوسِهم كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] . وكان ﷺ يقولُ لبني هاشم وبني المطلب: (إنَّ لكمْ في خُمْسِ الخُمْسِ ما يكفيكم، أو يغنيكم) .

---

(١) انظر كتاب «معالم الفتن» للدكتور سعيد أيوب.

وجعلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محبتَهم علامةً أكيدةً تدلُّ على صدْقِ المحبةِ لجدِّهم الأعظمِ محمدٍ ﷺ فعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: (أحبُّوا اللهَ لِمَا يغْذُوكم به من نِعَمِه وأَحِبُّوني لحُبِّ اللهِ وأَحِبُّوا أهلَ بيتي لحُبِّي) رواه الحاكم والترمذي.

وذكر فخر الدِّين الرّازي أنَّ أهلَ بيتِه ﷺ يساوونَه في خمسةِ أشياء:

١) في السَّلامِ، قال: السلام عليك أيها النبي، وَقَالَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠].

٢) وفي الصَّلاةِ عليه وعليهم في التَّشهُدِ وهي قولُكَ: (اللّهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد).

٣) وفي الطَّهارةِ قال تعالى: ﴿طه﴾ يا طاهر، وَقَالَ تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

٤) وفي تحريمِ الصَّدقة.

٥) وفي المَحَبَّةِ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، قال المفسرون: إنَّ حُبَّ الشيء يقتضي حُبَّ جميعِ ما يتعلَّق به.

وكلُّ مَن ركِبَ في سفينَتِهم كانَ مِن النَّاجِينَ في الدُّنيا ويومِ الدِّين، فعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه قال وهو آخذٌ ببابِ الكعبة سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: (إنَّ مثَلَ أهلِ بيتي فيكم مثلُ سفينةِ نوحٍ من ركبِها نجا، ومن تخلّفَ عنها هلَك) رواه أحمد وأخرجه الطبراني في «الأوسط» والسيوطي في «الجامع الصغير»، وأبو يعلى. ووجْهُ تشبيهِهِم بالسفينةِ أَنَّ مَن أحبَّهم وعظَّمهم وأخذَ بهدي علمائِهم نجا مِن ظُلمَةِ المخالفاتِ، ومَنْ تخلَّفَ عن ذلك غَرِقَ في بحرِ كُفرانِ النِّعَمِ وهلَكَ في مفاوِزِ الطُّغيان.

وفي روايةٍ: (وإنما مثلُ أهلِ بيتي فيكم مثلُ بابِ حِطَّة في بني إسرائيل مَنْ دخَلَه غُفِرَ له)، ووجه تشبيههم ببابِ حِطة أَنَّ الله تعالى جعلَ دخولَ ذلك البابِ وهو بابُ أريحا أو بابُ بيتِ المقدس مع التواضعِ والاستغفارِ سبباً للمغفرةِ، وجعلَ لهذه الأُمَّةِ مودّةَ أهلِ البيتِ سبباً للمغفرة.

وجعلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكتابَ والعِتْرَةَ في حبلٍ واحدٍ وأخبرَ بالغيبِ عن ربِّه بأنَّهما لن ينفَصِلا حتى يردا عليه الحوضَ، قال ﷺ: (إنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتُمْ به لن تَضِلُّوا بعدي، أحدُهما أعظَمُ من الآخَر: كتابُ الله حبْلٌ ممدودٌ من السماءِ إلى الأرض، وعترتي أهلُ بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تخْلُفوني فيهما)[١].

وجعلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بغضَهُم وعداوتَهم مِن أكبرِ الآثامِ والذنوبِ العظامِ فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يبغضُنا أهلَ البيتِ أحدٌ إلَّا أدخَلَه الله النار) رواه الحاكم وَقَالَ : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي ﷺ قال: (يا بني عبدِ المطلب إني سألتُ اللهَ أن يُثبِّتَ قائِمَكم ويهديَ ضالَّكم وأنْ يُعلِّمَ جاهلكم وأنْ يجعلكم رُحماءَ نُجباءَ ، ولو أَنَّ رجلاً صَفَّ قدمَيه وصلَّى ولَقِيَ اللهَ وهو مُبغِضٌ لأهلِ هذا البيتِ لدَخلَ النار) أخرجَهُ المُلَّا في «سيرته» .

وعن زيدِ بنِ أرقمَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ: (أَنَا حَرْبٌ لمن حاربْتُم وسِلْمٌ لمن سالمتم)[٢].

ومِنَ العلاماتِ أيضاً الدّالَّةِ على صِدْقِ الإيمانِ محبَّةُ الإمامِ عليِّ بن أبي طالِبٍ، لِمَا صَحَّ عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ و كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أنَّهُ قال: (والذي فَلَقَ الحبّةَ وبَرَأَ النَّسْمَةَ إنَّهُ لعَهْدُ النّبي ﷺ إليَّ أنَّهُ لا يُحِبّني إلَّا مؤمنٌ ولا يبغضُني إلَّا منافقٌ) أخرجه مسلم. ومعنى قوله: (وذَرَأَ): أي خَلَقَ. و(النَّسْمَةُ): النَّفْسُ وكلُّ ذي رُوحٍ فهو نَسْمَةٌ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: (واللهِ لوضربتُ خيشومَ المؤمنِ بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صَبَبْتُ الدُّنيا بجُمّاتها على المنافقِ على أن يُحِبّني ما أحبَّني ، وإنَّهُ قد قُضِيَ فانْقَضَى

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن «الجامع» ٥/٦٦٣.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث غريب : وقال في «تحفة الأحوذي» : قول الترمذي : صبيح مولى أم سلمة ليس معروفاً ذكره ابن حبان في «الثقات» . ورواه أحمد والطبراني عن أبي هريرة وفيه تليد بن سليمان وفيه خلاف. ورواه الضياء بسند صحيح عن زيد بن أرقم، ورواه ابن أبي شيبة وابن حبان في «صحيحه» . وذكره ابن كثير في «البداية» وقال : رواه أحمد «البداية» (٥/٣٨).

على لسانِ النَّبي الأُمِّي أَنَّهُ قال: يا علي لا يحبُّكَ إِلَّا مُؤمنٌ ولا يُبغضُكَ إِلَّا مُنافق) وَقَالَ أبو سعيدٍ الخُدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كُنَّا نعرِفُ المنافقينَ ببغضِهم لِعَلي).

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَحَبَّ علياً فقد أحبَّنِي ومَنْ أَحَبَّنِي فقد أَحَبَّ اللهَ ومَنْ أبغَضَ علياً فقد أبغضني ومَنْ أبغضني فقد أبغضَ الله) قال في «مَجْمَعِ الزَّوائدِ» : رواهُ الطبرانيُّ وإسنادُه حسنٌ.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَبَّ عليّاً فقد سَبَّنِي)، أخرجَه الإمامُ أحمدُ والحاكمُ وصحَّحه عن أُمِّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وقولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ منكم مَنْ يُقاتلُ على تأويلِ القُرآنِ كما قاتلتُ على تنزيلِه فاستشرفَ لها القومُ وفيهم أبو بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال أبو بكر : أنا هو، قال: لا، قال عمر: أنا هو، قال: لا، ولَكِنْ خاصفُ النَّعلِ، يعني علياً) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وعَقَّبَ عليه بقوله: (هذا حديث صحيح على شرط الشَّيخين ولم يُخَرِّجاه) وأخرجه الذَّهَبِي في «التلخيص بذيل المستدرك» مُسَلِّماً بصحته.

وأخرج الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» ، بالإسناد إلى جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو آخذ بضبع[1] علي بن أبي طالب وهو يقول: (هذا إمامُ البَرَرَة، وقاتلُ الفَجَرَة، منصورٌ مَنْ نَصَرَه، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَه).

وكانت أُم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقول: (عليٌّ أعلمُ الناسِ بالسُّنَّة)[2].

ودخَلَ على السيدةُ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا جابر بن عبد الله الأنصاري فقال لها: ما تقولين في علي ؟ فأطرَقَتْ رأسها ثُمَّ رفعته فقالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

إذا ما التِّبرُ حُكَّ على مَحَكٍّ ... تبيَّنَ غِشُّهُ مِن غيرِ شَكِّ
وفينا الغِشُّ والذَّهَبُ المُصفَّى ... عليٌّ بيننا شِبْهُ المَحَكِّ

---

(١) الضبع : المنكب .

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابه ج٣ ص٤٠ .

وتُوجدُ العَشراتُ بَلِ المئاتُ مِنَ الأحاديثِ في هذا الشأنِ في فضلِ أهلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ، فكُلُّ مَن يُزَوِّرُ في نفسِه بُغضاً فسيفضي به إلى النارِ يومَ القيامةِ وسواءٌ كَانَ البُغضُ لواحدٍ منهم أو كُلِّهم مجتمعين، لأنَّ أصْلَهم مِنَ النَّبي ﷺ. وللبُغضِ ألوانٌ وسِتارٌ يختفي وراءَهما المنافقُ، فمَن أنكرَ فضائلَهم فهو مُبغضٌ لهم، ومَنْ أخفَى فضائلَهم مُتَعَمِّداً لذلكَ فهو مُبغضٌ لهم، ومَنْ سَخِرَ منهم أَوْ أَضْحَكَ الناسَ عليهم أَوْ قَلَّلَ مِنْ منزلَتِهم فكُلُّ هذا بغضٌ، وأبرزُهُ عدمُ الصلواتِ عليهم معَ النَّبي ﷺ بقصدِ إخفاءِ الآلِ وعدَمِ ذكْرِهم فهذا شعارُ البُغْضِ.

ولَمَّا دخلَ الشيخُ الإمامُ يحيى بن معاذٍ الرَّازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على بعضِ العلويينَ زائراً له ومُسَلِّماً عليه فقال له العَلَوي: أيَّدَ اللهُ الأستاذَ ما تقولُ فينا أهلِ البيتِ؟ فقالَ: ما أقولُ في طينٍ عُجِنَ بماءِ الوَصِي وغُرِسَ وغُذِّيَ بماءِ الرِّسالةِ فهل يتولَّدُ منهما إلَّا مِسْكُ الهدى وعبيرُ التُّقى، فملأ العَلَوي فاه دُرّاً ثُمَّ زاره العَلَويُّ مِنَ الغَدِ فقال يحيى: إنْ زُرْتَنا فبفضْلِكَ وإنْ زُرْناكَ فَلِفَضْلِكَ فالفضْلُ في الحالينِ لك.

وللهِ دَرُّ الفقيهِ الأديبِ المحبِّ الصادقِ أحمدَ بن عمرَ بن أبي ذيب الحضْرَمي الشِّبامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ يقولُ عن أهلِ البيتِ النبوي:

علــيهِم ســلامُ اللهِ بيــتٌ مُطَهَّــرٌ ... مِنَ الرِّجْسِ مَنْسوبٌ له كُلُّ طاهرِ
محبّـــتُهم مبـــذورةٌ في جِبِلَّتـــي ... هُيامي بها مِن قَبلِ شَدِّ مآزِري
تَوارَثَهـــا آباؤُنـــا وجُـــدودُنا ... وآباؤُهم مِنْ كابرٍ بعدَ كابِرِ
فحمـــداً لـــربٍّ خَصَّنا بــودادِكُم ... بني المصطفى حمدَ الشكورِ المثابِرِ
لكـم في فـؤادي مَنْـزِلٌ حـالَ دونـهُ ... سوادُ السّويدا عن دخولِ المغايرِ
ومـا أنـا في حُبِّـي لكـم مُتكلِّـفٌ ... ولكنّـهُ طبـعٌ مِـنَ الله فاطري
فـأعظِمْ ببيـتٍ أُسِّـستْ بمحمـدٍ ... قواعـدُهُ فوقَ الطِّباق العوامرِ
ومـا فيـهِ إلَّا كُـلُّ حَـبْرٍ مُقـدَّمٍ ... وصدرٍ به زانَتْ صُدُورُ المحاضِرِ
علـيهم رضىً مِن ذي الجلالِ ورحمـةٌ ... وأمْـنٌ ورَوحٌ في أصِيلٍ وباكرِ

وإنني أُمسكُ عنانَ القَلَمِ فأقولُ: إليكَ أيُّها المحبُّ الصادقُ هذا الكتابَ النَّفيسَ الذي أسميته:

« الدُّرَرُ الفاخرةُ مِنْ نفائِسِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَة »

وهي قليلٌ من كثيرٍ، وأقولُ كما قال الشاعر:

قَليـــلٌ منـــكَ يكفينـــي وَلَكِـــنْ   قلِيلُـــكَ لاَ يُقَـــالُ لَـــهُ: قليـــلُ

فاقرأْ أقوالَهم واعْمَلْ بهَا في حياتِكَ، واقرأْها على أولادِكَ وأسرتِكَ وانشرْها بين أحبابِكَ ومجتمعِكَ، ففي أقوالِهم شفاءٌ للعليلِ السَّقيم، ونورٌ يُستضاءُ به في ظُلُمَاتِ الليلِ البَهيم، وسِرٌّ يشرِقُ على كُلِّ ذي قلْبٍ سليمٍ، وإنني أدعو اللهَ بما دعاه الشيخُ العارفُ بالله أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي الحكيم، حيث قال في دُعائه: (اللَّهُمَّ فإنَّ الصالحينَ أحبُّوكَ، وما أحبُّوكَ حَتَّى أحببْتَهم، فبحبِّكَ إيَّاهُمْ وصلوا إلى حُبِّك، ونحنُ لم نتَوصَّلْ إلى حُبِّهِمْ فيكَ إلَّا بحظِّنا منك؛ فتَمِّمْ لنا ذلك حَتَّى نَلْقَاكَ)، وأقولُ أيضاً كما قال القائل في حَقِّهِمْ:

إنِّي وإنْ كُنـتُ لَمْ أَلْحَـقْ بِهِـمْ عَمَـلاً   مُقَـصِّراً عَـنْهُمُ في سَـاعِدي قَـصرُ
فـإنَّ حُبِّـي لهـم صـافٍ بِـلاَ كَـدَرِ   ولا يَـضُرُّهُمُ إنْ كَـانَ بي كَـدَرُ
هُـمُ الرِّجـال فـلا يـشقَى بقُـربِهمُ   جليـسُهُم، وَبِهِـمْ يُـستنزَلُ المَطَـرُ

أَسألُ اللهَ أن ينفعَ بهذا الكتابِ قارئَه وناشرَه وجميعَ الأُمّةِ المحمَّدية، وجزى اللهُ خيرَ الجزاءِ فاعلَ الخيرِ الذي تفضَّل بطباعةِ هذا الكتابِ على نفقَتِه الخاصة ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ ذلك في ميزانِ حسناتِه، وزِدْهُ خيراً وبركةً في عُمْرِه وأولادِه ومالِه وأوقاتِه، وفينا وفي المسلمين . آمين إنَّهُ على كُلِّ شيءٍ قدير وبالإجابةِ جدير وصلى اللهُ على سيدِنا محمد وآله وصحبِه وسلَّم.

كَتَبَهُ السَّيِّدُ

محمد بن عبد اللاه بن حسن المحضار

٢٥رجب/ ٧/ ١٤٣٤هـ.

مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ نبيِّنا محمَّدٍ عليهِ أَفْضَلُ الصلاةِ وأَزْكى التَّسْلِيمِ في فَضْلِ أَهْلِ بَيتِ رَسُولِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

عن واثلةَ بنِ الأسقعِ قال : قال رسول الله ﷺ: (إنَّ اللهَ اصطفى مِن ولَدِ آدمَ إبراهيمَ واتخذَه خليلاً ، واصْطَفى مِن ولدِ إبراهيمَ إسماعيلَ ، ثُمَّ اصْطَفى مِنْ ولَدِ إسماعيلَ نَزَارَ ، ثُمَّ اصْطَفى من وَلَدِ نزار مُضَرَ ، ثُمَّ اصْطَفَى مِن مُضَرَ كِنانةَ ، ثُمَّ اصْطفى مِن كِنانةَ قُريشاً ، ثُمَّ اصْطَفى مِن قريشٍ بَني هاشمٍ ، ثُمَّ اصْطَفى من بني هاشمٍ بني عبد المطلب ، ثُمَّ اصطفاني من بني عبدالمطّلب). أخرجَه بهذا السياقِ الحافظُ أبو القاسم حمزةُ بن يوسف السهمي في «فضائل العباس» .

وأخرجَه مسلمٌ والترمذيُّ وأبو حاتمٍ مختصراً ، ولفظُه: (إنّ اللهَ اصطَفَى كِنانةَ مِنْ وَلَدِ إسماعيلَ واصطفى قُريشاً مِنْ كنانةَ ، واصطفى هاشماً مِنْ قريش ، واصطفاني مِنْ بني هاشم).

وعن العباس بن عبدالمطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : بلَغَ رسولَ الله ﷺ بعضُ ما يقولُ الناسُ فصعدَ المنبرَ فقال مَنْ أنا ؟ قالوا : أنتَ رسولُ اللهِ فقال : أنا محمدٌ بن عبدالله ابن عبد المطلب إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ فجعلني من خيرِ خلْقِه وجعلَهم فِرقتَينِ فجعَلَني في خيرِ فِرقةٍ ، وخلَقَ القبائلَ فجعَلَني في خيرِ قبيلةٍ ، وجعَلَهم بيوتاً فجعَلَني في خيرِهم بَيتاً ، فأنا خيرُكم بيتاً ، وأنا خيركم نَفْساً) أخرجَه أحمدُ وأبو القاسم البغويُّ في «الفضائل» . وفي رواية: (فأنا خِيارٌ مِنْ خيارٍ مِنْ خيارٍ) ذكره الحافظ السيوطي في كتابه «مسالك الحُنفا» كما في حاشية نسخه.

مِن فَضَائِلِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْراءِ البَتُولِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

عن المِسوَرِ بن مخرمةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (فاطمةُ بضعةٌ مِنِّي فَمَنْ أغضبَها فقد أغضَبَني) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما» والترمذي في «سننه» وأحمد في «مسنده» بألفاظ متقاربة.

وعن أُمِّ المؤمنينَ السيدةِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (فاطمةُ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنَّة). أخرجه البخاري في «صحيحه» .

وعن علي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لفاطمةَ: (يا فاطمةُ أتدرين لِمَ سُمِّيْتِ فاطمةُ ؟ قال علي: يا رسول الله لِمَ سُمِّيَت فاطمةَ ؟ قال : إِنَّ الله عز وجلَّ قد فطمَها وذريّتَها عن النار يومَ القيامة) أخرجه الحافظ الدِّمَشْقِي .

وقد رواه الإمام علي بن موسى الرِّضا في «مسنده» ، ولفظه: أَنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَطَمَ ابنتي فاطمةَ وولدَها ومَنْ أحبَّهم مِنَ النَّار فلذلك سُمِّيَتْ فاطمة).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ ابنتي فاطمةَ حوراءُ إذ لم تحضْ ولم تطمثْ ، وإِنَّمَا سَمَّاهَا فاطمةَ لأنَّ الله عزَّ وجَلَّ فطَمَها ومُحبيها عن النار) أخرجه النسائي.

وعن علي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: أَنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (يا فاطمةُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل يغضبُ لغضبِكِ ويرضى لرضاك) أخرجه أبو سعد في «شرف النبوة» والإمام علي بن موسى الرِّضا في «مُسنده» وابن المثنّى في «معجمه» .

وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لفاطمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (نبيُّنا خيرُ الأنبياء وهو أبوكِ، وشهيدُنا خيرُ الشهداء وهو عمُّ أبيكِ حمزةُ، ومن له جناحانِ يطيرُ بهما في الجنةِ حيثُ شاءَ وهو ابنُ عمِّ أبيكِ جعفرُ، ومِنَّا سبطُ هذهِ الأُمَّةِ الحسنُ والحسينُ وَهُمَا إبناكِ، ومِنَّا المهدي) خرّجه الطبراني في «مُعجمه» .

وعن علي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لفاطمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (إِنِّي وإِيَّاكِ وهذينِ يعني حَسَناً وحُسَيناً وهذا الرَّاقِدُ يعني عليّاً في مَكَانٍ واحدٍ يومَ القيامة) أخرجه أحمد.

مِن فَضَائلِ الإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

نقتصرُ على هذهِ الأحاديثِ وإِلَّا فالأحاديثُ كثيرةٌ في فضائلِ الكَرَّار، عن البراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كُنَّا عند النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في سفَرٍ فنزَلْنا بغديرِ خُمٍّ فنُودِي فينا : الصلاةُ جامعةٌ ، وكُسِحَ[1] لرسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تحتَ شجرةٍ فصلَّى الظهرَ وأخذَ بيدِ عليٍّ وَقَالَ: ألستمْ تعلمونَ أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا : بلى ، فأخذ بيد علي وَقَالَ: اللّٰهم مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّٰهم والِ من والاهُ وعادِ مَن عاداه) قال : فلقِيَه عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد ذلك فقال : هنيئاً لكَ يا بنَ أبي طالبٍ أصبحتَ

(١) الكسح : الكنس.

وأمسيتَ مولى كُلِّ مؤمنٍ ومؤمِنَة) أخرجه أحمد في «مسنده»، وأخرجه في «المناقب» من حديث عمر وزاد بعد قوله: (وعادِ مَنْ عاداه): (وانصُرْ مَنْ نصرَه وأحِبَّ مَنْ أحبَّه). قال شعبةُ: أو قال: (وأبغِضْ من بغَضَه).

وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لعلي: (أنتَ مِنِّي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسى إِلَّا أَنَّهُ لا نبيَ بعدي) أخرجه البخاري ومسلم.

وعنه قال: (خَلَّفَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علياً في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله خلّفتني في النساء والصبيان؟ فقال: أَمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إِلَّا أَنَّهُ لا نبي بعدي) أخرجه مسلم.

وفي روايةٍ أخرجها ابن إسحق أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَـمَّا نزلَ الجُرْفَ طعنَ رجالٌ من المنافقين في أُخْرَةِ عليٍّ وَقَالَوا: إنما خلّفه استثقالاً فخرج عليٌّ فحملَ سلاحَه حتى أتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالجُرْف فقال: يا رسول الله ما تخلّفت عنك في غزاةٍ قط قبل هذه، قد زعم ناسٌ من المنافقين أنّكَ خلّفتني استثقالاً، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (كذبوا ولكن خلّفتك لِمَا ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي، أَمَا ترضى أَنْ تكون مني بمنزلة هارون من موسى إِلَّا أَنَّهُ لا نبيّ بعدي).

وعن أسماء بنت عُميس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أقولُ كما قال أخي موسى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾) [طـه:٢٩-٣٥]، أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي «صحيح البخاري» عن سهل بن سعد أَنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (لأُعْطِيَنَّ الرَّاية غداً رجلاً يفتحُ اللهُ على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَه ويُحبُّه اللهُ ورسولُه) قال: فبَاتَ الناسُ يدوكون ليلتَهم أيهم يُعْطَاها؟. فلَمَّا أصبحَ الناسُ غدوا على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلّهم يرجُون أن يُعطاها فقال: أين عليُّ بن أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عينيه يارسول الله. قال: فأرسلوا إليه فأْتوني به. فلمَّا جاء بَصَقَ في عينَيه، فدعا له فبرأَ حتى كأنْ لم يكن به وَجَعٌ، فأعطاه الرَّاية. فقال علي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: يارسول الله أُقاتلُهم حتى يكونوا مثلَنا. فقال: (أنفذْ على رسلِكَ حَتَّى تنزلَ بساحتِهم ثُمَّ ادْعُهم إلى الإسلام، وأخبرْهم بما يجبُ عليهم مِنْ حَقِّ اللهِ فيه. فواللهِ لأنْ يهديَ اللهُ بك رَجُلاً واحداً خيرٌ لك مِنْ أَنْ يكون لك حُمْرُ النَّعَم).

مِنْ فَضَائِلِ الإِمامَينِ الحَسَنِ والحُسَينِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا:

أخرجَ الشيخانِ عن البراءِ بن عازبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والحسنُ على عاتِقِه، ويقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أحبُّه فأحبَّه).

وأخرج الحاكمُ عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: قال: أقبلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقد حمل الحسنَ على رقبَتِه، فلقيَه رجلٌ فقال: (نِعْمَ المركَبُ ركبتَ يا غلامُ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ونِعْمَ الرَّاكبُ هو).

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (الحسنُ والحسينُ سيدا شبابِ أهلِ الجنة).

وأخرج الترمذي عن أسامةَ بن زيدٍ قال : رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والحسنَ والحسينَ على وركَيهِ، فقال: (هذانِ ابنايَ وابنا ابنتي، اللهُمَّ إني أحبُّهما فأحبَّهما وأحبَّ مَنْ يُحبهما).

وأخرج البخاري في «الأدبِ المُفرَدِ» والترمذي وابن ماجه عن يعلى بن مرة أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (حُسينٌ منِّي وأنا مِنْ حُسين ، أحبَّ اللهُ مَنْ أحَبَّ حُسيناً، الحسنُ والحسينُ سبطانِ مِنَ الأسباط).

مِن فَضَائِلِ أَهْلِ بَيتِ رَسُولِ اللهِ رُضْوانُ اللهِ عَلَيهِم:

عن علي كرَّمَ وجهه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صنعَ مع أحدٍ من أهلِ بيتي يداً كافأْتُه عنها يومَ القيامة) ، وفي طريق آخر من حديث غير علي : (من صنعَ إلى أحدٍ من أهلِ بيتي معروفاً فعجَزَ عن مُكافأَتِه في الدنيا فأنا المُكافئُ لَه يومَ القيامة) أخرجه أبو سعد وتابعه الملا على الأول.

وعن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (في كُلِّ خلوفٍ من أمتي عُدُولٌ من أهلِ بيتي ينفُون عن هذا الدينِ تحريفَ الغالينَ وانتحالَ المُبطلينَ وتأويلَ الجاهلين ألا وإِنَّ أئمتكم وَفْدُكم إلى اللهِ عز وجل فانظروا بمَنْ تَفِدُون) أخرجه الملا.

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (النجومُ أمانٌ لأهلِ السماءِ ، وأهلُ بيتي أمانٌ لأمتي) أخرجه أبو عمرو الغفاري.

وعن علي كَرَّمَ اللهُ وَجهَهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (النجومُ أمانٌ لأهلِ السماءِ فإذا ذَهبتِ النجومُ ذهبَ أهلُ السماءِ ، وأهلُ بيتي أمانٌ لأهلِ الأرضِ فإذا ذهبَ أهلُ بيتي ذهبَ أهلُ الأرض) أخرجه أحمد في «المناقب» .

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عُجْرة فقال: أَلاَ أُهدي لكَ هديةً سمعتُها من رسولِ الله ﷺ فقلْنا: يا رسولَ اللهِ كيفَ الصلاةُ عليكم أهلَ البيت؟ قال: قولوا: اللّهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيد، اللّهمَّ باركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيد) أخرجه البخاري.

وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقولُ: (لو صلَّيتُ صلاةً لم أصلِّ فيها على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ما رأيتُ أنها تُقبَلُ)[1].

وعن عبدِاللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (لو لم يَبْقَ مِنَ الدُّنيا إِلَّا يومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتى يبعثَ رجلاً من أهلِ بيتي، يواطئُ اسمُه اسمي واسمُ أبيه اسمَ أبي يملأُ الأرضَ قِسْطَاً وعَدْلاً، كما مُلِئَتْ ظُلْماً وجُوراً) أخرجه أبو داود. ورُوي هذا المعنى من حديثِ أُمّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرِها.

---

(١) والعجَبُ ثُمَّ العجَبُ مِنْ بعضِ حَمَلةِ العلم وأئمة الحديث وأرباب التأليف والتصنيف الذين رووا الأحاديث الصحيحة والأخبار الدالّة على طلب الصلاة على رسولِ اللهِ وعلى آله لقوله ﷺ: (كُلُّ دُعاء محجوب حَتَّى يُصلّى على محمد وآل محمد) وصحَّ عنه ﷺ أنَّهُ قال لأصحابه: قُولوا: (اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد) رواه البخاري ومسلم. وروى الدَّيلمي والطبراني عن واثلة أنَّ رسولَ الله ﷺ جَمَعَ فاطمة وعلياً والحسن والحسين تحت ثوبه وقال: (اللَّهُمَّ قد جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللَّهُمَّ إنَّ هؤلاء مِنِّي وأنا منهم فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليَّ وعليهم). وروى ابن عساكر وأبو يعلى عن أُمِّ سلمة أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بِهِمْ، ثُمَّ رَفَعَ يده فقال: (اللَّهُمَّ إنَّ هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إِنَّكَ حميد مجيد).

ومع ذلك ترى الكثير منهم مُصرِّين أشد الإصرار على ترك ذكر الآل عند الصلاة عليه، وبعضهم حَتَّى مع رسول الله لم يتأدَّب، فيكتب في كتبه إذا ذكرَ رسول الله ﷺ، حرف: (ص) أو يكتب: (صلعم)، حَتَّى الخطباء منهم والوعاظ والدُّعاة تجدهم إذا ذكروا رسول الله لم يُشركوا الآل في الصلاة. وبعضهم ينطق هكذا بسرعة: (صلى الله وسلم)، أو (صَعْ سَلَّمْ)، أو (صسلم)، حتى وإن كان بغير قصدٍ منهم فعليهم أن يتريّثوا وأن يتأنّوا في الإتيان بالصلاة على الحبيب (صلى الله عليه وآله وسلم)، اللّهم اجعلنا من الذين يُحسنون الصلاة على محمد وآل محمد.

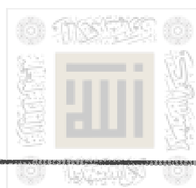




الفصلُ الأوّل

مِن نفائسِ الأئمّة مِن أهل البيتِ النَّبوي

رَضيَ اللهُ عنهم



الفَصْلُ الأَوَّلُ:
مِنْ نَفَائِسِ الأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ البَيتِ النَّبَوِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم:

مِنْ نَفَائِسِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ البَتُولِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(١)

(ت١١هـ)

روي عن أُمِّ المؤمنينَ السيدةِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (إنّها أشْبَهُ الخلْقِ برسولِ الله مِشيةً وجلسةً وغيرهما).

كانت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كريمةَ الأخلاقِ، جزلةَ المرؤةِ غرّاءَ المكارم وكانت لا يجري لسانُها بغيرِ الحقِّ ولا ينطقُ إلَّا بالصدق. فقد وَرِثَتِ الصفاتِ الفاضلةَ من أبيها رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلُقِّبَتْ بسيدةِ نساءِ العالمين، وسيدةِ نساءِ أهلِ الجنة.

قالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: جعلَ اللهُ الإيمانَ تطهيراً لكم مِنَ الشِّرك، والصلاةَ تنزيهاً لكم من الكِبْرِ، والزكاةَ تزكيةَ النَّفْسِ ونماءً في الرِّزق، والصيامَ تثبيتاً للإخلاصِ، والحجَّ تشييداً للدِّين، والعدلَ تنسيقاً للقلوب، وطاعتَنا أهلَ البيت نظاماً للملّة، وإمامتَنا أَماناً من الفُرقة، والجهادَ عزّاً للإسلامِ وذُلّاً لأهلِ الكفرِ والنفاقِ، والصبرَ معونةً على استيفاءِ الأجر، والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر مصلحةً للعامّة، وبِرَّ الوالدين وقايةً من السّخَط، وصلةَ الأرحامِ منسأةً للعُمر، والقِصاصَ حَقْناً للدماء، والوفاءَ بالنَّذْرِ تعريضاً للمغفرة، وتوفيةَ المكاييلِ والموازينِ تغييراً للبُخْس، والنَّهيَ عن الخمر تنزيهاً عن الرِّجس، واجتنابَ القذْفِ حجاباً عن اللّعنة، وتَرْكَ السَّرِقَةِ إيجاباً للعفَّة، وحرَّمَ اللهُ الشركَ إخلاصاً له بالربوبية، فـ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا

---

(١) وُلِدَتْ قبلَ البعثةِ بخمْسِ سنينَ في مكةَ المكرمةِ وتُوفيَتْ بالمدينة المنورة ودُفِنَت بمقبرة البقيعِ في ثلاثٍ خلَتْ مِنْ رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقيل: دُفِنَت في الحجرة النبوية، وهي في تسعة وعشرين من عمرها.

تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢] وأطيعوا اللهَ فيما أمركم به ونهاكم عنه فـ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنهَا في الحثِّ على قراءةِ القرآنِ والدُّعاءِ في ليلةِ الدّفن: رُوِيَ أنها لَمَّا احتضرتْ أوصتْ علياً كَرَّمَ اللهُ وَجهَهُ فقالت رَضِيَ اللهُ عَنهَا: إذا أنا مِتُّ فتولَّ أنتَ غسلي... إلى أن قالت: واجلِسْ عند رأسي قُبالةَ وجهي، فأكثِرْ من تلاوةِ القُرآن والدُّعاءِ فإنّها ساعةٌ يحتاجُ الميتُ فيها إلى أُنسِ الأحياء.

وكانت رَضِيَ اللهُ عَنهَا إذا أرادتِ الدعاءَ تدعو للمؤمنينَ والمؤمناتِ ولا تخصُّ نفسَها بشيء، قال الإمامُ الحسنُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: رأيتُ أُمِّي فاطمةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قامتْ في محرابها ليلةَ جُمعتِها فلم تزلْ راكعةً ساجدةً حتى اتضحَ عمودُ الصبحِ وسمعتُها تدعو للمؤمنين والمؤمناتِ وتُسميهم وتكثرُ الدعاءَ لهم ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها: يا أُمّاه لِمَ لا تدعينَ لنفْسِكِ كما تدعين لغيرِكِ؟ قالت رَضِيَ اللهُ عَنهَا: (يا بُنيَّ الجار ثُمَّ الدَّار).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ما خيرٌ للنساء؟) فلم ندرِ ما نقولُ فسار عليٌّ إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت: فهلَّا قلت له: (خيرٌ لهنَّ أن لا يرينَ الرجالَ ولا يرونهنَّ)، فرجع عليٌّ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأخبرَه بذلك فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (صدَقَتْ إنّها بضعة مني).

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنهَا في أهميةِ الحِجابِ: أدْنى ما تكونُ المرأةُ من ربِّها أنْ تلزَمَ قُعْرَ بيتِها.

وَقَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنهَا: في المائدةِ اثنتاعشرة خصلةً يجبُ على كُلِّ مسلمٍ أن يعرفَها: أربعٌ فيها فرضٌ، وأربعٌ فيها سُنّة، وأربعٌ فيها تأديب:

فأمَّا **الفرض**: فالمعرفةُ، والرِّضا، والتَّسميةُ، والشُّكر.

وأمَّا **السُّنّة**: فالوضوءُ قبل الطعام، والجلوسُ على الجانبِ الأيسَرْ، والأكلُ بثلاثِ أصابع، ولعقُ الأصابعِ.

وأمَّا **التَّأديب**: فالأكل مِمَّا يليك، وتصغيرُ اللقمة، والمضغُ الشديد، وقِلَّةُ النَّظَرِ في وُجُوه الناس.

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: نِعْمَ تُحفةُ المؤمنِ التّمرُ.

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: بِشْرٌ في وجهِ المؤمنِ يُوجِبُ لصاحبِه الجنّة، وبِشْرٌ في وجهِ المعاندِ المعادي يقي صاحبَه عذابَ النّار.

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إني أُحِبُّ من دُنياكم ثلاثاً: الإنفاقُ في سبيلِ الله، وتلاوةُ كتاب الله، والنَّظَرُ إلى وجهِ أبي رسول الله.

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: مَنْ أصعدَ إلى اللهِ خالصَ عبادَتِه أهبطَ اللهُ عزَّ وجَلَّ إليه أفضلَ مصلحَتِه.

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في آدابِ الصائم: ما يصنعُ الصائمُ بصيامِهِ؟ إذا لم يَصُنْ لسانَه وسمعَه وبَصَرَهُ وجوارِحَه.

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في مدحها للسخاء وذمّها للبخل: قال أبي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إيَّاكَ والبخلَ فإنّهُ عاهةٌ لا تكون في كريم، إيَّاكَ والبخلَ فإنّهُ شجَرةٌ في النار، وأغصانها في الدنيا، فمَنْ تعلّق بغُصنٍ مِنْ أغصانها أدخله النار، والسَّخاء شجرة في الجنّة، وأغصانُها في الدنيا، فمَنْ تعلَّقَ بغُصنٍ مِنْ أغصانها أدخلَه الجنّةَ.

وفي «الإحياء»: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، اللّهُمَّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كُلّه).

وفي «روض الأفكار»: جاءت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تطلبُ شيئاً مِنَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال لها: (والذي نفسي بيده، ما اقتبَسَ آل محمد ناراً مُنذُ ثلاثين يوماً، ألا أعلِّمك خمس كلماتٍ علّمنيهن جبريل؟، قالت: نعم، قال قُولي: (يا أَوّلَ الأوّلين، ويا آخرَ الآخرين، ويا ذا القُوّةِ المتينِ، ويا أرحمَ الرَّاحينَ، أغننا واقضِ حاجتنا).

وَقَالَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا للصحابي الجليل سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنْ أردتَ أن تلقَى الله عزّ وجَلَّ وهو عليك غير غضبان فواظِبْ على هذا الدعاء وهو: (بسم الله الرحمن الرحيم، باسم الله النُّور، باسم الله الذي يقولُ للشي (كُنْ فيكون)، باسم الله الذي يعلم خائنة الأعين وما

تُخفي الصدور، باسم الله الذي خلَقَ النُّور من النُّور، باسم الله الذي هو بالمعروفِ مذكور، باسم الله الذي أنزَلَ النُّور على السطور، بقَدَرٍ مقدور، في كتابٍ مسطور، على نبيٍّ محبور).

ومن دُعَاءٍ عَلَّمَتْهُ ولدَها الحسَن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (الحمدُ لله الذي لا ينسى مَنْ ذكَرَهُ، ولا يخيِّبُ مَنْ دعَاه، ولا يقطَعُ رجا مَنْ رجَاه)، ثُمَّ يسأل الله عزَّ وجَلَّ ما يُريد.

وفي «منهج الدعوات» أثرٌ عن السيدة الزَّهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (اللَّهُمَّ قنِّعْني بما رزقْتَني، واستُرْني، وعافِني أبداً ما أبقَيتَني واغفرْ لي وارحمْني إذا توفَّيتَني، اللَّهم لا تفتنِّي في طلَبِ ما لم تقدِّرْ لي، وما قدَّرْته عَليَّ فاجعلْهُ ميسَّراً سهلاً، اللَّهمَّ كافِئْ عني والدَيَّ، وكلَّ مَن له نعمةٌ عليَّ خيرَ مُكافأَتِك، اللَّهم فرِّغني لِمَا خلقتَنِي له، ولا تشغلْنِي بما تكفَّلتَ لي به، ولا تعذِّبْني وأنا أستغفرُكَ، ولا تحرِمْني وأنا أسأَلُك، اللَّهم ذلِّلْ نفْسي في نفْسي، وعظِّمْ شأْنَكَ في نفْسي، وألهِمْني طاعتَكَ، والعملَ بما يرضيكَ، والتجنُّبَ لِمَا يُسْخِطُكَ، يا أرحم الرَّاحمين).

مِنْ نَفَائِسِ الإِمَامِ المُرتَضَى أَبِي الحَسَنِ عليِّ بن أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ(١) (ت ٤٠ هـ)

قال كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في القرآنِ الكريم: اعلموا أَنَّ هذا القرآنَ هو الناصحُ الذي لا يَغُشُّ، والهادي الذي لا يُضِلُّ، والمُحدِّثُ الذي لا يكذبُ، وما جَالَسَ هذا القرآنَ أحدٌ إلَّا قامَ عنه بزيادةٍ أو نُقصان، زيادةٌ في هُدى، ونُقصانٌ من عمَى، واعلموا أنَّه ليسَ على أحدٍ بعد القرآنِ من فاقَة، ولا لأَحدٍ قبلَ القرآن في غِنَى، فاستشْفُوا من أَدْوائِكُم، واستعينُوا به على لأوائِكُمْ، فإنَّ فيه شفاءٌ من أكبرِ الدَّاء، وهو الكفْرُ، والنفاقُ، والغيُّ، والضلالُ، فاسألوا اللهَ به، وتوجَّهُوا إليه

(١) وُلِدَ في جَوفِ الكعبةِ لثلاثِ عشرةَ ليلةً خلَتْ من رجبٍ بعد عام الفيلِ بثلاثين سنة، وقُبض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قتيلاً بالكوفة، على يدِ أشْقَى الآخرينَ ابنِ مُلْجِم كما أخبر النبيُّ محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليّاً. وذلك في السابع عشر من رمضان، سنةَ أربعينَ من الهجرةِ، وله يومئذ ثلاثٌ وستونَ سنةً على الرواية الصحيحة، ودُفِنَ بالغرِّي مِنْ نجَفِ الكُوفة.

بحُبِّه، ولا تسألوا به خلْقَه، إنّه ما توجَّهَ العبادُ إلى اللهِ تعالى بمثلِه، واعلموا أَنَّه شافعٌ ومُشفَّعٌ، وقائلٌ مُصدَّقٌ، وأنَّه من شَفَعَ له القرآنُ يومَ القيامةِ صُدِّقَ عليه.

وَقَالَ كرّم الله وجهه يُرغِّبُ المسلمينَ في لزومِ هَدْيِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في خطبةٍ له في الرَّبذة: الزموا دينَكم، واهتدوا بهدْيِ نبيِّكم، واتبعوا سُنّتَه، واعْرِضُوا ما أشكلَ عليكم على القرآنِ، فما عرَّفَه القرآن فالزموه، وما أنكرَه فردُّوه.

وَقَالَ كرّم الله وجهه عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وأهلِ بيتِه: بعثَهُ بالنُّور المُضي، والبرهانِ الجلي، والمنهاجِ البادي، والكتابِ الهادي، أُسرتُه خيرُ أُسرةٍ، وشجَرتُه خيرُ شجرةٍ، أغصانُها مُعتدلةٌ، وثمارُها متهدلةٌ، مولدُه بمكةَ، وهجرتُه بطيبة، عَلا بها ذكرُه، وامتدَّ بها صوتُه، أرسلَه بحُجّةٍ كافيةٍ، وموعظةٍ شافيةٍ، ودعوةٍ مُتلافيةٍ، أظهرَ به الشرائعَ المجهولةَ، وقمعَ به البِدَعَ المدخولةَ، وبيَّنَ به الأحكامَ المفصولةَ، فمَنْ يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً تتحقّقْ شِقوتُه، وتنفصِمْ عُروتُه، وتعظُمْ كبوتُه، ويكُنْ مآبُه إلى الحُزنِ الطويل، والعذابِ الوبيل.

وَقَالَ كرّم الله وجهه: عبادَ اللهِ إنَّ مِنْ أحَبِّ عبادِ اللهِ إليه عبداً أعانَهُ اللهُ على نفسِه فاستشعرَ الحُزْنَ، وتجلببَ الخوفَ، فزهَرَ مصباحُ الهُدَى في قلبِه، وأعدَّ القِرى ليومِه النّازلِ به فقرَّبَ على نفسِهِ البعيدَ، وهوَّنَ الشديدَ، نَظَرَ فأبصرَ، وذَكَرَ فاستكثَرَ، وارتوَى مِنْ عذْبِ فُراتٍ سهُلَتْ له مواردُه، فشَرِبَ نَهلاً، وسَلَكَ سبيلاً جُدُداً ، قَدْ خَلَعَ سرابِيلَ الشَّهواتِ، وتخلَّى عن الهُمُومِ إلَّا همّاً واحداً انفرَدَ به ، فخَرَجَ من صِفَةِ العَمَى، ومُشَارَكةِ أهلِ الهوى، وصارَ من مفاتيحِ أبوابِ الهُدى، ومغاليقِ أبوابِ الرَّدى، قد أبصرَ طريقَه، وسلَكَ سبيلَه، وعَرَفَ منارَه، وقطَعَ غِمارَه، واستمْسَكَ من العُرى بأوثَقِها، ومِنَ الحِبالِ بأمْتَنِها، فهو مِن اليقينِ على مثلِ ضوءِ الشمسِ قد نصَبَ نفسَه لله سبحانَه ، مصباحُ ظُلُماتٍ، كشَّافُ عشواتٍ، مفتاحُ مُبهماتٍ، دفّاعُ مُعْضِلاتٍ، دليلُ فلَواتٍ، يقولُ فيفهِمُ، ويسكُتُ فيسلَمُ، قد أخلَصَ للهِ فاستخلَصَه ، فهو مِنْ معادِنِ دينِه، وأوتَادِ أرضِه، قد ألزَمَ نفسَه فكانَ أوّلُ عدلِه نفيَ الهوَى عن نفسه، يصِفُ الحقَّ ويعملُ به، لا يدعُ للخيرِ غايةً إلَّا أمَّها، ولا مَظنَّةً إلَّا قَصدَها، قد أمكنَ الكتابَ مِنْ زمامِه، فهو قائدُه وإمامُه، يحلُّ حيثُ كان ثقلُه، وينزل حيث كان منزلُه، وآخَرُ قد تَسمَّى عالِماً وليسَ به، فاقتبسَ جهائلَ

مِنْ جُهَّالٍ، وأضاليلَ مِنْ ضُلَّالٍ، ونَصَبَ للناسِ أشراكاً مِنْ حبائلِ غرُورٍ، وقولٍ وزُورٍ، وقد حَمَلَ الكتابَ على آرائِه، وعَطَفَ الحقَّ على أهوائِه، يؤَمِّنُ الناسَ من العظائِم، ويُهوِّنُ كبيرَ الجرائِم، يقولُ: أَقِفُ عندَ الشُّبُهَاتِ وفيها وقَعَ، ويقولُ: اعتزلِ البِدَعَ وبينها اضطجَعَ، فالصُّورةُ صُورةُ إنسانٍ، والقلْبُ قلبُ حيوانٍ، لا يعرِفُ بابَ هُدَى فيتَّبِعَه، ولا بابَ العمَى فيَصُدَّ عنه، فذلك ميتُ الأحياءِ، فأينَ تذهبُونَ؟، وأنَّى تُؤفكُون، والأعلامُ قائمةٌ، والآياتُ واضحةٌ، والمَنَارُ منصُوبةٌ، فأينَ يُتاه بكم؟، بل كيفَ تعمهُون، وبينكم عترةُ نبيِّكم وهُم أزمّةُ الحقِّ، وألْسِنَةُ الصِّدْقِ، فأَنزِلُوهُم بأحسنِ منازلِ القُرآن، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الهِيمِ العِطاشِ.

أَيُّها الناسُ خُذُوها عن خاتَمِ النبيين صلى الله عليه وآلِه أنّه يموتُ مَنْ ماتَ مِنَّا وليسَ بِميتٍ، ويبلَى مَنْ بَلِيَ وليسَ ببالٍ، فلا تقولوا بما لا تعرِفُون، فإنَّ أكثرَ الحقِّ فيما تُنكِرُون، واعذُرُوا مَنْ لا حُجَّة لكم عليه، وأَنَا هو أَلَمْ أعمَلْ فيكم بالثّقلِ الأكبرِ؟، وأترُكْ فيكم الثّقلَ الأصغرَ؟[١]، وركَزْتُ فيكم رايةَ الإيمان، ووقفتُكم على حُدُودِ الحلالِ والحرام، وألبسْتُكُم العافيةَ مِنْ عَدْلِي، وأفرشْتُكم المعروفَ مِنْ قولي وفعلي، وأريتُكم كرائمَ الأخلاقِ من نفسي، فلا تستعملُوا الرأيَ فيما لا يُدركُ قعرَه البصرُ ولا يُتغلغلُ إليه الفِكْرُ.

وَقَالَ كرّم الله وجهه في ذمِّه للغُلُوِّ: لا تتجاوزُوا بنا العبوديّةَ، ثُمَّ قُولوا فينا ما شِئتُم ولن تبلغوا، وإِيَّاكم والغُلُو كغُلُوِّ النَّصارى فإني بَرِيءٌ مِنَ الغالين.

---

(١) روى مسلم في «صحيحه» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّرْ. ثم قال أمّا بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتابِ الله واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب الله ورغّب فيه. ثم قال: وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي). قال النووي: سمّي ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما. وأحاديث أهل البيت والقرآن والحوض رواها أصحاب السنن وأثبتها المفسرون في تفاسيرهم. فعن أبي سعيد الخدري قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض). رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن. والطبراني وقال المناوي رجاله موثقون «الفتح الربّاني» (١/ ١٨٦).

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: هَلَكَ فِيَّ رجلان: مُحِبٌّ غَالٍ، ومُبغِضٌ قَالٍ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مَنِ ادَّعَى حُبَّ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهلِ بيتِه، ولا يقتدي بأفعالِهم، ولا يجالسُ المساكينَ فهو كذَّاب.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ واصفاً شِيعَتَه: شِيعَتي واللهِ الحُلَماءُ، العُلَماءُ باللهِ ودِينِه، العاملون بطاعتِهِ وأمرِه، المهتَدُون لحُبِّه، وأنصارِ عبادِه، جُلَّاسُ زُهَّادِه، صُفْرُ الوجوهِ من التهجُّدِ، عُمْشُ[1] العيونِ من البكاءِ، ذُبلُ الشِّفاهِ من الذِّكرِ، خُمُصُ[2] البُطونِ من الطَّوَى، تعرفُ الرَّبّانيةَ في وجوهِهم، والرهبانيةَ في سمْتِهم، مصابيحُ كُلِّ ظُلمةٍ، ورياحينُ كُلِّ قبيلةٍ، لا يشنئونَ من المسلمينَ سَلَفاً، ولا يَقفون لهم خَلَفاً، سُرورُهم مكنونةٌ، وقلوبُهم محزونةٌ، وأنفسُهم عفيفةٌ، وحوائجُهم خفيفةٌ، وأنفسُهم منهم في عَناءٍ، والناسُ منهم في راحةٍ، فَهُم الكاسةُ الأولياءُ، والخالصةُ النجباءُ، وهم الرَّاغِبونَ الرَّواغُونَ فِراراً بدينِهم، إنْ شهِدُوا لم يُعرفُوا، وإن غابوا لم يُفتقَدُوا، أولئكَ من شيعتي.

ولَـمَّا سمعَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ رجلاً يشتِمُ قنبرَ وانبرى قنبرُ يريدُ أنْ يرُدَّ له الصاعَ صاعينِ صاحَ الإمامُ في وجهه وَقَالَ له: ياقنبرُ دعْ شاتِمَكَ مُهاناً، تُرضِ الرَّحمنَ، وتُسخِطِ الشيطانَ، وتعاقبْ عدوَّك.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يُوصي شيعتَه: الزمُوا الصِّدقَ فإنَّه منجاةٌ، ارغَبُوا فيما عند اللهِ، واطلُبوا مرضاتَه وطاعتَه، واصبِرُوا عليهما، فما أقبحَ بالمؤمنِ أنْ يَدخُلَ الجنةَ وهو مهتوكُ السِّترِ، لا تعْيُونا في طلَبِ الشفاعةِ لكم يومَ القيامةِ بسببِ ماقدَّمتُم، ولا تفضَحُوا أنفُسَكم عند عدوِّكم يومَ القيامة، ولا تُكَذِّبوا أنفُسَكم في منزلَتِكم عند اللهِ بالحقيرِ منَ الدُّنيا، تمسَّكوا بما أمرَكم اللهُ به، فما بين أَحَدٍ وبينَ أنْ يغْتَبِطَ ويرى ما يُحِبُّ إلَّا أنْ يحضُرَه رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وما عند اللهِ خيرٌ وأبقى، وتأتِيه البشارةُ واللهِ، فتَقِرُّ عينُه ويحبُّ لقاءَ اللهِ.

---

(١) العَمَش في العين: ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها فهو أعمش، والمرأة (عمشاء).

(٢) خمص البطون: أي خالية بطونهم من شدّة الجوع. و(الخَمْصَة) بالفتح الجوعة يقال: ليس للبطنة خيرٌ من (خمصةٍ) تتبعها. و(المخمصة) المجاعة وهي مصدر كالمخضبة والمعتبة، وقد (خَمَصَه) الجوع، ومخمصَةً.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: لا تُحَقِّرُوا ضُعفاءَ إخوانِكم، فإنَّه مَنِ احتَقَر مؤمِناً حقَّرَه اللهُ، ولم يجمعْ بينهما يومَ القيامةِ إلَّا أنْ يتوبَ، ولا يُكلِّفُ المرءُ أخاه الطَّلَبَ إليه إذا عَرَفَ حاجَتَه، تزاوَرُوا، وتعاطَفُوا، وتباذَلُوا، ولا تكونوا بمنْزِلَةِ المنافِقِ الذي يَصِفُ ما لا يفعلُ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: سفَهُكَ على مَنْ في درجتِكَ نقارٌ كنقارِ الدِّيكَينِ، وهراشٌ كهراشِ الكَلْبَينِ، ولنْ يتفرَّقا إلَّا مجروحَينِ، أو مفضوحَينِ، وليسَ ذلكَ فعلُ الحُكماءِ، ولا سُنَّةَ العقلاءِ، ولعلَّه أنْ يَحْلُمَ عنك فيكون أوزنَ منكَ وأكرمَ، وأنت أنقصَ منه وألئمَ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: الفُحْشُ[1] والتَّفَحُّشُ ليسا مِنَ الإسلام.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: لا تَسُبنَّ إبليسَ في العلَانيّة وأنتَ صديقه في السِّرِّ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: إيَّاكَ والغيبةَ فإنَّها تمقتُكَ إلى اللهِ والناسِ وتحبطُ أجرَكَ.

ونَظَرَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إلى رجُلٍ يغتابُ آخَرَ عند ابنِه الحسَنِ فقال كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: يابُنيّ نزِّهْ سمعَكَ عنه فإنَّه نظَرَ إلى أخبَثِ ما في وعائِهِ فأفْرَغَه في وعائِكَ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مَن عَذُبَ لسانُه كثُرَ إخوانُه بالبِرِّ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: يُستدلُّ على عَقْلِ الرَّجُلِ بحُسْنِ مقالِه، وعلى طهارةِ أصلِه بجميلِ أفْعالِه.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: الأَلْسُنُ تُتَرجِمُ عمَّا تُكنُّه الضمائرُ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: إيَّاكَ وفُضُولَ الكلامِ فإنَّه يظهرُ من عيوبِكَ مابطنَ ويُحرِّكُ عليكَ مِن أعدائِكَ ما سَكَنَ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: دَعِ الكلامَ فيما لا يعنيكَ، وفي غيرِ موضِعِه، فرُبَّ كلمةٍ سلبَتْ نِعْمَةً، ولفظةٍ أتتْ على مُهْجَةٍ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: يا حَمَلَةَ القرآنِ اعمَلُوا بِه، فإنَّ العَالِمَ مَنْ عَمِلَ بعِلْمٍ ووافَقَ عمَلُه عِلْمَه، وسيكونُ أقوامٌ يحبُّون العِلْمَ لا يُجاوزُ تراقِيَهم، تخالفُ سرائرُهم علانيتَهم، ويخالفُ عملُهم

---

(١) الفحش: هو التعبير عن الأمور المستقبحه بالعبارات الصريحة.

عِلْمَهم، يجلسونَ حِلَقاً فيُباهي بعضُهم بعضاً، حتى إِنَّ الرجلَ يغضبُ على جليسِه أَنْ يجلسَ إلى غيرِه ويدَعَه، أُولئك لا تصعَدُ أعمالُهم في مجالسِهم تلك إلى الله تعالى.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: الفقيهُ كلُّ الفقيهِ مَن لم يُقنِّطِ النَّاسَ مِنْ رحمةِ الله، ولم يُؤمِّنْهم مِن مكرِ الله، ولم يُرَخِّصْ لهم في معاصي الله تعالى، ولم يَدَعِ القرآنَ رغبةً عنه إلى غيرِه، لأنه لا خيرَ في عبادةٍ لا عِلْمَ فيها، ولا عَالِمٍ لا فَهْمَ عنده، ولا قراءةٍ لا تدبُّرَ فيها، وما أبردَ على كبِدِي، إذا سُئلتُ عَمَّا لا أعلم، أنْ أقولَ : اللهُ أَعلمُ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في محاسبةِ النَّفْسِ: ما مِن طاعةِ اللهِ شيءٌ إِلَّا يأتي في كُرْهٍ، وما مِن معصيةِ الله شيءٌ إِلَّا يأتي في شَهْوة، فرحِمَ اللهُ رجلاً نَزَعَ عن شهوتِه، وقَمَعَ هوى نفسِه، فإِنَّ هذه النفسَ أبعدُ شيءٍ نَزْعاً، وإنّها لا تزالُ تنزعُ إلى معصيةٍ في هوى.

وسُئِلَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: كيفَ يُحاسِبُ الرجلُ نفسَه؟ قال: إذا أصبَحَ ثُمَّ أمسى رجَعَ إلى نفسِه، وَقَالَ: يا نفسُ إِنَّ هذا يومٌ مضى عليكِ، لا يعودُ إليكِ أبداً، واللهُ يسألُكِ عنه فيما أفنيتِه، فما الذي عملْتِ فيه! أَذَكَرْتِ اللهَ؟ أقضيتِ حقَّ أخٍ مؤمنٍ؟ أَنَفَّسْتِ كُربتَه؟ أَحَفِظْتِهِ في ظَهْرِ الغَيب.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يُوصي ابنه الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اعلَمْ يابُنيَّ إِنَّه مَنْ أبصَرَ عيبَ نفسِه شُغِلَ عن عَيبِ غيرِه، ومَنْ تعرَّى مِن لباسِ التَّقوى لم يستقِرَّ بشيءٍ منَ اللباس ، ومَنْ رضيَ بقِسْمِ اللهِ لم يحزَنْ على ما فاته، ومَنْ سَلَّ سيفَ البَغيِّ على أخيه قُتِلَ به ، ومَنْ حفَرَ بئراً لأَخِيه وقَعَ فيها ، ومَنْ هتَكَ حجابَ غيرِه انكشَفَتْ عوراتُ بيتِه ، ومَنْ نَسِيَ خطيئتَه استعظَمَ خطيئةَ غيرِه ، ومَنْ كابَدَ الأمورَ عَطبَ ، ومَنِ اقْتحَمَ الغُمُراتِ غرِقَ ، ومَنْ أعجَبَ ضَلَّ ، ومَنِ استغنَى بعقلِهِ ذَلَّ ، ومَنْ تكبَّرَ على الناسِ ذُلَّ ، ومَنْ خالَطَ العُلماءَ وُقِّرَ ، ومَنْ خَالَطَ الأنذالَ حُقِّرَ ، ومَنْ سَفِهَ على النّاسِ شُتِمَ ، ومَنْ دخَلَ مداخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ ، ومَنْ مَزَحَ استُخِفَّ به ، ومَنْ أكثرَ مِنْ شيءٍ عُرِفَ به ، ومَنْ كَثُرَ كلامُه كَثُرَ خطؤُه ، ومَنْ كثُرَ خطؤُه قلَّ حياؤُه ، ومَنْ قلَّ حياؤُه قَلَّ ورعُه ، ومَنْ قَلَّ ورَعُه ماتَ قلبُه ، ومَنْ مات قلبُه دَخَلَ النار.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في حقِّ الوالِدِ على الولدِ وحقِّ الولدِ على الوالِدِ: إنَّ للوالِدِ عَلى الوَلَدِ حقّاً، وإنَّ للْوَلَدِ على الوَالِدِ حقّاً، فحَقُّ الوَالِدِ على الوَلَدِ أَنْ يُطيعَهُ في كُلِّ شَيءٍ إلَّا في مَعْصِيةِ الله سُبْحَانَهُ، وحَقُّ الوَلَدِ على الوَالِدِ أَنْ يُحسِنَ اسْمَهُ ويُحسِّنَ أَدَبَهُ، ويُعلِّمَه القُرآن.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: لا ظَفَرَ مع البَغي، لا ثناءَ مع الكِبرِ، لا صحةَ مع النَّهَمِ والتُّخَمِ، لا شرفَ مع سوءِ الأدبِ، لا راحةَ مع الحسدِ، لا سُؤدَدَ مع الانتقامِ، لا صوابَ مع تركِ المشورةِ، لا مُروءةَ لكذوبٍ، لا كَرَمَ أعزُّ من التُّقى، لا شفيعَ أنجحُ من التوبةِ، لا لباسَ أجملُ من العافية، لا داءَ أعيا مِن الجهلِ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: إنَّ للنَّكَبَاتِ نهاياتٍ، لا بُدَّ لأحدٍ إذا نُكِبَ أن ينتهيَ إليها، فينبغي للعاقلِ إذا أصابتْهُ نكبةٌ أن ينامَ لها حتى تنقضيَ مُدَّتُها، فإنَّ في رفعِها قبلَ انقضاءِ مُدّتِها زيادةً في مكْرِ الله تعالى.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: التَّوفيقُ خيرُ قائدٍ ، وحُسْنُ الخُلُقِ خيرُ قرينٍ ، والعقلُ خيرُ صاحبٍ ، والأدَبُ خيرُ ميراثٍ ، ولا وحشَةَ أشدُّ من العُجْبِ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: يكفيكَ مِنَ الدنيا نعمةُ الإسلام ، ويكفيك مِنَ الشُّغلِ الطاعةُ، ويكفيكَ من العِبْرَةِ الموتُ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في الأصدقاء: لا تتَّخِذَنَّ عدوَّ صديقِك صديقاً فتُعَادي صديقَك.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: أصدقاؤُك ثلاثةٌ: صديقُك ، وصديقُ صديقِك ، وعدوُّ عدوِّك.

وسُئِلَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: كَمْ صديقٍ لك؟ قال: لا أدري الآن ، لأنَّ الدنيا مُقبلةٌ عليَّ ، والناسُ كلُّهم أصدقائي وإنّما أَعرِفُ ذلك إذا أدبَرَتْ عليَّ ، فخيرُ الأصدقاءِ مَنْ أقبَلَ إذا أدبرَ الزَّمانُ عليك.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: كانَ في الأرض أمانانِ مِن عذابِ الله وقد رُفِعَ أحدُهما فدونكم الآخر فتمسَّكوا به: أَمَّا الأمان الذي رُفِعْ فهو رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وأَمَّا الأمانُ الباقي فالاستغفارُ قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال:٣٣].

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: التَّقْوى هي الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتَّنزيلِ، والقناعةُ بالقليلِ، والاستعدادُ ليومِ الرَّحيل.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: ظُلْمُ الضَّعيفِ أفحشُ الظلمِ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: العاملُ بالظلمِ، والمُعينُ عليه، والرَّاضي به، شُركاءُ ثلاثة.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: للظالمِ البَادي غداً بكفِّه عضَّةٌ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: يومُ المظلومِ على الظالمِ أشدُ من يومِ الظالمِ على المظلومِ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: ثلاثةٌ إِنْ لم تظلمهم ظلموكَ عبدُك، وزوجتُك، وابنُك.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: للظالمِ من الرِّجال ثلاثُ علاماتٍ: يظلمُ من فوقَه بالمعصية، ومَن دونَه بالغَلَبة، ويظاهرُ القومَ الظَّلَمةَ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مَنْ عَامَلَ الناسَ فلم يظلِمْهُم، وحدَّث الناسَ فلم يَكْذِبْهم، ووعَدَهم فلم يخلِفْهم فهو متمكِّنٌ كَمُلَتْ مروءتُه، وظهرَتْ عدالَتُه، ووجبَتْ أُخُوَّتُه.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: ثلاثٌ مَنْ حافظَ عليها سعِدَ: إذا ظهرتْ عليك نعمة فاحمدِ اللهَ، وإذا أبطأ عنك الرِّزْقَ فاستغفرِ اللهَ، وإذا أصابَتْكَ شدّةٌ فأكثر من قولِ: لا حولَ ولا قوّة إِلَّا بالله.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: إِنَّ النِّعمةَ موصولة بالشُّكر، والشكر يتعلَّق بالمزيد، وهُمَا مقرونان في قَرَنْ، فلَنْ ينقطع المزيد مِنَ الله حتى ينقطع الشكر مِنَ العبد.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في إكرامِ الضَّيف: ما مِنْ مؤمنٍ يحبُّ الضيف إِلَّا ويقومُ مِنْ قبرِهِ كالقمَر ليلة البَدر فينظُر أهلَ الجمع فيقولون: ما هذا إِلَّا نبيٌّ مُرسَلْ، فيقول ملك: هذا مؤمن يحبُّ الضيف ويكرم الضيف ولا سبيل له إِلَّا أنْ يدخلَ الجنّة، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إذا أرادَ اللهُ بقومٍ خيراً أهدى إليهم هديّة)، قالوا: وما تلِكَ الهديَّة؟ قال: (الضيف ينزل برزقه ويرتحِلُ بذنوبِ أهل البيت)(١).

(١) قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الضيفُ يأتي برزقِه ويرتحلُ بذنوبِ القومِ يمحصُّ عنهم ذنوبُهم) رواه أبو الشيخ «كنز العمال» (٢٥٨٣٥) والدَّيلمي في «الفردوس» (٣٨٩٦).

وبكى كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: لَمْ يأتِني ضيف مُنذُ سبعة أيّام أخاف أنْ يكونَ الله قد أهانَني.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: للمُرائي ثلاثُ علاماتٍ: يكسَلُ إذا كانَ وحدَه، وينشَطُ إذا كانَ في النّاس، ويزيدُ في العملِ إذا أُثنيَ عليه وينقصُ إذا ذُمَّ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مَنْ جعلَ الحلالَ قُوتاً: أُجيبَتْ دعوتُه، وكَمُلَتْ مُروءتُه، وحَسُنَتْ سريرتُه، ورَقَّتْ دمعتُه، وعَلَتْ كَلِمتُه، وحَصَلَتْ أُمنيتُه، وطَابَتْ مَنيَّتُه، وطهرَتْ ذُرِّيَّتُه، وتنوَّرَتْ نُطفتُه، وظَهَرَتْ حِكمتُه، وقَلَّ غضبُه، ورَقَّ قلبُه، وخَفَّ ذنبُه، ورَدُّ درهمٍ حرامٍ أفضلُ عند اللهِ مِنْ أربعةِ آلافِ حَجَّةٍ مقبولةٍ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مِن خطبةٍ له: فاتَّقوا سكَرَاتِ النِّعمةِ، واعوجاجَ الفتنةِ، عند طلوعِ جنينِها، وظهورِ كمينِها، وانتصابِ قُطبِها، ومَدَارِ رحاها، يتوارثُها الظَّلَمَةُ بالعهودِ، أوّلُهم قائدٌ لآخِرِهم، وآخرُهم مُقتدٍ بأوّلِهم، يتنافسُون في دُنيا دنيَّة، ويتكالبُون على جِيفةٍ كريهةٍ، وعن قليلٍ يتبرّأُ التابعُ مِنَ المتبوع، والقائدُ من المَقُودِ، فيتزايلُون بالبغضاءِ، ويتلاعنون عند اللقاءِ، فلا تكونوا أنصابَ الفِتَنِ، وأعلامَ البِدَعِ، والزمُوا ما عُقِدَ عليه حَبْلُ الجماعة، وبُنِيَتْ عليه أركانُ الطاعة، واقدُمُوا على الله مظلومين، ولا تَقدُمُوا عليه ظالمين.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: أسوأُ الناسِ حالاً مَنْ لم يَثِقْ بأحَدٍ لسُوءِ ظَنِّه، ولم يثقْ به أحدٌ لسُوءِ فعلِه.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مَنْ طلَبَ الدِّينَ بالجَدَل تزَنْدَقَ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مسكينٌ ابنُ آدمَ، مكتومُ الأجَلِ، مكنونُ العِلَلِ، محفوظُ العَمَلِ، تُؤلِمُه البَقَّةُ، وتقتلُه الشَّرْقةُ، وتُنتنُه العَرْقَة.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: الخيرُ كُلُّه مجموعٌ في أربعةِ أشياء:

الصَّمتُ والنُّطُقُ والنَّظَرُ والحَرَكَةُ.

فكُلُّ صَمْتٍ لا يكون في فِكرٍ فهو سهوٌ.

وكُلُّ نُطقٍ لا يكونُ في ذِكر لله تعالى فهو لَغْوٌ.

وكُلُّ نظَرٍ لا يكونُ في عِبرةٍ فهو غفلةٌ .

وكُلُّ حركةٍ لا تكونُ في تعبُّدٍ لله فهي فَتْرةٌ .

فرحِمَ الله عبداً جعلَ نُطقَه ذكراً، وصمتَه فِكراً ، ونظَره عبرةً ، وحرَكَتَه تعبُّدَاً، وسَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسانِه.

مِنْ نَفَائِسِ الإمامِ السِّبْطِ الحَسَنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١)

(٣-٥٠هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في القرآنِ الكريمِ: إنَّ القرآنَ فيه مصابيحُ النُّورِ، وشفاءُ الصُّدورِ، فليَجْلُ جالٌّ بضوئِه، وليُلجِمِ الصفةُ قلبَه، فإنَّ التفكيرَ حياةُ القلْبِ البصيرِ، كما يمشي المستنيرُ في الظلماتِ بالنُّور.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لبعضِ ولَدِه: يا بُنيَّ لا تُؤاخِ أحداً حَتَّى تعرفَ موارِدَه ومصادرَه، فإذا استنبطتَ الخبرةَ، ورضيتَ العِشْرةَ، فآخِه على إقالةِ العثرةِ ، والمؤاساةِ في العُسرةِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أعرَفُ الناسِ بحقوقِ إخوانِه وأكثرُهم قضاءً لها أعظمُ عند اللهِ شأْناً ، ومَنْ تَوَاضَعَ في الدُّنيا لإخوانِه فهو عِندَ اللهِ مِنَ الصادقين.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: المروءةُ العَفَافُ وإصلاحُ الحَالِ، والإخاءُ المواساةُ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ، والغنيمةُ الباردةُ الرَّغبةُ في التَّقوَى.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مكارمُ الأخلاقِ: صِدْقُ اللسانِ وصِدْقُ البأسِ وإعطاءُ السائلِ وحُسْنُ الخُلُقِ والمكافأةُ بالصنائعِ (أي المعروف) وصلةُ الرحمِ وحمايةُ الجارِ ومعرفةُ الحقِّ للصاحبِ وقِرَى الضَّيفِ ورأسُهنَّ الحياءُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: علِّمِ النَّاسَ وتعلَّمْ عِلْمَ غيرِك فتكونَ قد أتقنْتَ علمَكَ وعلِمْتَ ما لمْ تعْلَمْ.

---

(١) وُلِدَ بالمدينةِ المنورةِ ليلةَ النصفِ من رمضانَ سنةَ ثلاثٍ من الهجرةِ ولَمَّا قُبِضَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كانَ له سبعُ سنين وستةُ أَشْهرٍ، وانتقَلَ إلى ربِّه مسموماً في السابعِ من صَفَرٍ سنةَ خمسينَ من الهجرة، قال المسعودي: توفي الحسن، وهو ابن خمس وخمسين سنة. وكانت مُدّةُ إمامتِهِ تسعُ سنينَ وأربعةُ أَشْهُرٍ وثمانية أيّام.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في المواقِفِ من المُصيبةِ: إنْ كانتِ المصيبةُ قد أحدَثَتْ لك موعظةً وأكسبتْكَ أجراً فذاك، وإِلَّا فمصيبتُكَ في نفسِكَ أعظمُ مِن مصيبتِكَ في غيرِكَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مَنْ تعلَّقَ قلبُه بالمسجدِ أصابَ إحدى ثمانٍ: آيةً محكمةً، أو أخاً مستفاداً في الله، أو عِلْماً مستطرفاً، أو رحمةً منتظرة، أو كلمةً تدلُّ على الهدى، أو كلمةً تردُّ عن الرَّدى، أو يترك الذنوبِ حياءً، أو خشيةً مِنَ الله عَزَّ وجل.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: مَنْ أُعْطِيَ أَربعاً لم يُمْنَعْ من أربعٍ: مَنْ أُعْطِيَ الشُّكرَ لمْ يُمْنَعِ المزيدَ، ومَنْ أُعْطِيَ التوبةَ لم يُمنعْ من القبولِ، ومَنْ أُعْطِيَ المَشُورةَ لم يُمنعْ من الصّوابِ، ومَنْ أُعطِيَ الاستخارةَ لم يُمنعْ من الخِيرة.

ومِن أجوبتِه عن مسائلَ سألَه عنها الإمامُ علي كَرَّمَ اللهُ وَجهَهُ قائلاً له: ما الزهدُ؟ فقال الحسن رَضِيَ اللهُ عَنهُ: الرَّغبةُ في التقوى، والزَّهادَةُ في الدُّنيا .

قَالَ: فَمَا الحِلْمُ؟ قال: كظمُ الغيظِ وملْكُ النَّفْسِ .

قَالَ: ما السَّدادُ؟ قال: دفعُ المنكرِ بالمعروفِ .

قَالَ: فما الشرفُ؟ قال: اصطناعُ العشيرةِ وحملُ الجَريرةِ .

قَالَ: فما النَّجدةُ؟ قال: الذبُّ عن الجارِ والصبرُ في المواطنِ والإقدامُ عند الكريهة .

قَالَ: فما المجدُ؟ قال: أن تعطيَ في الغُرْمِ وأن تعفوَ عن الجُرْمِ .

قَالَ: فما المروءةُ؟ قال: حفظُ الدينِ وإعزازُ النفسِ ولينُ الكنفِ وتعهدُ الصنيعةِ وأداءُ الحقوقِ والتحبُّبُ إلى الناسِ .

قَالَ: فما الكرَمُ؟ قال: الابتداءُ بالعطيّةِ قبلَ المسألةِ وإطعامُ الطعامِ في المحلِ (أي الشدّة يقال : زمانٌ ماحلٌ أي مجدبٌ) .

قَالَ: فما الدنيئةُ؟ قال: النظرُ في اليَسيرِ ومنعُ الحقيرِ .

قَالَ: فما اللؤمُ؟ قال: قلّةُ النَّدى وأن ينطقَ بالخَنى .

قَالَ: فما السماحُ؟ قال: البذلُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ .

قَالَ: فما الشُّحُّ؟ قال: أن ترى ما في يديكَ شرفاً، وما أنفقْتَهُ تلَفاً .

قَالَ: فما الإخاءُ؟ قال: الإخاءُ في الشدّةِ والرَّخاء .

قَالَ: فما الجُبْنُ؟ قال : الجرأةُ على الصَّديقِ ، والنُّكولُ عن العدوِّ .

قَالَ: فما الغِنى؟ قال: رضا النفسِ بما قسَمَ لها وإنْ قلَّ .

قَالَ: فما الفقرُ؟ قال: شَرَهُ النفسِ إلى كلِّ شيءٍ .

قَالَ: فما الجُودُ؟ قال: بَذْلُ المجهودِ .

قَالَ: فما الكرمُ؟ قال: الحفاظُ في الشدّةِ والرَّخاءِ .

قَالَ: فما الجُرْأَةُ؟ قال: موافقةُ الأقران .

قَالَ: فما المَنْعَةُ؟ قال : شدّةُ البأْسِ ، ومنازعةُ أعزِّ الناس .

قَالَ: فما الذُّلُّ؟ قال: الفَزَعُ عند المصدُوقة .

قَالَ: فما الخرقُ؟ قال: مناوأَتُك أميرَك ومن يقدرُ على ضُرِّكَ .

قَالَ: فما السَّناءُ؟ قال: إتيانُ الجميلِ ، وتركُ القبيحِ .

قَالَ: فما الحَزْمُ؟ قال: طولُ الأناةِ ، والرِّفقُ بالولاةِ ، والاحتراسُ من جميعِ الناس.

قَالَ: فما الحرمانُ؟ قال: تركُكَ حظَّك وقد عُرِضَ عليك.

قَالَ: فما الشَّرفُ؟ قال: موافقةُ الأخوانِ ، وحفظُ الجيران .

قَالَ: فما السُّمعةُ؟ قال: إتباعُ الدناءةِ، ومصاحبةُ الغُواة .

قَالَ: فما العَيُّ؟ قال: العبثُ باللحيةِ، وكثرةُ التنحنُحِ عند المنطقِ .

قَالَ: فما الشجاعةُ؟ قال: موافقةُ الأقرانِ ، والصبرُ عند الطعانِ .

قَالَ: فما الكَلَفَة؟ قال: كلامُك فيما لا يعنِيكَ .

قَالَ: وما السَّفهُ؟ قال: الأحمقُ في مالِه ، المتهاونُ بعِرْضِه .

قَالَ: فما اللومُ؟ قال: إحرازُ المرءِ نفسَه ، وإسلامُه عِرْسَه.

ومَرَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: في يومِ فطرٍ بقومٍ يلعبونَ ويضحكونَ فوَقفَ على رؤوسِهم فقال: إنَّ اللهَ جعلَ شهرَ رمضانَ مضماراً لخلْقِه ، فيستبقونَ فيه بطاعتِه إلى مرضاته ، فسبق قومٌ ففازوا ، وقصَّرَ آخرون فخابوا ، فالعجَبُ كلُّ العجَبِ مِنْ ضاحكٍ لاعبٍ في اليوم الذي يثابُ فيه

المُحسنون ، ويخسرُ فيه المبطلون ، وأيْمَ اللهِ لو كُشِفَ الغطاءُ لعلموا أنَّ المُحسِنَ مشغولٌ بإحسانه ، والمُسيءُ مشغولٌ بإساءتِه، ثُمَّ مضى.

ومن نصائحِه الغاليةِ قولُه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا ابنَ آدمَ لم تزلْ في هدمِ عُمرِكَ منذُ سقطْتَ من بطنِ أُمِّكَ لأنَّ كلَّ يومٍ يمُرُّ عليك يباعدُك من الدنيا ويقتربُ بك من الآخرة ، فخُذْ بما في يديك، لِمَا بين يديك ، قال تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ [البقرة:٢٢٣] فإنَّ المؤمنَ يتزوَّدُ كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧] والكافرُ يتمتّعُ كما قال تعالى: ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم:٣٠].

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حولَ الجبْرِ والتفويضِ: مَنْ لم يؤمنْ بالله وقضائِه وقدَرِه فقد كفَرَ، ومن حمَلَ ذنبَه على ربِّه فجَرَ ، إنّ اللهَ لا يُطاعُ استكراهاً، ولا يُعصى لغلَبةٍ لأنه المليكُ لِمَا ملَّكهم، فإذا لم يفعلوا فليس هو الذي أجبرَهم على ذلك ، لأنه لو أجبرَ الخلْقَ على الطاعةِ لأسقطَ عنهم الثوابَ ، ولو أجبرَهم على المعاصي لأسقطَ عنهم العقابَ، ولو أهملَهم لكان عجْزاً في القُدْرةِ ، ولكنْ له فيهم المشيئةُ التي غيَّبَها عنهم، فإنْ عملُوا بالطاعاتِ كانتْ له المنّةُ عليهم ، وإِنْ عملوا بالمعاصي كانت له الحُجّةُ عليهم.

وسُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رأيه في السياسة؟ فقال: هي أن ترعى حقوقَ الله ، وحقوقَ الأحياءِ ، وحقوقَ الأمواتِ :

فأمَّا حقوقُ الله: فأداءُ ما طَلَبَ ، والاجتنابُ عمَّا نهى .

وأَمَّا حقوقُ الأحياءِ: فهي أن تقومَ بواجبِكَ نحو إخوانِكَ ، ولا تتأخرَ في خِدمَةِ أُمَّتِك ، وأن تُخْلِصَ لولي الأمرِ ما أخلصَ لأُمَّتِه ، وأن تدفعَ عقيدتَك في وجهِه إذا ما تنحّى عن الطريقِ السَّوي .

وأَمَّا حقوقُ الأمواتِ: فهي أن تذكُرَ خيراتِهم ، وتتغاضى عن مساوئِهم فإنَّ لهم ربّاً يُحاسبُهم.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: الرِّجالُ ثلاثةٌ: رجُلُ رجُلٌ، ورجلٌ نصفُ رجلٍ، ورجلٌ لا رجلَ، فالرجلُ الذي هو رجلٌ: مَنْ كان ذا عقلٍ واستشارَ ذوي العقولِ، والذي هو نصفُ رجلٍ: مَنْ كان ذا عقلٍ واستبدَّ بعقلِه، والذي هو لا رجلَ: مَنْ لم يكنْ ذا عقلٍ ولم يستشِرْ ذَوي العقول.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في وصفِ أخٍ لَه: كانَ لا يقولُ ما لا يفعلُ، ويفعلُ ما يقولُ.

جَوابُه على أسئِلَةِ مَلِكِ الرُّومِ:

أرسلَ ملكُ الرُّومِ إلى مُعاويةَ بعضَ الأسئلةِ فأرسلَ بها إلى الإمامِ الحسنِ رضوانُ اللهِ عليه ليجيبَه عنها وهي: أين وسَطُ السماءِ؟ وما أوّلُ قطرةِ دمٍ وقعَتْ على الأرضِ؟ وما هو المكانُ الذي طلَعَتْ عليه الشمسُ مرّة واحدة؟ وما المكان الذي لا قبلةَ له؟ ومَنْ الذي لا قرابةَ له؟ .

فأجَابَ الإمامُ الحسنُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قائلاً: وسطُ السماءِ الكعبةُ، وأوّلُ قطرةِ دمٍ أُريقَتْ على الأرضِ دمُ حواءَ، والمكانُ الذي طلعتْ عليه الشمسُ مرّةً واحدةً أرضُ البحرِ حينَ ضربَه موسى بعصاهُ فانفَلَقَ، وما ليسَ له قبلةٌ الكعبةُ لأنها القبلةُ، وما لا قرابةَ له فهو الله عز وجل فلا قرابةَ ولا نسبَ ولا مصاهرةَ له تعالى الله عن ذلك.

وسألَه مَلكُ الرُّومِ عن سبعةِ أشياءَ لم تستقرَّ في الرَّحِمِ؟ فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ قائلاً: لم يستقرَّ في الرحمِ: آدمُ، وحواءُ، ولا كَبْشُ إبراهيم، ولا ناقةُ صالح، ولا إبليسُ اللعينُ، ولا الحيّةُ، ولا الغُرابُ الذي ذكرَه اللهُ في القرآنِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: هلاكُ الناسِ في ثلاثٍ: الكبرُ، والحرصُ، والحسدُ، فالكبرُ: هلاكُ الدِّينِ وبه لُعِنَ إبليسُ، والحرصُ: عدوُّ النَّفْسِ وبه أُخْرِجَ آدمُ مِن الجنَّةِ، والحسدُ: رائدُ السوءِ ومنه قَتَلَ قابيلُ هابيلَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لا تُجاهِدِ الطَّلَبَ جِهادَ الغالِبِ، ولا تَتَّكِلْ على القَدَرِ اتكالَ المستسْلِمِ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ من السُّنّةِ، والإجمالَ في الطلبِ من العِفّةِ، وليستِ العفّةُ بدافعةٍ رِزْقاً، ولا الحرصُ بجالبٍ فَضْلاً، فإنَّ الرِّزْقَ مقْسُومٌ، واستعمالُ الحِرْصِ استعمالَ المآثِمِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: الخيرُ الذي لا شرَّ فيه: الشكرُ مع النِّعمةِ، والصبرُ على النَّازلةِ.

وقيل له: فِيكَ عظمةٌ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بل فيَّ عزّةٍ واقرأوا قولَه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا لَقِيَ أحدُكم أخاه فليقبِّلْ موضعَ النُّورِ من جبهَتِه.

وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ لجليسِه: إذا أردتَ عِزّاً بلا عشيرةٍ، وهَيبةً بلا سلطانٍ، فاخرُجْ من ذُلِّ معصيةِ الله، إلى عِزِّ طاعةِ الله، وإذا نازعَتْكَ إلى صحبةِ الرِّجالِ حاجةٌ فاصْحَبْ من إذا صحبْتَه زانَكَ، وإذا خدمتَه صانَكَ، وإذا أردتَ منه معونةً أعانَكَ، وإذا قُلتَ صدَّقَ قولَك، وإذا صِلتَ شدَّ صَولَتَك، وإذا مدَدْتَ يدَكَ بفضْلٍ مدَّها، وإنْ بدَتْ منكَ ثُلْمةٌ سدَّها، وإنْ رأى منكَ حسنةً عدَّها، وإنْ سألْتَه أعطاك، وإنْ سكتَّ عنه ابتدأَك، وإنْ نزَلَتْ بك إحدى المُلِمَّاتِ وَاسَاكَ، لا تأتِيكَ منه البوائِقُ، ولا تختلفُ عليك منه الطرائقُ، ولا يخذِلُكَ عند الحقائِق، وإنْ تنازعْتُما مَغْنَماً آثرَك.

مِنْ نَفَائِسِ الإمامِ السِّبطِ الشَّهيدِ السَّعِيدِ الحُسَينِ بن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١)

(٤ – ٦١ هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى:١١] أَمَرَهُ يُحدِّثُ بما أنعمَ اللهُ به عليه في دِينهِ لا في دُنياه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مِنْ دلائِلِ علاماتِ القبولِ: الجلوسُ إلى أهلِ العقول، ومِنْ علاماتِ أسبابِ الجهلِ: المماراةُ لغيرِ أهلِ الكُفرِ، ومِنْ دلائل العالِمِ: انتقادُه لحديثِه وعلمِه بحقائقِ فنونِ النَّظر.

---

(١) وُلِدَ في الخامسِ من شعبان سنة أربع من الهجرة، وبين ميلاده وميلادِ أخيه الحسن عشرةُ أشهرٍ وعشرون يوماً استُشْهِدَ بأرضِ كربلاءَ من أرضِ العراقِ في العاشرِ من المحرَّمِ سنةَ (٦١) من الهجرةِ، وكان عمرُه الشريفُ (٥٦) سنةً وأشهراً.

وسُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ الجهادِ سُنّةٌ أو فريضةٌ؟ فقال: الجهادُ على أربعةِ أوجُهٍ: فجهادانِ فرضٌ، وجهادٌ سُنّةٌ لا يُقام إلّا مع فرض، وجهادٌ سُنّه .

فأمّا أحدُ الفرضَينِ: فجهادُ الرَّجلِ نفسَه عن معاصي اللهِ ، وهو مِن أعظمِ الجهادِ .

ومجاهدةُ الذينِ يلونكم من الكفار فرضٌ.

وأَمَّا الجهادُ الذي هو سُنّة لا يُقام إلّا مع فرض: فإنَّ مجاهدةَ العدوِّ فرضٌ على جميعِ الأمّةِ لو تركوا الجهادَ لأتاهم العذابُ ، وهذا هو من عذابِ الأمّةِ وهو سُنّةٌ للإمام، وحدّه أنْ يأتي العدوَّ مع الأمّةِ فيجاهدَهم.

وأَمَّا الجهادُ الذي هو سُنّةٌ فكلُّ سُنّةٍ أقامَها الرجلُ ، وجاهدَ في إقامتِها وبلوغِها وإحيائِها ، فالعملُ والسعيُ فيها من أفضلِ الأعمالِ لأنّها إحياءُ سُنّه ، وقد قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (مَنْ سَنَّ سُنّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عمِلَ بها إلى يومِ القيامةِ من غيرِ أنْ ينقصَ من أجورِهم شيءٌ)(١).

وجاءَهُ أعرابيٌّ فقال له: يا ابنَ رسولِ اللهِ جئتُكَ من الهرقل والجعلل والأيتَمِ والهمهمِ فهل تعرفهم؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: نعم .

أَمَّا الهِرَقل: فهو ملِك الرُّوم ، والجعلل: النخل القصير ، والأيتم: بعض النبات، والهمهم: عين الماء الغزيرة.

وكانت تلك البلاد تنطبق على البلاد التي قَدِمَهَا الأعرابي. قال الأعرابي: ما رأيتُ اليومَ غلاماً أحسنَ منك.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: حوائجُ الناسِ إليكم مِنْ نِعَمِ اللهِ عليكم، فلا تملُّوا النِّعَمَ فتعودُ نقماً.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: الحِلْمُ زِينةٌ، والوفاءُ مُروءةٌ، والصِّلةُ نعمةٌ، والاستكثارُ صَلَفٌ، والعجَلةُ سَفَهٌ، والسَّفَهُ ضعفٌ، والغلوُّ ورطَةٌ، ومجالسةُ أهلِ الدناءةِ شرٌّ، ومجالسةُ أهلِ الفُسُوقِ ريبةٌ.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه».

ورُوِي أَنَّ رَجُلاً قالَ للإمامِ الحسينِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اجلِسْ حتى نتناظَرَ في الدِّينِ، فقال له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا هذا أنا بصيرٌ بدِيني مكشوفٌ عليَّ هُداي، فإنْ كنتَ جاهلاً بدينِكَ، فاذهَبْ واطلبْهُ، ما لي وللمُمَاراة.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا سمعتَ أحداً يتناولُ أعراضَ الناسِ فاجتهدْ أَلَّا يعرفَك فإنَّ أشقى الأعراضِ بهذا الرجلِ مَنْ يَتعرَّفُ عليه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لرجُلٍ اغتابَ عنده رجلاً: يا هذا كُفَّ عنِ الغيبةِ فإنَّها إدامُ كلابِ أهلِ النَّارِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابنِه علي بن الحسين: أيْ بُنيْ إيّاكَ وظُلْمَ مَن لا يجدُ عليكَ ناصراً إلَّا اللهُ عزَّ وَجلَّ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا تتكلَّفْ ما لا تُطيقُ، ولا تتعرَّضْ لِمَا لا تدركُ، ولا تعِدْ بما لا تقدِرُ عليه، ولا تنفقْ إلَّا بقدْرِ ما تستفيد، ولا تطلُبْ مِنَ الجزاءِ إلَّا بقدْرِ ما صنعْتَ، ولا تفرحْ إلَّا بما نِلْتَ مِن طاعةِ الله، ولا تتناولْ إلَّا ما رأيتَ من نفسِكَ أهلاً له.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ طلَبَ أَمْراً بمعصيةٍ كَانَ أَفْوَتَ لِمَا يرجو وأسرعَ لمجي ما يحذرُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الإخوانُ أربعةٌ: فأخٌ لك وله، وأخٌ لك، وأخٌ عليك، وأخٌ لا لك ولا له، فسُئِلَ عن معنى ذلك؟.

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **الأخُ الذي هو لك وله** فهو الأخ الذي يطلبُ بإخائه بقاءَ الإخاء، ولا يطلبُ بإخائِه موتَ الإخاءِ فهذا لك وله، لأنه إذا تمَّ الإخاءُ طابتْ حياتُهما جميعاً، وإذا دخلَ الإخاءُ في حالِ التناقضِ بطَلَ جميعاً.

والأخُ الذي هو لك؛ فهو الأخ الذي قد خرج بنفسه عن حال الطمع إلى حال الرغبة فلم يطمع في الدنيا إذ رغِبَ في الإخاء فهذا موفّرٌ عليك بكليته.

والأخُ الذي هو عليك؛ فهو الأخُ الذي يتربَّصُ بك الدَّوائر، ويغُش السرائر، ويكذب عليك بين العشائر، وينظر إليك نظَرَ الحاسد، فعليه لعنة الواحد.

والأخُ الذي لا لك ولا له؛ فهو الذي قد ملأه اللهُ حُمقاً فأبعده سُحْقاً فتراه يؤثِرُ نفسَه عليك ويطلب شُحَّ ما لديك.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الجاهل يستصوب رأيه، ويُخَطِّئ سِواه، والعالِمُ بالعكس يتهمّ نفْسَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ أَحبَّك نهاكَ، ومَنْ أبغضَك أغراكَ.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يدعُو يومَ عرفةَ بدعاءٍ طويلٍ وهو واقِفٌ على قدمَيه في ميسرةِ الجبلِ تحتَ السماءِ، وما قرأَه قارئٌ وتأمّلَ معانيه، إلَّا خشعَ قلبُه، واستيقظَ عقلُه، وشَعَرَ بالقُربِ من اللهِ سبحانه، والتعلُّقِ به، ونقطفُ منه الجُمَلَ التاليةَ:

لو حاولْتُ واجتهدْتُ مدى الأَعصارِ والأَحقابِ- لو عمرتُها- أنْ أُؤَديَ شُكْرَ واحدةٍ من نعمِكَ ما استطعْتُ ذلك إلَّا بمنِّكَ الموجِبِ عليَّ شُكراً جديداً[١].

اللَّهُمَّ اجعَلْني أَخْشاكَ كأني أَراكَ[٢]. اللَّهم اجعلْ غِنايَ في نفسِي، واليقينَ في قلبي، والإخلاصَ في عملي، والنُّورَ في بصَري، والبصيرةَ في ديني.

اللَّهم حاجَتِي التي إنْ أعطيتَنِيها لم يضرَّني ما منعْتَني، وإنْ منعْتَنِيها لم ينفعْنِي ما أَعطيتَني، أسألُكَ فكاكَ رَقَبتي من النَّار[٣].

إلٰهي أَنا الفقيرُ في غِناي، فكيفَ لا أكونُ فقيراً في فقرِي؟!.. وأنا الجاهلُ في عِلْمي، فكيفَ لا أكونُ جهولاً في جهلِي[٤]؟!.

إلٰهي منِّي ما يليقُ بلؤمِي، ومنكَ ما يليقُ بكرمِكَ.

---

(١) في مقدور الإنسان أن يُؤدي شكر نعمة أنعمها عليه إنسان مثله، بل في مقدوره أن يردّ الإحسان أضعافاً، فيصبح هو المنعم المستوجب للشكر، أمَّا تأدية الشكر لله فمحال، لأنَّ منحه القدرة على الشكر نعمة تستدعي الشكر أيضاً، وهكذا إلى ما لا نهاية.

(٢) هذا مبدأ أهل البيت الذي لا يحيدون عنه في قول أو فعل، فهم أبداً ودائماً كأنهم ينظرون إلى الله عز وجل وجهاً لوجه.

(٣) وهذا مبدأ آخر من مبادئ آل الرسول، فمقصودهم الأعلى مرضاة الله، والنجاة في دار البقاء، أمّا هذه الحياة فليست عندهم بشيء ما لم تكن وسيلة لهذه الغاية.

(٤) ليس في وسع الإنسان أن يعرف كل شيء، ومهما بلغت درجته من العلم لا بُدَّ أن تخفى عليه أشياء وأشياء لا يبلغها الإحصاء، بل أنَّ كثيراً من معارفه تكون مجرّد أوهام، فهو إذن جاهل في علمه سبحانه وتعالى، ولكنه جاهل معذور.

إلهي كُلَّما أخرسَني لؤمِي، أنطقَنِي كرمُك، وكُلَّما آيسَتْني أوصافي أطمَعَنِي مَنُّك. كيفَ يستدلُّ عليكَ بما هو في وجودِه مُفتقرٌ إليك؟!.. أيكونُ لغيرِكَ من الظهورِ ما ليسَ لك، حتى يكونَ هو المظهرُ لك؟! متى غبْتَ حتى تحتاجَ إلى دليلٍ يدلُّ عليك؟!. ومتى بعدْتَ حتى تكونَ الآثارُ هي التي توصلُ إليك؟!.. عَمِيَتْ عينٌ لا تراكَ عليها رقيباً، وخسرت صفقةُ عبدٍ لم يجعلْ له من حُبِّك نصيباً.. ماذا وجدَ مَنْ فقدَك؟. وما الذي فَقَدَ مَنْ وَجدَكَ؟.

مِنْ نَفَائِسِ الإِمَامِ السَّجَّادِ زَينِ العَابِدِينَ عليٍّ بنِ الحُسَينِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما(١)

(٣٨ – ٩٥هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنهُ لابنِه محمدٍ الباقرِ: لا تصحبَنَّ خمسةً ولا تُجادِلْهم ولا تُرافقْهُم في طريقٍ: **لا تصحبَنَّ فاسقاً**؛ فإنّه يبيعُكَ بأكلةٍ فما دونَها . فقلت: يا أبتاه فمَا دُونَها؟ قال: يطمعُ فيها ثُمَّ لا ينالها.

ولا تصحبَنَّ بخيلاً؛ فإنّه يقطعُ بك أحوجَ ما تكونُ إليه.

ولا تصحبَنَّ كذّاباً؛ فإنّه بمنزلةِ السَّرابِ يُبعِّدُ منكَ القريب، ويُقرِّبُ منك البعيد.

ولا تصحبَنَّ أحمق؛ فإنَّكَ تُريدُه أنْ ينفعك فيضرّك.

ولا تصحبَنَّ قاطعَ رحمٍ، فإنِّي وجدتُه ملعوناً في كتابِ الله في ثلاثةِ مواضعَ(٢).

وَقَالَ: رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إيَّاكَ والابتهاجَ بالذَّنبِ فإنَّ الابتهاجَ بالذنبِ أعظمُ مِن ركوبِه.

---

(١) وُلِدَ بالمدينةِ المنورة، في شهرِ شعبانَ سنةَ (٣٨) من الهجرة، وتُوفي بها في (٢٥) محرم سنة (٩٥) من الهجرة في أيّام عبدالملكِ. ودُفِنَ بالبقيعِ عند عمِّه الحسنِ في القُبّة التي فيها قَبْرُ العَبّاسِ بنِ عبدِالمطلب.

(٢) قال بن حجر الهيتمي في «الزواجر» : وَذَكَرَ الآيَاتِ الثَّلَاثَ السَّابِقَةَ، **آيَةَ الْقِتَالِ** وَاللَّعْنُ فِيهَا صَرِيحٌ، **وَالرَّعْدَ** وَاللَّعْنُ فِيهَا بِطَرِيقِ العُمُومِ؛ لِأَنَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يَشْمَلُ الأَرْحَامَ وَغَيْرَهَا، **وَالبَقَرَةَ** وَاللَّعْنُ فِيهَا بِطَرِيقِ الِاسْتِلْزَامِ إِذْ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الخُسْرَانِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أربعٌ ذُلُّهُنَّ ذُلٌّ: البنتُ ولو مريمَ ، والدَّينُ ولو درهماً ، والغُربةُ ولو ليلةً، والسؤالُ ولو أينَ الطريق.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في وصيّتِه لأبنائه: يا بَنِيَّ إذا أصابَتْكُمْ مُصيبةٌ مِنْ مصائِبِ الدُّنيا، أو أَمْرٌ فادِحٌ أو فاقةٌ فَلْيَتَوَضَّىءِ الرَّجُلُ منكم وُضُوْءَهُ للصَّلاةِ، ولْيُصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، أو رَكْعَتَيْنِ، ولْيَقُلْ بَعْدَها: يا مَوضِعَ كُلِّ شَكْوى، يا سامِعَ كُلِّ نَجْوى، يا شَافِيَ كُلِّ بَلْوى، يا عالِمَ كُلِّ خَفِيَّةٍ، يا كاشِفَ كُلِّ بَلِيَّةٍ، يا صَفِيَّ مُحَمَّدٍ، يا نَجِيَّ مُوْسى، يا خَلِيلَ إبراهيم، أَدْعُوكَ دُعاءَ مَنِ اشْتَدَّتْ فاقَتُهُ، وضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وقَلَّتْ حِيلَتُهُ، دُعاءَ الغَرِيبِ الغَرِيقِ الذي لا يَجِدُ لِكَشْفِ ما هُوَ فيهِ إلَّا أنتَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وقيل له: كيف أصبحتَ يا ابنَ رسولِ اللهِ فدَتْكَ أنفُسُنا؟ قال: في عافيةٍ ، واللهُ المحمودُ على ذلك، كيف أصبحتم أنتم جميعاً؟ قالوا : أصبحنا لكَ يا ابنَ رسولِ اللهِ وادِّينَ ومُحبينَ ، فقال لهم: مَنْ أحبَّنا للهِ أسكَنُه اللهُ في ظلٍّ ظليلٍ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه، ومَنْ أحبَّنا يريدُ مكافئَتَنا كافأَه اللهُ عنَّا الجنّةَ ، ومن أحبَّنا لغرضِ دنيا آتاه اللهُ الرِّزقَ من حيثُ لا يحتسبُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لابنِه محمَّدٍ: افعلِ الخيرَ إلى كُلِّ مَنْ طلَبَه منكَ فإنْ كان أهلَه فقد أصبْتَ موضِعَه، وإِنْ لم يكنْ بأهلٍ كنتَ أنتَ أَهلٌ ، وإنْ شتمَكَ رجلٌ عن يمينِكَ ، ثُمَّ تحوَّلَ إلى يسارِكَ واعتذرَ إليكَ فاقْبَلْ عُذْرَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: مجالِسُ الصَّالحين داعيةٌ إلى الصلاحِ ، وآدابُ العلماءِ زيادةٌ في العقلِ ، وطاعةُ وُلاةِ الأمرِ تمامُ العِزِّ ، واستنماءُ المالِ تمامُ المُروءةِ ، وإرشادُ المُستشيرِ قضاءٌ لحقِّ النِّعْمةِ ، وكَفُّ الأذى مِن كمالِ العقلِ ، وفيه راحةٌ للبدَنِ عاجلاً وآجلاً.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في المنافِقِ والمؤمنِ: إنَّ المنافق ينْهَى ولا ينْتَهي ، ويأمرُ ولا يأتي ، إذا قامَ إلى الصلاةِ اعترَضَ ، وإذا ركَعَ ربَضَ ، وإذا سجَدَ نقَرَ، يُمسي وهمُّه العَشَاء ولم يصُمْ ، ويُصبحُ وهمُّه النَّومُ ولم يسهَر.

والمؤمنُ: خلَطَ عملَه بحِلْمِه ، يجلسُ ليعلَمَ ، وينصِتُ ليسْلَمَ ، لا يُحدِّثُ بالأمانةِ الأصدقاءَ ، ولا يكتُمُ الشهادةَ للبُعَداءِ ، ولا يعملُ شيئاً من الحقِّ رِئاءً ، ولا يتركُهُ حياءً ، إنْ زَكَى خافَ مِمَّا يقولونَ ، ويستغفرُ اللهَ لِمَا لا يعلمونَ ، ولا يضرُّه جهلُ مَنْ جَهِلَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: كفى بنصرِ اللهِ لكَ أنْ ترى عدوَّك يعملُ بمعاصي اللهِ فيكَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: الخيرُ كلُّه صيانةُ الإنسانِ نفْسَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لبعض بنِيه: يا بُنيَّ إنَّ اللهَ رضِيَني لكَ ولم يرْضَكَ لي، فأوصاكَ بي ولم يُوصِني بك، عليكَ بالبرِّ تحفةً يسيرةً .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: طلبُ الحوائجِ إلى الناسِ مذلَّةٌ للحياةِ، ومَذْهَبَةٌ للحياءِ، واستخفافٌ بالوقارِ، وهو الفقرُ الحاضرُ، وقلّةُ طلبِ الحوائجِ من الناسِ هو الغِنَى الحاضرُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: كم مِنْ مَفْتُونٍ بحُسنِ القولِ فيه، وكَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بحُسْنِ السَّتْرِ عليه، وكم مِنْ مُستدرَجٍ بالإحسانِ إليه.

وعن عبدالعزيز بن مسلم قال: كان علي بن الحسين خَارِجَاً مِنَ المسجد، فلقيه رجلٌ فسبَّه، فثَارَتْ عليه العبيدُ والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عَنِ الرجل. ثُمَّ أَقْبَلَ عليه فقال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ما سترَ عليكَ مِن أمرِنا أكثر، أَلَكَ حاجة نُعينُك عليها؟ فاستحَى الرجلُ، ورجعَ إلى نفسِه، قال: فألقى إليه خميصةً كانت عليه، وأمرَ له بألْفِ درهمٍ، قال: فكان الرجلُ بعد ذلك يقول: أشهدُ أنكَ مِن أولادِ الرُّسلِ[١].

وعن موسى بن طريف قال: استطَالَ رجُلٌ على عليِّ بنِ الحسين، فتغَافَلَ عنه، فقال له الرجلُ: إيّاكَ أَعْنِي ؛ فقال علي بن الحسين: وعنك أُغضي[٢] .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ الله سبحانه خبَّأَ ثلاثاً في ثلاثٍ: خبَّأَ رضاه في طاعتِه فلا تحتقروا مِنَ الطاعَةِ شيئاً ؛ فلعلَّ رضاه سبحانه يكون فيه، وخبَّأَ سخطَهُ في معصيتِه فلا تستحقِروا شيئاً من المعاصي فلعلَّ سخطَه سبحانَه يكون فيه، وخبَّأَ ولايتَه في خلْقِه فلا تستحقروا منهم أحداً فلعلَّه أَنْ يكونَ وليّاً لله تعالى.

وسُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنّكَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ بأُمِّكَ فلماذا لا تأكُلُ معها في صحفةٍ واحدةٍ؟ فقال: إنِّي أخافُ واللهِ أن تسبقَ يدي يدَها إلى ما تسبقُ عيناها إليه فأكونُ قد عققْتُها.

(١) أخرجه سبط ابن الجوزي في «تذكرة خواص الأمة» صفحة ١٨٧.

(٢) انظر «الصواعق المحرقة» للهيتمي.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ أطعمَ مؤمناً من جوعٍ أطعَمَهُ اللهُ من ثمارِ الجنّةِ، ومَنْ سقى مؤمناً من ظمىءٍ سقاهُ اللهُ مِنَ الرَّحيقِ المختومِ، ومَنْ كسَا مؤمناً كسَاه اللهُ من الثيابِ الخُضر.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ رمَى الناسَ بما فيهِمْ رموه بِمَا ليسَ فيه.

وعن سفيانَ بنِ عُيينةَ قال: حَجَّ زينُ العابدينَ فلما أحرَمَ اصْفرَّ لونُه وعرضَتْ عليه الرَّعْدةُ ولَمْ يستطِعْ أن يُلبِّي فسُئِلَ عنه قال: أخشى أنْ أقولَ (لبيكَ) فيقول لي (لا لبيكَ) فلما لبّى غُشِيَ عليه، وسقَطَ من راحلتِهِ، فلم يزلْ يعترِضُهُ ذلك حتى قضَى حجَّه.

ووقَعَ حريقٌ في بيتٍ هو فيه ساجدٌ وَقَالَوا: يا ابنَ رسولِ اللهِ النارَ النارَ فما رفعَ رأسَهُ وطُفِئ النارُ فقيل له في ذلك قال: أَلْهَتْنِي عنها نارُ الآخِرَةِ.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: إنَّ قوماً عبدُوا الله رهبةً فتلك عبادةُ العبيدِ، وآخرين عبدُوا اللهَ رغبةً فتلكَ عبادةُ التُّجَّارِ، وآخرين عبدُوه شُكْراً فتلك عبادةُ الأحرار.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ له مسجدٌ في بيتِهِ يتعبَّدُ فيه وإذا كانَ مِنَ الليل ثُلُثَه أو نِصْفَه نادى بأعلى صوته: اللّهُمَّ إنَّ هولَ المطْلَعِ والوقوفَ بين يديكَ أوحشَني مِن وِسَادي ومَنعَ رُقادي، ثُمَّ يضعُ خدَّيه على الترابِ فيجئُ إليه أهلُه وولدُه يبكون حولَه ترحُّماً له وهو لا يلتفتُ إليهم ويقول: اللّهُمَّ إني أسأَلُكَ الرَّوحَ والرَّاحةَ حينَ ألقاكَ وأنتَ عنِّي راض.

طاووسُ اليماني والإمامُ السجَّادُ:

قال طاووس اليماني: رأيتُ عليَّ بن الحُسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ليلةً عند الرُّكْنِ أي الحجرَ الأسودَ فجلستُ وراءَه فصلَّى وسجدَ وعفَّر خدَّيه في الترابِ ورفعَ باطِنَ كفِّه إلى السماءِ وَقَالَ: عُبيدُكَ بفِنائِكَ، مِسكينُكَ بِفِنائِكَ، فقيرُكَ بفنائِكَ، سائِلُكَ بفنائِكَ، قال طاووس: فما دعوتُ بهن في كربٍ إلَّا فَرَّجَ اللهُ عنِّي.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا سافرَ كَتَمَ نسَبَهُ فقيلَ لهُ في ذلك فقال: أنا أكْرَهُ أَنْ آخُذَ برسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما لا أُعطَى مِثْلَهُ.

ولـَمَّا تُوُفِّي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وُجِدَ في ظَهرِهِ مجلٌّ[1] لأنّهُ يحملُ الأطعمةَ لضُعفاءِ جيرانِه والمساكينِ بالليلِ فيطعِمُهما.

---

(١) جلدَة رقيقَة يجْتَمع فِيهَا مَاء من أثر العَمَل.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: صدقةُ السِّرِّ تُطفيءُ غضَبَ الرَّبِ[١].

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أُيُّها الناسُ أَحِبُّونا حُبَّ الإسلامِ فو اللهِ ما برحَ بنا حبُّكم حتى صارَ علينا عَاراً. وفي رواية: حتى بغَّضْتُمونا إلى الناس[٢].

ومِن مناجاتِه لِربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بعضِ أَدْعِيتِه: (سيدِي ارْحَمْنِي مَصْرُوعاً على الفِراشِ تُقَلِّبُني أَيدِي أَحِبَّتِي، وارحَمْنِي مطروحاً على المُغْتَسَلِ يُغَسِّلُني صالحُ جِيرَتِي، وارْحَمْني مَحْمُولاً قدْ تناولَ الأقرباءُ أطرافَ جَنازَتي، وارحمْ في ذلكَ البيتِ المُظْلِمِ وَحْشَتي وغُرْبَتي وَوِحْدَتي).

مِنْ نَفَائِسِ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ البَاقِرِ بن عَلِيٍّ زَيْنِ العَابِدِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[٣]

(٥٧-١١٤هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما الدُّنيا وما عسَى أنْ تكونَ، ما هي إِلَّا مركبٌ ركِبْتَه، أو ثوبٌ لبِسْتَهُ، أو امرأةٌ أصبْتَها.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: موتُ القلْبِ مِن شهوات النفسِ، فكلَّما رفَضَ شهواتٍ ، نالَ مِنَ الحياةِ بقسْطِها ، فالسَّماعُ للأحياءِ لا الأمواتِ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠].

الإمام الباقر ومسائل طاووس اليَمَاني:

أَقْبَلَ طاووسُ اليماني مع جماعةٍ مِن أصحابِه على الإمامِ الباقرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقالَ: أتأذَنُ لي في السُّؤالِ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أذِنَّا لكَ فسَلْ.

---

(١) إشارة لقول رسول الله ﷺ : (صدقة السِّر تُطفيء غضَبِ الرَّبْ) حديث حسَن رواه الطبراني.

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ١٠٨).

(٣) وُلِدَ بالمدينةِ المنورةِ في رجب سنةَ (٥٧) من الهجرة، وتُوُفِّيَ بها سنة (١١٤) من الهجرة، ودُفِنَ بالبقيعِ إلى جانبِ أبيه علي بنِ الحسينِ وعَمِّه الحسنِ الزّكي رَضِيَ اللهُ عَنْهُم في القُبّة نفسِها التي فيها قَبْرُ العَبَّاسِ بنِ عبدِالمطلب، لُقِّبَ بـ: (الباقر)لأنه بقَرَ العِلْمَ بقراً – أي فجَّره تفجيراً–وقيل: شقَّه شقّاً وأظهَرَه إظهاراً. وفي «الصحاح» : لُقِّبَ به لِتبَقُّرِه في العِلْمِ، أي توسُّعِه فيه. وفي «القاموس» : لُقِّبَ به لتبحُّرِه في العِلم. وفي «لسان العَرَب»: لُقِّبَ به لأنه بقَرَ العِلْمَ، وعَرَفَ أَصْلَه، واستنْبَطَ فَرْعَه، وتوسَّعَ فيه، والبَقْرُ التَّوسُّعُ.

قال: لِمَ سُمِّيَ آدَمُ آدَماً؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لأنَّه رُفِعَتْ طينَتُه من أَدِيْمِ الأرض السفلى.

قال: ولِمَ سُمِّيَتْ حوَّاءُ حوَّاءَ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لأنَّها خُلِقَتْ من ضِلْعٍ حيٍّ (يعني ضِلْعِ آدم).

قال: فلِمَ سُمِّيَ إِبْلِيسُ إِبْلِيساً؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لأنَّه أَبْلَسَ – آيسَ – مِن رحمةِ الله فلا يرْجُوها.

قال: فلِمَ سُمِّيَ الجِنُّ جِنّاً؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لأنَّهم اسْتَجَنُّوا فلم يُرَوا.

قال: فأخبرْني عن أوّلِ كذبةٍ كُذِبَتْ، ومَن صاحِبُها؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إبليسُ حينَ قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص:٧٦].

قال: فأخبرْني عن رسولٍ بعثَه اللهُ تعالى ليس مِنَ الجن ولا مِنَ الإنس ولا مِنَ الملائكةِ، ذكرَه اللهُ تعالى في كتابِه؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الغُرابُ حين بعثه الله عز وجلَّ ليُرِيَ قابيلَ كيف يواري سَوْأَةَ أَخيه هابيلَ حينَ قتَلَه.

قال: فأخبرْني عن شيءٍ يزيدُ وينقصُ، وعن شيءٍ يزيدُ ولا ينقصُ، وعن شيءٍ ينقصُ ولا يزيدُ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَّا الشيءُ الذي يزيدُ وينقصُ فهو (القمَرُ)، والشيءُ الذي يزيدُ ولا ينقصُ فهو (البحْرُ)، والشيءُ الذي ينقصُ ولا يزيدُ هو (العُمْرُ).

قال: فأخبرني متى هلكَ ثُلثُ الناسِ؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وهمتَ ياشيخ، أردت أن تقولَ: متى هلكَ ربعُ الناس؟ وذلك يومَ قتلَ قابيلُ هابيلَ، كانوا أربعة: آدمُ، وحواءُ، وقابيلُ، وهابيلُ، فهلَكَ ربعُهم. فقال: أصبت وَوَهْمتُ أنا.

فأيُّهما كان أباً للناسِ القاتلُ أو المقتولُ؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا واحدَ منهما، بل أبوهم شيثُ بنُ آدم.

قال: فأخبرْني عن قومٍ شَهِدوا شهادةَ الحقِّ وكانوا كاذبين؟ قال: المنافقونَ حينَ قالوا لرسولِ الله صلى الله عليه وآله: نشهدُ إنَّكَ لرسولُ الله، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

قال: فأخبِرْني عن طائرٍ طارَ مرَّة، ولم يطِرْ قبلَها ولا بعدَها ذكرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في القرآنِ ما هو؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: طورُ سَيناء، أطارَهُ الله عز وجلَّ على بني إسرائيلَ حين أظلَّهم بجناحٍ منه فيه ألوانُ العذابِ، حتى قبلُوا التوراة وذلك قولُه عز وجل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧١].

قال: فأخبِرْني عَمَّنْ أنذَرَ قومَه ليسَ من الجِنِّ ولا من الإنسِ ولا من الملائكةِ ذكرَهُ الله عز وجلَّ في كتابِه؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: النَّمْلَةُ حين قالتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] .

قال: فأخبِرْني عَمَّن كُذِبَ عليه ليس مِنَ الجنِّ ولا مِنَ الإنسِ ولا مِنَ الملائكةِ ذكرَهُ الله عز وجلَّ في كتابِه؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الذئبُ الذي كَذَبَ عليه إخوةُ يوسفَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ثلاثةٌ من مكارمِ الدُّنيا والآخرة: أنْ تعفوَ عمَّنْ ظلَمَك ، وتصِلَ مَنْ قطعَك، وتحلُمَ إذا جهُلَ عليك.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الظلمُ ثلاثةٌ: ظُلْمٌ لا يغفرُه الله ، وظلمٌ يغفرُه اللهُ ، وظُلْمٌ لا يدَعُه اللهُ ، فأمَّا الظُّلمُ الذي لا يغفرُه اللهُ فالشركُ بالله، وأمَّا الظلمُ الذي يغفرُه اللهُ فظلمُ الرجلِ نفسَهُ فيما بينَه وبينَ اللهِ، وأمَّا الظُّلمُ الذي لا يدَعُهُ اللهُ فالمداينَةُ بينَ العباد.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عليكم بالورَعِ والاجتهادِ وصِدْقِ الحديثِ وأداءِ الأمانةِ إلى مَنِ ائتمَنكم عليها بَرّاً كان أو فاجِراً ، فلو أنَّ قاتلَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إئتمنني على أمانةٍ لأدَّيتُها إليه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا أردتَ أن تعلَم أنَّ فيك خيراً فانْظُرْ إلى قلبِكَ فإنْ كانَ يُحِبُّ أهلَ طاعةِ اللهِ ويبغضُ أهلَ معصيتِه ففيكَ خيرٌ واللهُ يحبُّكَ، وإذا كان يبغضُ أهلَ طاعةِ اللهِ ويحبُّ أهلَ معصيتِه فليسَ فيكَ خيرٌ واللهُ يبغضُك، والمرءُ مع مَنْ أحَبَّ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ثلاثُ خصَالٍ لا يموتُ صاحبُهُنَّ أبداً حتى يرى وبالَهُنَّ: البَغيُ، وقطيعةُ الرَّحِمِ، واليمينُ الكاذبةُ يبارزُ اللهَ بها، وإنَّ أعجلَ الطاعةِ ثواباً صلَةُ الرَّحِم، وإنَّ القومَ ليكونونَ فُجّاراً فيتواصلُون فتنمِي أموالُهم ويثرونَ ، وأنَّ اليمينَ الكاذبةَ وقطيعةَ الرَّحِمِ ليذَرَانِ الدِّيارَ بلاقِعَ مِن أهْلِها.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ للهِ عباداً ميامينَ مياسيرُ يعيشون ويعيش الناسُ في أكنافِهم وهُمْ في عبادِه مثلُ القَطْر، ولله عبادٌ ملاعينُ مناكِيدُ لا يعيشونَ ولا يعيشُ الناسُ في أكنافِهم وهُم في عبادِه مثلُ الجرادِ لا يَقِفُونَ على شيءٍ إِلَّا أتوا عليه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُولُوا للناسِ أحسَنَ ما تُحبونَ أن يُقالَ لكم ، فإنَّ اللهَ يبغَضُ اللَّعَّانَ السبَّابَ الطَّعَّانَ[1] على المؤمنينِ ، الفَاحِشَ المُتفَحِّشَ السائلَ الملحِفَ ، ويحبُّ الحييَّ الحليمَ العفيفَ المُتعَفِّفَ.

وَقَالَ بحضرته رجلٌ: اللَّهُمَّ أَغْنِني عن خلقِكَ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ له: ليسَ هكذا إنما الناسُ بالناسِ ولكنْ قُلْ : اللَّهُمَّ أَغْنِني عن شِرارِ خَلْقِك.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ثلاثٌ مَن كُنّ فيه مِنَ المؤمنين كان في كنفِ اللهِ وأظلَّه اللهُ يومَ القيامةِ في ظِلِّ عرْشِهِ وآمنَه من فزعِ اليومِ الأكبرِ:

مَنْ أَعْطَى النَّاسَ مِن نفْسِه ما هو سائِلُهم لنَفْسِه.

ورجُلٌ لم يُقدِّمْ يداً ولا رِجلاً حتى يعلَمَ أَنَّه في طاعةِ اللهِ قدَّمَها أو في معصِيَتِه.

ورجُلٌ لم يَعِبْ أخاه بعيبٍ حتى يترُكَ ذلك العيبَ مِن نفسِه، وكفى بالمرءِ شُغلاً بعيبِه لنفْسِه عن عيوبِ الناس.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ اللهَ جعَلَ للمعروفِ أَهْلاً مِنْ خلْقِه، حبَّبَ إليهم المعْرُوفَ ، وحبَّبَ إليهم فِعالَه، ووجَّه لطُلَّابِ المعروفِ الطَّلَبَ إليهم ، ويسَّرَ لهم قضاءَه، كما يَسَّرَ الغيثَ للأَرضِ المُجدِبَةِ ليُحيِيَها ويُحيِيَ أَهلَها، وإنَّ اللهَ جعلَ للمعروفِ أعداءً من خلْقِه ، بغَّضَ إليهم المعروفَ، وبغَّضَ إليهم فِعالَه، وحَظَرَ على طُلَّابِ المعروفِ التوجُّهَ إليهم ، وحَظَرَ عليهم قضاءَه كما يحظرُ الغيثَ عن الأرضِ المُجدبةِ ليُهلِكَها ويُهلك أهلَها ، وما يعفو اللهُ عنه أكثر.

---

(١) لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (ليسَ المؤمنُ بالطعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيءِ) رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسن.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما مِنْ عبدٍ يمتنعُ مِنْ معونةِ أخيه المسلِمِ والسعيِّ لهُ في حاجتِه قُضيَتْ أو لَمْ تُقضَ إِلَّا ابتُلِيَ بالسعي في حاجةٍ فيها يأثَمُ عليه ولا يُؤجَرُ ، وما مِنْ عبدٍ يبخلُ بنفقةٍ ينفقُها فيما يُرضي اللهَ إِلَّا ابتُلِيَ بأنْ يُنفِقَ أضعافَها فيما أسخطَ اللهَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صانِعِ المنافقَ بلسانِكَ، واخْلِصْ مودَّتَك للمؤمِنِ، وإِنْ جَالسَكَ يهوديٌّ فأحسِنْ مُجالسَتَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ لَمْ يجعلِ اللهُ له مِنْ نفسِهِ واعظاً فإنَّ مواعظَ الناسِ لَنْ تُغنيَ عنه شيئاً.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: التواضُعُ الرِّضا بالمجْلِسِ دونَ شَرَفِهِ ، وأنْ تُسلِّمَ على مَنْ لقيتَ، وأنْ تترُكَ المِراء(١) وإنْ كُنتَ مُحقاً.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ صَدَقَ لسانُه زكا عملُه، ومَنْ حسُنَتْ نيّتُه زِيدَ في رِزْقِه، ومَنْ حسُنَ بِرُّهُ بأهلِهِ زِيدَ في عُمُرِهِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنِ استفَادَ أخاً في اللهِ على إيمانٍ باللهِ، ووفاءٍ بإخائِه ، طالباً لمرضاةِ اللهِ، فقد استفادَ شُعاعاً مِنْ نورِ اللهِ، وأَماناً مِنْ عذابِ اللهِ، وحُجَّةً يفلجُ بها يومَ القيامة، وعِزّاً باقياً، وذِكراً نامياً ؛ لأنَّ المؤمنَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ لا موصولَ ولا مفصولَ قيلَ له: ما معنى لا موصولَ ولا مفصولَ ؟ قال: لا موصولَ به إنه هو، ولا مفصولَ منه إنه مِنْ غيرِه.

(١) المراء: هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل منه، إمَّا في اللفظ، وإمَّا في المعنى، وإمَّا في قصد المتكلِّم. أَمَّا الجدال: فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه. والباعث على المراء والجدال: هو الترفُّع بإظهار العلم والفضل، والتهجُّم على الغير بإظهار نقصه، وهُما شهوتان باطنتان للنَّفس. والمراء والجدال صفتان مذمومتان مهلكتان أجمع أئمة أهل البيت رضي الله عنهم عن النهي عنهما وكان أوّلهم في النهي جدَّهم الأعظم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القائل: (لا تُمارِ أخاك ولا تُمازحه ولا تعِده فتُخلفه) أخرجه الترمذي. وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ ترك المراء وهو محق بُنيَ له بيتٌ في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مُبطلٌ بُني له بيتٌ في ربَض الجنة)، أخرجه التِّرمذي.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ كَظَمَ غيظاً[١] وهو يقدرُ على إمضائِهِ حشا الله قلْبَهُ أَمْناً وإيماناً يوم القِيامةِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لجابر بن يزيد الجعفي: ياجابرُ أيكتفي مَن انتحلَ التَّشَيُّعَ أن يقول بحبنا أهلَ البيت؟ فواللهِ ماشيعتُنا إلَّا مَنِ اتّقى اللهَ وأطاعَه، وما كانوا يُعرفون – ياجابر – إلَّا بالتواضُعِ ، والتخشُّعِ ، وكثرةِ ذكرِ اللهِ، والصومِ، والصلاةِ ، والتعهُّدِ للجيرانِ من الفقراءِ، وأهلِ المسكنةِ، والغارمين، والأيتامِ، وصدقِ الحديثِ، وتلاوةِ القرآنِ، وكفِّ الألْسُنِ عن الناس إلَّا مِن خير وكانوا أُمناءَ عشائِرهم في الأَشياءِ.

فلو قال: إني أُحب رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خيرٌ مِن عَلِيٍّ، ثُمَّ لا يعملُ بعمَلِه ، ولا يتبعُ سنّتَه، ما نفعَه حبُّه إيّاه شيئاً، فاتّقوا اللهَ واعملوا لِمَا عند اللهِ، ليس بين اللهِ وبين أحدٍ قرابةٌ، أَحبُّ العبادِ إلى اللهِ وأكرمُهُم عليه أتقاهُم لَه، وأعملُهم بطاعتِه، واللهِ ما يُتَقَرَّبُ إلى اللهِ جلَّ ثناؤه إلَّا بالطاعةِ، ما معنا براءةٌ مِن اللهِ، ولا على اللهِ لأحدٍ من حُجَّةٍ، مَنْ كَانَ للهِ مُطيعاً فهو لنا ولي، ومَنْ كَانَ لله عاصياً فهو لنا عدوٌّ، ولا تُنالُ ولايتُنا إلَّا بالورعِ والعمَلِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: شيعتُنا ثلاثةُ أَصنافٍ: صنفٌ يأكلونَ الناسَ بنا، وصنفٌ كالزُّجاج يتَهَشَّمُ، وصنفٌ كالذَّهَبِ الأحمرِ كُلَّما أُدخِلَ النارَ ازدَادَ جَوْدَة.

مِنْ نَفَائِسِ الإمامِ الشَّهِيدِ زَيدِ بن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[٢]

(٧٦-١٢٢هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كُلُّ نَفْسٍ تسموا إلى مُناها، ونِعْمَ الصاحبُ القنوعُ، وويلٌ لِمَنْ غَصَبَ حقاً، أَوِ ادَّعَى بَاطِلاً.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مِنْ طَبَائِعِ الجاهلِ ثماني خصال: أَوَّلها: الغضبُ مِنْ غيرِ شيء، والإعطاءُ بغير حقٍّ، وإتعابُ البدَنِ في الباطل، وقلّةُ معرفةِ الرجلِ لصديقه من عدوِّه، ووضعُ الشيءِ في

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وروى الترمذي وأبو داود عن سهل بن معاذ بن جبل عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :(مَنْ كظَمَ غيظاً وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيِّره في أي الحُور العِين شاء).

(٢) وُلِدَ بالمدينة المنورة سنة (٧٦هـ)، وقُتِلَ شهيداً في شهر صفر سنة (١٢٢هـ) بمدينة الكوفة بالعراق.

غيرِ موضعِه وأهلِه، وثقتُه بكلِّ مَنْ لَمْ يُجرِّبه، وكثرة الكلام بغير نفع، وحُسْنُ ظنِّه بمَنْ لا عقل له ولا وفاء.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عبادَ اللهِ لا تُقاتلوا عدوَّكم على الشكِّ فتضلُّوا عن سبيلِ الله، ولكن البصيرةَ ثُمَّ القتال، فإِنَّ اللهَ يُجازي عن اليقينِ أفضلَ جزاءٍ يُجزَى به على حَقٍّ، إنَّه مَنْ قتَلَ نَفْساً يشكُّ في ضلالتِها كمَنْ قتلَ نَفْساً بغير حقٍّ.

وبلَغَهُ أَنَّ بعضاً مِنْ أصحابِه يقولون: نحنُ نحكمُ في دماء بني أُميّةَ وأموالِهم برأينا، وكذلك نفعَلُ برعيّتِهِمْ فلمَّا بلَغَه ذلك قامَ خطِيباً وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أيُّها الناسُ إنه لا يزالُ يبلغُني منكم أَنَّ قائلاً يقول: إنَّ بني أُميَّة فَيْءٌ لنا، نخوضُ في دمائِهم، ونرتَعُ في أموالِهم، ويُقبَلُ قولُنا فيهم، وتُصدَّقُ دعوانا عليهم!! حُكْمٌ بلا علِمٍ، وعَزْمٌ بلا رويّةٍ، جزاءُ السيئةِ سيئةٌ مثلُها، عَجِبتُ لِمَنْ نَطَقَ بذلك لسانُه، وحدَّثَتْهُ به نفسُه، أَبِكتابِ اللهِ أَخَذَ؟ أمْ بسُنَّةِ نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَكَمَ؟ أمْ طَمِعَ في ميلي معه، وبَسْطي يديَّ في الجورِ له؟ هيهاتَ هيهاتَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا تقولوا: خرجْنَا غضَباً لكم، ولكن قُولوا: خرجْنَا غضَباً للهِ ودِينِه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موجِّهاً رسالةً إلى عُلماء الأمَّةِ: إنما تصلحُ الأمورُ على أيدي العلماءِ، وتفسُدُ بِهِمْ إذا باعوا أمرَ اللهِ تعالى ونهيِهِ بمعاونةِ الظالمينَ الجائِرينَ.

ودعاهم إلى القيامِ بمسؤوليةِ العِلْمِ الذي رفَعَهم إلى موضِعِ القُدْوةِ وفرَضَ لهم المهابةَ والاحترامَ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنتُم أيها العلماءُ عصابةٌ مشهورةٌ، وبالورعِ مذكورةٌ، وإلى عبادةِ الله منسوبةٌ، وبدراسةِ القرآن معروفةٌ، ولكُم في أعيُنِ الناس مهابةٌ، وفي المدائنِ والأسواقِ مَكرُمةٌ، يهابُكم الشريفُ، ويُكرِمُكم الضعيفُ، ويرهبُكُم من لا فضلَ لكم عليه، يُبدأُ بكم عند الدَّعْوةِ والتُّحفةِ، ويُشارُ إليكم في المجالسِ، وتُشفَعُون في الحاجاتِ إذا امْتُنِعَتْ على الطالبين، وآثارُكم مُتَّبَعَةٌ، وطُرُقكم تُسلَك، كلُّ ذلك لِمَا يرجوه عندَكم مَنْ هو دونَكم مِن النجاةِ في عِرْفانِ حقِّ اللهِ تعالى.

وخَاطَبَ العلماءَ الذين اكتفوا بصلاحِ أنفُسِهم، ولَمْ يُكلِّفوا أنفُسَهم جُهداً في إصلاحِ الآخرين، إمَّا خوفاً، أو تكاسلاً، أو لعدَمِ الشُّعورِ بالمسؤوليةِ، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا تَكُونُوا عن إيثارِ

حقِّ اللهِ تعالى غافلين، ولأمْرِه مُضيِّعين، فتكونوا كالأطباءِ الذين أخذوا ثمَنَ الدَّوَاءِ وأعطَبُوا المرضى، وكُرعاةٍ استَوْفَوا الأجْرَ وضلُّوا عن المرعى، وكُحرَّاسِ مدينةٍ أسلمُوها إلى الأعداءِ.. فوا الذي نفْسُ زيدِ بنِ عليٍّ بيدِه لو بَيَّنتُم للناسِ ما تعلمون، ودعوتموهم إلى الحقِّ الذي تعرفون، لتضعْضَعَ بُنيَانُ الجبَّارين، ولتَهدَّمَ أساسُ الظالمين.

وخَاطَبَ عُلَمَاءَ السُّوءِ قائلاً رَضِيَ اللهُ عَنهُ لهم: أمْكنْتُم الظَّلَمَةَ مِنَ الظُّلمِ، وزَيَّنتُم لهم الجَورَ، وشددْتُم لهم مُلْكَهم بالمعاونةِ والمُقاربةِ، فهذا حالُكم.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: فيَا علُماءَ السُّوءِ محوتُمْ كتابَ الله مَحْواً، وضربتُمْ وجْهَ الدِّينِ ضَرْباً، فَنَدَّ واللهِ نَدِيْدَ البعيرِ الشَّارِد هَرَباً منكم، فبِسُوءِ صَنيعِكم سُفِكَتْ دماءُ القائمينَ بدعوةِ الحقِّ من ذريةِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، ورُفِعَتْ رؤوسُهم فوقَ الأَسِنَّةِ، وصُفِّدُوا في الحديدِ، وخَلُصَ إليهم الذُّلُّ، واستشْعَرُوا الكَرْبَ، وتسرْبَلوا الأحْزانَ، يتنفَّسُون الصُّعَداءَ ويَتَشاكُون الجُهْدَ.

وأَشَارَ إلى أنَّ المسلَكَ الرَّخيصَ الذي سلكُوه في المُجاملةِ والمُداهنةِ هو الذي قرَّبَهم مِنَ الظالمين، فقال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: يا عُلماءَ السُّوءِ إِنَّمَا أَمِنْتُم عند الجبّارين بالإدِّهان، وفُزتُم بما في أيديكم بالمُقاربةِ، وقَرُبْتُم منهم بالمُصانعةِ، وقد أبحْتُم الدِّينَ، وعطَّلتُم القرآنَ فعادَ علمُكم حُجّةَ اللهِ عليكم، وستعلَمُون إذا حَشْرَجَ[1] الصَّدر، وجاءتِ الطّامّةُ، ونزَلَتِ الدَّاهِيةُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ اللسانَ إذا أَلِفَ الزُّورَ والكذِبَ والخناءَ إعْوَجَّ عَنِ الحقِّ، فذَهَبَتِ المنفعةُ منه وبَقِيَ ضررُهُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: السمْعُ طريقُ القلْبِ، فيجبُ أنْ تَحْذَرَ ما يَسْلُكُ إلى قلبِكَ.



(١) أي وقت الغرغرة.

مِنْ نَفَائِسِ الإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ
ابنِ مُحَمَّدِ البَاقِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما(١)

(٨٠-١٤٨هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **عَجِبتُ لِمَنْ خافَ** كيفَ لا يتلو قولَه تعالى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] فإنَّ اللهَ بعدَها يقولُ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران:١٧٤].

عجِبتُ لِمَنْ أصابه غمٌّ أو همٌّ كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] فإنَّ الله يقول بعدها ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨].

عجِبتُ لِمَنْ أُحيطَ بأهلِ المكر كيف لا يُبادر إلى قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤] فإنَّ الله بعدها يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر:٤٥].

عجِبتُ لِمَنْ أرادَ الدنيا وزينتها كيف لا يهرع إلى قوله تعالى: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩] فإنَّ الله بعدها يقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف:٤٠].

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ أكرَمَكَ فأكرِمْه، ومَنِ استخفَّ بِكَ فأكرِمْ نفسَك عنه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أربعةُ أشياءَ القليلُ منها كثيرٌ: النار، والعداوة، والفقر، والمرض.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ثلاثةٌ لا تُعرفُ إلَّا في ثلاثةِ مواطنَ: لا يُعرَفُ الحليمُ إلَّا عندَ الغضَبِ، ولا الشجاعُ إلَّا عند الحربِ، ولا الأخُ إلَّا عند الحاجةِ.

---

(١) وُلِدَ بالمدينةِ المنوَّرةِ في رجبَ سنةَ (٨٠) من الهجرة، وتُوُفِّيَ سنةَ (١٤٨) من الهجرة، ودُفِنَ في البقيعِ مع أبيه وجدِّه زينِ العابدين، وعمِّه الحسَنِ، وأمّه أُمُّ فروةَ بنتِ القاسمِ بن محمد بن أبي بكر، وأمّها أسماءَ بنتِ عبدالرحمن بن أبي بكر، وهذا معنى قول الصادق: (ولَدَني أبوبكر مرّتين).

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: احذَرْ مِنَ الناسِ ثلاثةً: الخائن، والظلُوم، والنمّام، مَنْ خانَ لكَ خانَك، ومَنْ ظلَمَ لكَ سيظْلُمُك، ومَنْ نَمَّ إليكَ سيَنُمُّ عليك.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لا يكونُ الأمينُ أميناً حتى يُؤتَمَنَ على ثلاثةٍ فيؤدِّيها: على الأموالِ، والأسرارِ، والفُروجِ، وإنْ حَفِظَ اثنين وضيّعَ واحدةً فليسَ بأمين.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ اللهَ عزّ وجل يحبُّ الإطعامَ في الله، ويحبُّ الذي يُطعِمُ الطعامَ في الله، والبركة[1] في بيتِهِ أسرع من الشفرةِ في سَنَامِ البعير.

---

(١) للبركة معان شتَّى تختلف باختلاف سياقها مِن الآية، أو الحديث، أو الأثر، أو الموضوع، وكلها تتحِدْ في الحقيقة، ومِن معانيها هُنا الزِّيادة والنَّماء، وهما يشملان المحسوسات والمعنويات جميعاً، والحقيقة أنَّ البركة سر إلهي وفيض زاده الله تعالى، ونمى به أعمال البر، بملازمة القربات الكريمة، فكانت البركة بهذا ثمرة معنوية غيبية من ثمرات العمل الصالح، يُحقِّق الله بها الآمال، ويدفع السوء، ويفتح بها مغالق الخير من فضله، ثُمَّ إنَّ الله بَارَكَ القرآن في ذاته: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص:٢٩] وبارك الله بيته العتيق: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦] وامتدَّت البركة مِن مكة إلى حيث نزل النبي: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون:٢٩] وبارك الله الأسرة النبوية مِن إبراهيم: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود:٧٣] ذلك أنَّ الذَّات الإلهية التي أَنزلَتْ القرآن مُباركة ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] ومُباركة الاسم ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]. وبالإضافة نرى البركة كذلك في القرآن قد لحقت أشياء شتّى. فمثلاً أدركت البركة الأنبياء والصالحين معهم ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود:٤٨] ويقول الله على لسان عيسى ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١] وبارك الله الماء ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق:٩] وبارك الشجر ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [النور:٣٥] وبارك التحية ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١] وبارك البقاع ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص:٣٠] وبارك المسجد وما حوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١] وفي التشهد: (وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم) فهو قد بارك المحسوسات والمعنويات التي لا تحصى، وبارك الأشخاص والذّوات كلا بما يُناسبه مِن مَعِين الفيض الذي لا ينتهي. فإنكار البركة إنكار لحقيقةٍ قُرآنية إلهية، لا يرتاب فيها مؤمن عاقل.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أربعةٌ تُهرِمُ قبلَ أوانِ الهرمِ: أكلُ القَديدِ، والقعودُ على النَّداوةِ، والصعودُ في الدَّرَجِ، ومجامعةُ العجوز.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ثلاثة لا بُدّ لهم من ثلاثة: لا بُدَّ للجوادِ من كَبْوةٍ، والسَّيفِ من نبوةٍ، والحليمِ من هَفْوةٍ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه: المكْرُ، والنكْثُ، والبغْيُ، وذلك قول الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل:٥١] وَقَالَ: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح:١٠] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس:٢٣].

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ثلاثةٌ تُكدِّرُ العيشَ: السلطانُ الجائرُ، والجارُ السوءُ، والمرأةُ البذيّة.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لا تطيبُ السُّكنى إلَّا بثلاثٍ: الهواءُ الطيِّبُ، والماءُ الغزيرُ العَذْبُ، والأرضُ الخوّارةُ(١).

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ثلاثة لا ينبغي للمرء الحازم أنْ يتقدّمها: شُربُ السُّمِّ للتجربة وإنْ نجا منه، وإفشاءُ السِّرِّ إلى قرابةِ الحاسِدِ وإنْ نجا منه، ورُكُوبُ البحر وإنْ كان الغنى فيه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاثةٍ يفزع إليه في أمرِ دُنياهم وآخرتهم فإنْ عُدِموا ذلك كانوا هَمَجاً: فقيهٌ عالمٌ وَرِعٌ، وأميرٌ خيِّرٌ مُطَاعٌ، وطبيبٌ بصيرٌ ثقةٌ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: يُمتحَنُ الصديقُ بثلاثِ خصالٍ فإنْ كان مؤاتياً فيها فهو الصديقُ المُصَافي وإلَّا كانَ صديق رخاءٍ لا صديقَ شدّةٍ: تبتغي منه مالاً، أو تأمَنه على مالٍ، أو تُشارِكُه في مكروه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنْ يَسلَمِ الناسُ مِنْ ثلاثةِ أشياءَ كانتْ سلامةٌ شاملةٌ: لسانُ السُّوءِ، ويدُ السُّوءِ، وفِعْلُ السُّوءِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ المرءَ يحتاج في منزلِهِ وعيالِه إلى ثلاثِ خلالٍ يتكلَّفُها وإنْ لَمْ يكُنْ في طبعِهِ ذلك: مُعاشرةٌ جميلةٌ، وسَعَةٌ بتقديرٍ، وغَيْرَةٌ بِتحصُّنٍ.

---

(١) الخضراء.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كلُّ ذي صناعةٍ مُضْطَرٌّ إلى ثلاثِ خلالٍ يجتلبُ بها المكسَبَ وهو: أنْ يكونَ حاذِقاً بعمَلِهِ، مؤدياً للأمانة فيه، مُستميلاً لِمَنْ استعْمَلَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا لَمْ تجتمع القرابةُ على ثلاثةِ أشياءَ تعرّضوا لدُخولِ الوَهَنِ عليهم وشماتةِ الأعداءِ بهم وهي: تركُ الحسدِ فيما بينهم لئلا يتحزّبوا فيتشتّتَ أمرُهم، والتواصُلُ ليكونَ ذلك حادياً لهم على الأُلفة، والتعاوُنُ لتشتمِلَهم العِزَّة.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الأُنسُ في ثلاثٍ: في الزوجةِ الموافقةِ، والولَدِ البارِّ، والصديقِ المُصَافي.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا غنى بالزَّوجِ عن ثلاثةِ أشياءَ فيما بينَه وبينَ زوجتِه وهي: الموافقةُ ليجتلبَ بها موافقتَها ومحبتَها وهواها، وحُسْنُ خُلُقِهِ معها واستمالة قلبها بالهيئةِ الحسنةِ في عينِها، وتوسعتِه عليها.

ولا غِنى بالزَّوجة فيما بينها وبين زوجها الموافقِ لها عن ثلاث خصال وهُنَّ: صيانةُ نفسِها عن كلِّ دنَسٍ حتى يطمئنَّ قلبُه إلى الثقةِ بها في حال المحبوبِ والمكروهِ، وحياطَتُه ليكونَ ذلك عاطفاً عليها عند زلّةٍ تكون منها، وإظهارُ العِشْقِ لها بالخلابة[1] والهيئةِ الحسَنةِ لها في عينه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يجبُ للوالدينِ على الولدِ ثلاثةُ أشياء: شكرُهما على كلِّ حال، وطاعتُهما فيما يأمرانِه وينهيانِه عنه في غيرِ معصيةِ الله، ونصيحتُهُما في السِّرِّ والعلانيةِ، وتجبُ للولَدِ على والِدِه ثلاثُ خصالٍ: اختيارٌ لوالدَتِه، وتحسينُ اسمِه، والمبالغةُ في تأديبِه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للمُفضِل بن عمر الجُعْفِي الكوفي: أوصيك بستِّ خصالٍ تُبلِّغُهنَّ شيعتي، قلت: وما هُنَّ يا سيدي؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أداءُ الأمانةِ إلى مَنِ ائتمنكَ، وأنْ ترضى لأخيكَ ما ترضى لنفسِكَ، واعلَمْ أنَّ للأمورِ أواخرَ فاحذرِ العواقبَ، وأَنَّ للأمورِ بغتاتٍ فكُنْ على حذَرٍ، وإيّاك ومُرتقى جبلٍ سهلٍ إذا كان المُنحدَرُ وعراً، ولا تعِدَنَّ أخاك وعداً ليس في يدِكَ وفاؤُه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لصالح بن سهل: يا صالحُ إنَّا واللهِ عبيدٌ مخلوقون لنا ربٌّ نعبدُه، وإنْ لم نعبدْهُ عذَّبَنا.

---

(١) أي باللسان والقول اللطيف.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أبرأ مِمَّنْ قال : (إِنَّا أنبياء).

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أدنى ما يخرجُ به الرجلُ مِنَ الإيمانِ أن يجلسَ إلى غالٍ فيستمعُ إلى حديثِه ، ويصدِّقُه على قوله ، إِنَّ أبي حدَّثني عن أبيه عن جدّه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: صنفانِ مِنْ أُمّتي لا نصيبَ لهما في الإسلام: الغُلاةُ، والقَدَرية.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: شيعتُنا أهلُ الورعِ والاجتهادِ، وأهلُ الوفاءِ والأمانةِ، وأهلُ الزُّهدِ والعبادةِ، أصحابُ إحدى وخمسين ركعةً في اليومِ والليلةِ، القائمونَ بالليلِ، الصائمونَ بالنهارِ، يزكّونَ أموالَهم، ويحجُّونَ البيتَ، ويجتنبونَ كُلَّ محرَّم.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: واللهِ ماشيعةُ عليٍّ إِلَّا مَنْ عَفَّ بطنَه، وفرجَه، وعمِلَ لخالِقِه، ورجا ثوابَه، وخافَ عقابَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّا لنحبُّ مَنْ كانَ عاقلاً عالِماً فهماً فقيهاً حليماً مُدارياً صبوراً صدوقاً وفيّاً، إِنَّ اللهَ خصَّ الأنبياءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بمكارمِ الأخلاقِ فمَنْ كانَتْ فيه فليحمدِ اللهَ على ذلك ، ومَنْ لم تكُنْ فيه فليتضرَّعْ إلى اللهِ وليسألْهُ إيّاها ، قيل له: وما هي؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الورَعُ، والقناعةُ، والصبرُ، والشكرُ، والحِلْمُ، والحياءُ، والسخاءُ، والشجاعةُ، والغيرةُ، وصدقُ الحديث، والبِرُّ، وأداءُ الأمانةِ، واليقينُ، وحُسنُ الخُلُقِ، والمُرُوءةُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أصلُ الغيبة تتنوّعُ بعشرةِ أنواعٍ: شفاءُ غَيظٍ، ومساعدةُ قومٍ، وتهمةٌ، وتصديقُ خبرٍ بلا كشْفِه، وسوءُ ظنٍّ، وحسدٌ، وسخريةٌ، وتعجُّبٌ، وتبرُّمٌ، وتزيُّنٌ، فإذا أردتَ السلامةَ فاذكرِ الخالقَ، لا المخلوقَ، فيصيرُ لكَ مكانَ الغيبةِ عِبرَةً، ومكانَ الإثمِ صواباً.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا تكونُ الصداقةُ إِلَّا بحدودِها فمَنْ كانتْ فيه هذه الحدودُ أو شيءٌ منه، وإِلَّا فلا تنسُبْهُ إلى شيءٍ من الصداقة، **فأوّلُها** : أنْ تكونَ سريرتُه وعلانيتُه لك واحدةً، **والثانيةُ** : أنْ يرى زينَك زينَه، وشينَك شينَه، **والثالثةُ** : أنْ لا تُغيِّرَه عليك ولايةٌ ولا مالٌ، **والرابعةُ** : لا يمنعُك شيئاً تنالُه مقدرتُه، **والخامسةُ** : وهي تجمعُ هذه الخصالَ أنْ لا يسلِّمَك عند النكَبَاتِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مِن أوثَقِ عُرى الإيمانِ أَنْ تُحبَّ في اللهِ، وتبغضَ في اللهِ، وتُعطيَ في اللهِ، وتمنعَ في اللهِ.

ودخلَ عليه سفيانُ الثوري(١) فقال: علِّمْني يا ابنَ رسولِ اللهِ مما علَّمَكَ اللهُ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا ثَوري خُذ عنِّي ثلاثاً:

إذا أردتَ دوامَ النِّعمةِ فأدِمْ شُكرَها لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

وإذا استبطأتَ رزْقَكَ فأكثِرْ منَ الاستغفارِ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

وإذا حزَبَك أمرٌ (أي شغَلَك) فأكثِر مِن قول: (لا حول ولا قوّة إلا بالله) فإنّها مفتاحُ الفَرَجِ وكنزٌ مِن كنوز الجنّة. قال الثوري : هذه ثلاثٌ وأيُّ ثلاثٍ.

وَقَالَ سفيان الثوري: دخلت على الصَّادقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقلتُ له: أَوصني بوصيةٍ أَحفظُها مِن بعدِك ، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وتحفظ يا سفيان ؟ قلت: أجل يا ابنَ بنتِ رسولِ الله قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا سفيانُ لا مُرؤوةَ لكَذُوبٍ، ولا راحةَ لحسُودٍ، ولا أَخاً لملوكٍ، ولا خُلَّةَ لمُختالٍ، ولا سؤْدُدَ لسيءِ الخُلُقِ .

ثم أَمْسكَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقلت: يا ابنَ رسولِ اللهِ زِدْني ؛ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا سفيانُ ثِقْ باللهِ تكُنْ عارفاً، وارضَ بما قسَمَه لك تكُنْ غنيّاً، صاحِبْ بمثلِ ما يصاحِبُوك به تزدادُ إيماناً، ولا تُصاحبِ الفاجِرَ فيُعلِّمَكَ من فجورِه، وشاوِرْ في أمرِكَ الذين يخشون اللهَ عزَّ وجَلَّ .

ثم أمسَكَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقلت: يا ابنَ رسولِ الله زِدْني ؛ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا سُفيانُ مَنْ أرادَ عِزّاً بلا سلطانٍ ، وكثرةً بِلا إخوانٍ ، وهيبةً بلا مالٍ، فلينتقِلْ من ذُلِّ معاصي اللهِ إلى عِزِّ طاعتِه .

(١) هو سفيان بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي المتوفى سنة (١٦١هـ)، أحد الأعلام ومن رجال الصحاح الستة، ورؤساء المذاهب البائدة، وكان كثير التردُّد على الإمام الصَّادق، وله أخبار كثيرة يرويها عنه ابن داود، والحلبي والكشي.

ثم أمسَكَ رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ فقلت: يا ابنَ بنتِ رسولِ الله زِدْني؟ فقال رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: يا سفيانُ أدَّبني أبي بثلاثٍ ونهاني عن ثلاثٍ: فأمّا اللّواتي أدّبني بهنّ فإنّه قال لي: يا بُنيَّ مَنْ يصحبْ صاحبَ السوء لا يسلَمْ، ومَنْ لا يُقيِّدْ ألفاظَه يندَمْ، ومَنْ يدخُلْ مداخِلَ السوءِ يُتَّهَمْ .

قلت: يا ابنَ بنتِ رسولِ الله فما الثلاثُ اللّواتي نهاك عنهنّ؟ قال رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: نهاني أنْ أُصاحِبَ حاسدَ نعمَةٍ، وشامتاً بِمُصيبةٍ، أو حاملَ نَميمَةٍ.

ودخل مرّةً سفيانُ الثوري على أبي عبدِ اللهِ الصادقِ فرأى عليه ثياباً حَسَنَةً، لها منظرٌ حسَنٌ ويقول الثوري : فجعلتُ أَنظُرُ إليه مُتعجِّباً فقال لي: يا ثوري ما لكَ تنظرُ إلينا لعلَّكَ مما رأيتَ ؟ ! ، قلت: يا ابنَ رسولِ اللهِ ليس هذا من لباسِكَ ولا لباسِ آبائِكَ ، فقال لي: يا ثوري كانَ ذلكَ زماناً مُقْفِراً مُقْتِراً وكانوا يعملون على قَدْرِ إقفارِه وإقتارِه ، وهذا زمان قد أقبَل كلُّ شيءٍ فيه ، ثم حسَرَ عن ردُنِ جُبّتِه وإذا تحتَه جُبّة صُوفٍ بيضاءَ يقصرُ الذيلُ عن الذيلِ، والرّدنُ عن الرّدنِ، ثُمَّ قال الصادق: يا ثوري لبسْنَا هذا للهِ وهذا لكم فما كان للهِ أخفَيناه، وما كانَ لكم أَبديناه.

وكان رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ يقول: أَوصَى اللهُ إلى الدُّنيا : يا دنيا مَنْ خدَمَنِي فاخدُمِيه ومَنْ خَدَمَكِ فاستخدِمِيه.

وَقَالَ سفيان الثوري : سمعتُ جعفرَ الصَّادقَ يقول: لقد عزَّتِ السلامةُ حتى خَفِيَ مطلبُها فإنْ تكُنْ في شيءٍ فيُوشِكُ أنْ تكونَ في الخُمُول، فإنْ لَمْ تكُنْ فيه فيُوشِكُ أنْ تكونَ في الصَّمِتْ، فإنْ لَمْ تكُنْ فيه ففي كلامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

ودخَلَ عليه رجُلٌ فقال له: إني أُريدُ الحجَّ فعَلِّمْني شيئاً أدعو به فقال: قُلْ: يا سائقَ القُوتِ، ويا سامعَ الصوتِ، يا كاسيَ العظامِ لحماً بعد الموتِ ثم ادعُ بما شئت قال: فلمْ أَدْعُ بعدَهُنَّ بشيءٍ إلَّا استُجِيبَ لي.

وقيل له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما بالُنا ندعو فلا يُستجابُ لنا؟ فقال: لأنَّكم تدعونَ مَنْ لا تعرِفُونَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا نزلَتْ بك نازلةٌ فلا تشْكُها إلى أحدٍ من أهلِ الخلافِ ولكن اذْكُرْها لبعضِ إخوانِك فإنَّكَ لن تعدمَ خصلةً من أربعِ خِصال: إِمَّا كفايةٌ، وإِمَّا معُونةٌ بجاه، أو دعوةٌ مُستجابةٌ، أو مشُورةٌ برأيٍ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في نصيحتِه للتُّجَّارِ: إذا أردْتُم روَاجاً لِسلَعِكم وكثرةَ أرباحِكم فعليكم بأربعِ خصالٍ: أتقِنُوا صِنعتكُم فإنَّ الله يُحب من أحدِكم إذا عمِلَ عمَلاً أنْ يتقنه، وعليكم بالصِّدقِ والأمانةِ في معاملاتِكم فإنَّ التُّجَّارَ هم الفُجَّارُ إلَّا مَنْ بَرَّ وصَدَقَ، وأحسِنُوا الدِّعايَةَ لبضائِعِكم حتى تستميلُوا الناسَ إليها، وعامِلُوا الناسَ بالمودّةِ فإنهم سببُ أرزاقِكُم.

وسُئِلَ عن البيتِ العتيقِ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يسمَّى بذلك لأنَّ اللهَ أعتَقَه مِن طُوفَانِ نوحٍ فلَمْ يَغْرَقْ، أو لأنَّهُ أَعْتَقَ مِنَ الجَبابِرَةِ، أو لأنَّه أوّلُ مَا بُني على الأرضِ، فيكونُ العتيقُ بمعنى القَدِيم.

وسُئِلَ أينَ الحطيمُ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما بينَ الحَجَرِ الأسودِ والبابِ، ولـمَّا سُئلَ عن سببِ تسميتِه بالحطيمِ؟ قال: لأنَّ الناسَ يُحطِّمُ بعضُهم بعضاً فيه.

ولـمَّا سُئلَ عن الرُّكْنِ اليماني؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بابُنا الذي ندخلُ منه الجَنَّة.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في وصاياه لتلاميذِه ومُريدِيه: أُوصيكُم بتسعةِ أشياءَ:

ثلاثةٌ في رياضةِ النَّفْسِ وهي: لا تأكلْ ما لا تشتهيه، ولا تأكلْ إلَّا عندَ الجوعِ وإذا أكلتَ فكُلْ حَلالاً، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ما ملأَ ابنُ آدمَ وِعَاءً شراً من بطنِهِ فإنْ كانَ ولا بُدَّ فثُلُثٌ لطعامِه، وثُلُثٌ لشرابِه، وثُلُثٌ لنَفَسِه)(١).

وثلاثةٌ في الحِلْم: مَنْ قال لكَ: إنْ قُلتَ واحدةً (أي من الشتائم) سمعتَ عشراً، قُلْ له: إنْ قلت عشراً لي لَمْ تسمَعْ منِّي شتمةً واحدةً، ومَنْ شتَمَكَ فقل له: إنْ كُنتَ صادقاً في قولِك غَفَرَ اللهُ لي، وإنْ كنت كاذباً غفَرَ اللهُ لك، ومَنْ توعَّدَكَ بالشرِّ فعِدْهُ بالخيرِ، ومِنَ الخيرِ أن تنصَحَهُ وتدعوَ له.

---

(١) رواه أحمد عن المقدام بن معدي كرب.

وثلاثةٌ في العِلْمِ: اسألِ العلماءَ عمَّا جهِلْتَ، وإيّاكَ أنْ تعملَ برأيكَ فمَنِ استبدَّ برأْيه هَلَكَ، واهرُبْ مِنَ الفتوى هُروبَكَ مِنَ الأسدِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الرؤيا: لو كانتْ كلُّ الرُّؤَى صادقةً لكانَ الناسُ كلُّهم أنبياءَ، ولو كانتْ كلُّها كاذبةً لم ينتفِعْ بها أحدٌ من الناسِ، فصَارتْ تَصْدُقُ أحياناً لينتفعَ بها الناسِ في جَلْبِ مصلحةٍ أو دفعِ مفسدةٍ، وتكْذِبُ أحياناً أخرى حتى لا يعتمِدَ الناسُ عليها في حياتِهم وأحوالِ معيشَتِهم.

وسأله الخليفة المنصور العباسي: لِـمَ خلَقَ اللهُ الذبابَ؟ فأجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليُذلَّ به الجبابِرَةَ).

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أثقلُ إخواني عليَّ مَنْ يتكلَّفُ لي وأتحفَّظُ منه، وأخفُّهم على قلبي مَنْ أكونُ معه كما أكونُ وحْدِي.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مودّةُ يومٍ صِلَةٌ، ومودّةُ شهرٍ قرابةٌ، ومودّةُ سنةٍ رَحِمٌ ماسّةٌ، مَن قطَعَها قطَعَهُ اللهُ عزّ وجل.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أربعٌ لا ينبغي لشريفٍ أنْ يأنَفَ منها: قيامُه مِن مجلِسِه لأَبيه، وخدمتُه لضيفِه، وقيامُه على دابَّتِه ولو أَنَّ له مائةُ عبدٍ، وخدمتُه لِمَنْ يتعلَّمُ مِنْهُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا بلَغَكَ عن أخيكَ ما تكرهُه فاطلُبْ له مِن عذرٍ واحدٍ إلى سبعينَ عُذراً فإنْ لَمْ تجدْ له عُذراً فقُل: لعلَّ له عذراً لا أَعْرِفُه.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه مُوسى الكاظم: إِيَّاكَ أَنْ تَزْدَرِيَ بالرِّجالِ فيزْدَري بك لرِّجَالُ، وإِيَّاكَ والدخولَ فيما لا يعنِيكَ فتُذَلَّ، وإِيَّاكَ والتعرُّضَ لعيوبِ الناسِ فالتعرُّضُ لها يجعلُها كالهدَفِ تُرمى، وإِذَا زُرْتَ فزُرِ الأخيارَ، ولا تَزُرِ الفُجَّارَ فإِنَّهُمْ صخرةٌ لا ينفجِرُ ماؤُها، وشجَرةٌ لا يخضَرُّ وَرَقُها، وأَرْضٌ لا يظهَرُ عُشْبُها.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يوصي ابنَه: يا بُنيَّ إذا طلبْتَ الجُودَ فعليكَ بمعادنِه فإِنَّ للجودِ معادِنَ وللمعادِنِ أُصُولاً وللأُصُولِ فُرُوعاً وللفروعِ ثَمَراً ولا يطيبُ ثمرٌ إِلَّا بأُصُولٍ ولا أصلَ ثابتٌ إِلَّا بمعدِنٍ طيِّبٍ.

مِنْ نَفَائِسِ الإِمَامِ مُوسَى الكَاظِمِ ابنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١)

(١٢٨-١٨٢هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قولِه تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠] جَرَتْ في المؤمنِ والكافرِ والبَرِّ والفاجِرِ ، ومَن صُنِعَ إليه معروفٌ فعليه أن يكافئَ به ، وليستِ المُكافأةُ أن تصنعَ كما صنعَ حتى ترى فضلَكَ ، فإنْ صنعتَ كما صنَعَ فله الفضلُ بالابتداء.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لبعض شيعَتِه: أي فلانُ اتَّقِ اللهَ وقُلِ الحقَّ وإِنْ كَانَ فيه هلاكُكَ فإِنَّ فيه نجاتَك ، أي فلانُ اتَّقِ اللهَ ودَعِ الباطِلَ وإِنْ كَانَ فيه نجاتُكَ فإِنَّ فيه هلاكَكَ.

ورأى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجُلانِ يتسابَّان فقال: البادي أظلَمُ ووِزْرُهُ ووزْرُ صاحبِه عليه ما لم يتعدَّ المظلومُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لبعضِ وَلَدِه: يا بُنيَّ إيّاكَ أنْ يراكَ اللهُ في معصيةٍ نهاكَ عنها، وإِيَّاكَ أَنْ يفقدَكَ اللهُ عند طاعةٍ أمَرَكَ بها، وعليكَ بالجِدِّ ولا تخرُجنَّ نفسَكَ من التقصيرِ في عبادةِ اللهِ وطاعتِه، فإنَّ اللهَ لا يُعبَدُ حقَّ عبادتِه ، وإيّاكَ والمزاحَ فإنَّه يذهبُ بنورِ إيمانِكَ ويستخِفُّ مُرؤتَك، وإياكَ والضجَرَ والكَسَلَ فإنهما يمنعانِ حظَّك مِن الدنيا والآخرة .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: المتكلِّمون ثلاثةٌ: رابحٌ، وسالمٌ، وشاجبٌ، فأَمَّا الرَّابح فالذاكرُ للهِ وأَمَّا السالمُ فالساكتُ، وأَمَّا الشاجِبُ فالذي يخوض في الباطلِ، وإِنَّ اللهَ حرَّمَ الجنّةَ على كُلِّ فاحشٍ بذيءٍ قليلِ الحياءِ لا يُبالي ما قال ولا ما قيل فيه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بِئسَ العبدُ عبدٌ يكون ذا وجهينِ وذا لسانَينِ ، يُطْرِي أخاه إذا شاهدَه ، ويأكلُه إذا غابَ عنه ، إنْ أُعْطِيَ حسَدَه ، وإن ابْتُلِيَ خذَلَه ، وإنَّ أسرعَ الخيرِ ثواباً البِرُّ ، وأسرعُ

---

(١) وُلِدَ بالأبواءِ وهو مكانٌ بين مكةَ والمدينةِ في شهر صفر سنة (١٢٨هـ) واستُشهِد في بغداد مسموماً بالرُّطَبِ المسمومِ سنة (١٨٢هـ) ، ودُفن في الجانبِ الغربي من بغدادَ في المقبرةِ المعروفةِ بمقابرِ قُريش، بباب التبن، ويعرفُ اليومَ ببابِ الحوائجِ، وكانت المقبرةُ قديماً لأشرافِ قُريشٍ وخاصّةً بني هاشم. وتُعرَفُ المدينةُ التي فيها قبرُه الشريفُ بالكاظميةِ نسبةً إليه.

الشرِّ عقوبةً البَغْيُ . وإنَّ شرَّ عبادِ اللهِ مَنْ تكرَهُ مجالَسَتَه لِفُحْشِه (وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرِهم في النارِ إلَّا حصائدُ ألسنتِهم)[١].

ورُوي أنه مَرَّ برجُلٍ من أهلِ السَّوادِ دميمِ المَنْظرِ فسلَّمَ عليه ونزَلَ عنده وحادَثَهُ طويلاً ثم عَرَضَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عليه نفْسَه في القيامِ بحاجةٍ إنْ عُرِضَتْ له، فقيل له: يا ابن رسول الله أتَنْزِلُ إلى هذا ثم تسألُه عن حوائجِهِ وهو إليكَ أحْوَجُ ؟! فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عبدٌ من عبيدِ الله وأخٌ في كتابِ الله وجارٌ في بلادِ اللهِ يجمعُنا وإيّاه خيرُ الأَباءِ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأفضلُ الأديانِ الإسلامُ، ولعلَّ الدهرَ يردُّ من حاجاتِنا إليه فيرانا بعد الزَّهوِ عليه متواضعينَ بينَ يديه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا كانَ الإمامُ عادلاً كان له الأجرُ وعليك الشُّكْرُ، وإذا كان جائراً كان عليه الوِزْرُ وعليك الصبرُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: السَّخيُّ الحَسَنُ الخُلُق في كنَفِ اللهِ لا يتخَلَّى اللهُ عنه حتى يُدخِلَه الجنّة ، وما بَعَثَ اللهُ نبياً إلَّا سخيّاً، وما زال أبي يوصيني بالسَّخاءِ وحُسْنِ الخُلُقِ حتى مضى.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: تفقّهوا في دِينِ اللهِ فإنَّ الفِقْهَ مفتاحُ البصيرةِ، وتمامُ العبادةِ، والسببُ إلى المنازلِ الرفيعةِ، والرُّتَبِ الجليلةِ في الدِّينِ والدنيا، وفضلُ الفقيهِ العابدِ كفضلِ الشمسِ على الكواكبِ ، ومَنْ لم يتفقَّه في دينِهِ لم يَرْضَ اللهُ له عملاً.

وسألَه رجلٌ عن الجَوادِ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ لكلامِكَ وجهينِ فإنْ كنتَ تسألُ عن المخلوقينَ، فإنَّ الجَوادَ الذي يؤدِّي ما افترَضَ اللهُ عليه، والبخيلُ من بخِلَ بما افترضَ اللهُ. وإنْ كُنتَ تعني الخالقَ فهو الجوادُ إنْ أعطَى، وهو الجوادُ إنْ مَنَعَ، لأنّه إنْ أعطاكَ أعطاكَ ما ليسَ لكَ، وإنْ منعَكَ منعَكَ ما ليسَ لكَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ تكلَّمَ في اللهِ هلَكَ، ومَنْ طَلَبَ الرئاسةَ هَلَكَ، ومَنْ دخلَهُ العُجْبُ هَلَكَ.

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي : حسنٌ صحيح.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: اشتدّتْ مؤونةُ الدنيا والدِّينِ (الآخِرَةِ)، فأمّا مؤنةُ الدنيا فإنَّكَ لا تمُدُّ يدَكَ إلى شيءٍ منها إلَّا وجدْتَ فاجِراً قد سَبَقَكَ إليه، وأمَّا مؤنةُ الآخرةِ فإنّكَ لا تجدُ أعواناً يُعينونَكَ عليه.

ورأى قبراً يُحفَرُ، فقال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ شيئاً هذا آخرُهُ لحقيقٌ أن يُزْهَدَ في أوَّلِه، وإنَّ شيئاً هذا أوَّلُه لحقيقٌ أنْ يُخافَ مِن آخِرِه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لا تكُنْ إمَّعةً، فتقولَ: أنا مَعَ النَّاسِ، إنَّ رسولَ اللهِ قال: إنما هُمَا نجدانِ: نَجْدُ خَيرٍ، ونَجْدُ شَرٍّ، فلا يَكُنْ نَجْدُ الشرِّ أَحَبَّ إليكَ من نجدِ الخَيرِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إذا كانَ يومَ القيامةِ يُنادِي المنادِي: أَلا مَنْ كان له على اللهِ أجْرٌ فلْيَقُمْ، فلا يقومُ إلَّا مَنْ عفا وأَصْلَحَ، فأَجْرُهُ على اللهِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ للهِ عرشاً لا يسْكُنُ تحتَ ظِلِّهِ إلَّا مَنْ أسدَى لأَخِيه معروفاً، أو نفَّسَ عنه كُربةً، أو قَضَى له حاجَةً.

مِن نَفَائِسِ الإمَامِ عليّ الرِّضا ابْنِ موسى الكَاظِمِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا[1]

(١٤٨-٢٠٣هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: حدَّثني أبي موسى بن جعفر،

قال: حدَّثني أبي جعفر بن محمد،

قال: حدَّثني أبي محمد بن علي،

قال: حَدَّثني أبي علي بن الحُسين،

قال: حدَّثني أبي الحسين ابن علي،

قال: حدَّثني أبي علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين آمين إلى يوم الدِّين،

(١) وُلِدَ بالمدينةِ المنورةِ في شَهْرِ ذي الحجّةِ سنةَ (١٤٨هـ)، وتُوفِّي سنةَ (٢٠٣هـ) ودُفِنَ بطوسٍ من أَرْضِ خُراسانَ (تُدْعَى الآنَ مَشْهَدَ في إيرانَ) وأغلَبُ الظَّنِّ أنه ماتَ مَسْمُوماً بقَطْفٍ من عِنَبٍ وُضِعَتْ فيه الإبرُ المَكْسُوَّةُ بالمادَّةِ السَّامَّةِ ثم نُزِعَتْ منها الإبرُ وقُدِّمَ ذلك للرِّضا، فماتَ شَهيداً مَظلُوماً مُحْتَسِباً.

قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يقول الله تعالى: (لا إلهَ إلَّا اللهُ حِصْنِي، فمَنْ دخَلَ حِصْنِي أمِنَ مِن عذابي)[1].

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خَمْسٌ مَنْ لمْ تكُنْ فيه فلا ترجُوه لشيءٍ من الدنيا والآخرةِ: مَنْ لم تعرفِ الوثاقةَ في أَرُومَتِه[2]، والكرمَ في طباعِه، والرَّصانَةَ في خُلُقِهِ، والنُّبْلَ في نفْسِه، والمخافةَ لرَبِّه.

وسُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن خِيَارِ العِبَادِ؟ فقال: الذين إذا أَحْسَنُوا استَبْشَروا، وإذا أَسَاؤُوا استَغْفَرُوا، وإذا أُعْطُوا شَكَرُوا، وإذا ابْتُلُوا صَبَروا، وإذا غَضِبوا عَفَوا.

وقيل له: كيفَ أصبحْتَ يا ابنَ رسولِ اللهِ؟ فقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أصبحتُ بأجَلٍ منقُوصٍ، وعمَلٍ محفوظٍ، والموتُ في رقابِنا، والنارُ من ورائِنا، ولا ندري ما يُفْعَلُ بِنا.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يستكمِلُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتى تكونَ فيه خصالٌ ثلاثٌ: التفقُّهُ في الدِّينِ، وحُسْنُ التَّقديرِ في المَعِيشَةِ، والصَّبْرُ على الرَّزَايَا.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صِلْ رحِمَكَ ولو بِشَرْبَةِ ماءٍ، وأَفْضَلُ ما تُوصَلُ به الرَّحِمَ كَفُّ الأذَى عنها قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابِه: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤].

---

(١) أورد صاحب كتاب «تاريخ نيسابور» أنَّ علياً الرضى بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لما دخل نيسابور كان في قُبَّةٍ مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة، وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى، فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به. فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلّة وأقرَّ عيون الخلائق برؤية طلعته، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باكٍ وصارخ ومتمرِّغ في التراب ومُقبِّل حافر بغلته وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس، انصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم، وكان المستملي أبا زرعة، ومحمد بن أسلم الطوسي. فقال الإمام علي الرضا رضي الله عنه: حدّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه علي المرتضى قال حدّثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: حدثني جبريل عليه السلام قال: حدثني رب العزة سبحانه وتعالى قال: (لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي) ثم أرخى الستر على المظلة وسار. قال: فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً. نقلته من كتاب «مسند الإمام زيد بن علي» رضي الله عنهما.

(٢) أي أصله.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لا يكونُ المؤمنُ مؤمناً حتى يكونَ فيه ثلاثُ خصالٍ: سُنّةٌ من ربِّه، وسُنّةٌ من نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وسُنّةٌ من وَليِّه، فأمَّا السُّنّةُ من ربِّه فكتمانُ السِّرِّ، وأمَّا السُّنّةُ من نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فمُداراةُ الناس، وأمَّا السُّنّةُ من وليِّهِ فالصبرُ في البأساءِ والضَّرَّاءِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: صاحبُ النِّعمةِ يجبُ أنْ يُوسِّعَ على عياله.

وسألَهُ رجلٌ ذاتَ يومٍ: أيُكلِّفُ اللهُ العبادَ ما لا يُطِيقونَ؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: هو أعدَلُ مِن ذلك ، قال له الرَّجُلُ: فيقدرون على فِعْلِ كُلِّ ما يريدون؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: هم أَعْجَزُ من ذلك.

وسأله الفضْلُ بن سَهْلٍ في مجلِسِ المأمونِ قائلاً: يا أبا الحسَن الخَلْقُ مُجبَرُون؟ قال: إنَّ اللهَ تعالى أعدَلُ مِنْ أنْ يُجبِرَ ثم يُعذِّب ، قال الرجل: فمُطْلَقون؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: اللهُ تعالى أَحْكَمُ من أنْ يُهمِلَ عبدَه ويكِلَهُ إلى نفسِه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ مَن تَجاوَزَ بأميرِ المؤمنين علياً عَلَيهِ السَّلَامُ العُبُودِيّةَ فهو مِنَ المغضوب عليهم والضالِّين. ثُمَّ قال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لا تُقاعِدوهُم، ولا تُصادِقوهُم، وابْرَأُوا منهم، بَرِأَ اللهُ منهم.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في بعض أدعيته: اللهُمَّ إنَّ مَنْ زَعَمَ أنَّ لنا الخَلْقَ وعلينا الرِّزقَ فنحنُ إليك منه أبرياءُ، اللَّهُمَّ إنَّا لم نَدْعُهُم إلى مايزعمون فلا تؤاخذْنا بما يقولون، واغفرْ لنا ما يَزْعُمُون.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: مَنْ صَامَ أوّلَ يومٍ مِنْ رَجَبٍ(١) رغبةً في ثوابِ الله تعالى وجَبَتْ له الجنّةُ ، ومَنْ صامَ في يومٍ مِنْ وسَطِه شُفِّعَ في مثل ربيعةَ ومُضَر ، ومَنْ صامَ في يومٍ مِنْ آخِرِه جعَلَه اللهُ مِنْ أملاكِ الجَنّةِ وشفَّعهُ في أبيه وأُمِّه، وإخوانِه وأخواتِه، وأعمامِه وعمّاتِه، وأخوالِه وخالاتِه ومعارِفِه.

---

(١) بيَّنَتِ السنةُ النبويةُ الأربعةُ الأشهرَ الحُرُم فقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ذو القعدة، ذو الحجة، ومحرّم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان) إذن فرجب من الأشهر الحُرُم المعظمة في الجاهلية والإسلام ببيان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو من مواسم الخير التي ينبغي للمسلم الإكثار فيه من الخير وفعل الصالحات من الطاعات من صلاة وذكر وصدقة وصلة الأرحام وغير ذلك من الأمور التي تدخل في إطار الخير وقد أشارت الآية الكريمة بقولها: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦] إلى وجوب التحرّز فيها أكثر من غيرها في المحرّمات مثل قطيعة الأرحام وارتكاب الآثام وإيذاء الأهل والجيران وظلم الإخوان إلى غير ذلك مما هو داخل تحت الظلم سواء كان للغير أو للنفس.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: مَنْ صامَ من شعبانَ[١] يوماً واحداً ابتغاءَ ثوابِ اللهِ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنِ استَغْفَرَ اللهَ تعالى في كُلِّ يومٍ سبعينَ مرَّةً حشَرَهُ الله يومَ القيامةِ في زمرةِ النبي ﷺ ووَجَبَتْ لَهُ مِنَ اللهِ الكرامةُ، ومَنْ تَصدَّقَ في شعبانَ بصدقةٍ ولو بشِقِّ تمرةٍ حرَّمَ اللهُ جسَدَه على النارِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: المؤمِنُ إذا غضبَ لم يخرُجْ عن حَقٍّ، وإذا رَضِيَ لم يدخُلْ في باطِلٍ، وإذا قَدَرَ لم يأْخُذْ أكثرَ مِن حقِّه.

وسُئل رَضِيَ اللهُ عَنهُ عن معنى التَّوكُّلِ؟ فقال: أنْ لا تخافَ أحداً إلَّا اللهَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ للقلوبِ إقبالاً وإدباراً، ونشاطاً وفُتُوراً، فإذا أَقْبَلَتْ بصُرَتْ وفهِمَتْ، وإذا أَدْبَرَتْ كَلَّتْ ومَلَّتْ، فخُذُوها عند إِقْبالِها ونشاطِها، واتركُوها عندَ إدبارِها وفُتُورِها.

مِن نَفَائِسِ الإمَامِ مُحَمَّدٍ الجَوَادِ
ابنِ عليِّ الرِّضا رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا[٢]
(١٩٥-٢٢٠هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنهُ: مَنِ انقَادَ إلى الطُّمأنينةِ قبلَ الخبرةِ[٣] فقد عَرَّضَ نفسَه للهَلَكَةِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: كفى بالمرءِ خيانةً أن يكونَ أميناً للخَوَنة.

---

(١) لقد أطنب الرسول الأعظم ﷺ في فضل شهر شعبان ورَغَّبَ في صيامه بقوله وفعله . فكان يكثر فيه من الصيام ويطيل في لياليه القيام وهو ﷺ قدوة للأنام ، وقد كان من دعائه المأثور فيه قوله : (اللّهم بارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان) وروى النسائي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت : يارسول الله لم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال ﷺ : (ذاك شهر يغفل الناس فيه بين رجب ورمضان وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم). وأخرج أبو يعلى عن عائشة بسند حسن قالت : كان النبي ﷺ يصوم شعبان كله قالت : قلت: يا رسول الله أحب الشهور إليك أن تصومه شعبان قال : (إنَّ الله يكتبُ فيه على كل نفس ميتة تلك السنة فأُحِبُّ أن يأتني أجلي وأنا صائم).

(٢) وُلِدَ بالمدينةِ المنورةِ في (١٠) من شَهْرِ رجب سَنَةَ (١٩٥هـ) وتُوُفِّيَ في ذي القعدةِ سَنَةَ (٢٢٠هـ) ودُفِنَ معَ جدِّه الإمامِ موسى الكاظِمِ في الكاظِمِيَّةِ. وأَشْهَرُ ألقَابِه: الجوادُ لكثْرَةِ جُودِه. ماتَ شهيداً بالسُّمِّ ببغدادَ وهو ابنُ خمْسٍ وعشرينَ سَنَةً.

(٣) الخبرة : من الاختبار والتجربة.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَن عَمِلَ على غيرِ عِلْمٍ كَانَ ما يُفْسِدُ أكثرَ مِمَّا يُصْلِحُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَن أطَاعَ هواهُ أعطى عدوَّه مُناهُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَن لم يعْرِفِ الموارِدَ أَعْيَتْهُ المَصَادِرُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يضرُّكَ سَخَطُ مَنْ رضَاه الجَورُ.

وَقَالَ له رجلٌ: أوصِني؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَتقبَلُ؟ قال: نعم قال: تَوسَّدِ الصَّبْرَ، واعتَنِقِ الفَقْرَ، وارفُضِ الشَّهواتِ، وخالِفِ الهَوَى، واعْلَمْ أنّكَ لن تخلوَ مِن عينِ اللهِ فانْظُرْ كيفَ تكُونُ.

أجوبته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على مسائل ابن أكثم:

قال المأمونُ ليحيى بنِ أكْثَمَ(١): اطْرَحْ على أبي جعفرٍ محمدٍ بن الرِّضا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مسألةً تقطعه فيها. فقال يحي: يا أبا جعفرٍ ما تقولُ في رجُلٍ نكَحَ امرأةً على زناً أيحلُّ أن يتزوّجها؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يدَعَهَا حتى يستبرئَها من نُطفَتِه ونطفةِ غيرِه إذ لا يؤمَنُ منها أن تكونَ قد أحدَثَتْ مع غيرِه حَدَثاً كما أحدَثَتْ معه ثمّ يتزوّجُ بها إِنْ أرادَ فإنّما مِثْلُها مثلُ نخلةٍ أكلَ رجلٌ منها حراماً ثُمَّ اشتراها فأكَلَ منها حَلالاً ، فانقطعَ يحيى.

فقال له أبو جعفر: يا أبا محمدٍ ما تقولُ: في رجلٍ حَرُمَتْ عليه امرأةٌ بالغداةِ وحلَّتْ له ارتفاعَ النَّهارِ ، وحَرُمَتْ عليه نصفَ النهارِ ثُمَّ حلَّتْ له الظُّهرَ ، ثُمَّ حَرُمَتْ عليه العصْرَ ثُمَّ حلَّتْ له المغربَ ، ثُمَّ حَرُمَتْ عليه نصفَ اللَّيلِ ثُمَّ حلَّت له الفجرَ ، ثُمَّ حَرُمَتْ عليه ارتفاعَ النَّهارِ ثُمَّ حلّتْ له نصف النهار؟ فبقي يحيى والفقهاء بلهاء خرساً.

فقال المأمون: يا أبا جعفرٍ أعزّك الله بيِّنْ لنا هذا؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذا رجلٌ نَظَرَ إلى مملوكةٍ لا تَحِلُّ له، اشتراها فحلَّتْ له، ثُمَّ أعتقها فحَرُمَتْ عليه ، ثُمَّ تزَوَّجها فحلَّتْ له، فظَاهَرَ منها فحَرُمَت عليه، فكفَّرَ الظهار فحلَّت له، ثُمَّ طلَّقها تطليقةً فحَرُمَتْ عليه، ثُمَّ رَاجعَها فحلَّتْ له ،

---

(١) هو يحي بن أكثم التميمي القاضي، كان متكلِّماً عالماً فقيهاً في عصره، أحد وزراء المأمون قاضياً في العراقين.

فارتدَّ عَنِ الإسلامِ فحَرُمَتْ عليه، فتَابَ ورَجَعَ إلى الإسلامِ فحلَّتْ له بالنكاحِ الأوّل كما أَقَرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نكاحَ زينبَ مع أبي العاصِ بن الرَّبيع(١) حيث أسلَمَ على النكاحِ الأوّل.

ومرَّ بِهِ المأمونُ وهو معَ الصِّبيانِ في أزِقَّةٍ، فلمَّا رأوا الصِّبيانُ المأمونَ فرُّوا ووقَفَ محمدٌ الجوادُ وسِنّهُ تسعُ سنينَ فقال له المأمونُ: يا غلامُ ما منعَكَ مِنَ الانصرافِ؟ فقال: لَمْ يكُنْ بالطريقِ ضِيقٌ وليس لي جُرْمٌ وظنِّي بِكَ حَسَنٌ أنّك لا تضُرُّ مَنْ لا ذَنْبَ له، فأعجبَهُ كلامَه وحُسْنَ صورتِه ، ثُمَّ سارَ وكانَ معه بزاةٌ للصيدِ فلمّا بعُدَ عن العمارةِ أرسَلَ بازةً على درَّاجةٍ فغابَ البازُ عنه ثُمَّ عَادَ من الجوِّ وفي منقارِهِ سمكةٌ صغيرةٌ فيها أثرُ الحياةِ فتعجَّبَ ورجع ؛ فرأى الصبيانَ على حالِهم ففرُّوا إلَّا محمدٌ الجوادُ فقالَ له المأمون: ما في يدي؟ فقال محمدٌ الجواد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ اللهَ عزّ وجلَّ خلَقَ بقدْرَتِه في الجوِّ بحراً وخلَقَ فيه سَمَكاً صِغاراً تصيدُها بزاةُ الملوكِ فيمتحَنُ بها سلالةَ أهلِ بيتِ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فقال له المأمونُ: أنتَ ابنُ عليٍّ الرِّضا حَقّاً وبالَغَ في إكرامِهِ.

مِنْ نَفَائِسِ الإِمَامِ أَبِي الحَسَنِ عليّ الهَادِي ابنِ مُحَمَّدٍ الجَوَادِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(٢)

(٢١٢-٢٥٤هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنِ اتَّقى اللهَ يُتّقى، ومَنْ أطاعَ اللهَ يُطاعُ، ومَنْ أطاعَ الخالِقَ لَمْ يُبالِ سَخطَ المخلوقينَ، ومَنْ أَسْخَطَ الخالِقَ فلييْقنْ أنْ يحِلَّ به سخطُ المخلوقين.

---

(١) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزَّى بن عبد شمس بن عبد مناف ابن أخت خديجة زوجة رسول الله، أمه هالة بنت خويلد، زوّجه رسول الله زينب أكبر بناته . فلما أكرم الله نبيه بنبوته آمنت خديجة وبناته فصدّقن وشهدن الإسلام وثبت أبو العاص على شركه ففرّق النبي بينه وبين بنته زينب لشركه، وأسلَمَ في فتح مكة ورجعَ إلى المدينة وردَّ رسول الله زينب على النِّكاحِ الأوَّل، وتوفي سنة ١٢ وتزوَّج علي عليه السلام ابنته أُمَامَة بنت زينب بعد وفاة فاطمة بوصيةٍ منها.

(٢) وُلِدَ بقريةِ (صريا) مِنْ نواحي المدينة المنورة يومَ الجُمُعةِ في شهْرِ ذي الحِجَّةِ سنة (٢١٢) من الهجرة، وتُوُفِّيَ في شهرِ رَجبٍ سنةَ (٢٥٤هـ) ودُفِن في (سُرَّ مَنْ رَأى) أي سَامِرَّاء. مِنْ أَشْهَرِ ألقابه : الهادي، ويُلَقَّب بالنَّقِي، والعَسْكَري وغيرِها، وسببُ تسميتِه بالعسكري هو وابنُه الحسَن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ المَحِلَّةَ التي سكناها بسَامرَّاء كانت تُسَمَّى عَسْكَراً. وَقَالَ سِبطُ بن الجوزي: إنما نُسِبَ إلى العَسْكَرِ لأنَّ المتوكلَ أَشْخَصَهُ إلى سُرَّ مَنْ رَأى، فأَقَامَ بها، وكانت سَامِرَّاء تُسمَّى العَسْكَر، لأنَّ عَسْكَرَ المُعْتَصِمِ نزَلَها.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ اللهَ جعلَ الدُّنيا دارَ بَلْوى، والآخرةَ دارَ عُقبى، وجعلَ بلوى الدنيا لثوابِ الآخرةِ سبباً، وثوابِ الآخرةِ مِنْ بلوى الدنيا عِوَضاً.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ الظالِمَ الحَالِمَ يكادُ أنْ يُعْفَى على ظُلْمِهِ بحِلْمِه، وأنَّ المُحِقَّ السفيهَ يكادُ أنْ يُطْفِئَ نورَ حقِّهِ بسَفَهِه.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ جَمَعَ لكَ وُدَّهُ ورَأيَه فاجمعْ لهُ طاعتَك.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ هَانَتْ عليه نفسُهُ فلا تأمَنْ شرَّهُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الدُّنيا سُوقٌ رَبِحَ فيها قومٌ، وخَسِرَ آخَرون.

وَقَالَ الحسَنُ بنُ مسعودٍ دخلْتُ على أبي الحسَنِ عليِّ بنِ محمدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وقد نكَبَتْ إصبَعِي وتلقّاني راكبٌ وصدَمَ كَتِفِي، ودخلْتُ في زحْمَةٍ فخَرَقُوا عليَّ بعضَ ثيابي.

فقلتُ: كفَاني اللهُ شرَّكَ مِنْ يومٍ فما أَشْأَمَكَ، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لي: ياحسَنُ هذا وأنتَ تَغْشانا ترمي بذنْبِكَ من لا ذنبَ له، قال الحسنُ: فأثابَ إليَّ عقلي، وتبيَّنْتُ خَطَئِي.

فقلت: يا سيِّدي أستغفِرُ اللهَ، فقال: يا حَسَنُ ما ذَنْبُ الأيّامِ حتى صِرْتُم تَتَشَأَّمُونَ بها إذا جُوزِيتُم بأعمالِكُمْ فيها. قال الحسَن: أنا أستغفر اللهَ أبداً وهي توبتي يا ابنَ رسولِ اللهِ، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: واللهِ ما ينفعكُمْ ولكنَّ اللهَ يعاقِبُكُم بذمِّها على ما لا ذَمَّ عليها فيه، أمَا علِمْتَ يا حسَنُ إنَّ اللهَ هو المُثِيبُ والمُعاقِبُ والمُجَازي بالأعمالِ عاجلاً وآجلاً؟، قلتُ: بلى يا سيدي، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا تَعُدْ ولا تجعلْ للأيّامِ صُنعاً في حُكمِ الله، قلتُ: بلى يا سيدي.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ أمِنَ مَكْرَ اللهِ وأَلِيمَ أَخْذِه تكبَّرَ حتى يَحِلَّ به قضاؤه ونافذُ أمْرِه، ومَنْ كانَ على بيِّنَةٍ مِنْ ربِّهِ هَانَتْ عليه مصائبُ الدنيا ولو قُرِضَ ونُشِرْ.

مِن نَفَائِسِ الإِمَامِ الهادِي أبي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ العَسْكَرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1]

(٢٣١-٢٦٠هـ)

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حُبُّ الأَبرارِ للأبرارِ ثوابٌ للأبرار، وحُبُّ الفُجَّارِ للأبرارِ فضيلةٌ للأَبرارِ، وبُغْضُ الفُجَّارِ للأبرارِ زينٌ للأبرارِ، وبُغْضُ الأبرارِ للفُجَّارِ خِزْيٌ على الفُجّارِ.

(١) وُلِدَ بالمدينةِ في شهْرِ ربيعِ الآخرِ سنةَ (٢٣١هـ)، وتُوفِّي ودُفِنَ بسامرَّاء سنةَ (٢٦٠هـ).

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنَ التواضُعِ السلامُ على كُلِّ مَنْ تَمُرُّ بِه، والجلوسُ دُونَ شَرَفِ المَجْلِسِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنَ الجَهْلِ الضَّحِكُ مِنْ غيرِ عَجَبٍ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنَ الفَواقِرِ[1] التي تقصِمُ الظَّهْرَ، جارٌ إِنْ رأى حَسَنَةً أطْفَأَها، وإِنْ رأى سَيِّئَةً أَفْشَاهَا.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذمِّهِ للمِرَاء: لا تُمَارِ فيذهبَ بهاؤُك، ولا تُمَازِحْ فيُجترأَ عليكَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جُرْأَةُ الولَدِ على والِدِه في صِغَرِه، تَدْعو إلى العُقُوقِ في كِبَرِه.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليسَ مِنَ الأَدَبِ إظهارُ الفرَحِ عند المحْزُون.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ مدَحَ غيرَ المستحِقِّ فقد قامَ مقامَ المتَّهَم.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أضعفُ الأعداءِ كَيداً مَنْ أظهَرَ عداوتَه.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ كانَ الوَرَعُ سجيَّتَه والعِلْمُ حِليَتَه، انْتَصرَ من أعدائِه بحُسْنِ الثَّناءِ عليه.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوصي شِيعَتَه: أَوصِيكُم بتقوى الله، والورعِ في دِينِكم، والاجتهادِ لله، وصدْقِ الحديثِ، وأداءِ الأمانةِ إلى مَنِ ائتمَنَكم من بَرٍّ أو فاجِرٍ، وطُولِ السُّجودِ، وحُسْنِ الجِوَارِ، فبهذا جاءَ محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، صلُّوا في عشائرِهِمْ، واشْهَدُوا جنائزَهم، وعُودُوا مرضاهم، وأدُّوا حُقُوقَهم، فإنَّ الرجُلَ منكم إذا وَرَعَ في دِينِه، وصَدَقَ في حديثِهِ، وأَدَّى الأَمانةَ، وحسُنَ خُلُقُه مع الناسِ، قيل: هذا شيعِي فيسُرُّني ذلك. اتقوا اللهَ وكُونوا زَيناً، ولا تكونُوا شَيْناً، جُرُّوا إلينا كلَّ مودّةٍ، وادْفَعُوا عنَّا كلَّ قَبيحٍ فإنَّه ما قيلَ فينا مِنْ حَسَنٍ فنحنُ أهلُه، وما قيل فينا مِنْ سُوءٍ فما نحنُ كذلك. لنا حَقٌّ في كتابِ اللهِ، وقرابةٌ مِنْ رسولِ الله، وتطهيرٌ مِنَ الله، لا يدَّعيه أحدٌ غيرُنا إلَّا كَذَّابٌ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَكْثِروا ذِكْرَ اللهِ، وذِكْرَ المَوتِ، وتلاوةَ القُرآنِ، والصَّلاةَ على النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإنَّ الصلاةَ على رسولِ اللهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، احْفَظُوا ما وصَّيْتُكم به واستودُعُكم اللهَ وأقرأُ عليكم السلامَ.

انتهى ما جمعته وانتقيته مِنْ نفائسِ أئمةِ أهلِ البيتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمد وعلى آلِه الطَّيِّبينَ الطَّاهِرينَ.

---

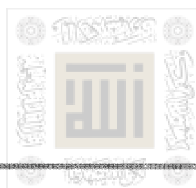
(١) الفواقر: جمع فاقرة أي الدَّاعية العظيمة فكأنَّها تكسر فقر الظهر.



الفصلُ الثّاني

مجموع أقوالٍ ووصايا وسِيَرٍ عاطرة لبعض العارفين من أهل البيت النّبوي

رضي الله عنهم



الفَصْلُ الثَّانِي:
مَجْمُوعُ أَقْوَالٍ وَوَصَايَا وَسِيَرٍ عَاطِرَةٍ لِبَعْضِ العَارِفِينَ مِنْ أَهْلِ البَيتِ النَّبَوِي

مِن أقوالِ ومُذاكراتِ العارفِ باللهِ مُحيي الدِّين أَبي محمدٍ عبدِالقَادِرِ الجِيلاني الحَسَني[١] (٤٧٠-٥٦١هـ)

كانَ رَحِمَهُ اللهُ يقولُ في ابتداءِ كُلِّ مَجْلِسٍ: (الحمد لله ربِّ العالمين) يُكرِّرها ثلاثَ مرَّاتٍ، ويسْكُتُ عقِبَ كلِّ مرَّةٍ لحظةً ثُمَّ يقولُ: عددَ خلْقِه، ورِضاءَ نفْسِه وزِنَةَ عرْشِه، ومِدَادَ كلِماتِه، ومُنتهَى عِلْمِه، وجميعَ ما شَاءَ وخَلَقَ وذَرَأَ وبَرَأَ، عَالِمِ الغيبِ والشهادةِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، الملِكِ القدُّوسِ العزيزِ الحكيمِ، وأشْهدُ أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، لَهُ الملك ولَهُ الحمد، يُحيي ويُميتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيدِهِ الخيرُ وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وإليه المصيرُ، وأشهَدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بالهُدَى ودِينِ الحقِّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلِّه ولو كَرِه المشركون، اللهُمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمدٍ، واحفَظِ الإمامَ والأُمّةَ، والرَّاعيَ والرَّعيّةَ، أَلِّفْ بين قلوبِهم في الخيراتِ، ادْفَعْ شرَّ بعضِهم عن بعضٍ، اللهُمَّ وأنتَ العَالِمُ بسرائِرِنا فأصلحْها، وأنتَ العَالِمُ بحوائجِنا فاقْضِها، وأنتَ العَالِمُ بذنوبِنا فاغفرْها، وأنتَ العَالِمُ بعيوبِنا فاستُرْها، لا تَرَنَا حيثُ نهيتَنَا، لا تَفْقِدْنا حيثُ أمرتَنا، لا تُنسِنَا ذِكْرَكَ، ولا تُؤمِّنّا مَكْرَكَ، ولا تُحْوِجْنَا إلى غيرِكَ، ولا تجعلْنا مِنَ الغافلين. اللهُمَّ أَلهِمْنا رُشدَنا، وأَعذْنا مِنْ شرِّ أنفُسِنا، أشغِلْنا بِكَ عمَّنْ سِوَاكَ، اقطَعْ عَنَّا كلَّ قاطِعٍ يقطعُنا عنك، ألهِمْنا ذِكْرَكَ وشُكرَكَ وحُسْنَ عبادَتِكَ.

---

(١) واسمه الكامل: عبدالقادر بن أبي صالح مُوسَى جُنْكِي دَوْسَتْ الجيلاني الحنبلي البغدادي الحَسَنِيّ المولود في جيلانَ بلادٌ تقعُ وراءَ طبرستانَ سنة (٤٧٠هـ) وتُوفِّي ليلةَ السبتِ بعدَ العشاءِ الأخيرِ في (١١) مِنْ شهرِ ربيعِ الآخِرِ سنةَ (٥٦١هـ) ودُفِنَ بمدرسَتِه ببابِ الأزج في بغداد، ومعنى جُنْكِي دَوْسَتْ أي الذي يحب الجهاد، وهو لقب لـ(موسى).

ثُمَّ يلتفِتُ عن يمينِه ويقولُ: لا إله إِلَّا اللهُ، ما شاءَ اللهُ، لا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العليِّ العظيم، ثُمَّ يقول: لا تُبْدِ أَخبارَنا، ولا تَهْتِكْ أستارَنا، ولا تُؤاخذْنا بسُوءِ أعمالِنا، لا تُحْيِنَا في غفْلَةٍ، ولا تأخُذْنا على غِرَّةٍ، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

ثُمَّ يَشْرَعُ في الكلامِ بما يفتَحُ اللهُ على لسانِه مِنْ فتوحِ الغَيبِ مِنْ غيرِ تقريرٍ ولا تعبيةٍ بكلامٍ، وفي النَّادرِ مِنَ المجالسِ يكونُ قد حَفِظَ خبَراً عن رسُولِ الله ﷺ، أو كلمةِ حِكْمَةٍ مِنْ كلامِ الحُكَماء مِنْ جُملةِ ما يُقرأُ عليه، فيبدأُ بذكرِ ذلكَ تَبرُّكاً به، ويشرعُ ويَبني الكلامَ عليه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ حقيقةٍ لا تشهدُ لها الشريعةُ فهي زندقةٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا غلامُ إيَّاكَ والحسدَ ، فإنَّه بئسَ القرينُ ، وهو الذي خَرَّبَ بيتَ إبليسَ وأَهلَكَه ، وجعَلَه من أهلِ النارِ ، وجعَلَه ملعونَ الحقِّ عزَّ وجلَّ وملائكتِهِ وأنبيائِهِ وخَلْقِه.

إذا أَطْعَمْتَ طعامَكَ للمُتّقي وساعدْتَهُ في أمرِ دُنياه كُنْتَ شريكَه فيما يعمَلُ، ولا ينقصُ مِنْ أجرِهِ شيءٌ، لأنّكَ عاونْتَهُ في قصْدِه، ورفعْتَ عنْهُ أثقالَه، وأسْرَعْتَ خُطاَه إلى ربِّهِ عزَّ وجلَّ، وإذا أطْعَمْتَ طعامَكَ لمنافقٍ مُرَاءٍ عَاصٍ وساعدْتَه في أُمُورِ دُنياه كُنتَ شريكاً فيما يعمَلُ ولا ينقصُ مِنْ عقوبَتِه شيءٌ، لأنَّكَ أعنْتَهُ على معصيَةِ الحقِّ عزَّ وجلَّ فيرجعُ شرُّهُ إليك.

يا جَاهِلاً تعلَّمِ العِلْمَ، فلا خَيْرَ في عبادةٍ بِلا عِلْمٍ، ولا خيرَ في إيقانٍ بلا عِلْمٍ.

تَعَلَّمْ واعمَلْ، فإِنَّكَ تُفلِحُ دُنيا وأُخرى، إذا لَمْ يَكُنْ لكَ صبرٌ على تحصيلِ العِلْمِ والعمَلِ به كيفَ تُفلِحُ؟ العِلْمُ إذا أعطَيْتَه كُلَّكَ أعطَاكَ بعضه. قيلَ لبعضِ العُلماءِ رحمةُ اللهِ عليه: بِمَ نِلْتَ هذا العِلمَ الذي معَكَ؟ فقال: بباكُورةِ الغُرَابِ، وبِصَبْرِ الجَمَلِ، وبِحِرْصِ الخِنْزير، وبِتَمَلُّقِ الكَلْبِ، كُنتُ أُبَكِّرُ على أبوابِ العُلماءِ كما يُبَكِّرُ الغُرابُ إلى الطَّيَرَانِ، وكُنْتُ أَصْبِرُ على أَثْقالِهِمْ كصَبْرِ الجَمَلِ على الأثْقالِ، وكُنْتُ أحرِصُ على طلَبِ العِلْمِ كحِرْصِ الخِنْزير على شَيءٍ يأكُلُه، وكُنْتُ أتَمَلَّقُ لهُمْ كتَمَلُّقِ الكَلْبِ ببابِ دارِ صاحِبِه حتى يُطعِمَهُ شيئاً .

يا طالِبَ العِلْمِ اسمَعْ مقالةَ هذا العَالِمِ العامِلِ بعلمِهِ، المُخْلِصِ في عَمَلِه، الصابِرِ على تَعْلِيمِه لِحَقِّ رَبِّهِ عزَّ وَجَلَّ لا موتَ له، لأنَّهُ إذا ماتَ الْتَحَقَ بربِّهِ عزَّ وجَلَّ فدَامَتْ حياتُه مَعَه، اللهُمَّ ارزُقْنا العِلْمَ والإخلاصَ فيه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتَّشْتُ الأعمالَ كُلَّها فما وجَدْتُ فيها أفضلَ مِنْ إطعامِ الطعام، أودُّ لو كانتِ الدُّنيا بيدي فأُطْعِمُها الجياعَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا وجدتَ في قلبِكَ بغضَ شخْصٍ أو حُبَّه فاعرِضْ أعمالَه على الكتابِ والسُّنَّةِ، فإنْ كانت مكروهةً فيهما فاكْرَهْهُ، وإنْ كانتْ محبوبةً فيهما فأَحْبِبْهُ كيلا تُحِبَّه بهواك، أو تُبْغِضَه بهواك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيْحَكَ) عُمرُكَ يذوبُ وما عِنْدَكَ خَبَرٌ، إلى متى هذا الإعراضِ عَنِ الآخِرَةِ والإقبالِ على الدُّنيا. (وَيْحَكَ) رِزْقُكَ لا يأكلُه غيرُك، موضعُكَ مِنَ الجَنَّةِ والنَّارِ لا يسكنُهُ غيرُكَ، قد مَلَكَتْكَ الغَفْلَةُ وأسَرَكَ الهوى، كُلُّ هَمِّكَ في الأكلِ، والشُّربِ، والنِّكاحِ، والنَّومِ، وبلوغِ أغراضِكَ، همُّكَ هَمُّ الكُفَّار والمنافقين .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا مسكينُ ابْكِ على نفسِكَ، يمُوتُ ولدُكَ، تقُومُ القيامةُ عليكَ، يموتُ دِينُكَ ولا تُبالي ولا تبكي عليه، الملائكةُ المُوَكَّلُون بكَ يَبْكونَ عليكَ لِمَا يرَونَ مِنْ خُسْرَانِكَ في بضاعةِ دِينِكَ، مَا لَكَ عَقْلٌ ؟ !، لو كانَ لَكَ عقْلٌ بَكيتَ على ذهابِ دِينِكَ، معكَ رأسُ مالٍ وأنتَ لا تَتَّجرُ به؛ هذا العقلُ والحَياءُ هُمَا رأسُ المالِ وأنتَ ما تُحْسِنُ أن تَتّجِرَ بِهِمَا، عِلْمٌ لا تعْمَلُ به، وعَقْلٌ لا تنتفِعُ به، وحياةٌ لا تُفِيدُ، كبيتٍ لا يُسْكَنُ، وكَنْزٍ لا يُعْرَفُ، وطَعامٍ لا يُؤكَلُ، إذا كُنتَ لا تعرِفُ ما أنتَ فيه فأَنا أعْرِفُ، معي مِرآةُ الشَّرْعِ الذي هُو الحُكْمُ الظَّاهِرُ، ومِرآةُ العِلْمِ باللهِ عزَّ وجلَّ الذي هو العِلْمُ الباطِنُ ، انْتَبِه مِنْ نَومِ الغفْلَةِ، واغسِلْ وجهَكَ بماءِ اليَقَظةِ، فانظُرْ ما أنتَ؟ مُسلمٌ أو كافرٌ؟ مُؤمنٌ أو مُنافقٌ؟ مُوحِّدٌ أو مُشرِكٌ؟ مُرَاءٍ أو مُخلِصٌ؟ مُوافِقٌ أو مُخالِفٌ؟ رَاضٍ أو ساخِطٌ؟ الحَقُّ عزَّ وجلَّ لا يُبالي بكَ، رضيتَ أم سخطْتَ، ضَرَرُ هذا ومنفعَتُه عَائِدَانِ إليكَ، سُبحانَ الكريمِ الحليمِ المتفضِّلِ، الكُلُّ تحتَ لُطْفِهِ وفضْلِه، لو لم يَلْطُفْ بِنَا لهَلَكْنا، لو قَابَلَ كُلُّ واحدٍ مِنَّا حقيقةَ المُقَابَلَةِ على فِعْلِه لهلَكْنا أجْمَعُ.

وسأَلَه سائلٌ: كيفَ أُخْرِجُ حُبَّ الدنيا مِنْ قلبي؟ .

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انْظُرْ إلى تَقلُّبِها بأربابِهَا وأبنائِهَا، كيف تحتالُ عليهِمْ، وتتلهَّى بهِمْ، وتُعَدِّيهم خَلْفَها، ثُمَّ تُرَقِّيهِمْ مِنْ درجَةٍ إلى دَرَجَةٍ حتى تُعليهِمْ على الخَلْقِ وتُمكِّنَهم مِنْ رقابِهِمْ، وتُظْهِرُ كُنُوزَها وعجائِبَها، فبينما هُمْ فرِحُون بعُلوِّهِمْ وتمكُّنِهم وطيبِ عَيْشِهم وخدمَتِها لهم، إذ أَخَذَتْهُمْ وقيَّدَتْهم وغرَّتْهُم وأرمَتْ بهِمْ مِنْ ذلك العُلوِّ على رُؤوسِهِمْ، فتقطَّعُوا وتمزَّقُوا وأُهْلِكُوا، وهيَ واقِفَةٌ تضحَكُ بهِمْ، وإبليسُ إلى جَنبِهَا يضْحَكُ معها. هذا فِعْلُهَا بكثيرٍ مِنَ السَّلاطينِ والمُلُوكِ والأغنياءِ مِنْ لدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يومِ القيامة، بذلكَ تَرْفَعُ ثُمَّ تضَعُ، تُقَدِّمُ ثُمَّ تُؤخِّرُ، تُغْنِي ثُمَّ تُفْقِرُ، تُدني ثُمَّ تذبَحُ، والنَّادرُ منهُمْ يَسْلَمُ منها ويغْلِبُها ولا تغْلِبُه، ويُعَانُ عليها ويَسْلَمُ مِنْ شرِّها، وهُمْ آحَادُ أفرَادٍ، إنما يسلَمُ مِنْ شرِّها مَنْ عَرَفَهَا، واشْتَدَّ حِذْرُه منها، ومِنْ حِيَلِهَا.

... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُخاطباً السائلَ الذي سأله: يا سَائِلُ إنْ نظَرْتَ بعينَيْ قلبِكَ إلى عُيوبِهَا قدَرْتَ على إخراجِها منه، وإنْ نظَرْتَ إليها بعينَيْ رأسِك اشتغَلْتَ بزينَتِهَا عن عُيُوبِهَا، ولَمْ تَقْدِرْ على إخراجِها مِنْ قلبِكَ والزُّهدِ فيها، وتقتُلُكَ كَمَا قتَلَتْ غيرَكَ. جَاهِدْ نفْسَكَ حَتَّى تَطْمَئِنَ، فإذا اطْمَأَنَّتْ عَرَفْتَ عيوبَ الدُّنيا وزَهدْتَ فيها، طمأنينتُهَا أنَّها تُقْبِلُ مِنَ القلبِ، وتوافِقُ السِّرَّ، وتُطيعُهما فيما يأمُرَانِ به، وينهيانِ عنه، وتقنعُ بعطائِهما، وتصبِرُ على منعِهما، إذا صَارَتْ مُطمئنَّةً انْضَافَتْ إلى القلْبِ وسَكَنَتْ إليه، نَرى تاجَ التَّقوى على رأسِه وخِلَعَ القُرْبِ عليه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُنْ عَاقِلاً ولا تكْذِبْ، تقول: أنا خَائِفٌ مِنَ اللهِ عزّ وجلَّ وأنتَ تخَافُ مِنْ غيره، لا تَخَفْ جِنيّاً ولا إنسيّاً ولا مَلِكاً، ولا تَخَفْ شيئاً مِنَ الحيواناتِ النَّاطِقَةِ والصَّامتةِ، لا تَخَفْ مِنْ عذَابِ الدُّنيا، ولا تَخَفْ مِنْ عذَابِ الآخرة، وإِنَّمَا تخافُ مِنَ المعذِّبِ بالعذَاب.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ وقَعَ في عِرْضِ وَلِيٍّ ابْتَلاَهُ اللهُ بِمَوتِ القَلْبِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَنيتُ أمري على الصدْقِ، وذلك أني خرجتُ مِنْ مكةَ إلى بغدادَ أَطلُبُ العِلم، فأعطَتْني أُمي أربعينَ ديناراً وعَاهَدَتْنِي على الصِّدق، فلمَّا وصَلْنا أرضَ هَمَدَان، خرَجَ علينا عرَبٌ فأخَذُوا القافلةَ، فمَرَّ واحدٌ منهم وَقَالَ: ما معَكَ؟ فأخبَرْتُه. فأخَذَني إلى كبيرِهِمْ،

فسألني فأخبَرتُه. فقال: ما حمَلَكَ على الصِّدق؟ قلت: عاهَدَتْني أُمي على الصِّدْقِ فأخافُ أن أخُونَ عهدَها، فصاحَ ومزَّقَ ثيابَهُ، وَقَالَ: أنتَ تخافُ أن تخُونَ عهدَ أُمِّكَ وأنا لا أخافُ أن أخُونَ عهدَ الله ، ثُمَّ أمَرَ بردِّ ما أخذوهُ مِنَ القافلةِ وَقَالَ: أنا تائِبٌ للهِ على يديكَ، فقالَ مَنْ معَهُ: أنتَ كبيرُنا في قطْعِ الطريق، وأنتَ اليومَ كبيرُنا في التوبةِ. فتَابُوا جميعاً ببَركةِ الصِّدق.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاعتراضُ على الحقِّ عزّ وجلَّ عند نُزُولِ الأقدارِ موتُ الدِّين، موتُ التّوحيدِ، موتُ التّوكُّلِ والإخلاصِ. والقلبُ المؤمنُ لا يعرفُ (لِمَ) و(كيف)، بل يقولُ: بلى النَّفسُ كُلُّها مخالفةٌ منازعةٌ، فمَنْ أرادَ صلاحَها فليجاهِدْها حتى يأمَنَ شرَّها، كلُّها شرٌّ في شرٍّ، فإذا جُوهِدَتْ واطمأنَّتْ صَارَتْ كلُّها خيراً في خيرٍ، تصيرُ موافقةً في جميعِ الطاعاتِ وفي تَرْكِ جميعِ المعاصي، فحينئذٍ يُقالُ لَها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧-٢٨].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يا مسْكِينُ) دَعْ عنْكَ الكلامَ فيما لا ينفعُكَ، اترُكِ التَّعصُّبَ في المذْهَبِ، واشتغِلْ بشيءٍ ينفعُكَ في الدُّنيا والآخرةِ، سترَى عن قريبٍ خبرَكَ، وتَذَكَّرْ كَلامِي، سوفَ ترى عند الطَّعانِ وليسَ على رأسِكَ خودَةٌ، إيشْ يَتِمُّ عليه مِنَ الجراحاتِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يا غلامُ) صُحبتُكَ للأشرارِ تُوقِعُكَ في سُوءِ الظَّنِّ بالأخيارِ، امْشِ تحتَ ظِلِّ كتابِ الله عزّ وجَلَّ، وسُنَّةِ رسولِه ﷺ وقد أفلَحْتَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْزَمُوا مُوافقةَ الحقِّ عزَّ وجلَّ في البأساءِ والضرَّاءِ، والفَقْرِ والغِنَى، والشدَّةِ والرَّخاءِ، في السَّقمِ والعافيةِ، في الخيرِ والشَّرِّ، في العَطَاءِ والمنعِ، ما أرى لكم دواءً إلا التَّسليمَ إلى الْحَقِّ عزّ وجلَّ. إذا قضَى عليكم بشيءٍ لا تستوحِشُوا منه، ولا تُنازعُوه فيه ولا تشكوا منه إلى غيرِه، فإنَّ ذلك مِمَّا يزيدُكم بلاءً بل سُكُوناً وسُكُوتاً وخُمُولاً، اثبتُوا بين يديه وانظروا ماذا يعملُ فيكم وبكم تفرحوا على تغييرِه وتبديلِه إذا كنتم معَه هكذا لا جُرْمَ يُغيِّرُ الوحشةَ بالأُنسِ، والتّوحيدَ بالفرحة به. اللهُمَّ اجعلْنا في جنابِك ومعَكَ و﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يـاقومُ) إذا حضرْتُم مجالسَ الـذِّكرِ تحضرُونها للفُرجَةِ لا للمُـداواةِ؛ تُعْرِضـونَ عـن وعْظِ الـوَاعِظِ، وتحفظـونَ عليـه الخطأَ والزَّلَـلَ، وتـستَهْزؤونَ، وتـضْحَكُونَ، وتلعبُونَ، أنتُمْ مُخاطِرُونَ، أَنْتُمْ برؤوسِكُم معَ الله عزَّ وجلَّ، تُوبوا مِنْ هذا، ولا تَتَشَبَّهُوا بأعدَاءِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، وانتفِعُوا بِمَا تَسْمَعُونَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ياغلامُ) إذا صَحَّتْ خَلْوَتُكَ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ، دهَشَ سِرُّكَ، وصفَا قلبُكَ، يصيرُ نظَرُكَ عِبَراً، وقلبُك فِكْرَاً، ورُوحُكَ ومعناكَ إلى الحقِّ عزَّ وجلَّ واصِلاً، التَّفكُّرُ في الدُّنيا عُقُوبةٌ وحِجَابٌ، والتّفكُّرُ في الآخرةِ عِلمٌ وحياةٌ للقلبِ، ما أُعْطِيَ عبدٌ التّفكُّرَ إِلَّا أُعْطِيَ العِلْمَ بأحوالِ الدُّنيا والآخرة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فِقْهُ اللِّسانِ بِلا عَمَلِ القَلْبِ لا يُخطِّيكَ خُطْوةً، السَّيْرُ سَيرُ القلْبِ، القُرْبُ قُرْبُ الأسرار، العَمَلُ عَمَلُ المعَانِي، معَ حِفْظِ حُدُودِ الشَّرْعِ بالجوارحِ، والتَّوَاضُعِ للهِ عزَّ وجلَّ لعبادِه، مَنْ جعَلَ لنفسِهِ وَزْناً فلا وزنَ له، مَنْ أظهَرَ أعمالَه للخلْقِ فلا عمَلَ له، الأعمالُ تكونُ في الخَلَوَاتِ، لا تَظْهَرُ في الجَلَوَاتِ، سِوى الفرائضِ التي لا بُدَّ مِنْ إظهارِها، قد سبَقَ تفريطُكَ في إحكامِكَ للأسَاسِ، ما ينفعُكَ إحكامُكَ للبِناءِ الذي فوقَه، إذا تغيَّرَ البِناءُ والأسَاسُ مُحكَمٌ قدَرْتَ أن تَجبُرَ البِنَاءَ، أساسُ الأعمالِ التّوحيدِ والإخلاصِ، فمَنْ لا توحيدَ له ولا إخلاصَ له لا عَمَلَ له، أَحْكِمْ أَساسَ عمَلِكَ بالتَّوحيدِ والإخلاصِ، ثُمَّ ابْنِ الأعمالَ بِحَولِ اللهِ عزّ وجلَّ وقُوّتِه، لا بِحَولِكَ وقُوَّتِك. يدُ التَّوحيدِ هي البانيةُ، لا يدُ الشِّرْكِ والنِّفاقِ، الموحِّدُ هو الذي يرتفعُ قَدْرُ عمَلِه، أَمَّا المنافِقُ فلا. اللهُمَّ باعِدْ بيننا وبين النفاقِ في جميعِ أحوالِنا. و﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المُرائي ثوبُه نظيفٌ، وقلبُه نجِسٌ، يزهَدُ في المبَاحَاتِ، ويَكْسَلُ عَنِ الاكْتِسَابِ، ويأكُلُ بدِينِهِ، ولا يتورَّعُ جُملَةً، يأكُلُ الحرامَ الصريحَ، يَخْفَى أمرُه على العَوَامِّ، ولا يَخْفَى على الخَوَاصِّ، كلُّ زُهدِه وطاعتِه على ظاهِرِه، ظاهِرُهُ عامِرٌ وباطنُهُ خَرَابٌ، وَيْلَكْ طاعةُ اللهِ عزَّ وجلَّ بالقلبِ لا بالقَالِبِ، كلُّ هذه الأشياءِ تتعلَّقُ بالقلوبِ والأسرارِ والمعَاني، تعَرَّ مِمَّا أنتَ فيه حتى آخُذَ لَكْ مِنَ الحَقِّ عزَّ وجل كسوةً لا تَبْلَى، عوِّضْ، اخْلَعْ أنتَ حَتَّى يكسوكَ هو،

اخْلَعْ ثيابَ توانيكَ في حُقُوقِ الله عزّ وجل، اخْلَعْ ثيابَ وُقُوفِكَ معَ الخَلْقِ وشِرْكِكَ بهِمْ، اخْلَعْ ثيابَ الشهواتِ والرُّعُونَاتِ، والعُجْبِ والنِّفَاقِ، وحُبِّكَ للقبولِ عِنْدَ الخَلْقِ، وإقبالِهم عليك، وعطَايَاهم لَكْ، اخْلَعْ ثياب الدُّنيا، والْبَسْ ثيابَ الآخرة، انْخَلِعْ مِنْ حَولِكَ وقُوّتِكَ ووُجُودِكَ، واسْتَطْرِحْ بين يدي الحقِّ عزّ وجل بلا حَولَ ولا قُوّةَ ولا وُقُوفَ معَ سَبَب، ولا شِرْكَ بشيءٍ مِنَ المخلوقات، فإذا فَعَلْتَ هذا رأيتَ ألطافَه حَوَاليكَ تأتيك، رحمتَه تجمَعُك، ونعمتَه ومِنَّته تكسُوك، وتضمُّك إليها، اهْرُبْ إليه، انْقَطِعْ إليه عرياناً بلا أنتَ ولا غيرُك، سِرْ إليه مُنقطِعاً مُنْفَصِلاً عَنْ غيره، سِرْ إليه مُتفَرِّقاً مُفارِقاً حتى يَجمعَكَ ويُوصِلَكْ بقُوَى ظاهرِكَ وباطنِكَ، حَتَّى لو أَغْلَقَ الأكوانَ عليك وحمّلَكَ جميعَ الأثقال لا يضرُّك ذلك بل يحفظُك فيه. مَنْ أَفْنَى الخَلْقَ بيدِ توحيدِهْ، وأفنَى الدُّنيا بيدِ زُهدِه، وأفنَى ما سِوى ربِّه عزَّ وجل بيدِ الرَّغبة فقَدِ اسْتَكْمَلَ الصلاح والنَّجَاحْ، وحَظِيَ بخَيْرِ الدنيا والآخرة. عليكم بإِمَاتَةِ نُفُوسكم وأهويتكم وشياطينكم قبل أن تَمُوتُوا. عليكم بالموتِ الخَاصْ، قبلَ الموت العَامِّ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**يا قوم**) تابعوا حتَّى تتابعوا، اخْدُمُوا حَتَّى تُخْدَمُوا، تابِعُوا الأفضليّة والأقدار، واخدمُوها حتى يُتابِعُوكُمْ ويَخْدُمُوكُمْ، ذِلّوا لها حتى تُذَلَّ لَكُمْ، أَمَا سمعتم: (كما تَدِينُ تُدَانُ) ، (كما تكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ)، أعمالكم أعمالكم- الحق عزّ وجل ليسَ بظلاَّمٍ للعبيد، يُجَازِي على القليلِ بالكثير، الصحيح لا يُسَمِّيه فَاسِدا، والصَّادق لا يُسمِّيهِ كَاذِبا.

(**ويحك**) كيف تُفسِدُ آخرتك بدُنياك؟ كيف تُفسِدُ طاعة مولاك عزّ وجل بطاعةِ نفسك وهوَاك وشيطانِك والخَلْقِ؟ كيف تُفسِدُ تقوَاك بشكوَاك إلى غيره؟ أمَا تعلَمْ أنَّ الله عزّ وجل حافظ للمتقين وناصر لهم، ورادّ عنهم ومُعلِّمٌ لهم، ومُعرِّفهم بنفسه، وآخِذٌ بأيديهِمْ ويُنجِّيهِمْ مِنَ المكارِه، وناظِرٌ إلى قلُوبهِمْ، ورازقهم مِنْ حيث لا يحتسِبُون؟ قال الله عزّ وجل في بعضِ كتبه: (يا ابن آدَمَ استحِ مِنِّي كما تستحي مِنْ جَارِكَ الصالح) قال النبي ﷺ: (إذا أَغْلَقَ العَبْدُ أَبْوابَهُ، وأَرْخَى أَسْتَارَهُ، واختَفَى مِنَ الخَلْقِ، وخَلاَ بِمَعاصِي اللهِ عزَّ وجَلَّ يقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: (يا ابنَ آدمَ جعَلْتَني أهْوَنَ النَّاظِرينَ إِلَيْكَ).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: عن النبي ﷺ: (أَنَا والأتقياء مِنْ أُمَّتِي بُرَآءُ مِنَ التَّكَلُّفِ)(١). التَّقيُّ: لا يتكلَّفُ عِبَادَةَ الحَقِّ عزَّ وجلَّ لأنَّها صَارَتْ طبعَهُ، فهو يعبدُ اللهَ بظاهِرِه وباطنِهِ مِن غَيرِ تكلُّفٍ منه. وأَمَّا المُنافقُ: فهو في كُلِّ أحوالِه فيتكلَّفُ، ولا سيَّما في عبادةِ الحَقِّ عزَّ وجلَّ، يتكلَّفُها ظاهراً ويتركُها باطِناً، لا يقدِرُ أن يدخلَ مَدْخَلَ المُتَّقينَ، لِكُلِّ مكانٍ مقالٌ، ولِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ، للحربِ رجالٌ خُلِقَتْ. يا مُنافقونَ تُوبُوا مِن نفاقِكم، وارجِعُوا مِنْ إباقِكم، كيف تتركُونَ الشيطانَ يضحَكُ عليكم، ويشتفِي بكم؟ إنْ صَلَّيتُم وإنْ صُمْتُم فعلتُم ذلك للخَلْقِ لا للحقِّ عزَّ وجلَّ، وهكذا إنْ تصدَّقْتُم وزكَّيتُم وحَجَجْتُم. أنتُمْ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ٣﴾ [الغاشية:٣]، عن قَريبٍ تَصْلونَ ناراً حاميةً. إنْ لم تَتَداركُوا وتَتُوبُوا وتَعْتَذَرُوا. عليكُم بالاتِّباعِ مِن غيرِ ابتداعٍ، عليكُم بمذهبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. امْشُوا في الجَادَّةِ المُسْتَقِيمةِ، لا تشبيهَ ولا تعطيلَ، بلْ اتباعاً لسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تكلُّفٍ ولا تَطَبُّعٍ ولا تشَدُّدٍ ولا تَمَشْدُقٍ ولا تَمَعْقُلٍ، يَسَعُكُم ما وَسِعَ مَنْ كَانَ قبلكم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: (**يا غُلامُ**) إذا تكلَّمْتَ فتكلَّمْ بنيّةٍ صالحةٍ، وإذا سكَتَّ فاسْكُتْ بنيّةٍ صالحةٍ، كُلُّ مَنْ لَمْ يُقدِّمِ النيَّةَ قبلَ العَمَلِ فلا عَمَلَ له، أنتَ إنْ تكلَّمتَ أو سَكَتَّ فأَنتَ في ذنبٍ، لأنّكَ لا تُصحِّحْ نيّتَكَ، سكوتُك وكلامُك بغيرِ السُّنّةِ، عندَ تغييرِ الأحوالِ وضيقةِ الأرزاقِ تتغيّرونَ عليه لأجْلِ اللُّقمةِ، وعند كسْرِ عِرضٍ تكْفُرون كلَّ نعمةٍ لأجلِ زوالِ فرْدِ نعمةٍ، كأنَّكُم جَبَّارونَ تتحَكَّمُون عليه، افْعَلْ ولا تفعَلْ، ولِمَ فعَلْتَ؟ وكانَ ينْبغِي أن يكُونَ كذا، هذا بُعدٌ ومَقْتٌ وطرْدٌ، مَنْ أنتَ يا ابنَ آدَمْ؟ أنتَ مخلوقٌ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، تواضَعْ لربِّكَ عزّ وجلَّ وذِلَّ له، إذا لم يكُنْ تقوى فلَسْتَ بكريمٍ عند اللهِ عزَّ وجَلَّ ولا عِنْدَ عبادِه الصالحين، الدُّنيا حِكْمةٌ، والآخرةُ كُلُّها قُدْرةٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: (**يا غُلامُ**) لا تُنْكِرْ على غيرِكَ بنفْسِكَ وهواكَ، بل أَنْكِرْ عليه بإيمانِك، الإيمانُ هو المُنْكِرُ، واليقينُ هو المُزِيلُ، والرَّبُّ عزّ وجلَّ هو النَّاصِرُ، ينصُرُكَ ويُباهي بك، قال

(١) رواه ابن عساكر (٣٥/ ٢٧٨)، والدَّيلمي (٢٢٨) بلفظ: (أني بريءٌ مِنَ التكلُّف وصالح أُمّتي).

الله عزّ وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٠]. ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]. إذا أَنْكَرْتَ مُنْكراً غَيْرَةً للهِ أعانَك على إزالَتِه ونَصَرَكَ على أهلِه وذَلَّهُمْ لَكَ، وإذا أنكرْتَه بنفسِكَ وهَوَاكَ وشَيطَانِكَ وطَبْعِكَ خَذَلَكَ ولم ينصُرْكَ على أهلِه، ولم تقْدِرْ على إزالَتِه، الإيمانُ هو المُنْكِرُ، فكلُّ مُنكِرٍ لا يكونُ إنكارُه بالإيمانِ فليسَ بمنكِرٍ، أنتَ تُريد أنْ يكونَ للهِ عزّ وجلَّ لا لخلْقِه، لِدِينِه لا لنفْسِكَ، لَهُ لا لَكَ، دَعْ عنكَ الهَوَسَ، واخلُصْ في أعمالِكَ، الموتُ على رصَدٍ مِنكَ لا بُدَّ لكَ مِنَ العُبُورِ على قنْطَرتِه، دَعْ عنكَ هذا الحِرصَ الذي قد فضَحَكَ، ما هو لَكَ لا بُدَّ أنْ يأتيَكَ، وما هو لغيرِك لا يأتِيكَ، فاشتغِلْ بالله عزَّ وجل واترُكْ طَلَبَ ما لَكَ ومَا لغيرِك، قال اللهُ عزَّ وجَلَّ لنبيِّهِ ﷺ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:١٣١]، أشدُّ الأَشياءِ على مَنْ عرَفَ اللهَ عزَّ وجل النُّطقُ مَعَ الخَلْقِ والقُعودُ معهم، ولهذا يكونُ أَلْفُ عَارِفٍ والمتكلِّمُ فيهِمْ وَاحِدٌ، إلَّا أنه يحتاجُ إلى قُوّةِ الأنبياءِ عَلَيهِمُ السَّلَامُ، وكيفَ لا يحتاجُ إلى قوّتِهِمْ وهو يُريدُ أن يقعدَ بينَ أجناسِ الخَلْقِ يُخالطُ مَنْ يَعْقِلُ، ومَنْ لا يَعْقِلُ، يقعدُ مَعَ مُنافقٍ ومُؤمنٍ، فهو على مُقَاسَاةٍ عظيمةٍ صابرٍ على ما يُكرَهُ، ومعَ ذلك فهو محفُوظٌ فيما هو فيه مُعَانٌ عليه، لأنَّه مُمتثِلٌ لأمرِ الحَقِّ عزَّ وجَلَّ، في كلامِه على الخَلْقِ لَمْ يتكلَّمْ بنفسِهِ وهَوَاه واختيارِه وإرادتِه، إنَّما أُجبِرَ على الكلامِ فلا جرمَ يحفظُ فيه.

إنْ أَرَدْتَ أن تعرِفَ اللهَ عزَّ وجلَّ فأَسْقِطْ قدْرَ الخَلْقِ مِنْ قلبِكَ فيما يلي الضُّرَّ والنَّفعَ فإنَّكَ ما تعرِفُه إلَّا بذلك.

(**وَيْحَكَ**) الدُّنيا في اليدِ يجوزُ، في الجيبِ يجوزُ ادِّخارُها، السببُ بنيّةٍ صالحةٍ يجوزُ، أَمَّا في القلْبِ فلا يجوزُ. وُقُوفُها على البابِ يجوزُ، أَمَّا دخُولُها إلى ما وراءِ البابِ لا، ولا كرَامَةَ لَكَ، إذا أَفْنَى هذا العبدُ عنه وعَنِ الخَلْقِ صارَ كأنَّهُ مفقودٌ ممحوٌّ، لا يَتَغَيَّرُ باطنُه عِنْدَ مجيءِ الآفاتِ، يُوجدُ عند مجيءِ أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ فيمْتَثِلُهُ، وعندَ مجيءِ نهيِهِ فينتهي عنه، لا يتمنَّى شيئاً ولا يَحرِصُ على شيءٍ، يردُّ التَّكوينَ إلى قلبِه، يُسلِّمُ إليه تقليبَ الأعيانِ، أينَ أنتُمْ وهُمْ ؟، يا خَوَنةً في العِلمِ والعَمَلِ، يا أعداءَ اللهِ ورسولِه، يا قاطعي عبادِ اللهِ عزَّ وجلَّ، أنتُم في ظُلْمٍ ظَاهِرٍ، ونِفَاقٍ ظَاهِرٍ،

هذا النِّفَاقُ إلى متى يا عُلَمَاءُ وَيَا زُهَّادُ؟ كَمْ تُنَافِقونَ الملوكَ والسلاطينَ حتى تأخذُوا منهم حُطَامَ الدُّنيا وشهواتِها ولَذَّاتِها؟ أنتُمْ وأكثرُ الملوكِ في هذا الزَّمانِ ظَلَمَةٌ خَوَنَةٌ في ما لله عزَّ وجلَّ في عِبَادِهْ. اللَّهُمَّ اكْسِرْ شَوكَةَ المنافقينَ واخْذُلْهُمْ أَوْ تُبْ عليهِمْ، واقْمَعِ الظَّلَمَة وطَهِّرِ الأَرْضَ منهُمْ أو أَصْلِحْهُم آمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: التّواضُعُ وحُسنُ الأَدَبِ يُقرِّبُك، والتّكبُّرُ وسُوءُ الأدَبِ يُبعدُك، الطاعةُ تُصلِحُكَ وتُقرِّبُكَ، والمعصيةُ تُفْسِدُك وتُبْعِدُكَ.

(**يا غُلامُ**) لا تَبِع الدِّينَ بالتِّينِ، ولا تَبِعْ دِينَكَ بتِينِ السَّلاطينِ والملوكِ والأغنياءِ وأَكَلَةِ الحَرَامِ، إذا أَكَلْتَ بدينِكَ اسْودَّ قلبُكَ، وكيفَ لا يسْودُّ وأنتَ تعبدُ الخَلْقَ؟ يا مَخْذُولُ، لو كانَ في قلبِك نُورٌ لفَرَّقْتَ بين الحرامِ والشُّبهةِ والمباحِ، وبينَ ما يُسوِّدُ قلبَكَ ويُنوِّرُه، وبين ما يُقرِّبُ قلبَكَ ويُبْعِدُه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أنتَ ميِّتُ القلْبِ و صُحبتُكَ أيضاً لموتَى القُلُوبِ، عليكَ بالأحياءِ النُّجباءِ البُدَلاءِ، أنتَ قَبْرٌ تأتي قَبراً مِثْلَك، ميتٌ تأتي مَيتاً مثلَكَ، أنتَ زمِنٌ يقودُكَ زمِنٌ مثلُكَ، أعمَى يقودُك أعمى مثلُكَ، اصْحَبِ المؤمنينَ الموقنينَ الصالحينَ واصْبِرْ على كلامِهِمْ، واقْبَلْهُ واعْمَلْ به وقد أَفْلَحْتَ، اسْمَعْ قولَ الشيوخِ واعْمَلْ به، واحترمْهُم إنْ أردتَ الفَلاحَ، كَانَ لي شيخٌ كُلَّما أشكَلَ عَلَيَّ وخَطَرَ بقلبي يُحدِّثُني به ولا يُحُوجُني إلى الكلامِ، فكانَ ذلك لاحترامي وحُسْنِ أدَبِي معَه، ما صحِبْتُ قَطُّ الشيوخَ إلَّا بالاحترامِ وحُسْنِ الأدَبِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَمْ تَتَعَلَّمُ وَلَا تَعْمَلُ، اطْوِ ديوانَ العِلْمِ ثُمَّ اشْتَغِلْ بنَشْرِ ديوانِ العَمَلِ معَ الإخلاصِ وإِلَّا فَلا فَلاحَ لَكَ، تتعلَّمُ العِلمَ فحَسْبُ، أنتَ مُجْتَرٍ على الحَقِّ عزَّ وجلَّ بأفعالِكَ، قد أَلْقَيتَ جِلْبابَ الحَياءِ مِنْ عينَيكَ وقد جعلْتَه أهوَنَ النَّاظرينَ إليكَ، أنتَ آخِذٌ بهواك، ومانعٌ بهواك، ومُتحرِّكٌ بهواك، فلا جَرَمَ يُهلِكُكَ هَوَاكَ، اسْتَحِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ في جميعِ أحوالِكَ واعْمَلْ بِحُكْمِهِ، إذا عَمِلْتَ بظَاهِرِ الحُكْمِ أدْنَاكَ العمَلُ إلى العِلْمِ باللهِ عزَّ وجل. اللَّهُمَّ نبِّهْنا مِنْ رَقْدَةِ الغَافِلِينَ ، آمِينَ.

مِن أقوالِ العارفِ باللهِ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ عليٍّ بن أحمدَ الرِّفاعيِّ الحُسَيْنِي(١) (٥١٢-٥٧٨هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يَتِمُّ شرَفُ العِلم للمخلوقِ إلَّا بالعَقْلِ.

وَقَالَ أيضاً: قالَ جماعةٌ بإعلاءِ قَدرِ العِلْمِ على العَقْلِ، ولكنَّ ذلك بالنِّسبةِ إلى اللهِ، لأنَّ العِلمَ صِفَتُهُ تعالى، والعقلَ صِفةُ المخلُوقِ، وأمَّا بالنِّسبةِ إلى عِلْمِنا وعَقْلِنَا فعَقلُنا أجَلُّ مرتبةً وأرفَعُ مَنزِلةً مِنْ عِلْمِنا؛ إذْ لولَا العَقلُ لَمَا تَمَّ لَنَا العِلْمُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أقبَلَ على الدُّنيا وسكَنَ إليها أحْرَقَتْهُ بنيرانِها، وصَارَ رَماداً لا قِيمةَ له، ولَا يُنتفَعُ به، ومَنْ أقْبَلَ على اللهِ تعالى أحْرَقَتْهُ أنوارُ التّوحيدِ، فصَارَ جَوْهَرَةً لا قِيمةَ له.

ولَمَّا سُئِلَ عَنِ المعرفة؟ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنْ تَعْرِفَ اللهَ بِكَمالِ الرُّبُوبيّةِ، وتَعْرِفَ نفْسَكَ بالعُبوديّةِ، وتَعْلَمَ أنَّ اللهَ أوّلُ كلِّ شيءٍ، وبه يقومُ كلُّ شيءٍ، وإليه يصيرُ كلُّ شيءٍ، وعليه رِزْقُ كلِّ شيءٍ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أرَادَ أنْ يعرِفَ قدْرَ معرفتِه باللهِ فلينظُرْ قدْرَ هيبَتِه عندَه في خِدْمَتِه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أقْرَبُ الناسِ إلى اللهِ تعالى مَنْ عَرَفَ نفسَه بالعَجْزِ والذُّلِّ والضُّعْفِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما شَمَّ رائحةَ المعرفةِ مَنِ افتخَرَ بأبيهِ وأُمِّه وخالِه وعَمِّه ومالِه ورِجَالِه(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لو عَبَدَ اللهَ العابِدُ وفيه ذرَّةٌ مِنَ الكِبْرِ فهو مِنْ أعداءِ اللهِ، وأعداءِ رسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) مُؤسّسِ الطريقةِ الرِّفاعيةِ، المولودُ بقريةٍ مِنْ أعمالِ (واسط)، سنةَ (٥١٢هـ)، وتُوُفِّي يومَ الخميسِ (١٢) من شهرِ جُمادى الأُولى سنةَ (٥٧٨هـ) بقريةِ أُمِّ عَبيدةَ بالبَطائحِ.

(٢) ومَنِ افتخرَ على النَّاسِ بنسَبِهِ وبآبائِهِ ذَهَبَتْ بركتهم عنه، لأنَّهم ما كانوا يفتخرون ولا يتكبَّرون على الناس ولو فعلوا ذلك لبَطَلَ فضلهم، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (مَنْ بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) رواه مسلم. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (لينتهينَّ أقوام عَنِ الفخر بآبائِهِمْ أو ليكوننَّ أهوَن على اللهِ تعالى مِنَ الجعلان) رواه أبو داود والترمذي.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثُ خِصالٍ مَنْ كُنَّ فيه لا يكونُ وليّاً إلَّا إذا طهَّره اللهُ مِنْهُنَّ: الحُمْقُ، والعُجْبُ، والبُخْلُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنِ اشتَغَلَ بما لا يَعْنيه فاتَه ما يَعنِيه؛ والأُنسُ بالخَلْقِ انقطاعٌ عَنِ الحَقِّ؛ والأَدَبُ سُنَّةُ الفُقَراءِ ووِراثةُ الأَغْنياءِ.

وسُئِلَ: لماذا تُحْجَبُ إجابَةَ الدَّعوةِ؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقِلَّةِ الحَلالِ.

وسُئِلَ عَنِ الفُتوَّةِ؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي الصَّفْحِ عَنِ عَثَرَاتِ الإخوانِ، وأَلَّا ترى لنفْسِكَ فضلاً على غيرِك.

وأقسَمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجلِسٍ مِنَ مجالِسِه على أصحابِه قائلاً لهم: إنْ كانَ فيه عيبٌ أن يُنبِّهُوه عليه، فقال له الشيخُ عُمرُ الفاروقي: ياسيدي! أنا أعلَمُ فيكَ عَيباً!، قال: وما هو؟ قال: يا سيدي! عيبُك أنَّنا مِنْ أصحابِك. فبَكَى الشيخُ والفقراءُ، وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيْ عمرُ! إنْ سَلِمَ المَركَبُ حَمَلَ مَنْ فيه.

وكانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يقومُ للرُؤساءِ، ويقول: النَّظَرُ إلى وجوهِهم يُقسِّي القَلْبَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الشيخُ باطِنُه الشَّرْعُ، وظاهِرُه الشَّرْعُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أكذبُ النَّاسِ على اللهِ والخَلْقِ مَنْ رأى نفسَه خيراً مِنَ الخَلْقِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقرب الطُّرُق الإنكسارُ، والذُّلُّ والافتقارُ، وتعظيمُ أمرِ الله، والشَّفَقَةُ على خَلْقِ الله، وأن يُقتَدَى بسُنَّةِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الظُّلْمُ حِرْصُ الرَّجُلِ على المَراتِبِ الكاذِبةِ الدُّنيويةِ ومنها: أنْ يُحِبَّ الارتفاعَ على أخيه بكَلِمةٍ، أو جَلْسَةٍ لا حَقَّ لَهُ بها، وعلى ذلك تُقاسُ المراتِبُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نِعْمَ الرَّفيقُ في بلادِ اللهِ تقوى اللهِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لن يَصِلَ العبدُ إلى مَرْتَبَةِ أهلِ الكَمالِ وفيه بقيَّةٌ مِنْ حروفِ (أَنَا).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيتَ الرَّجلَ يَطِيْرُ في الهَوَاءِ فلا تعْتَبِرْهُ حتى تَزِنَه بِمِيْزانِ الشَّرْعِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ طريقةٍ تُخَالِفُ الشريعةَ فهي زَنْدَقَةٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يَتِمُّ نظامُ رَجُلٍ أقامَه اللهُ مَظْهَراً للشَّرِّ، لأنَّ اللهَ لو أَرَادَ أن يُتِمَّ نِظامَه لَمَا أقامَه مَظْهَراً فيما يكْرَهُهُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الزُّهدُ أساسُ الأحوالِ المرضيّةِ، والمراتبِ السَّنيَّةِ، وهو أوّلُ قدَمِ القاصدينَ إلى اللهِ تعالى، والمنقطعينَ إليه والرّاضينَ عنه والمتوكِلينَ عليه فمَن لم يُحْكِمْ أَساسَه في الزُّهدِ لم يصحَّ له شيءٌ مما بعْدَه، والفَقْرُ لباسُ المرسلينَ، وجِلْبَابُ الصالحينَ، وتاجُ المتَّقينَ، ومُنيةُ المُريدينَ، وغنيمةُ العارفينَ، ورِضا ربِّ العالمينَ، وكرامةٌ لأَهلِ وِلَايَتِه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأُنسُ باللهِ تعالى لا يكونُ إلا لعبدٍ قد كَمُلَتْ طهارتُه، وصفا ذِكْرُه، واستوحشَ مِنْ كُلِّ ما يُشغِلُه عَنِ اللهِ تعالى فعندَ ذلكَ آنَسَه اللهُ تعالى به.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طريقتُنا مبنيَّةٌ على ثلاثةِ أشياءَ: لا نَسأَلُ، ولا نَرُدُّ، ولا نَدَّخِرُ.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقولُ: إذا تعلَّمَ أحدُكم شيئاً مِنَ الخيرِ فليُعلِّمْهُ الناسَ، يَثْمُرْ لَهُ الخيرُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ كَمُلَ أَنِفَتْ نفسُه مِنْ كُلِّ شيءٍ غيرَ رَبِّه.

مِنْ أقوالِ العارِفِ باللهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عبدِالسَّلامِ ابنِ مَشِيشِ بن أَبِي بَكْرِ بن عَلِيٍّ الحَسَنِي(١)

(٥٥٩-٦٢٢هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحقَائقِ والوَصَايا: الْزَمِ الطهارةَ مِنَ الشُّكُوكِ كُلَّما أحدثْتَ تطهَّرْتَ، ومِنْ تدنُّسِ الدُّنيا، كُلَّما مِلْتَ إلى شهوةٍ أَصْلَحْتَ بالتوجُّهِ ما أفسدْتَ بالهوى أو كِدْتَ، وعليكَ بمحبّةِ اللهِ على التَّوقيرِ والنَّزَاهةِ.

---

(١) المولودُ سنةَ (٥٥٩هـ) وحَفِظَ القرآنَ الكريمَ بالقراءاتِ السَّبعةِ وعمرُهُ اثنتا عشَرَ سنةً، وتُوُفِّيَ بالمغربِ بجبَلِ العِلْمِ بثغْرِ تَطْوَانَ شهيداً سنةَ (٦٢٢هـ) أو(٦٢٥هـ) على اخْتلافِ الرِّواياتِ على يدِ أَحدِ الدَّجاجلَةِ الذي يُدْعَى أحدُهم بابنِ أَبِي الطَّواجِينِ بتدبيرِ مؤامرةٍ لاغتيالِه كمَنُو لَهُ وهو نازلٌ مِنْ خَلْوَتِه للوُضوءِ والاستعدادِ لصلاةِ الصُّبْحِ فقَتَلُوه.

ومِنْ وصاياهُ لتلميذِه أبي الحسنِ الشَّاذلي رحمهما اللهُ: قالَ له: اللهَ اللهَ والناسَ، نَزِّه لسانَك عن ذِكرِهم، وقلبَك عنِ التماثيلِ من قبلِهم، وقُلْ: اللَّهُمَّ ارحَمْني مِنْ ذِكرِهم، ونجِّني مِنْ شرِّهم، وأغنني بخيرِكَ عن خيرِهم، وتولَّني بالخصوصيّةِ من بينهم، إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيّتِه لتلميذه الشَّاذلي: ياأبا الحسَنِ؛ لا تنقُلْ قدَميكَ إلَّا حيث ترجو ثوابَ الله، ولا تجلِسْ إلَّا حيثُ تأمَنْ غالباً مِنْ معصيةِ اللهِ، ولا تَصْحَبْ إلَّا مَنْ تستعين بهِ على طَاعَةِ الله، ولا تصْطَفِ لنفسِك إلَّا مَنْ تزدادُ به يقيناً، وقليلٌ ما هم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : لا تصحَبْ مَنْ يُؤثِرُ نفسَه عليكَ، فإنَّه سقيمٌ، ولا مَنْ يُؤثرُك على نفسِه فإنه قَلَّ ما يدومُ، واصْحَبْ مَنْ إذا ذُكِرَ ذُكِرَ اللهَ، فإنه يُغْني به إذا شَهِدَ ، وينوبُ عنه إذا فُقِدَ، ذِكْرُه نُورُ القَلْبِ، ومُشاهدَتُه مفاتيحُ الغيوب.

وسألَه تلميذُه أبا الحسَنِ الشّاذِلي عن قولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (يَسِّرُوا ولَا تُعَسِّروا وبَشِّروا ولاَ تُنَفِّروا)[1]، فقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : دُلُّوهُمْ على اللهِ، ولا تَدلُّوهُم على غَيرِه، فإنَّ مَنْ دَلَّكَ على الدُّنيا فقَدْ غَشَّكَ، ومَنْ دَلَّكَ على العَمَلِ فقَدْ أَتْعَبَكَ، ومَنْ دلَّكَ على اللهِ فقَدْ نَصَحَكَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُوصِي رجلاً: فكُنْ للفرائضِ حَافِظاً، ولِلمَعَاصي رَافِضاً ، واحْفَظْ نفْسَكَ مِنْ حُبِّ الدُّنيا، وحُبِّ النِّساءِ، وحُبِّ الجاهِ، وإِيْثَارِ الشَّهواتِ، واقْنَعْ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ، إذا أخرَجَ لكَ مخْرَجَ الرِّضا فكُنْ فيه شَاكِراً، وإذا أخرَجَ لكَ مَخْرَجَ السُّخْطِ فكُنْ عليه صابِراً، وحُبُّ اللهِ قُطْبٌ تَدُورُ عَلَيهِ الخَيْرَاتُ، وأَصْلٌ جامعٌ لأنواعِ الكراماتِ، وحصونُ ذلك كُلِّه في أربعٍ: الورعِ، وحُسْنِ النيّةِ، وإخلاصِ العَمَلِ، ومحَبّةِ العِلْمِ. ولا تَتِمُّ له هذه الجُملةُ إلَّا بصُحبةِ أخٍ صالحٍ، أو شيخٍ ناصحٍ.



(١) رواه البخاري ومسلم.

مِنْ أقوالِ العَارِفِ باللهِ الفَقِيهِ المُقَدَّم مُحَمَّدِ بن عَلِيِّ بن مُحَمَّدٍ صَاحِبِ مِرْبَاطٍ الحُسَيْني(١)

(٥٧٤-٦٥٣هـ)

كَانَ رَحِمَهُ اللهُ مُتحقِّقاً بِصِفةِ الفقرِ والمسكنةِ والانكسارِ، والغيبةِ عن شهودِ الآثارِ، فلهذا كانَ رَحِمَهُ اللهُ يقول: (الفَقْرُ فَخْرِي).

ودَعَا رَحِمَهُ اللهُ لذريَّتِه بثلاثِ دعواتٍ: **الأولى:** حُسْنُ السِّيرةِ. **الثانيةُ:** أن لا يُسلِّطَ اللهُ عليهِمْ ظالِمَاً يُؤذيهم. **الثالثةُ:** أن لا يموتَ أحدٌ منهم إِلَّا وهو مستورٌ. وقد استجَابَ اللهُ منه الدُّعاءَ وأَجْراهُ على سننِ الوَفَاء.

وكان رَحِمَهُ اللهُ: يرزمُ كلَّ سنةٍ ثلاثمائةٍ وستينَ زيرَ تَمْرٍ للصدقةِ، وكلَّ يومٍ يتصدَّقُ بزيرٍ، والزِّيرُ الواحدُ يتَّسِعُ لألفي رَطْلٍ، ومنها ما يتَّسِعُ لألفٍ وثمانمائةِ رَطْلٍ.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يقول: أنا لأَهْلِ جهتي كالغَيثِ المخْصِبِ.

وكان رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أورادِه مائةُ ألفٍ مِنْ: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن دعاءه رَحِمَهُ اللهُ:

اللهُمَّ انْقُلنا والمسلمينَ مِنَ الشَّقاءِ إلى السَّعادة، ومِنَ النَّارِ إلى الجنَّةِ، ومِنَ العَذَابِ إلى الرّحمةِ، ومِنَ الذُّنُوبِ إلى المغفِرَةِ، ومِنَ الإِسَاءَةِ إلى الإحسَانِ، ومِنَ الخَوفِ إلى الأمَانِ، ومِنَ الفَقْرِ إلى الغِنَى، ومِنَ الذُّلِّ إلى العِزِّ، ومِنَ الإهانَةِ إلى الكرَامَةِ، ومِنَ الضِّيقِ إلى السِّعَةِ، ومِنَ الشَّرِّ إلى الخيرِ، ومِنَ العُسْرِ إلى اليُسرِ، ومِنَ الإدْبَارِ إلى الإقبالِ، ومِنَ السَّقَمِ إلى الصِّحّةِ، ومِنَ السُّخَطِ إلى الرِّضَا، ومِنَ الغَفْلَةِ إلى الإِنَابَة، ومِنَ الفَتْرَةِ إلى الاجتهَادِ، ومِنَ الحِرمَانِ إلى التَّوفيقِ، ومِنَ البِدْعَةِ إلى السُّنَّةِ، ومِنَ الجَوْرِ إلى العَدْلِ.

---

(١) الملقَّبِ بـ: (الأستاذِ الأعْظَمِ) و(الفقيهِ المقدَّم) جمالِ الدِّينِ محمدِ بن علي بن محمدٍ صاحب مرباطِ الحُسيني المولودُ بمدينةِ تريم سنةَ (٥٧٤هـ) والمتوفَّى بها ليلةَ الجُمعةِ مِنْ شَهرِ ذي الحِجَّةِ آخرَ سنةَ (٦٥٣هـ) وجاءَ تاريخُ وفاتِه على عددِ هاتَينِ الكلمتينِ بحسَابِ الجُمَّلِ الكبيرِ وهُمَا (أَبُ تَريم).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا على الدِّينِ بالدُّنيا، وعلى الدُّنيا بالتّقوى، وعلى التّقْوَى بالعَمَلِ، وعلى العَمَلِ بالتَّوفيقِ، وعلى جميعِ ذلِكَ بِلُطفِكَ المُفْضِي إلى رِضَاكَ، المُنْهِي إلى جنّتِكَ، المَصْحُوبِ بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريمِ، يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا رَبَّاهُ يا رَبَّاهُ، ياغَوْثَاهُ يا غوثَاهُ يا غَوثَاهُ، يا أكرَمَ الأَكْرَمينَ، يا رحْمَنُ يا رحيمُ، يا ذَا الجَلاَلِ والإكرَامِ، والمَوَاهِبِ العِظَامِ، وصَلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وآلِهِ وسَلَّمَ والحمدُ لله ربِّ العالمين.

اللَّهُمَّ إني أسأَلُكَ التَّوفيقَ لِمَحابِّكَ مِنْ الأعمالِ، وصِدْقَ التَّوكُّلِ عَليكَ، وحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ، والغُنْيَةَ عَمَّنْ سِواكَ، يا إلهي يا لَطيفُ يا رَزَّاقُ يا وَدُودُ يا قَويُّ يا مَتينُ، أسأَلُكَ تَأَلُّهاً بِكَ واستغْرَاقاً فِيكَ، ولُطْفاً شامِلاً مِنْ لدُنكَ، ورِزقاً واسِعاً هَنيئاً مَريئاً، وسِنّاً طويلاً، وعَمَلاً صالِحاً في الإيمانِ واليقينِ، ومُلازَمَةً في الحقِّ والدِّينِ، وعِزّاً وشَرَفاً يَبْقَى ويتأبَّدُ، لا يَشُوبُهُ تكَبُّرٌ ولا عُتُوٌّ ولا فسَادٌ، إنَّكَ سَميعٌ قريبٌ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وسَلَّمَ.

مِنْ أَقْوالِ العَارِفِ باللهِ أَبي الحَسَنِ عَلي بن عبدِ اللهِ الشَّاذِلي المَغْرِبي الحَسَني(١)

(٥٩١-٦٥٦هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ: إذا كثُرَتْ عَليكَ الخَواطِرُ والوسَاوِسُ فقُلْ: سُبحانَ المَلِكِ الخَلاَّقِ الفعَّالِ لِمَا يُريدُ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم:١٩-٢٠].

وإذا توجَّهْتَ لِشيءٍ مِنْ عَمَلِ الدنيا والآخرةِ فقُلْ: (يا قَويُّ يا عَزيز يا عَلِيْمُ يا قَدِيرُ يا سَمِيعُ يا بَصِيرُ).

وإذا تَدَايَنْتَ فتَوجَّهْ إلى اللهِ بقَلْبِكَ وتَدَايَنْ عَليه، يكنْ أَداؤُهُ عليه، وقُلْ: (اللهُمَّ عَلَيكَ تَدَايَنْتُ وعَليكَ تَوكَّلْتُ وإلَيْكَ أَمْرِي فَوَّضْتُ).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إنْ أردْتَ أَنْ لا يَصْدَأَ لَكَ قَلْبٌ، وَلاَ يَلْحَقكَ هَمٌّ وَلاَ كَرْبٌ، وَلاَ يَبْقى عَلَيْكَ ذَنبٌ، فَأَكْثِرْ مِنْ قَولِ: (سُبحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبحَانَ اللهِ العظيم، لا إلهَ إِلَّا اللهُ، اللَّهُمَّ

---

(١) مؤسِّسِ الطريقةِ الشاذلية، والمولودِ بشاذلةَ بلدةٌ قريبةٌ مِن تونسَ وإليها يُنسَبُ سنةَ (٥٩١هـ) تُوفِّيَ بصحراءَ عَيذَابَ قاصداً للحجِّ ودُفِنَ هناكَ في شهرِ ذي القعدة سنة (٦٥٦هـ).

ثَبِّتْ عِلْمَهَا في قَلْبِي، واغْفِرْ لِي ذَنْبِي، واغْفِرْ للمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ، و﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِنْ علامةِ النفاقِ ثِقَلُ الذِّكْرِ على اللِّسانِ ، فتُبْ إلى اللهِ يَخِفُّ الذِّكْرُ على لسانِكَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تَشُمُّ رائحةَ الولايةِ وأنتَ غيرُ زَاهدٍ في الدُّنيا وأهلِها، فإذا لَمْ يُواظِبِ الفقيرُ على حضورِ الصَّلواتِ الخمْسِ في جَمَاعَةٍ فَلاَ تَعْبَأَنَّ بِه، ومَنْ لَمْ يَزْدَدْ بِعِلْمِهِ وعَمَلِهِ افْتِقَاراً إلى رَبِّهِ وتَوَاضُعاً لِخَلْقِهِ فهو هَالِكٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ أَحَبَّ اللهَ وأَحَبَّ للهِ فقَدْ تَمَّتْ ولايَتُه، والمُحِبُّ على الحقيقةِ مَنْ لا سُلطانَ على قلبِه لغيرِ محبوبِه، ولا مَشِيئةَ له غيرُ مَشِيئتِه، فإذاً مَنْ ثَبَتَتْ ولايتُه مِنَ اللهِ لا يَكرَهُ الموتَ، ويُعلَمُ ذلك مِن قولِه تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة:٦] فإذاً الوليُّ على الحقيقةِ لا يكرَهُ الموتَ إنْ عُرِضَ عليه، وقد أَحَبَّ اللهَ مَنْ لا محبوبَ لَهُ سِواه، وأَحَبَّ له مَنْ لا يُحِبُّ شيئاً لهوَاه، وأَحَبَّ لقاهُ مَنْ ذَاقَ أُنسَ مَولاه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ثَمَّ كرامةٌ أعظَمُ مِنْ كرامَةِ الإيمانِ، ومتابعةِ السُّنَّةِ فمَن أُعطِيَهما وجعلَ يشتاقُ إلى غيرِهما فهو عبدٌ كذَّابٌ، أو ذُو خطأ في العِلْمِ والصَّوابِ ، كَمَنْ أُكرِمَ بشُهُودِ المَلِكِ فاشْتَاقَ إلى سياسةِ الدَّوابِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: احذرْ أنْ تَنْشُرَ عِلْمَكَ ليُصَدِّقَكَ الناسُ، وانشرْ علمَكَ ليُصَدِّقَه اللهُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصَّادِقُ الموفَّقُ لو كذَّبَهُ أهلُ الأرضِ ما ازدَادَ بذلكَ إلَّا يقيناً، ولو صدَّقَهُ أهلُ الأرضِ لَمْ يَزْدَدْ بذلِكَ إلَّا تمكيناً.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا ضَيَّقَ اللهُ عَلَيكَ المعيشةَ فاعْلَمْ أنَّه يريدُ أن يُواليك، فاثْبُتْ وَإيَّاكَ والضَّجَرَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ صبرَ على ما ابتلاه اللهُ به، وتَرَكَ المعاصِي، وأيقَنَ بوعدِ اللهِ ووعيدِه فهو الإمامُ، وإنْ قَلَّتْ أتْبَاعُه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ تعزَّزَ على خدمةِ إخوانِه أورثَهُ اللهُ ذُلّاً لا انفكاكَ له منه أبداً، ومَنْ خَدَمَ إخوانَه أُعطِيَ مِنْ خَالِصِ أعمالِهم.

وسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: لِمَ لا تَضَعْ تأليفاً في الطَّرِيقِ؟ فقال: (تأْلِيفِي أَصْحَابي).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ في بَعْضِ أورادِه: إلهي إنَّ حسَناتِ مُحبِّيكَ مظنونةُ القبولِ، وحَسَناتِ محبوبِيكَ مضمونةُ القبولِ، فَنَزِّهْنِي بالمضمونِ عنِ المظنونِ، ومحبَّةُ اللهِ تعالى في مُتَابَعَةِ الرّسُولِ.

مِنْ أَقْوَالِ العَارِفِ بِاللهِ أَحْمَدَ بن عَلْوَانَ بن عطَافَ بن يُوسُفَ اليَمَني الحَسَني(١)

(٦٠٠-٦٦٥هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ الإخلاصَ هو تجريدُ القلْبِ وتفريدُه، وتصحيحُ الحُبِّ وتجريدُه، ومراقبةُ الرَّبِّ وتوحيدُه، وتفريقُ المالِ وتبدِيدُه، وتهذيبُ العَزْمِ وتسديدُه، وتصعيدُ الحَنينِ وترديدُه، بصِفَةِ الوَالِهِ العميدِ، والصَّبِّ الشَّهيدِ، تعلَّقَتْ عينُ فؤادِه بمشهودِه، وتشَبَّثَتْ أناملُ قلْبِه بموجودِه، فاستمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى، وانتقلَ بهِمّتِهِ إلى الطَّورِ الأَعْلى، واستَغْنَى عن كُلِّ أَحَدٍ بالمَولى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ المعرفةَ نسَبٌ، وإنَّ التَّقوى حسَبٌ، وإنَّ الزُّهْدَ عِزٌّ، وإنَّ الورَعَ حِرْزٌ، وإنَّ القناعةَ غِنَى، وإنَّ الطَّمعَ عَنَا، وإنَّ الفقرَ عِلْمٌ، وإنَّ العِلْمَ عَمَلٌ، وإنَّ العمَلَ إخلاصٌ، وإنَّ الإخلاصَ فِقْهٌ، وإنَّ الفِقْهَ فَهْمٌ، وإنَّ الفهمَ عينٌ، وإنَّ العينَ يقينٌ، وإنَّ اليقينَ شُهُودٌ، وإنَّ الشُّهُودَ مَشْهُودٌ، وأنَّهُ لا فقهَ لِمَنْ لا عِلْمَ له، ولا عِلْمَ لِمَنْ لا عَمَلَ له، ولاَ عَمَلَ لِمَنْ لا إخلاصَ له، ولا إخلاصَ لِمَنْ لا فقهَ له، ولا فقهَ لِمَنْ لا فَهمَ له، ولا فَهْمَ لِمَنْ لا عينَ له، ولا عينَ لِمَنْ لا يقينَ له، ولا يقينَ لِمَنْ لا شُهُودَ له، ولا شُهُودَ لِمَنْ لا مَشْهُودَ له، فَمَنْ كَمُلَتْ له هذِه الأخلاقُ فهو الشَّاهدُ الذي أَقْسَمَ بهِ الوَاحِدُ، فهو مشهودُه الذي انْتَهى إليه وُجُودُه، وبلَّغَه إلى جنابِه

---

(١) أبو العَبَّاسِ صفيُّ الدِّينِ (شيخُ الطريقةِ العلوانيةِ) المولودُ بموضعِ ذي الجِنَانِ من جَبَلِ ذخر، وقيل: مولدُه في قرية (عقاقه) مِنْ ناحية جَبَلِ صبر، سنة (٦٠٠هـ) والمتوفَّى بيفرُسَ وهي مِنْ مدينةِ تعزَّ سنةَ (٦٦٥هـ).

الكريمِ مقصودُهُ، وبلَغَتْ في كواكبِ الملكوتِ سُعُودُه، وقَرُبَ مِنْ حوضِ نبيِّه وُرُودُه، واخْضَرَّ بسُقيا ماءِ الحَيَاةِ عُودُه، ودَنا منه يومَ عَرَفَةَ وَعِيدُه، وصحَّ إلى بيتِ اللهِ ركوعُه وسجودُه، وطوافُه وعُكُوفُه وقيامُه وقُعودُه، وصلاتُه في مقامِ إبراهيمَ، وسعيُه ووُرُودُه، ووقوفُه بمِنى وهدْيُه ورَمْيُه ووفودُه، ذلك الذي فاضَتْ عليه المِنّةُ، ووسعَتْهُ السُّنَّةُ، واستبشرَتْ بقدومِه الجَنّةُ، وعمَّتْ بركتُه الإنسَ والجِنّةَ، فكُونُوا أَيُّها الإخوانُ إلى ذلك ناظرينَ، ولديه حاضرينَ، وفي أحوالِه وأعمالِه متناظرينَ، وعلى طريقتِه النَّبويّةِ متناصِرينَ.

واعلَمُوا أيُّها الإخوانُ أَنَّ هذا الزَّمانَ عَمَّتْ فيه الدَّعوى، وقلَّتْ فيه التَّقوى، واتُّبِعَتِ الأهواءُ، ورُكِّبَ التأويلُ، ونُبِذَ التَّنزيلُ، وكَثُرَتِ الأقَاويلُ، وظَهَرَتِ الأَبَاطِيلُ، واشْتُهِرَ أَهْلُ التَّعطيل، وعَبَدَ اللهَ القَليلُ، وعَرَفَهُ مِنَ القليلِ قليلٌ، وَوَقفَ به من القليلِ قليلٌ، فالعابِدُونَ مِنَ العَامَّةِ قليلٌ، والعارفونَ مِنَ العابدينَ قليلٌ، والواقفونَ مِنَ العارفينَ قليلٌ، فالدَّليلُ مُنْتَظِرٌ، والقَاصِدُ حَائِرٌ، والسَّالكُ جَائِرٌ، والإمامُ مُحْرِمٌ، والمُؤْتَمُّ يلْتَفِتُ، والصَّفُّ أَزْوَرُ، والبصيرُ أعوَرُ، والعَالِمُ رَاغِبٌ، والجاهِلُ مُجَانِبٌ، والغَنِيُّ شَحِيحٌ، والفَقِيرُ حَرِيصٌ، والصُّوفي مُخلِّطٌ، والفقيهُ مُتَأَوِّلٌ، فَمَا للشريعةِ قَائِمٌ، ولا عَلَى الحقيقةِ مُزَاحِمٌ، ولا للحِكَمِ طَالِبٌ، ولا للسُّنَنِ مُطَالِبٌ، ولا للظَّلَمَةِ مُجَانِبٌ، ولا لِلْفَسَقَةِ مُحَارِبٌ، ولا لِلْفَجَرَةِ مُنَاصِبٌ، فَنَحْنُ في تأويلِ ما قالَ مَن اتَّخَذَه اللهُ حبيباً ﷺ: (بَدَأَ الإسلامُ غَريباً وسيعودُ غريباً)[1]. فكُوْنُوا أيها الإخوانُ مِنْ غُرَبَاءِ الإسلامِ في هذِه الأيَّامِ، واجتَنِبُوا شُبَهَ الآثَامِ، في الشَّرَابِ والطَّعَامِ، والسَّمَاعِ والكلامِ، فإنَّ فيها زَلَلَ الأَقْدَامِ، ومُخَالَفَةَ الإمامِ، ومُفَارَقَةَ السَّلَفِ الكِرَامِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَمُوا أَنَّ المُحَمَّدِيَّةَ قَدْ أَشْرَقَتْ، وأَنَّ سَحَائِبَ صَيْفِهَا قد أَرْعَدَتْ وأَبْرَقَتْ، وأَنَّ سفينَتَها قد صُنِعَتْ، وأَنَّ قُلُوعَها قد رُفِعَتْ، وأَنَّ رِياحَها قَدْ هَبَّتْ، وأَنَّ أزواجَها قد رُكِّبَتْ، فتَهَيَّئُوا لركوبِها، وكُوْنُوا مِنَ الذين خُصُّوا بها، وآمِنُوا بسُوحِها، وائتمُّوا بنوحِها، وسافِرُوا بريحِها، تستوي بِكُم على جُودِي الجُودِ، في مقامِ سيِّدِكُم محمدٍ المحمُودِ، وظِلِّ لوائِه المعْقُودِ، ويومَ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ

---

(١) رواه مسلم.

مَّعۡدُودٖ﴾ [هود:١٠٣-١٠٤] أَسْعَدَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ بمُجَاورةَ مَنْ أَحْيَانَا بِهِ وأَحْيَاكُمْ، ونَجَّانَا ببركَتِه مِنَ الشِّرْكِ وَنَجَّاكُمْ، وصلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ أجمعين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلٌّ يَحْتَاجُ إلى مَنْ هو فَوقَهُ، فينبغي أن يكونَ مُفْتَقِراً إليه وإنْ لَمْ يعرفْهُ، كافتقارِ الأَوْتَادِ إِلَى الأَقْطَابِ، وافتقارِ الأبدالِ إِلَى الأَوْتَادِ، وافتقارِ الصَّالحينَ إِلَى الأَبْدَالِ، وافتقارِ الجُهَّالِ إِلَى الصَّالحينَ، فينْبَغي لِكُلِّ سالكٍ أن يَأْتَمَّ بهؤلاءِ ويُحِبَّهُم، ويَتَشَفَّعَ إِلَى اللهِ بِحُبِّهِمْ، ويَتَمَسَّكَ بِنَسَبِهِمْ، ويَتَسَبَّبَ بسَبَبِهِمْ وإنْ لَمْ يعرفْهُم، فإنَّ اللهَ إذا عَرَفَ ذلك منه أخبرَهُم عنه، فكَانَ على خواطِرِهم وجُملَتُهم بَيْنَ يَدَي رَبِّ الأَرْبَابِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا شَبِعَتِ النَّفْسُ بنعمَةِ القَنَاعَةِ، لَمْ تُؤَثِّرْ فيها فَاقَةُ المَجَاعَةِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خيرُ الأَخْيارِ مَنْ أَرْضَى ربَّه وأهلَه وجيرانَه، وشَرُّ الأشرارِ مَنْ أَسْخَطَ رَبَّهُ وأهلَه وجيرانَه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معرفةِ حَقيقةِ الإنسانِ : اعْلَمْ أنَّ حقيقةَ الإنسانِ سِرٌّ في القَلْبِ مُتفرِّعٌ في الجسَدِ، فَفِي الرأْسِ وقارُهُ، وفي السَّمعِ والبَصَرِ عقْلُهُ، وفي الشَّمِّ والذَّوقِ واللَّمْسِ والفرْجِ لذَّتُهُ، وفي اللِّسَانِ والكَفِّ وَالقَدَمِ خُلُقُه، فمَنْ كَانَ الصَّمْتُ سَجِيَّتَه، والحِلْمُ شِيْمَتَه فقدْ كَمُلَ وقَارُه، ومَنْ كَانَ العِلمُ مَسْمُوعَهُ، والحِكمةُ مَنْظُورَهُ، فقد كَمُلَ عَقْلُه، ومَنْ كَانَ الحَلالُ شَمَّه وذَوقَه ولَمْسَه ونِكَاحَه، فقد كَمُلَتْ لَذَّتُه، ومَنْ كَانَ الصِّدقُ لسانَه، والسخاءُ يدَه، والسَّعيُ إلى الخيراتِ قَدَمُه، فقد كَمُلَ خُلُقُه، وهذا هو الإنسانُ الذي أَنِسَ بالرَّحمنِ، وَأَنِسَ بِهِ الرَّحمنُ، ونَفَرَ مِنَ الشَّيطانِ، ونَفَرَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ، مكتوبٌ على ظَاهِرِ قلْبِه، بقَلَمِ ربِّه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحِجر:٤٢] ومكتُوبٌ على بَاطِنِ قلْبِه، بِنَقْشِ رَبِّه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يَستقِيمُ العِلْمُ بالعَالِمِ حتى يَعْمَلَ به، ولا يَعْمَلُ به حَتَّى يَزْهَدَ فيما زهَّدَه فيه مِنَ الدُّنيا، ويَرغَبَ فيما رغَّبَه فيه مِنَ الآخِرةِ، واعلَمْ أنَّ الأعمالَ شَوَاهِدُ الأَقْوَالِ، تكْذِيباً أَوْ تَصْدِيقاً، وأَنَّ الأَحْوَالَ شَوَاهِدُ الأَعْمَالِ، تَحْقِيقاً أَوْ تَمْزِيقاً.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثُ خِصالٍ مَنْ كُنَّ فيه فَهو يُكَنَّى أَبَا الجَهْلِ وإِنْ كَانَ عَالِماً: الكِبْرُ، والحِرْصُ، والشُّحُّ. وثَلاثُ خِصالٍ مَنْ كُنَّ فيه فهو يُكَنَّى أَبَا العِلْمِ وإِنْ كَانَ أُمِّيّاً: التَّواضُعُ، والزُّهْدُ، والسَّخَاءُ.

مِنْ أَقْوَالِ العَارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بنِ عليٍّ بن يَحْيَى البَدَوِي الحُسَينِي(١)

(٥٩٦-٦٧٥هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيّتِه لتلميذِه العارفِ باللهِ عَبْدِ العَالِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا عَبْدَ العَالِ؛ مَن كَانَ صافياً مُتَمَسِّكاً بالكتابِ العَزيزِ والسُّنّةِ المطهرةِ، فَأَنا مساعِدُهُ بإذنِ اللهِ تعالى في جميعِ أُمُورِه وقضاءِ حوائجِه الدُّنيويّةِ والأُخرويّةِ بما أعطاني اللهُ تعالى، وخَصَّنِي بتعريفِه لا بحولي ولا قُوّتي إلّا ببركةِ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم.

واعْلَمْ يا عَبْدَ العَالِ؛ أنَّ اللهَ تعالى قالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

يا عَبْدَ العَالِ؛ أَشْفِقْ على اليَتيمِ، واعْلَمْ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أَنَا وكَافِلُ اليَتِيمِ كهاتَينِ في الجَنَّةِ، وضَمَّ السَّبَّابَةَ إلى الوُسْطَى)(٢).

يا عَبْدَ العَالِ؛ أَكْرِمِ الضَّيفَ، والقَرِيبَ، والمِسْكِينَ، وأَطْعِمِ الجائِعَ، واكْسُ العَارِي، عسى أنْ تكونَ عندَ اللهِ تعالى مِنَ المقبولِينَ.

يا عَبْدَ العَالِ: عليكَ بكثرةِ الذِّكرِ، والتسبيحِ ما استطَعْتَ. واعلمْ أنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤]. وإيّاكَ أن تكونَ مِنَ الغافلين.

---

(١) وُلِدَ بمدينةِ (فاس) سنةَ (٥٩٦هـ)، ونشأَ بها وحفِظَ القرآنَ الكريمَ اشْتُهِرَ بالبدَوي لأنَّهُ كَانَ يشْبِهُ أهلَ الباديةِ في مُلازمةِ اللِّثَامِ، وسُمِيَ بالملثَّم لأنه كَانَ يُغطي وجْهَه بلثامينِ صيفاً وشتاءً وتُوُفِّيَ بمدينةِ (طنطا) يومَ الثُّلاثاءِ (١٢) مِنْ شهرِ ربيعِ الأوّلِ سنةَ (٦٧٥هـ) عن عُمْرٍ يناهزُ (٧٩) عاماً.

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٠٢٣).

يا عَبْدَ العَالِ: (أَحْسَنُكم خُلُقاً أكثرُكم إيماناً باللهِ تعالى)[١] واعلَمْ يا عَبْدَ العَالِ: أَنَّ طريقَتَنا مبْنِيَّةٌ على الكتابِ والسُّنَّةِ والصِّدقِ والوفاءِ وحُسْنِ الظنِّ باللهِ تعالى وحِفْظِ العُهودِ.

يا عَبْدَ العَالِ ؛ تأدَّبْ معَ المشايخِ وأحسِنْ إليهِم، واصنَعِ المعروفَ معهم لَعلَّكَ أن تكونَ مِنَ الفائزين، واعْلَمْ أَنَّ الشيخَ في قومِه كالنَّبيِّ في أُمَّتِه، ومَنْ تأذَّى منهُ شيخُه حَرُمَ بركَتُه، ومَنِ احتقَرَ شيخَه يُخْشَى عليه سُوءُ الخاتمةِ؛ لأَنَّهُ ورَدَ في بعضِ الأخبارِ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ قالَ: (لا تُحَقِّرُوا عبداً لي آتيتُه عِلماً، فإني لم أَحتَقِرْهُ حينَ علَّمْتُه)[٢].

يا عَبْدَ العَالِ ؛ علامةُ الفقيرِ أن يكونَ عارفاً باللهِ تعالى ، خائِفاً منه، مُراعياً أوامرَهُ، مُجتنِباً عَمَّا نَهى عنه.

يا عَبْدَ العَالِ ؛ اذْكُرِ اللهَ تعالى بقلبٍ حاضرٍ وأدَبٍ وخشوعٍ، وأن يُوافِقَ قلبُكَ لسانَك، ولا يكونَ بمجرَّدِ اللسانِ فقط قالَ اللهُ تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:١٨٥] أي: نَظَرَ تفكُّرٍ واعتبارٍ لا مُجرَّدَ نظرٍ، والتفكُّرُ في مصنوعاتِ الله تعالى ومخلوقاتِه، ولا يتفكَّرُ في ذَاتِ الله تعالى .

فقلتُ : يا سيدي ؛ قد فهمتُ ذلك كُلَّه، فما حقيقةُ التوبةِ النَّصوحةِ؟ قال: حقيقتُها النَّدامةُ على ما مَضى مِنَ الذَّنبِ، والإقلاعُ عَنِ المعصيةِ، والاستغفارُ، والعزمُ أَلَّا يعودَ، والصفاءُ وحُسْنُ الوفاءِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ لتلميذِه عَبْدِ العَالِ: يا عَبْدَ العَالِ ؛ لا تَشْمَتْ بمصيبةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ ولا تَنْطِقْ بغيبةٍ ولا نميمةٍ ولا تُؤذِ مَنْ يُؤذيكَ واعفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وأحسِنْ لِمَنْ أساءَ إليكَ وأَعْطِ مَنْ حرَمَكَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ لم يكُنْ له عِلْمٌ فلنْ تكونَ له قيمةٌ في الدُّنيا والآخرةِ، ومَنْ لم يكنْ له حِلمٌ لم ينفعْهُ عِلمٌ، ومَنْ لم يكنْ عنده سخاءٌ لم يكنْ له من مالِه نصيبٌ، ومَنْ لم تكنْ عنده شفقةٌ على خلْقِ اللهِ لم تكنْ له شفاعةٌ عند اللهِ، ومَنْ لم يكنْ له صبرٌ فليسَ له في الأمورِ سلامةٌ، ومَنْ لم

---

(١) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٥٥)، والدارقطني في حديث أبي الطاهر (٩٢).

(٢) الحديث ذكره بعض السادة الصوفية في كتبهم .

يكُنْ عنده تقوى فليسَ له منزلةٌ عندَ اللهِ، ومَن حُرِمَ هذه الخصالُ الستُّ فليس له منزلةٌ في الجنةِ.

مِنْ أَقْوَالِ العَارِفِ باللهِ عبدِ الرَّحمنِ السَّقافِ بنِ مُحمدٍ مُولى الدَّويلةِ الحُسَيني[١]

(٧٣٩-٨١٩ هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: اجتهَدْنا فلم يُفتحْ علينا بالفتحِ العظيمِ إلَّا بعد ما رجَعْنا إلى معرِفَةِ النَّفْسِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: دواءُ القلبِ قَطْعُ العَلائِقِ، والتَّوفيقُ إلى نيلِ كُلِّ خير.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فقهاءُ الزَّمانِ وصوفيَّته تواقعُوا في الطَّحْسِ[٢].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ لا له وِرْدٌ فهو قِرْدٌ، ومَنْ لا يُطالعُ في كتابِ «الإحياء» ما فيه حَيَاءٌ، ومَنْ لَمْ يَفْهَمِ «المهذَّب» لَمْ يَعْرِفْ قَوَاعِدَ المَذْهَبِ، ومَنْ لَمْ يَقْرَأ «التَّنْبيه» فَلَيْسَ بنَبِيهٍ، ومَنْ ليس له أَذْكَارٌ فلاَ يُذْكَرُ، ومَنْ لا لَهُ أَدَبٌ فهو دُبٌّ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الناسُ كُلُّهُم فُقَرَاءُ إلى العِلمِ، والعِلمُ فقيرٌ إلى العَمَلِ، والعَمَلُ مُحتاجٌ إلى العَقلِ، والعَقْلُ فقيرٌ إلى التَّوفيقِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كلُّ عِلمٍ بلا عَمَلٍ بَاطِلٌ، وَكُلُّ عِلْمٍ وعَمَلٍ بِلا نيَّةٍ هَبَاءٌ، وكلُّ عِلمٍ وعَمَلٍ ونيّةٍ بلا سُنّةٍ مردودٌ، وكلُّ عِلْمٍ وَعَمَلٍ ونيّةٍ وسُنّةٍ بلا ورعٍ خُسرانٌ، يُخافُ على صاحبِه عندَ الموازنةِ والقصاصِ ذهابُهُ.

ولَـمَّا كانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يقومُ بإلقاءِ دروسِه في (فَضْلِ الفِقْهِ) عَزَمَ ولدُه أن يُفنِيَ عُمْرَه في الفِقْهِ ويَترُكَ غيرَه مِنَ العلومِ فلَمَّا انفضَّ المجلِسُ ناداه وَقَالَ له : ياعمرُ اجتَهِدْ في أعمالِ القلُوبِ إنَّ

---

(١) المولود بمدينةِ تريمَ سنةَ ٧٣٩هـ) ونشأَ بها وحفظَ القرآنَ الكَريمَ على الشيخِ المُعَلِّمِ أحمدَ بنِ محمدٍ الخطيبِ، وتُوُفِّيَ بها يومَ الخميسِ في (٧) مضَتْ مِنْ شهرِ شعبانَ سنةَ (٨١٩ هـ) ودُفِنَ ضُحى الجمعةِ بمقبرةِ زَنْبَلَ.

(٢) الطحس المزالق، أي: وقعوا في محاذير ومخالفات.

الفُقهاءَ معهم قَبَسٌ، ومعَ الصُّوفيةِ جَذْوَةٌ، وأُوقِيَّةٌ مِنْ عَمَلِ الباطِنِ تَعْدِلُ بُهاراً(١) مِنْ عَمَلِ الظَّاهِرِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُنِ ابنَ زَمَانِكَ، فإِنْ رأيتَ أهلَه ذِئاباً فلا تَكُنْ ضَأْنَة يأكُلُوك، وإِنْ رأيتَهم ضَأْناً فلا تكُنْ ذئباً تأكُلُهم.

مِن أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عُمرَ المِحْضَارِ بنِ عبدِ الرحمنِ السَّقَّافِ الحُسَيني(٢)

(ت ٨٣٣ هـ)

قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لو عَلِمتُ أَنَّ لي عند اللهِ تسبيحةً مقبولةً، أو حسنةً لأَقْرَيْتُ -أي أطعمتُ- أهلَ تريمَ على البُرِّ واللَّحْمِ حتى دوابَّهم.

وكثيراً ما يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: أَضَعُ يَدِي على حَلْقِي ظنّاً أَنَّ نفْسِي قد قُبِضَتْ ، ولا آكُلُ لُقمةً وأظُنُّ أني أُسِيغُها.

ومِنْ نظْمِه قال رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفِه للعترةِ الطاهرةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم:

أَلا ياسَفرلي جيتْ فانشِدْ مِنْ حِمَاهُمْ ... فبـاللهِ لـيسَ تلْقَـى في الـدُّنيا كَمَـاهُمْ
ولا اطيَبْ مِنْ معايشهم وعذب ماهُمْ ... ولـو لي بخـت كنتـه في المغْنَـا معـاهم
هُـمُ قـوم غُـذُّوا في المحبّه مِنْ صِغَرْهُمْ ... وعاشـوا في مخَافَاتْ وغَابوا في فِكَرْهُمْ
ويَسعَدْ كـل مَـنْ كـان في عُمـره نظَرْهُمْ ... في البُكـرَه أو عـشيّه في مـسَاهُمْ
وهذا القول مِنِّي وهو مِنْ حُسن ظنِّي ... وإِنْ زلَّيت يارب بفضلك فاعفُ عنِّي
وترزقنـي الـشهاده على الإسـلام سُنِّي ... ونمـشي في الطريقـه نُتـابعْ في أثَـرْهُمْ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفه لمدينة تريم الغنّاء:

أَلاَ يانَازِحـاً عـن بـلادِ الطِّـب مالَـكْ ... فـرُحْ وارجـع إليهـا واجعلهـا حِلالَـكْ

---

(١) قال الجوهري : والبُهار بالضم شيء يوزن به، وهو ثلاثمائة رطل.

(٢) وهو أوّلُ نقيبٍ للعَلَويينَ ، وُلِدَ بمدينةِ تريمَ ونشأَ بها وحَفِظَ القرآنَ الكريمَ وتُوُفِّيَ بها في الثالثِ مِنْ شهرِ ذي القعدةِ سنةَ (٨٣٣ هـ) وهو ساجدٌ للهِ تعالى في صلاةِ الظُّهْرِ.

بها تُرزَقْ مِنَ الله بها توفيق حَالَكْ ... تراك إِنْ رُحت منها فلا تُرزَقْ كمالَكْ
لها مشموم كالمسك وزادوه بنَفْسَجْ ... وهي كالدُّر مَنْظُوم أو خطّ مُنسَّجْ
وهي شربه من القلت صَافي ليس خَمَّجْ ... تراك إِنْ رُمت تسعد فاجعلها حِلالَكْ
وقد خُصَّتْ بأقوَامْ خُصُّوا بالسرائرْ ... لهم أنوار تعلُوا على فوق المنابرْ
نجوا بالفضل ياصاح مِنْ كُلِّ الكبَائِرْ ... بِهِمْ ربي أفدني نَوَالاً مِنْ نَوَالِكْ

مِنْ أقوالِ العارِفِ باللهِ عبدِ اللهِ العَيدَروسِ بن أَبي بَكْرٍ بن الشَّيخ عبدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ الحُسَينِي(١)

(٨١١ -٨٦٥ هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الكبريت الأحمر»: كُلُّ مَنِ اعتقَدَ الحُلُولَ والاتِّحادَ في اللهِ فقد كَفَرَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أنَّ الطريقةَ الأخْذُ بالتَّقوى، والحقيقةَ الوصولُ إلى المقصدِ ومشاهدةُ نورِ التَّجلِّي، وحقيقةَ المقاماتِ منازلُ القُلُوبِ، وأوَّلُها امتثالُ الأوامرِ وتَرْكُ المَناهي، والآخِرُ معرفةُ عيوبِ النَّفْسِ وتنقيتُها من الصفاتِ الذَّميمةِ، والتَّحَلِّي بالصفاتِ الحميدةِ وذِكْرُ المَولَى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: علامةُ الولي ثلاثةُ أشياءَ: شُغْلُه باللهِ، وفِرارُه إلى اللهِ، وهمُّه باللهِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أحسِنْ إلى مَنْ أَسَاءَ إليك تجدْ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ، واقتَدِ برسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابِه وآلِ بيته وأوليائِه العارفين، والدَّليلُ في ذلك قولُه عز وجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُنْ أنصحَ النَّاسِ للنَّاس، خاصِّهم وعامِّهم، تكُنْ عندهم أعزَّ الناسِ.

---

(١) الملقّب بـ(العيدروس الأكبر) و(شيخ الملا) وُلِدَ بمدينةِ تريم في العشر الأوائل مِنْ شهر ذي الحجّة سنة (٨١١ هـ) ونشأ بها وحفظ القُرآن الكريم وتوفّي في طريق الشحر بعبول يوم الأحد قبل الزَّوال ثاني عشر مِنْ شهر رمضان سنة (٨٦٥ هـ) ونُقِلَ إلى مدينة تريم ودُفِنَ بِمَقبرَة زَنْبَلَ قبيل الفجر لأربع عشر مِنْ رمضان وصلَّى عليه أخوه الشيخ علي ولقّنه ثُمَّ رفَعَ صوته بقوله:

غبتم فياوحشَةَ الدنيا بفَقْدِكُمُ ... فاليومَ لا عِوَضٌ عَنْكُمْ ولا بَدَلُ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تُجادِلْ أهلَ الحِقدِ والمحاسداتِ، ولا تَطمعْ في رِضَاهم أصلاً، فإدراكُ رضاهم مُستحيلٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تَطمعْ في محبّةِ أهلِ الجاهاتِ، والرِّياسَاتِ، والمحاسداتِ، خُصُوصاً إذا كانتِ العقولُ ضعيفةً ولا يعرفون العلومَ والمعقولاتِ ولا يُطالعونَ كُتُبَ العِلمِ النَّافعةِ كالكتبِ الغزالياتِ، فإنَّهُمْ إذا كانوا بهذا الوصفِ يغلِبُ عليهم الصفاتُ البهيميّاتُ، والصفاتُ السَّبُعِيَّاتُ، والصفاتُ الشيطانيّاتُ، والصفاتُ المعجونةُ في الطينةِ في ابتداءِ الصورِ الآدميّاتِ، ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٩٦﴾ [الأنعام:٩٦].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنِ السَّماعِ: اعلمْ أَنَّ سماعَ الأشعارِ بالألحانِ الطيّبةِ النغَمِ وللتلذُّذِ إذا لم يسمعْ محظوراً ولم يسمعْ على مذمومٍ في الشرعِ مُباحٌ في الجملةِ، ولا خلافَ أَنَّ الأشعارَ أُنشِدَتْ بين يدي النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأنه سمعَها ولم يُنكرْ عليهم في إنشادِها. وفيه تصانيفُ للعلماءِ كثيرةٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعصِرْ جِسْمَكَ بالمُجَاهَدةِ حَتَّى تستخرجَ منهُ دُهنَ الصَّفا، ولا يقعُ العبدُ عبداً حَتَّى لا يخرجَ كلمةً إِلَّا بإذنِ اللهِ، ولا يقعُ العبدُ عبداً حَتَّى يصفوَ باطنُه على الخلْقِ كلِّهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ أرادَ الصفاءَ الربَّاني فعليه بالانكسارِ في جوفِ الليلِ ، وآخرُ الليلِ كبريتٌ أحمرُ غريبٌ لطيفٌ دقيقٌ لا يكادُ يُوجَدُ، ومَنْ شمَّرَ عن سَاقِ الجِدِّ واجتهَدَ فلا بُدَّ أن يعثُرَ على شيءٍ من هذا السِّرِّ، والكنوزُ كلُّ الكنوزِ في دعائِمِ الاجتهادِ، وتوزيعِ الأوقاتِ، وهذا الشأنُ هو اللبابُ بل هو المخُّ بل هو الجوهرُ الأبديُّ والكبريتُ الأحمرُ الذي لا يُدرَكُ في خزائنِ الدنيا والآخرةِ إِلَّا لِمَنْ وفّقَه اللهُ تعالى، ومُعظَمُ أوقاتِ الكنوزِ بينَ الظهرِ والعصرِ، وبينَ المغربِ والعشاءِ، ونصفَ الليلِ الأخيرِ، وبعدَ الصبحِ، والخيرُ كلُّ الخير، وأصلُ كلِّ مقامٍ وبركةٍ في ذكرِ القُبورِ، والموتِ، وموضعُ رضا اللهِ ورسولِه مطالعةُ «الإحياء» ، وتركُ الغيبةِ مملكةٌ، وتركُ النميمةِ سلطنةٌ، وحُسنُ الظنِّ ولايةٌ، ومجالسةُ ذكرِ اللهِ مُكاشَفةٌ، والخيرُ كلُّه في الصمتِ، واستعمِلِ الفِكْرَ ففيه سِرٌّ، ولا تُخَلِّ الصدَقةَ كلَّ ليلةٍ، ولو مثقالَ ذرّةٍ، واحرِصْ على تلاوةِ القرآنِ في الليلِ والنهارِ، وعلامةُ السعادةِ والتّوفيقِ والعلمِ والعملِ حُسْنُ الخُلُقِ والأدَبِ، لأنه حياةُ القلب، وعلامةُ العقلِ الصمْتُ، وعلامةُ الخوفِ كثرةُ ذكرِ الموتِ، وعلامةُ الرَّجاءِ كثرةُ

العبادةِ، وعلامةُ الزُّهدِ القناعةُ، وعلامةُ الكرَمِ بذلُ الجِدِّ في الخير وفي رِضا الله، وعلامةُ التوبةِ كثرةُ النَّدَمِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: العارفُ مَنْ عرَفَ الحقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأسمائِه وصفاتِه، ثُمَّ صَدَقَ اللهَ في معاملاتِه، ثُمَّ تنقَّى من أخلاقِه الرَّديئةِ وآفاتِه، ثُمَّ طَالَ بالبابِ وقوفُه ودامَ بالقلْبِ اعتكافُه، فحظيَ من اللهِ بجميعِ إقبالِه وصدَقَ اللهَ في جميعِ أحوالِه، وانقطَعَ عن هَوَاجسِ نفسِه، فلا يُصغِي بقلبِه إلى خاطرٍ يدعوه إلى غيرِه، فإذا صارَ عن الخلْقِ أجنبيّاً وعن آفاتِ نفسِه بريئاً، وعن الملاحظاتِ نقياً، ودَامَ في السِّرِّ مع اللهِ تعالى مناجاتُه، وحقَّ في كلِّ لحظةٍ إليه رجوعُه فصارَ مُحدثاً من قِبَلِ الحقِّ سبحانه بتعريفِ مناجاتِه وأسرارِه فيما يُجْريه من تصاريفِ أقدارِه؛ سُمِّيَ عند ذلك عارِفاً، وتُسمَّى حالتُه معرفةً، قال ذُو النُّون رَحِمَهُ اللَّهُ: علامةُ العارفِ ثلاثةٌ:

١- لا يطفِئُ نُورُ معرفتِه نُورَ وَرَعِه.

٢- ولا يعتقدُ باطناً في الشريعةِ والعِلمِ بما يُنْقِصُ عليه ظاهِراً مِنَ الحِكمة، أي: لا شيءَ يُخالفُ الشريعةَ.

٣- ولا تحْمِلُه كثرةُ نِعَمِ الله على هتْكِ أستارِ محَارِمِ الله.

مِنْ أَقْوالِ العَارِفِ باللهِ علي بن أَبي بكرٍ بن عبدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ الحُسَينِي(١)

(٨١٨-٨٩٥ هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: يا بُنيَّ عليكَ بتصحيحِ النيّةِ، وصدْقِ الإخلاصِ، وسلامةِ الطويّةِ، فعليكَ بالنية التي لا يصحُّ شيءٌ مِنَ العلومِ والأعمالِ والعباداتِ إلَّا بها وهي أَنْ ينويَ بذلك الشيءِ التقرُّبَ إلى اللهِ تعالى، وإذا أُريدَ ابتغاءً لوجهِه وقصداً لرِضَاه رجاءً أو خوفاً أو حَيَاءً أو حُبّاً أو هيبةً أو غيرَه على حسبِ تفاوتِ الرجالِ، وعِظَمِ هِمَمِهِمْ، وعُلوِّ عزائمِهم، ورفيعِ مقاصدِهم.

يا بُنيَّ عليكَ بالتوبةِ بشروطِها وأركانِها لتشرِقَ عليك أنوارُ الفلاحِ، وعلاماتُ النُّجحِ، وعليكَ بالتّحقُّقِ بالاستقامةِ في التَّوبةِ والقناعةِ مِنَ الدُّنيا بِقَدْرِ الحَاجَةِ ومُجانبةِ مخالطةِ الناسِ

---

(١) المولودُ بمدينةِ تريمَ سنةَ (٨١٨ هـ) ونشأَ بها وحفظَ القرآنَ الكريمَ وتُوُفي بها سنةَ (٨٩٥هـ).

والاستئناسِ بهِمْ، فالاستئناسُ بهِمْ مِنْ علاماتِ الإفلاسِ، فالفرارُ إلى اللهِ تعالى وإلى الشُّغْلِ بطاعتِه، وملازمةِ ذكرِه، والاكتفاءِ باللهِ مؤنساً، ومعطياً، ويكونُ العمَلُ مُستمرّاً بجميعِ الأورادِ والوظائفِ على اختلافِ الأوقاتِ في ليلِه ونهارِه وساعاتِ ليلِه ونهارِه إلَّا مقدارَ أخذِ النفْسِ حظَّها ويكتفي مِنَ البَطَالَةِ بالنوم.

يا بُنيَّ عليكَ بنفسِك فاشغِلْها قبل أن تشغلَكَ، وعليكَ بخويصةِ نفسِك فالزِمْها بما يسعدُها عاجِلاً وآجلاً من طاعتِه وتقواه ومُجانبةِ النفسِ وهواها وزجرِها عن شهواتِها، واعلمْ أنَّ الخلْقَ محجوبون عنِ اللهِ بنفوسِهم الأمَّارةِ بالسُوءِ، المتابعةِ لأهويتِها وشهواتِها ولذَّاتِها مِنَ المأكولِ والملبوسِ والمنكُوحِ، وأوقاتُهم ضائعةٌ لاشتغالِ بعضِهم بالبعضِ، ومخالطةِ البعضِ مَعَ البعضِ، فمَنْ أرادَ اللهُ به خيراً وسبقَتْ له به عنايةٌ ألهمَه الرُّشدَ والصوابَ، وأراه الدنيا وأهلَها عن قريبٍ تفنى ، ولا يبقى سِوى اللهِ ، فيستيقظُ مِنْ رقْدَةِ غفلَتِه، ونومِ جهالَتِه، ويعلمُ أن لا يقدرَ على قهْرِ النفسِ، ودفْعِ شرِّها، إلَّا بحفظِ الأوقات، والحذَرِ مِنْ جميعِ الآفاتِ .

يا بُنيَّ تجنَّبِ الكَسَلَ والمَلَلَ ، وخالفِ النفسَ واقصُرِ الأمَلَ، وتأَنَّ في أُمُورِكَ ولا تعجَلْ، ولا تجعلْ هذا المطلوبَ الأعلى يُدْرَكُ بالمُنى أو يُنَالُ بالهوينا وقد قيلَ: العزماتُ العَزَماتُ إلى عِزِّ الأبَدِ، وقيل: الهِمّةُ والعزمُ يأتيانِ برسلِ التّوفيقِ، وشوارقِ التّحقيقِ، بالجِدِّ والاجتهادِ يُدرَكُ غايةُ المُرادِ، وبالعزماتِ الصحاحِ يَشْرُقُ صباحُ الفلاحِ، وما حصَلَتِ الأمَاني بالتّواني، ولا ظفَرَ بالأمَلِ مَنِ استوطأَ فراشَ الكسَلِ، وإيَّاكَ أن تقولَ إن قُدِّرَ شيءٌ وصَلَ، أو كانَ في الغيبِ مقضيٌّ حَصَلَ، فبالحركاتِ تكونُ البَرَكَاتُ، وبالهَزِّ يسقطُ الثَّمَرُ، وأَمَّا العجزُ أبداً عقيمٌ.

يا بُنيَّ إيَّاكَ التّفريطَ في أوَائِلِ الأمورِ، واغتنمِ الفُرصةَ معَ الفراغِ والصحةِ، واترُكِ الإثمَ، ما ظهَرَ منه وما بطَنَ، وسارعْ إلى الخيراتِ، وسابِقْ إلى فعلِ الطاعاتِ.

وَقَالَ، رَحِمَهُ اللَّهُ: يا بُنيَّ شاوِرْ ذَا العِلمِ والدِّينِ والعقلِ الرَّزين واللُّبِّ المنيرِ مِنْ أهلِ العِلمِ والوَرَعِ والشفقةِ على خَلْقِ اللهِ تجدُهُم نُصحاءَ مُرشدينَ إلى كُلِّ خيرٍ ، والصوابُ فيما يُشيرونَ به، وعليكَ عند كلِّ أمرٍ تُريدُه وتقصدُه مِنْ مهامِّ الأُمُورِ، مِنْ سفَرٍ وغيرِه أن تُصليَ صلاةَ

الاستخارةِ كما وُصِفَتْ بقراءتِها ودعائِها بكمالِ آدابِها معَ استشارةِ مَنْ فيه أهليَّةُ كمالِ المشورةِ وقد جُمِعَتْ في هذين:

وِدادٌ خالِصٌ، ووفُورُ عقْلٍ ومَعْ عِلمٍ بحَالِكَ بالحقيقَهْ
فمَنْ جُمِعَتْ لَهُ هذه المعَاني فتَابعْ رأيَهُ، والزَمْ طريقَهْ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: يا بُنيَّ عليكَ بمحبّةِ الصالحين ومعرفتِهم ومحبّتِهم وصُحبتِهم وخِدمتِهم ومُجالستِهم، ولهُمْ دلائلُ تدلُّ عليهِمْ، وعلاماتٌ يُعرَفُون بها، وسِمَاتٌ يُوصَفُونَ بها، سُئِلَ الشيخُ أحمدُ الرِّفاعي رَضِيَ اللهُ عَنهُ: بما يُعرَفُ الأولياءُ في الخَلْقِ؟ فقال: بلُطفِ كلامِهم، وبشَاشَةِ وُجُوهِهم، وسخاوةِ أنفسِهم، وقِلّةِ اعتراضِهم، وقبولِ عُذرِ مَنِ اعتذَرَ إليهِمْ، وتمامِ شفقتِهم على الخَلْقِ بَرِّهم وفاجرِهم.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يدعو بهذا الدُّعاءِ وهو: اللَّهُمَّ إني مغلوبٌ فانتصِرْ، وارْحَمْ قلبي المنكسِرْ). وكان يقول: قُولُوْهَا إذا رأيتم مُنكراً لا تقدرُون على إزالِته.

مِنْ أَقْوَالِ العارِفِ باللهِ أَبي بَكْرٍ العَدَني بن عَبدِ اللهِ العَيْدَرُوسِ الحُسيني(١)

(٨٥١-٩١٤هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ: إنِّي إذا رأيتُ المؤمنَ قد وفَّقَه اللهُ لأداءِ الفرائضِ، واجتنابِ الكبائرِ، أرَحْتُ خاطرِي منه لأنَّه قد صارَ مع الرَّكْبِ يمشي على قدَميه، وإنما أُشْغِلُ خاطري وأصرفُ عنايتي وأبذُلُ جهدِي في خلاصِ مَنْ رأيتُه مُنهمِكاً في العصيانِ، وواقفاً في حبائلِ الشيطانِ.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يعجبُ مِمَّن لا يَتأثَّرُ بآيَاتِ التَّقريعِ والتَّرهيبِ ويقول: إنَّ القلوبَ إذا استحكَمَ عليها الهوى لم يزدْها التَّخويفُ إلَّا نُفُوراً.

---

(١) المولودِ بمدينةِ تريمَ في أوائلِ القرنِ التاسعِ سنةَ (٨٥١ هـ) ونشأَ بها وحفظَ القرآنَ الكريمَ وهو ابنُ ثمانِ سنواتٍ، تُوفي ليلةَ الثلاثاءِ في (١٤) مِنْ شهرِ شوَّالَ بمدينةِ عَدَنٍ سنةَ (٩١٤هـ).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في الجمعِ بين الشريعةِ والحقيقةِ: ما عندنا طريقٌ إلى اللهِ تعالى إلَّا الشريعةَ فهي الأصلُ وإنَّما الطريقةُ والحقيقةُ مِنْ بَرَكَاتِ الشريعةِ، ولا يُتصوّرُ طريقةٌ وحقيقةٌ، ولا مقَامَاتُ أحوالٍ، ولا معَارِفٌ، ولا أسرارٌ، ولا مُشَاهَدَاتٌ، ولا مُكَاشَفَاتٌ، ولا فُتُوحَاتٌ، إلَّا مِنْ ثَمَرَاتِ المعاملاتِ بالشَّريعةِ.

..إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ من ضمنِ مكاتبةٍ أرسلَها لابنِ عمِّه السيدِ عبد الرحمنِ بن عليٍّ بن أبي بكر السَّكران : وأكثرُ ما يُتعبُنا قولُ الشَّامتين والحَاسِدِين ، راحوا أهلُ الخيرِ وبقيَ مَنْ لا ينفعُ، ولا عادَ رسمُ الفقراءِ سِواك، فباللهِ ورسولِه لا تُدَنِّسْ قميصَ سلوكِكَ بسليطِ مُخالطةِ أَوْبَاشِ تريمَ ورُعاعِها.. أُفٍّ لِرِئَاسَةٍ تُناطُ بِهِمْ.. فواللهِ ما تَجَشَّمْتُ الفُرقةَ وحَلِيَتْ لي الغُربةُ إلَّا لكراهةِ تِلْكَ المخَالَطَاتِ والمعاملاتِ مِنْ خُسرانِ الدِّينِ والدُّنيا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن زيارةِ الأولياءِ: عليكم بزيارةِ الأولياءِ والتعرُّفِ بهِم، وإنْ صحَّتِ النيّةُ، وثبَتَتِ العقيدةُ، فإنَّ عالَمَ الغيبِ والشهادةِ مُرتبطانِ كالرُّوحِ والجسَدِ، لا تأتي بركةٌ مِنْ عَالَمِ الغيب إلَّا بواسطةِ حركةٍ مِنْ عَالَمِ الشهادةِ، وعليه الدَّليلُ بقولِه جلَّ وعلا لمريمَ عليها السلامُ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ...﴾ [مريم:٢٥] الآيةَ ، ولموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [الشعراء:٦٣] فجعلَ الهزَّ وحَركَةَ العَصَا مِنْ عَالَمِ الشهادةِ سبباً للبركةِ النَّازلةِ مِنْ عَالَمِ الغيبِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذمِّه لمن يُعيِّرُ الناسَ: ما عيَّرَ أحدُكم أخاه ببليّةٍ إلَّا وابتلاه اللهُ بها أو بأعظَمَ منها، قال علي بن أبي طالب كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: (لو عَيَّرْتُ امرأةً بالحَبَلِ لخَشِيتُ أَنْ أَحْبَلَ).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذمِّه لسُوءِ الظنِّ: احذروا سُوءَ الظنِّ، فإنه دليلٌ على الشقاوةِ، ويُخشى على صاحبِه سُوءُ الخاتمةِ، والعياذُ بالله، وَقَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ عادَى لي ولياً فقد آذنْتُه بالحربِ)(١)، وَقَالَ تعالى لنبيِّه في حقِّ المنافقينَ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة:٨٠] فانظرْ إلى المنافقينَ مع سُوءِ ظَنِّهم لا ينفعُهم استغفارُ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو أفضلُ خلْقِ اللهِ.

---

(١) رواه البخاري.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أفلَحَ صاحبُ سُوءِ ظَنٍّ وإنْ أَصَابَ.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ غايةً في التواضُعِ يقولُ: تقبيلُ يدِي كَلَطْمِي، وتقبيلُ رِجْلي كَقَلْعِ عَيْنِي بُغْضاً لعزِّ الدُّنيا.

ومن شعره:

أَلَـــذُّ العــــيش كلُّـــهْ   مَـــعَ أربَـــابِ البــــصَائِرْ

ولا الأســـــــــــــرَارْ إلَّا   لِمَـــنْ صَـــفَّى الـــسَّرائِرْ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكنوزُ كلُّ الكنوزِ في عِمارةِ ما بينَ المغربِ والعشاءِ.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من دعائِه يقولُ: اللَّهُمَّ أجرْنا مِنْ غَيْرِ ضرَرٍ، وأغنِنَا مِنْ غيرِ بطَرٍ، اللَّهُمَّ أجِرْنا مِنْ غيرِ ابتلاءٍ، وأَغْنِنا مِنْ غيرِ امتلاءٍ.

وكانَ دعاؤه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غالبِ محاضرِ ذِكرِه: اللَّهُمَّ ارزقْنا مِنَ العقولِ أوفرَها، ومِنَ الأذهانِ أصفَاها، ومِنَ الأعمالِ أزكاها، ومِنَ الأخلاقِ أطيبَها، ومِنَ الأرزاقِ أجزلَها، ومِنَ العافيةِ أكملَها، ومِنَ الدنيا خيرَها، ومن الآخرةِ نعيمَها، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّمَ.

مِنْ أَقْوالِ العارفِ باللهِ عبدِ الرَّحْمَنِ بن عليٍّ بن أَبي بكرٍ بن عبدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ الحُسَينِي(١)

(٨٥٠ هـ-٩٢٣هـ)

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أُحِبُّ الحياةَ إلَّا لِمُطالعةِ الكتُبِ، ولأزدَادَ مِنَ الخيرِ، ولأُشرِفَ على العلومِ النَّافعةِ.

وكانَ مِن مقروءاتِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على والدِهِ الشيخِ عليٍّ «الإحياءُ»، قرأَهُ عليهِ أربعينَ مرّةً، وقُرِئَ عليه أربعينَ مرّةً أيضاً.

(١) المولودُ بمدينةِ تريمَ سنةَ (٨٥٠ هـ) ونشأَ بها وحفظَ القرآنَ الكريمَ وبها تُوفي سنة (٩٢٣هـ).

ومِنْ وصاياهُ النَّافعةِ قولُه رَحِمَهُ اللَّهُ: اللهَ اللهَ في العُزلةِ عنِ الناسِ إلَّا عندَ الضَّرورةِ، ودُمْ على تلاوةِ القرآنِ وقولَةِ (لا إله إلا الله)، ولا تترُكْ قيامَ الليلِ أصلاً فإنَّ الخيرَ كُلَّه جُمِعَ فيه وما عُقِدَ عَقْدُ وِلَايةٍ لوليٍّ مِنْ أولياءِ اللهِ إلَّا بقيامِ الليلِ.

وله هذه القصيدةُ الفريدةُ أوصى بها الشيخَ عبودَ ابنَ الفقيه بِن سِلْم، وهي عَامَّة لِكُلِّ مُستوصٍ مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ وغيرِهم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَلاَ يـا بـنَ الفقيـه يـا عبـود اسـجعْ بنيّـهْ ... تيقّظ في دُجى الليل واسمعْ ذي الوصيَّهْ
إلى الـرحمنِ تُـبْ مـن ذنوبِـك والخطيّـهْ ... ولازِمْ ذكـر مـولاك بُكـره والعـشيّهْ

علـى الـصلوات واظِـبْ عليهـا في الجماعـهْ ... ولا تغفـلْ عـن الـذكر لله كـل سـاعهْ
وصُرَّ الـبَطِنْ واصـبِرْ علـى طُـولِ المَجَاعَـهْ ... تغـانَمْ سـاعة العُمُـرْ مِـنْ قبـل المَنيّـهْ

وبعــد المغــرب اركَــعْ أوِ اقــرأ بالتــدبُّرْ ... أوِ اذكر وانْ صفا القلب فاسبَحْ في التفكُّرْ
إلى وقـت العـشا احـذر تنام أصـلاً وتهمـرْ ... عـسى تُحمـى وتَحظـى بألطـافٍ خفيـهْ

ولا تـسمُر فتُقْمَـر عـن الطاعـات والـدِّينْ ... تجنَّبْ جـمْ جداً مـن الـسُّفهاء الـشياطينْ
تبعَّدْ لا تُجالس سـوى الـضُّعَفاء المساكينْ ... وتُـبْ بعـد الطهـارة ونَـمْ صـافي الطويـهْ

وقُـمْ في آخـر الليـل صَـلْ واقـرأ وهلِّـلْ ... تفهَّــم سر معنــى كــلام الله ورتِّــلْ
وباسـتغفار مـولاك قبـل الفجـر كَمِّـلْ ... وصـلِّ الـصبح تكفـى مـن الله كـل أذيـهْ

وبعد الـصبح فـاذكُر إلى أنْ تطلـع الـشمسْ ... وكُنْ في اليوم أحسَنْ في الطَّاعَاتْ مِن أمسْ
ولا تكسَلْ من الخير واذكر قَصَّةِ الرَّمسْ ... وقُـمْ صَـلِّ الـضُحى بعـد إشراق المُـضِيَّهْ

ولا تهـتَمْ أصـلاً برزقـك فهـو مـضمونْ ... ضمن به بارئ الكون بِسِرِّ الكَافْ والنُّونْ
وكُنْ بـالله يـا ابـن الفقيـه مشجون مجنونْ ... فــإنّ العبــد يزهــو بحِبــه في البريّــهْ

وغُضّ الطرف يا ابن الفقيه عن كُلِّ فَانِيْ ... ولا تَعْـشَقْ سِـوى الله وَاحِـدْ لـيس ثَـانِيْ
تعـالى كامـل الوصـف في كُـلِّ المَعَـانِيْ ... سَـعِدْ مَـنْ كـانْ قلبـه سُـقي شَرْبَـهْ هنيـهْ

وَتِـهْ وافخـرْ وعَرْبِـدْ وبالأصـوات غـرِّدْ ولا تُـصْغِ لِعَـاذِلٍ ولا تَـسْمَعْ مُفَنِّـدْ
وكُنْ يا ابن الفقيه للمُحبْ الصّب مُسْعِدْ بنيَّـه صَـادِقَه مِـنْ سـوى المـولى بَرِيَّـهْ

وحُـسن الظـن بالمـسلمين الكُـلْ فـالْزَمْ ولا بالمـدح تفـرَحْ ولا تَتعَـبْ مـنَ الـذَّمْ
وصـلَّى الله عـلى المُـصطفى البـدر المُتَمَّمْ وسـلَّمْ دائـم الـدُّوبْ مَـعْ ألفـي تحيَّـهْ

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ مُحَمَّدِ بن عليّ بن عَلويٍّ خِرِدٍ الحُسَينيّ(١)

(٨٩٠ هـ-٩٦٠هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عندَ ذكرِه مناقبَ السادةِ الأشرافِ بني علوي القاطنينَ بحضرموتَ نفعَ الله بِهِمْ: فهُمُ القومُ الذينَ لا يَشْقى بِهِمْ جليسٌ، ولا يَخافُ مِن ريبِ الزَّمانِ وخُطُوبِه لهُمْ أنيسٌ، وعِنْدَ الشدائِدِ والكروبِ عدّةٌ وذخرٌ وكنزٌ نفيسٌ، وُجُوهُهم ميمونةٌ، وصُحبتُهم مأمُونةٌ، وأنوارُ علـومِهم في القلـوبِ مـصُونةٌ، والنَّجـاةُ لِـمُحبِّهم مـضمُونةٌ، والكتُـبُ بكراماتِهم ومناقِبِهم مشحونةٌ، وهُمُ الذينَ انشَرَحَتْ صدورُهم لِلَطَائِفِ إحْسَانِه، وأشْرَقَتْ قلوبُهم بسواطِعِ أنوارِ عرفانِه، وتَرَقَّتْ أرواحُهم في معاني اليقينِ إلى أسنَى درجاتِه، فنزلُوا في بحبوحِ الحضَراتِ القُدسيةِ، وتجلَّتْ لهم فيها أقمارُ المعارفِ الرّبَّانيّةِ .

..إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ : إنْ نَطقُوا فعنهُ ينطقونَ، وإنْ سمعُوا فعنه يسمعُون، ولا عَجَبَ مِنَ اتِّسَاعِ أنوارِهم المُشرِقَات، لأنَّ ألسنتَهم بأذكارِهِ وتحميدِه لهجاتٌ، وقلوبَهم بأذكارِهِ وأنوارِه بهجاتٌ، فلو قُسِّمَ نُورُ واحدٍ منهم على أهلِ الأرضِ لوَسِعَهم ذلك لأنَّ جميعَ حركاتِهم وسكناتِهم في ظاهرِهم وباطنِهم مُقتبسَةٌ مِنْ نُورِ صاحبِ الأنوارِ، والبرزخِ الأسنَى لأنه مَشرقُ الأنوارِ، ومعدنُ الأسرارِ، ذلك مَن له الفتحُ والختامُ، والحائزُ للمقاماتِ العليّةِ بالتَّمامِ، رسولُ ربِّ العالمينَ، وأكرمُ السابقينَ واللاحقين، وسيدُ الأولينَ والآخرينَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وزادَه شَرَفاً وفَضْلاً لديه فهو نورُ الأنوارِ، وسرُّ الأسرارِ السنيّةِ، إليه تنزلُ الأسرارُ الربَّانيّةِ، وعنهُ تُؤخَذُ المعارفُ

(١) صاحبُ كتابِ «الغُررِ» ، المولودُ بمدينةِ تريم سنةَ (٨٩٠ هـ) ونشأَ بها وحفظَ القرآنَ الكريمَ، والمتوفَّى بها سنةَ (٩٦٠هـ) ضَبطَه بعضُهم بقولِه: (جِنَانُ الخُلدِ مَسكنُهُ) ودُفِنَ بمقبرة زَنْبل.

الإلٰهيّةُ، أَخَذَ أهلُ العلمِ الظاهرِ عنه ظاهرَهم وأَخَذَ أهلُ علمِ الباطنِ عنه باطنَهم، وقد قال ﷺ: (اتَّقُوا فِراسةَ المؤمنِ فإنَّه ينظرُ بنُورِ الله)[1] ، وَقَالَ ﷺ: (العُلماءُ ورَثةُ الأنبياءِ) ، وكلٌّ منهم على قدْرِ إرثِه، وإرثُه على قدْرِ نُورِه، ونُورُه على قَدْرِ فتحِه، وفتحُه على قدْرِ صفاءِ قلبِه، وصفاءُ قلبِه على قدرِ معرفتِه بربِّه، ومعرفتُه بربِّه على قدْرِ ما سَبَقَ لَهُ مِنْ وجودِ حُبِّه، غيرَ أَنَّ عُلماءَ الباطنِ أحقُّ بالإرثِ وأولى وأقربُ نِسْبَةً إليه وأعلى لأنَّ علمَهم تلزمُه الخشيةُ وتكتنفُه العظمةُ، وحقيقةُ الإرثِ أن ينتقِلَ الموروثُ إلى الوارثِ على الصفةِ التي كانَ بها عند الموروثِ عنه، وكلُّ صاحبِ عِلْمٍ لا خشيةَ له فليسَ بأهلٍ أن يكُونَ وارِثاً. وَقَالَ ﷺ: (العُلماءُ ورثةُ الأنبياءِ) أي: العلماءُ باللهِ لأنَّ العِلْمَ باللهِ يُورثُ الخشيةَ له، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] ، قالَ بعضُ الأئمةِ المحققينَ والمشايخِ العارفينَ: ولَمْ تَزَلْ سلسلةُ الصلاحِ والولايةِ والصدِّيقيةِ والقطبانيةِ، تمتدُّ مِنَ البرزخِ الأعلى المحيطِ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومَنْ عليها.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ
الشَّيخ أَبي بَكْرِ بن سَالِمِ الحُسَيني[2]
(٩١٩-٩٩٢هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أربَحُ أوقاتِكَ: وقتٌ تَفْنى فيه نفسُكَ ، وأَخْسَرُ أوقاتِك: وقتٌ تُوجِدُ فيه نفسَكَ، واعلَمْ أيُّها العبدُ أنَّكَ لن تَصِلَ إلى اللهِ تعالى إلَّا بعد فَناءِ نفسِكَ، ومحوِ حسِّكَ، ومَنْ عَرَفَ نفسَه لا يَرى غيرَ اللهِ ومَنْ لم يعرفْ نفسَه لا يرى اللهَ تعالى وكلُّ إناءٍ يرشحُ بما فيه.

---

(١) أخرجه الترمذي وحسَّنه. قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٦٨/١٠): (رواه الطبراني وإسناده حسن). وقال الحافظ السيوطي في « اللآلىء » (٣٣٠/٢): (حديثُ أبي أُمامة بمفرده على شرط الحسن). وقد رُويَ هذا الحديث عن أبي أُمامة الباهلي وأبي سعيد الخدري، وعبدالله بن عمر، وثوبان، وأبي هريرة رضي الله عنهم. وإنْ أردتَ التفصيل عن صحة هذا الحديث فاقرأ رسالة: «بشارة المؤمن بتصحيح حديث اتّقوا فراسة المؤمن » بقلم المحدِّث والأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح ففيها الغنية والكفاية لمن أرادَ الهداية واجتناب الغواية.

(٢) الملقَّب بـ (مولى عينات) وُلِدَ بمدينةِ تريم في (١٣) مِنْ شهرِ جمادي الثانية سنةَ (٩١٩هـ) ونشأَ بها وحفظَ القرآنَ الكريمَ، والمتوفَّى بعيناتَ ليلةَ الأحدِ في (٣) مِنْ شهرِ ذي الحجّةِ سنةَ (٩٩٢هـ) ودُفِنَ بها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحثِّ على المجاهدةِ وحِفظِ الأوقاتِ: مَن لم يُجاهدْ في البداياتِ لم يَصَلْ إلى النهاياتِ، وما لم تُجاهدْ لم تُشاهِدْ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] ومَن لم يُحافظْ على الأوقاتِ لم يَسْلَمْ مِنَ الآفاتِ، ومَنْ وقَعَ في الزَّلاَّت استحَقَّ التبِعَاتِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فضيلةِ الصحبةِ: مَنْ جالسَ الأخيارَ حظيَ بالمعَارِفِ والأسرارِ، ومَنْ جالسَ الأشرارَ استحَقَّ العَارَ والنَّارَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لن تَنالَ الحقائقَ إلَّا بتركِ العلائقِ، وفي القناعةِ الرَّاحةُ والسلامةُ، وفي الطَّمَعِ الذلُّ والنَّدَامَةُ، والعارفُ ينظُرُ إلى عيوبِ نفسِه، والغافلُ ينظُرُ إلى عيوبِ الخلْقِ، ومَنْ صَمَتَ سَلِمَ، ومَنْ تكلَّمَ ندِمَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعدِمْ وُجُودَكَ في وجودِهِ، وامحُ شُهُودَكَ في شهودِه، واستعِدَّ لموعودِه، وخُذْ مِنَ العِلمِ ما نفَعَ، إنْ كُنتَ لِكلامي تسمَعُ، وافهَمْ ذلك تجدْهُ واضحاً إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشقيُّ مَنِ اتّبعَ نفسَه وهواهُ، والسعيدُ مَنْ خالَفَ نفسَه وهواهُ، ورحَلَ عنِ الكونِ إلى ربِّهِ، وأصبحَ وأمسَى مُتابِعاً لسُنّةِ نبيِّه محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليكَ بالتواضُعِ والخمولِ، واحذَرْ مِنَ التّكبُّرِ والرِّياسةِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلاحُكَ في سخطِكَ على نفسِكَ، وهلاكُكَ في رضاكَ عن نفسِكَ، فكُنْ ساخِطاً عليها، لا رَاضِياً عنها، تظفَرْ بالوَطَرِ إنْ شاءَ اللهُ، والعارفُ مَنْ عرَفَ نفسَه، والجاهلُ مَنْ جهلَ نفسَه، ما أسهلَ على العارفين باللهِ مِنْ إرشَادِ الجاهلِ، وقد تكسبُ السعادةَ الأبديّةَ بنظرَةٍ، وما سُترَتِ الحقائقُ عن القلوبِ إلَّا بنظرٍ إلى السِّوَى والكائناتِ، فهي الحجابُ، وإلَّا فالحقائقُ جليّةٌ ما عليها حِجَابٌ، وارضَ بما أقَامَكَ اللهُ فيه. قال بعضهم: لي مُدّةُ أربعين سنةً ما أقامني اللهُ تعالى في شيءٍ فكرِهْتُه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا يُحبُّ ويرضَى كُنْ في مقامِ التّسليمِ للهِ سبحانه، والزَمِ الأدَبَ في الاتّباعِ لرسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما أمَرَ به ونهَى عنه، وأَحْسِنِ الظنَّ في عِبَادِ الله، فإنَّ سُوءَ الظنِّ مِنْ عدَمِ التَّوفيقِ، والزَمِ الرِّضا بالقضاءِ وإنْ عَظُمَتِ المصيبةُ فلا يكُنْ منكَ إلَّا الصبرُ الجميلُ،

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر:١٠] واترُكِ الخوضَ فيما لا يعنيكَ، وعليكَ بخُويصَةِ نفسِكَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدُّنيا بنتُ الآخرةِ، ومَنْ عَقَدَ على البنتِ حرُمَتْ عليهِ الأمُّ.

وفي بداية كتابه «رسالة مفتاح السرائر» الذي ألَّفه وعُمرُه لا يتجاوزُ السابعةَ عشرةَ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجَدِّدْ ثيابَ الإقبالِ على الطاعةِ، واعزِمْ على فعلِ الخيراتِ في نهارِكَ وليلِك فإنَّ المقتَ في تأخيرِ الطاعةِ وتطويلِ الأمَلِ. وما أحسنَ قولَ أبي الرَّبيع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (سِيرُوا إلى اللهِ عُرُجاً ومَكَاسِيرَ).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصفِه للدُّنيا وذمِّها: وعليكَ يا أخي بتركِ الدُّنيا ظاهراً وباطناً فإنَّها رأسُ كلِّ خطيئةٍ، وأخرجْهَا مِنْ قلبِكَ فإنَّ حبَّها وحُبَّ اللهِ لا يجتمعانِ في قلبٍ واحدٍ، كما لا يجتمعُ الماءُ والنارُ في إناءٍ واحدٍ، وطالبُها ذليلٌ عِنْدَ اللهِ ذليلٌ عند الخلْقِ، فإنّها دارُ المكرِ والخداعِ، والهمُومُ مُتعلِّقةٌ بِمَنْ أحبَّها، فأَرِحْ قلبَكَ بتركِها فإنَّ الزُّهدَ يُريحُ القلْبَ. قالت الأعرابيّةُ لزوجِها لَمَّا رأتْهُ مهموماً: إنْ كَانَ همُّك بالدنيا فإنَّه قد فرُغَ منها، وإنْ كانَ همُّك بالآخرةِ فزادَكَ اللهُ همّاً بها. قال سيدُ الأولين والآخرين محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (الدنيا دارُ مَنْ لا دارَ له ويجمعُها مَنْ لا عقلَ له)[١]، والدنيا عدوّةُ اللهِ وعدوّةُ أوليائِه، و(لو كانتِ الدنيا تَزِنُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سَقى منها كافِراً شَرْبَةَ ماءٍ)[٢] فكيفَ وأنتَ مُعتكِفٌ عليها نهارَك وليلَك يا مغرورُ، وقد جعلَها اللهُ تعالى لعبادِه الصالحينَ خادمةً لهم فقال لها: (مَنْ خدَمَني فاخدُميه ومَنْ خَدَمَكِ فاستخْدِميه) فانظُرْ إلى هذا الفرقِ العظيمِ ولكن ضَاعَتِ العقولُ في شيءٍ فَانٍ، ولَمْ تخلقْ إلَّا للطاعةِ، وطلبِ الآخرةِ، فكُنْ كما قيلَ: صُمْ عنِ الدنيا واجعلْ فطْرَكَ الآخرةَ. وَقَالَ بعضُهم: لو كانتِ الدنيا مِنْ ذهَبٍ يَفنَى، والآخرةُ مِن خَزَفٍ يبْقى، لكَانَ حقاً أن نختارَ خزَفاً يبقى، على ذَهَبٍ يفنَى، فكيفَ والأمرُ بالعكسِ، الدنيا خزَفٌ يفنَى، والآخرةُ ذهَبٌ يبقى.

(١) رواه أحمد والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب «الزهد» باب هوان الدنيا على الله (٢٣٢٠).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في اشتياقِ الأرواحِ والوارداتِ: اعلمْ أيُّها العبدُ أَنَّ الأرواحَ مُشتاقةٌ إلى اللهِ في كُلِّ وقتٍ، ولها إلى أوطانِها أنينٌ وحنينٌ ولكنْ دونَها حجبٌ، ومَنْ أنفَذَ اللهُ بصيرتَه خرَقَ له الحجُبَ وأمدَّه اللهُ بالإمدادِ من قِبَلِه، وجعلَه يتغذَّى بذكرِهِ ويتنعَّمُ به ويرتاحُ شوقاً إلى رياضِ الأُنسِ ورياضِ الجَنَّةِ، وكُلٌّ له مددٌ على قدْرِ حالِه، والإمدادُ على قدْرِ الاستعدادِ، فكُنْ للإمدادِ مُستعداً لا مهْمِلاً، وللوارداتِ مُتأهِّلاً، والأهليّةُ لها بتفريغِ القلبِ عن كُلِّ شيءٍ سِوى اللهِ، وعن كُلِّ ما تحبُّ وتتوقُ إليه النفسُ، والوارداتُ ليسَ لها وقتٌ معلومٌ فكُنْ لها مُترجِّياً على كلِّ حالٍ سيَّما في الصلاةِ، وعند الذِّكرِ، وعندَ استماعِ القومِ في الحضراتِ، وهي شيءٌ لا يُعَبَّرُ عنه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: والحُجُبُ أصنافٌ منها: طلَبُ الدُّنيا، وطلبُ الرِّياسةِ، وطلبُ الشهواتِ، والخوضُ فيما لا يعني، والحسدُ، وقِلَّةُ ذكرِ اللهِ، ومُجالسةُ أهلِ الغَفلَةِ، وأكلُ الشبهةِ، وكلُّ ما يُلهيكَ عَنِ اللهِ تعالى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: والحِجَابُ عَنِ اللهِ تعالى هو العذابُ، والمحجُوبُ هو المتعوبُ، ولكنَّ العبدَ دائماً ممدودٌ، فليسَ له اعتراضٌ على مولاهُ، فإنْ جعلَه ذاكراً مُستيقظاً يشكرُ اللهَ، وإنْ جعلَه غافلاً قليلَ الذِّكرِ أو عاصياً يستغفرُ اللهَ، ويندمُ ويلتجئُ إليه. ومَنْ طلَبَ الحالَ مع المعصيةِ فهو كالمستسخِرِ، ومَنْ طلبَه معَ الطاعةِ فهو كالمتسبِّبِ لذلك، ولكنَّ مواهبَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واردةٌ في كُلِّ وقتٍ، وفضلَه واسعٌ للطائعينَ والمذنبينَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكرُ اللهِ يُنوِّر القلبَ، والذِّكرُ ذِكْرانِ: ذِكرٌ بالقلبِ، وذكرٌ باللسانِ، فأمَّا ذكرُ القلْبِ فهو أرفعُ مِنْ ذكرِ اللسانِ، لأنَّ الذاكرَ بالقلبِ معه اسمُ الشيءِ وذوقُه، لكِنْ لا ينبغي أن تتركَه لفقدِ الذوقِ، لأنَّه مِنْ جُملةِ الذكرِ، وقدْ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقيلَ لبعضِهم: إنَّا نذكرُ اللهَ تعالى ولا نجِدُ له أَثَراً في القلْبِ؟ فقالَ لَهُ: احْمَدِ اللهَ تعالى الذي زيَّنَ جارِحَةً مِنْ جَوارِحَكَ بذكرِه، ولأنه دليلٌ على المحبّةِ، فإنَّ مَنْ أحَبَّ أحَداً حقيقةً أكثَرَ مِنْ ذكرِه ضرورةً، فإنَّ عِزَّ الذَّاكرِ بالمذكورِ، وذلكَ عزيزٌ جداً.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلَمْ أَنَّ القلبَ كالبيتِ، إِنْ حَلَّ فيه الحَالُّ عمَرَهُ، وإِنْ لم يحلَّ فيه أحَدٌ خَرِبَ، والذِّكرُ والطاعةُ للقلْبِ عِمَارةٌ، والغفلةُ والمعصيةُ للقلبِ خرَابٌ، ومَنِ ازدَادَ ذِكرُه وطاعتُه ازدَادَتْ حياةُ قلْبِه، ومَنِ ازدَادَ غفلةً وقِلَّةَ ذكرٍ ماتَ قلبُه، والأجرُ على قَدْرِ المشقّةِ، فمَنْ زَادَ في ذلك زادُوه، ومَنْ قصَّرَ قصَّرُوه، والاستئناسُ باللهِ على قَدْرِ الذِّكرِ والطاعةِ، والاستيحاشِ عَنِ اللهِ تعالى على قدْرِ الغفلةِ والمعصيةِ، والمستأنسونَ باللهِ لم يستوْحِشُوا مِنْ شيءٍ، لأنّهم لم يروا إِلَّا اللهَ تعالى في كُلِّ شيءٍ، فلا يُوحِشُهم شيءٌ، ومَنْ أَطَاعَ اللهَ أطاعَه كلُّ شيءٍ.

قالَ بعضُ العارفينَ باللهِ لِمَنْ رأوا السِّباعَ حولَه مُتأدِّبَاتٍ، وعجبُوا مِن ذلك، فقال: لا تعجَبُوا أنتم أصلحْتُم الظاهرَ فخِفْتُمْ الأسَدَ، ونحنُ أصلحْنَا الباطنَ فخافَنا الأسَدُ.

قلت: لأنّهم لا ينظرونَ إلى شيءٍ إلا شهدُوا اللهَ تعالى فيه أو قبلَه أو بعدَه، واللهُ تعالى لا يَحِلُّ في شيءٍ، ولا يَحِلُّ فيه شيءٌ، ولكنْ ليس شيءٌ خالياً عنه، فكيفَ تنظرُ غيرَ اللهِ تعالى، فواللهِ ثُمَّ واللهِ غيرَ مُكلَّفٍ باليمينِ ولا مُفتخِرٌ، ما شَهِدَتْ ولا نَظَرَتْ عيني شيئاً إِلَّا شهدْتُ اللهَ تعالى فيه أو قبلَه أو بعدَه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعْلَمْ أَيُّها العبدُ أنّكَ عزيزٌ بربِّك، ذليلٌ بنفسِك، وإذا كانَ العبدُ يرى أنهُ خيرٌ من رجلٍ من المسلمين، فهو المتكبِّرُ حَقّاً، وهل يمكنُ التّكبُّرُ للعبدِ الفقيرِ الحقيرِ، الضعيفِ الذليلِ، الذي لا يملكُ لنفسِه نفعاً، ولا يدفعُ عن نفسِهِ ضُرَّاً، بل يضرُّ نفسَه، فكيفَ ينفعُها. واعلمْ أنَّ العبدَ لا يتكبَّرُ إِلَّا بثلاثةِ أشياءَ:

أحدُها: إذا استغنَى بنفسِه عن ربِّهِ، نسألُ اللهَ السلامةَ مِنْ ذلك.

الثاني: إذا كانَ غافِلاً مُنهَمِكاً في غفلَتِه.

الثالث: إذا نَسِيَ عدمَه وتلاشيه في عظَمةِ اللهِ تعالى.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالواصِلُ تكفيهِ الإشَارةُ، وغيرُ الواصِلِ ما يَصِلُ بالتَّعليمِ، ولا بالفَهْمِ، ولا بالتقْدِيرِ، ولا بالعَقْلِ، ولا بالعِلمِ، إِلَّا بِخِدْمةِ فَاضِلٍ واصِلٍ، وأستاذٍ عارفٍ باللهِ كاملٍ، يرحمُه الحقُّ به ويتولّاه، ويشرقُ في قلبِه، ويهلِكُ خواطرَه وشيطانَه، سالِكٌ على طريقِ القومِ،

يهتدي بنورِهِ وهِمّتِه، ويصلُ إلى مقصودِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، فقدْ وفَّقَنا اللهُ وإيَّاهم فيما يُحِبُّ ويَرضَى مِنَ الأقوالِ والأفعالِ والعِلمِ النَّافعِ والهُدَى، إنَّه على كُلِّ شيءٍ قدير، ومَنْ لم يعرفْ نفسَه في الابتداءِ لا يعرفُها في الانتهاءِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ على قولِ بعضِهِمْ: (إنَّ للهِ عِباداً إذا نظَرُوا إلى شخصٍ أكسبُوه السعادةَ)، هذا بنظَرِ النَّاظِرِ إليهِمْ، وأمَّا نظَرُهُمْ إليه فإنّهم يُوصِلُونه إلى أعلا مقامٍ عند اللهِ مِمَّا لا يُمْكِنُ التَّعبيرُ عنه(١).

---

(١) وقد اتَّفَقَ العِلمُ الحديثُ والقديمُ على إنَّ نَظَرَاتِ الناسِ تَخْتَلِفُ باختلافِ الانفعالاتِ وباختلافِ شحنتِها مِنَ القُوى والطاقاتِ الباطنيّةِ في الإنسانِ، وهذا أمرٌ محسوسٌ فلِكُلِّ نظرةٍ معنى، ولِكُلِّ نظرةٍ تأويلٌ، ولِكُلِّ نظرةٍ حديثٌ رُوحيٌّ تفهمُه العقولُ وتتأثَّرُ به القلوبُ والعواطِفُ، وهكذا يختلفُ معنى النَّظرةِ في القُرآنِ المجيدِ، وباختلافِ المضمونِ والمدلولِ والمفهومِ فمَثَلاً قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾[التوبة:١٢٧]، فهي نظرةُ حقدٍ ونفاقٍ. وقولُه تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾[الصافات:٨٨-٨٩]، فهي نظرةُ حِكمةٍ تخلُّصٍ واعتذارٍ. وقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾[الواقعة:٨٣-٨٤]، فهي نظرةُ عجزٍ وإشفاقٍ. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[المدَّثر:٢١-٢٢]، فهي نظرةُ خبثٍ وتماكرٍ وتفكيرٍ. وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطفّفين:٢٣]، فهي نظرةُ إيمانٍ وسعادةٍ ...إلخ. إنَّ التَّنْويمَ المغناطيسي الصادقَ أساسُه النَّظرةُ، وإنَّ الانفعالَ بالحُبِّ أو البغضِ أو السكونِ أو الخوفِ أساسُه النَّظرةُ. إذاً ففي النَّظرةِ سِرٌّ، يُرى ويُفهَمُ ويُحَسُّ!! وفي الحديثِ الثابتِ: (العينُ حقٌّ). ومِنْ هُنا نفهَمُ قولَه تعالى فيمَنْ أحبَّهم: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[القيامة:٢٢-٢٣] في مُقابلةِ قولِه تعالى فيمَنْ كرِهَهُم: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[آل عمران:٧٧]. ولأمرٍ ما قال تعالى: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾[البقرة:١٠٤]. ولأمرٍ ما قال تعالى عن غيرهم: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ﴾[النساء:٤٦] ولأمرٍ ما قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾[الأعراف:١٤٣] والنَّظرةُ نوعٌ من الإمدادِ الغيبي ترسلُ به عينُ البصرِ أو البصيرةِ وفي إشعاعاتِها سيّالاتٌ قويّةٌ وتيّاراتٌ نفَّاذةٌ مُؤثِّرةٌ، وأنتَ واجدٌ تجربةَ ذلك مُكرَّرَةً، في اختلافِ نظراتِك اليوميةِ إلى أولادِك ومرؤسِيكَ والناسِ كلِّهم ممَّن تتعامَلُ او لا تتعامَلُ معهم في حالَتي الرِّضا والانقباضِ. ألاَ ترى نظرةَ المنوِّمِ المغناطيسي الصادقِ؟ ألاَ ترى نظَرَاتِ قُوَّادِ الجيوشِ والحركاتِ الثوريةِ؟ ألا ترى إلى نظَرَاتِ الخُطباءِ والمحاضرينَ والممثلينَ؟ ألا ترى إلى نظَرَاتِ المجرمينَ؟ ألاَ ترى إلى نَظَرَاتِ المحبِّين؟ ألا ترى إلى نظَرَاتِ السُّعداءِ والمحزونين والخائفين والواثقينَ؟ ألا ترى إلى نظَرَاتِ أهلِ الفِراسةِ الصادقينَ، الذي قال عنهم رسولُ اللهِ ﷺ: (اتَّقُوا فِراسةَ المؤمنِ فإنَّه ينظُرُ بنُورِ اللهِ). اللهُمَّ نظَرَةً ومدداً، وليسَ إلاَّ منك النَّظَرُ والإمدادُ!! اللَّهُمَّ وأَذِقْ مَنْ يظُنُّ بنا الجهلَ والخرافةَ حلاوةَ سِرِّ النَّظْرَةِ، نظرتَه إليك ونظرتَكَ إليه.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ بالله عُمَرَ المِحْضَارِ بنِ الشَّيخِ أَبي بَكْرِ بن سَالِمِ الحُسَيني[١] (ت ٩٩٧هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أَعْطَيتُ أحداً سُبْحةً وقلتُ له: هَاتِ ألفاً مِنْ (لا إله إلا الله)، ما يتمُّه إلَّا وهو بايفْتِقِش[٢] ولو ظلّيت تلغو أنت وإيَّاه مِنَ الصبحِ إلى العصرِ ما فتَرَ، وهذا مِنْ خرَابِ القلبِ، ويااليتَ معَ ذلك اعترافٌ وندَمٌ وتوبةٌ ورُجُوعٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهلُ سلوكِ هذه الطريقِ، ما غيَّر عليهم، إلَّا كُلٌّ منهم راكز نفسه على غيرِ حقيقته، وَقَالَ: (أنا) وصاروا يُعلِّمون الخَلْقَ ما يقطع بِهِمْ عن ربهم، فلو أَنَّ المتكلِّم شاف إيش في قلبه؟ ، وكيف سلوكه في طريقه؟، وما مقصوده؟، وما الذي يجب؟، ويُطلَبْ؟، كان تحقَّقْ ونهَى نفسه، ولامَها وسَلِمَ مِنَ الشّور العَاثِرْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيا معشرَ الفُقراءِ والمُريدينَ، تحابُّوا، وتراحمُوا، واعرفُوا قدْرَ ما أنتم فيه مِنَ النِّعمةِ، وما أنتم طالبينَ، فإنَّ هذه الطريقَ ما تثبُتُ إلَّا على دَحْقِ النفوسِ، وسلامةِ الصدورِ، وإيثارِ جنابِ الحقِّ، والمراحمةِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩] وَقَالَ تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وَقَالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخِيه ما يُحِبُّ لنَفْسِه)[٣]، وكُلٌّ يتفقّدُ قلبَه ويشوف إيش فيه، فإنْ وجَدَ هذه الصِّفةَ فيه، وإلَّا عادُه ناقص مِنْ دَرَجَةِ الإيمانِ، فلينهَضْ بصدقِ نيّة، وإخلاصٍ، ويغتنم عُمرَه، ولا يُضيِّعْ أنفاسَه إلَّا في الطاعةِ، فالعُمرُ قصيرٌ، والدُّنيا متاعُها قليلٌ، ولا عَادْ مِنَ القليلِ إلَّا القليلُ، ما تدري متى هاذمُ اللذَّاتِ يهجمُ عليك، فلا عَادْ تنفعُ النّدامة، في تلك الساعة، ما عَادْ هناك إلَّا ما قدَّمتَ، قال الله

---

(١) المولودُ بعيناتٍ والمتوفَّى بها يومَ الأحدِ (٢١) جمادى الآخرة سنةَ (٩٩٧هـ).

(٢) أي ينفجر.

(٣) رواه أبو داود.

تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:١٠-١١].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومَنْ وقعَ له أن يتركَ مخالطةَ الخلْقِ، وينفردَ معَ اللهِ فهو أحسنُ لَهُ على كُلِّ حَالٍ، لأنَّ الخلْقَ ما عاد خوضُهم إلَّا في ذنوبٍ، إمَّا غيبة مُسْلِمٍ، وإلَّا خوض في الباطلِ، وفي أُمُورِ الدُّنيا، والضعيفُ يأخذونَه، لأنَّ المرءَ مِنْ جليسِه، وكلامُهم يدخلُ في قلبِه، ويُؤثِّرُ فيه، فهُمْ أعظمُ فتنةٍ على المقْبِلِ، وشياطينُ الإنسِ أعظَمُ مِنْ شياطينِ الجنِّ، لأنَّ شيطانَ الجنِّ إذا استعذْتَ باللهِ منه وذكرْتَ اسمَ اللهِ شرَدَ، وهذا إذا استعذْتَ باللهِ منه ما يشردُ فصارَ أعظَم مِنْ هذا القبيلِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ ظنَّ أنَّه داحقُ الطريقِ وهو غارقٌ في شهواتِه ورئاستِه، وحُظُوظِ نفسِه وهَوَاه، فذلكَ المغرورُ الذي زيَّنَ له الشيطانُ عمَلَه ولا عرَفَ كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ أخْوَفَ ما أَخافُ على أُمَّتي الإئمةُ المُضِلِّينَ)(١)، وهُمُ الذينَ يدلُّونَ على غيرِ حقيقةٍ لكن قد جعَلَ اللهُ صراطينِ، صراطِ اللهِ، وصراطِ الجحيمِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى:٥٣] وَقَالَ تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣]، هو كلُّ مقامٍ موروثٍ، مَنْ دعَى إلى نفسِه على غَيْرِ حقيقةٍ فهو الدَّاعي إلى صراطِ الجحيمِ، وهو مقامُ فرعونَ، وأبي جهلٍ، وعبدِالله بن أُبي بن أبي سَلُولٍ، قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أخوفُ ما أخافَ عليكم مِن غيرِ الدّجّالِ دُعاةٌ مُضلِّينَ)، وهُمُ الذين تلبّسُوا للخلْقِ، لبسُوا لهم عمائمَ وأقباعَ فمَنْ أقبَلَ إليهِمْ، وخَضَعَ لهُمْ شهدُوا له بالجنّةِ، وهُمْ ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور:٣٩] اللهُمَّ أَرشِدْ أُمّةَ محمدٍ إلى هُداهُم وألهِمهُمْ الصوابَ، ولا أَخذَ الخلقُ إلَّا قلّةُ تدبّرِهم للقرآنِ، وعدمُ القيامِ عند حدودِه، إذا وجدوا تصنيفةَ مخلوقٍ مثلِهم عظّمُوها، وأخذوا بها، وكلامُ اللهِ أهملُوه، وعِلمُ

---

(١) رواه أبو داود.

الأوّلينَ والآخرينَ مجموعٌ فيه، قالَ تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] فلو أخذُوا عن القرآنِ، وعلمُوا أَنَّ هذا السِّرَّ مُنتقلٌ مِنْ واحدٍ إلى واحدٍ إلى قيامِ الساعةِ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦] وقَالَ تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٥] وقولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢] الآية، وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق:٥] فمَنْ أَتْقَنَ هذه الإشارةَ وعرَفَ، وتَبِعَ فهو كلَّ يومٍ في زيادةٍ في الدُّنيا والآخرةِ، والمُريدُ إذا صَدَقَ معَ الشيخِ صَارَ هُوَ هوَ لأنَّه أحبَّه للهِ، وقد تُثْمِرُ له علوماً مِنْ غَيْرِ تعلُّم و(المرءُ معَ مَنْ أحَبَّ)(١)، وما كانَ للهِ فهو يدومُ، قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كانتْ هجرتُه إلى اللهِ ورسولِه فهجرتُه إلى اللهِ ورسولِه، ومَنْ كانت هجرتُه إلى دُنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينكحُها فهجرتُه إلى ما هاجَرَ إليه)(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قولُه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣] فقدْ مَنَّ اللهُ علينا من فضلِه وجودِه ما لا نؤدي شكرَه، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧] ولأنَّ العبدَ ضعيفٌ هلوعٌ جزوعٌ، فإذا ثبّتَه ربُّه شكَرَ وتنعّمَ، وصبرَ على ما جاه في هذه الدَّارِ، لو هو في لظَى شافَها نعمة، لأنَّ كلَّ ما أصابَه فهو كمالٌ في آخرتِه، والصبرُ مفتاحُ الفرَجِ وكفيلُ النّجاةِ لأنَّ سيدَنا علي بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ و كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ خُيِّرَ بين ثلاثٍ فاختارَ الصبرَ، فجمعَهنَّ كلَّهن، لأنَّكَ إذا صبرتَ أخذَ كلُّ شيءٍ حدَّه وزال، قولُه تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨] ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١] ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] وإذا اضطربْتَ وتضجَّرْتَ ما ازددتَ إلَّا تعَباً، ولا بُدَّ لِكُلِّ شيءٍ يصلُ مُنتهاه، قال الله تعالى:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر:١٠] والغنائِمُ في هذه الدَّار يا نائِمُ، إلحَقْ الغنائِمْ، لأنَّ كل تسبيحة فائدة، وكل تهليلة فائدة، وكل نَفَسٍ يجري في طاعةِ الله جوهرة يجدها المؤمن غداً في صحيفته، وكل أذيّة ومحنة تلحقك في هذه الدَّار، يجب الشكر عليها لأنَّ المؤمن كُلَّما امتُحِنَ وابتُلِيَ علَتْ درجته، قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ...﴾ [العنكبوت:١-٢] الآية، والآيات في هذا المعنى كثير.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمَنْ فكَّرَ واعتبَرَ عرَفَ، فَ(فِكرُ ساعةٍ خيرٌ مِنْ عبادةِ ستينَ سَنَة)[1] صيامَها وقيامَها، ما راح بالناس إلَّا قِلِّ الفِكر، لأنّهم ما فكّروا في هذا السِّر الذي مَنَّ الله به عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزُّخرُف:٧٨]، وَقَالَ الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٦] فمَنْ صَدَّ عن هذا العبد، فَمَا صَدَّ إلَّا عن ربه، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣] وَقَالَ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وَقَالَ تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحِجر:٨٥] . فما قَامَتِ السموات والأرض وما فيهنَّ إلَّا بهذا السِّر العظيم، فمَنْ وقَعَ له فيه إتقان، فيجب عليه الشكر مع كُلِّ نفَسْ، لأنَّ ما معرفته إلَّا بالبخت، ولا يثبت إلَّا بالمحبة، لأنَّ مَنْ لا له محبّة فلا له محبوب، (والمرءُ معَ مَنْ أَحَبْ)، خصوصاً في هذا الوقت، لأنَّ الخلق قدهم في ظُلمةٍ عظيمة، يُمسي ابن آدم على لون، ويُصبح على لون، مثل الحَرباء يتلوَّنُ، قِدْهُم يعبدون اللهَ على حَرْفٍ، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١]، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (يأتي زمانٌ القَابِضُ فيه على دِينه كالقابِضِ على الجَمرِ)[2]، وَقَالَ

---

(١) حديث نبوي ذكره السيوطي في «الجامع» .

(٢) رواه الترمذي.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (العامِلُ فيه بخمْسِينَ مِنْكم)(١) لأنهم ما يجدون مُساعد، طُوبى للغُرباء لأنّهم أهل هذا الوقت يستغربون ما جاء مِنَ الله، ينسبون الشيء إلى الخلق، ولا ينسبونه إلى الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار:٨]، وقالَ تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨] وقالَ تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزُّمَر:٢٢] هذا في مقام الإسلام، وإلَّا البصيرة النافذة شمسٌ ضاحية ما يعتريها غيم، ولا شيء يحجبها، قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ:٣] الآية، ولا عرفوا الخلق مساكين، إيش إشارات القرآن العظيم، ولو عرفوا تنعَّمُوا، لكن راح بالخلق التّعامي والتغافل، قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ﴾ [يونس:٣٢] وقالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [فُصِّلَت:٢٣] لأنَّ كُلاً استغنى بما عنده، وظَنَّ أنه على الطريق، وعاد كلٌّ يعرف إيش حصل عليه، لا يغتر بثناءِ الناس عليه، بل يشوف الذي في قلبه، ولا يحق له هناك إلَّا ما قَدَّمَ، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة:١٥] فكُلاً داري إيش الذي معه في وعاه، لكنّهم يظهرون للخلق محاسنهم، ويخفون مساويهم رياءً وتصنُّعاً، فإذا صارَ بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولم يصحبه هناك إلَّا عمله قال: ردُّوني أعمَلْ غير الذي كنت أعمل، فلا عَاذْ ينفع العذر هناك إلَّا عمله، قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الروم:٥٧] ونحن ما دعينا الخلق وجالسناهم وعاد فينا بقيّة لغير الله، أو نشهد غيره، أو نحس لأحد وُجُود، بل الحق دعا خلقه على لسان عبده، قال تعالى: ﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾ [الأحقاف:٣١] الآية، فمَنْ أقبَلَ ما أقبَلَ إلَّا على ربه، ومَنْ أدبَرَ فما أَدْبَرَ إلَّا

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» والبيهقي في «السنن الكبرى» والحاكم في «المستدرك».

عنه، والسعادة والشقاوة سوابق، هؤلاء وهؤلاء قدهم في القبضتين، من هناك ما عاد هُنَا إِلَّا مظَاهِرْ، فإذا تكلّمنا فمِنْ حيث الشريعة، قال تعالى لنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] وَقَالَ تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف:١٤٥] وَقَالَ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] وَقَالَ تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى:١٠]، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (اجملوا في طَلَبِ الدنيا، فإِنَّ كُلاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له)(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأَمَّا عِنْدَنَا ما فقيه إِلَّا مَنْ فَقِهَ عَنِ الله أمره ونهيه، وحَكَمَ بما قال اللهُ ورسولُه، وترَكَ هوَاه، فهذا الذي يُسمّى فقيه في الحقيقة، وإِلَّا هو حَامِلِ أسْفَار، ضُرُّهُ أكثر مِنْ نفعِهِ، فلو تسأل فُقهاء أهل القَرْنِ العَاشِر، وتقول: مَنِ الإمام صاحب الأمر الذي أَوْجَبَ الله ورسوله طاعته؟ ما يقولون لَكْ والي الأمر إِلَّا السلطان، لا يخافون مِنَ الله ولا رسوله، لكن قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أخوف ما أخاف عليكم من غير الدجَّال قالوا: مَنْ هُمْ يارسول الله قال: (علماء السُوء) لأَنَّ حُكمهم ما صار إِلَّا لجمعِ الدُّنيا، والتعيَّاش فيها، ونسيوا ربهم، فلو فكّروا إيش عاقبة أربَابِ الدُّنيا، لو يملكها واحد منهم مِنَ المشرقِ إلى المغرب ما أفاده بهَولِ ساعة، في موقف الحساب بين يدي الله، يوم كُلاًّ يُسأَلْ ويُناقَشْ عَنِ النّقير والقِطْمِير قال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] وَقَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠] الآية، فمَا عَادْ نَرْثَى إِلَّا لِمَنْ عاده يبغى يتعلَّمْ مِنْ عِلمهم، ويأخُذْ عنهم، فيجب على المؤمن المتوجِّه الفِرَار مِمَّنْ يقطع بهِ عَنْ بَابِ الله مِنْ عُلماء السُوء، وأهل المَنَاصِبِ والرِّئَاسَاتِ الذين نصَبُوا أنفسهم على غَيْرِ حقيقة، بَلْ على رَسْمِ العَادَة، أبوي، وجَدِّي، لأنه حسب ما يجلس عند أحد منهم، أَدْخَلُوا السُّمَّ القَاتِلَ على قلبه، فيجلس معنا وقد قلبه مقتول ميت، ما ينفع فيه الوعظ، لأنّهم يطعنون قلبه، مثل ما يطعن الجسم حتى يقتله، فتصير ذنوبهم في رقابهم، لكن إيش عاده ينفعه، قد راحوا كلّهم في النار، كما قيل في المَثَلْ: (أخذتني أَيا هديهد، وأخذتَ نفسك) ولا تظُن أَنَّ الطريقَ سهلة، إِنّما عَقَبَةٌ كؤود، محفوفة بالمكاره.

---

(١) أخرجه ابن ماجه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المؤمن يكون مُراقِبٌ قلبه، يعرف إيش يدخل فيه ويخرج منه، ويعترف أنه على الصراط لا يميل حرف قَدَمٍ، لا يزال في الاستقامة، لأنَّ هذا الصراط أدَق مِنَ الشعرَة، وأحَدّ مِنَ السَّيف، فمَنْ مَرَّ عليه هُنا جَازَ وفَاز، لأنّهُ يمُرُّ هُناك كالبرقِ الخَاطف، ومَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنِ الصراط في هذه الدَّار، زلَّتْ هُناك في جهنَّمَ، وعُبورهم هناك على الصراط على قَدْرِ استقامتهم هُنا على صراطِ الله، قال تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يس:١-٤] ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ...﴾ [الشورى:٥٣] الآية، ونحنُ ما نظرنا الصراط والمجَازْ عليه إِلَّا هُنا، والغافل مسكين، يظُن إِنْ عاده هُناك، ولا عاد هُناك إِلَّا ما قدّمته هُنا، وَقَالَ تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩] وَقَالَ تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [يونس:٣٠].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما حَجَبَ أكثر الناس إِلَّا إنّهم ينظرون إلى الصوَرْ والسِّنْ، ونحنُ ما نظرنا لكبيرٍ ولا صغير، إِلَّا مَنْ قرَّبه الله فهو الكبير، ومَنْ أبعده الله فهو الصغير.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والخَلق راح بِهِمْ العجز، عجزوا عن مطلَبِ المعَالِي، ورضُوا بما هُمْ فيه مِنْ صفاتِ البهَائِم المذمومة، فالعجز عجزان: عجز محمود، وعجز مذموم، **فالعجز المحمود:** هو الذي عرَفَ الشيءَ وانطرَحَ على بابه، مُنتظر فضل الله، وعرَفَ أَنَّ جهده ما يُوصله، ولا يصل إِلَّا بالفضلِ والجُود. **والعجز الفاني المذموم:** هو الذي استغنَى بما معه، ووقَفَ وظَنَّ أَنَّ الذي عنده هو مُنتهى الشيء، وهو في مكان يقطعه عن ربه غارق، فإذا سلِمَ عن غُربةِ الخَلق فعاده أشكل إذا تاب ورجعَ تابَ الله عليه، لأنَّ بَابَ التوبة مفتوح لِمَنْ أقبَلْ، لا والذي يغر الخلق، يروح في الكفر، لأنَّ الذي بينك وبينَ الله سهل، والذنب الذي بينك وبين الخلق عسر، لأنّهم يطلبونك فيه، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر:٦٠].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونحنُ نحمد الله مولانا فقد جَادَ علينا وأفضل، بما لا يكون في حسابنا، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضُّحى:١١] ولا نُظهر شيئاً ونتحدّث به إِلَّا لهداية

الخلق، وإِلَّا ما لنا مقصود في مخلوق خلق الله، ولا نخاف مِنْ مخلوق، فمَنْ عاده يخاف مِنْ مخلوق فبئس بحياته، فكَيْفَ تخاف مِنْ مخلوقٍ وناصيته بيد الخالق، ذلك مِنْ قِلِّ الإيمان، فإذاكتَبَ الله منيّتك على يَدِ مخلوق، فلا بُدّ منها، أَمَّا آدمي وإِلَّا غيره وإِلَّا ملك الموت، فمَلَكُ الموت مخلوق مُسخَّرْ، مثل واحد مِنَ المخلوقين، فإيش عاد الفائدة في الخوف؟، وأَمَّا نحنُ فلا ننظر الموت إِلَّا عين الحياة، لأنَّ الموت قد حصَلْ ولا عَادْ في الدُّنيا إِلَّا محنة، لكن بقَاؤنا غنيمة للخلق، ونعمة لِمَنْ عرفها، فمِنَ الناس مَنْ يقولُ ما أتّبع ولا أُبايعْ إِلَّا إنْ ظَهَرَ لي شيء مِنْ غير إيمان، وتصحيح نيّة صادقة، وذلك عين الجهل والغلَطْ وهو المغرور، لأنّهُ تابع هواه، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [المؤمنون:٧١] وَقَالَ تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]. فلو اعتبروا بالصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لم يُطالبوا الخُلفاء الرَّاشدين بشيءٍ مِنْ ذلك بل بايعوهم وتبعوا ما قال الله ورسوله، لأنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (عليكم بسنّتي وسنّة الخُلفاء الرَّاشدين المهديين مِنْ بعدي)[1].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن عرَفَ أَنَّ الله خلَقه لِمُراده ما له في نفسه خيره ولا اختيار سَلَّمَ لَهُ القياد وتنعَّمَ وشَكَرَ لأنه خلَقَ الخلق لمراده ما يقدر أحد أن يُسعد نفسه أو يشقيها، ولا تكلَّمنا إِلَّا من حيث الشريعة لأنّها مَرْكب السلامة ولها حدود وأحكام فإذا تكلَّمنا فلا نتكلَّم إِلَّا على أمْرِ الله ورسوله فَمَنْ رزقه الله الطاعة والاتباع والامتثال والانقياد لِمَا قالَ الله ورسوله فذلك الذي مَنَّ الله عليه بنجاةِ نفسه ودَخَلَ في سفينةِ النَّجاة، ومَنِ ابتلاه الله بالصَّدِّ عن بابِ الله واستغنى وسار فيما يسخط الله ورسوله فذلك المغرور الذي تولاَّه الشيطان وزيّن عمله وهو يظن أنَّهُ على طريق قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨] وَقَالَ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣] وقَالَ تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ

(١) رواه أبو داود.

أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤] ولا تفاوتت المراتب إِلَّا بالقصد والنيّة والإخلاص لأنَّ كم مِنْ سَالِكٍ قتَلَ نفسه بالصيام والقيام ولا له مقصود إِلَّا الجنة، وآخر كذلك ولا مقصود إِلَّا فزَعٌ مِنَ النار، وكيف أحد يخاف مخلوقاً ، ولأنَّ الجنة والنار مخلوقات مسخرات، فأهل الله مستغرقين في مولاهم في الدنيا والآخرة لا لهم التفات إلى غيره لا إلى جنّةٍ ولا إلى غيرها ولا جعَلَ لهم في الدنيا طرفة محبّة إِلَّا لتعرف أنّها دار امتحان وإِلَّا فَقَدْهُمْ في الجنّة مِنْ هُنا لأنَّ ما مقصودهم إِلَّا مولاهم وقد حصَلَ لهم المقصود فهُم أُمناء الله في خلقه مَنِ اتَّصَلَ بِهِمْ اتّصل بالله ومَنْ قصَدَ بابهم قصَدَ باب الله ومَنْ أحبّهم أَحَبَّ الله لأنّهم معَ الله صِرف.

مِنْ أَقْوَالِ العارِفِ باللهِ حَاتِمِ بن أَحْمَدَ بن مُوسَى الأَهْدَلِ الحُسَينِي(١)

(٩٢٠-١٠١٣هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ: اعْلَمْ أَنَّ وُجُودَ الشيخ مِنْ مِنَحِ اللهِ تعالى على المريد وهدَايَاه حَالاً ومآلاً يُؤيد بِهِ المريدَ إذا صَدَقَ في إِرَادَته، وبذَلَ في المنَاصَحَةِ جُهْدَ استطَاعَتِه، ومتى حصَلَتْ للمُريد مِنْ شيخه رَشْحَةُ نَظْرَة، أَسْمَى بِهَا قَدْرَه، ورَفَعَ ذِكْرَه، وأصلَحَ أَمْرَه، وإِنْ أدركَ منه دعوةً صالِحَةً، صَارَتْ مَطَالِبُهُ نَاجِحَةً، وتِجَارَتُه في سُوقِ الآدَابِ رَابِحَةً، وأنفَاسُ العِنَايَة إِلَيهِ رَايِحَةً، ورَيّا القبول لأعمَالِهِ فَائِحَة ، ونسَمَاتُ تكميلِ النَّفْسِ بحُسْنِ العَمَلِ فيه عليه نَافِحَةً.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إذا نَطَقَ النَّاطِقُ فِيْكَ، مِنْ فِيكَ يَكْفيكَ، فَزُمَّ زِمَامَ الجَوَارِحِ، قبل أن تَصِيْرَ جَوَارِحَ، وتَتْعَبُ مِنْ أَجْلِهَا الجَوَانِحُ، واسْتَوَى الصَّادِحُ والنَّائِحُ، وتطوي مسافةَ السَّارِحِ والبَارِحِ، ويُنادي المنَادِي في النَّادِي فيُجيب نفسه ياقومُ، وقد فنيَ المحسوس والمعْلُوم والموهُومُ، عِنْدَ قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]. وقد انْعَدَمَتِ الوَجَاهَة والجِهَة، إذ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

---

(١) المولود بـ(المراوعةِ)، سنةَ (٩٢٠هـ)، والمتوفَّى بمدينةِ (بندرِ المخَا)، يومَ الأحدِ مِنْ شهرِ مُحَرَّمٍ الحَرَام سنة (١٠١٣هـ).

مِنْ أَقوالِ العارِفِ باللهِ عُمَرَ بن عبدِ الرَّحْمَنِ بن عقيلٍ بن سالمٍ العَطَّاسِ الحُسَينِي(١)

(٩٩٢-١٠٧٢هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُنظُرِ الحالة التي تُحب أن يأتيك الموتُ وأنتَ عليها فالزمْها، والحالة التي تكره أن يأتيك الموت وأنت عليها فاجتنبها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ رأيت فيه خصلةً مليحةً يعني مِنْ خِصَالِ الخير فظُنّ به الدِّين كُلّه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنها لم تَقِلَّ المَناهِلُ على أهل تالي الزَّمان ولكنَّهم جاؤوا بأوعيةٍ مُخَرَّقة، ومِنَ الناس مَنْ يأتي بوعاء حافظ فيأخذ فيه ما يكفيه شهراً، وآخر ثمانية أيام، وآخر يوماً واحداً، وآخر يأخذ ما يكفيه لعمره كلّه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مجلس الأخيار يأخذ منه القلبُ وإِنْ كَرِهَتْ النَّفْسُ، ومجلس الأشرار تأخُذُ منه النفسُ وإن كَرِهَ القلب.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تُبالي بالدُّنيا وأهلها ولا تغبطهم عليها في كِسَاءٍ أو قُوت.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل يمكن حُرَّاثُ الدنيا أن يناموا ليلة الرَّعض(٢) يعني ليلة يسقون أراضيهم بالسيل؟ فقيل: لا قال: كذلك أهل الطاعة، وحرث الآخرة لا يتركون قيام الليل ولا تسمح نفوسهم أن تنام، وما قدر مُدّة الحياة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة إلَّا مثل ليلة الرّعض بالنسبةِ إلى أيَّام الموسم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا سمع بعض الغواة وقد باتوا طُول ليلهم في لَهْوٍ عظيم إلى أنْ شرقَتْ الشمس قال: إنَّ أهل الطاعة يعشقون ويرغبون فيها كما يعشق هؤلاء ما هُمْ فيه. (يعني مِنَ اللَّهو).

---

(١) المولود بقرية (اللِّسْك) وهي قرية قريبة مِنْ عينات سنة (٩٩٢هـ) والمتوفّى بنفحون (إحدى قُرى وادي عمد) وهو خارج في الدعوة إلى الله ليلة الخميس في (٢٣) ربيع ثاني سنة (١٠٧٢هـ) ودُفِنَ بحريضة.

(٢) ليلة الرّعض: هي الليلة التي يكرم الله عباده بهطول الأمطار وجريان السيول فيخرج أهل كل بلاد فيسقون أراضيهم ونخيلهم.

ولَمَّا بلغه رَحِمَهُ اللهُ أنَّ بعض المنسوبين إليه اشترى بعض الأَرَاضي وفي وسطها قطعة موقوفة فأخذها لنفسه ووقَفَ مثلها في مكانٍ آخر، قال له: يا فلان إنَّ قطعتك صَارَتْ موقوفة والوقف الأوَّل مكانه موقوف فكيف ينقلب حلالاً وقد سرى فيه الوقف إلى الأرض السابعة السُّفلى.

ولَمَّا سمعَ قول الفقيه الأجَلْ عمر بن عبدالله بامخرمه في مدح دوعن وأهله حيث قال: (مَنْ تعفَّف وصلّى منهم الفرض برْهَنْ) قال رَحِمَهُ اللهُ: هذا لِكُلِّ إنسان يعني كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٤١] ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ لتلميذه الشيخ علي باراس(١): يا علي عليك باقتفاءِ الكتاب والسُنّة وعليك بهما يُكرِّرْ ذلك مراراً، واصبرْ على حَسَدِ الحاسدين، وجفا الجافين، وتجرّع ذلك منهم كما تتجرَّع ابتلاَعِ الحَجَرِ الحقي الحمِش.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لبعض أصحابه حين أمره بإظهارِ الدَّعوة إلى الله في بعضِ الجهات فأقبلَ الناس عليه إقبالاً عامّاً حتى أنَّ الدَّاخِلَ لا يجد له مقعداً مِنْ كثرة المزاحمة فلا يغرّك إقبالهم فإنَّ مَعَ أوّل الصّيح ينبثق الحائك الفارس ولكن ما يشف معك رأس الجَبَلْ إلَّا القليل.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّما مثل أهل وادي عمد مثل الشقف البَالِي الدَّويل إنْ لم تزل ترش عليه الماء وتنقعه وإلَّا يبس وتفتَّت يعني نشر الدَّعوة إلى الله والتَّذكير بآياتِ الله.

---

(١) هو الشيخ العارف بالله علي بن عبدالله بن أحمد بن عمر باراس بن ظفر بن مهدي الكندي، وُلِدَ بحريضة من وادي عمد سنة (١٠٢٧هـ)، وتوفي ببلدة الخريبة يوم الأربعاء من شهر ربيع الأوّل سنة: (١٠٩٤هـ).

ولَـمَّا قال له رَحِمَهُ اللَّهُ بعض أصحابه: يا سيدي إني رأيت الناس اليوم كلّهم أولياء، فقال له: هُمْ كذلك ، فلمّا خَرَجَ من عنده سأله بعض الحاضرين عن معنى كلامه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ هذا فُتِحَ له وبَلَغَ مقامَ الولايةِ فرأى الناس كلهم في مرآته أولياء لأنَّ المؤمن مرآة المؤمن.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحب العزلة والفرار مِنَ الخَلق ويقول: إنَّ مخالطتهم سُمٌّ قاطع على الدِّين.

وقد رآه بعض مُريديه في بعض الأوقات بعد صلاة مِنَ الصلوات على مُصلاّه وهو ينحني عن نفسه يشبه مُقبلاً إليه فقال له: ما هذا؟ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ هذه الخلق مُقبلون إليَّ وأنا أنفُرْ منهم.

ولَـمَّا قيل: كثرت المصنَّفَاتُ في هذا الزَّمان، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهل يضرّ الصَّائح وراء الصائح؟.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: التربية عزَّتْ مُنذُ زمان وإنما هي اليوم بالباطن ومهما رأيت منه – يعني المريد- في حالةٍ مِنَ الحالات نقصاً فهو بشر فعامله في هذه النّقيصة بالأُخوّة.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عبد اللهِ بن عَلوي بن محمَّدٍ الحَدَّادِ الحُسَيني(١)

(١٠٤٤-١١٣٢هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُكِرَ مع أُمّه في القُرآن في نحو أربعين موضعاً، وذِكْرُه معها في الغالب صريحاً وكناية، وقد يُفْرَدُ أحدُهما عنِ الآخر، وإنما كرّر الله ذكرَ مريم لأنَّ امرأةَ عمران قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]، فاستحقرَتْها كذلك، لكونها لا تصلح لخدمة بيت المقدس، فلمّا استحقرَتْها نَوّه الله بذكرها وكرّره، وفيه دليلٌ على أنَّ مَنِ اتّضعَتْ منزلته عند الخلق ارتفعَتْ عند الخالق، يعني: معَ الإحسان في جانبِ الدِّين والدُّنيا، وفي ذِكْرِ مريمَ سِرّ.

---

(١) المولود بالسُّبَير مِنْ ضواحي مدينة تريم ليلة الخميس في (٥) خلون مِنْ شهر صفر الخير سنة (١٠٤٤هـ) وكفّ بصره وهو لم يتجاوز العقد الأوّل من عمره جرّاء إصابته بالجُدري وتُوفيَ بتريم ليلة الثلاثاء في (٧) مِنْ شهر ذي القعدة سنة (١١٣٢هـ) ودُفِنَ بها بمقبرة زنبل.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦]، فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أَنَّ للمفسِّرين في بعض معانيها اختلافاً يكادُ أن يكونَ لفظياً، ونحنُ نذكر ما هو الأصح والأوضح إنْ شاء الله تعالى معَ غاية الإيجاز.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه:١٢٤] أي: عَنِ القُرآن والهُدى فلم يُؤمن به، وهذا حالُ مَن كفَرَ وجحَدَ، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] في الدُّنيا بالحرص الشديدِ عليها فلا يزال في ضَنْكٍ وإنْ كانَ متّسعاً في الصورة، وإمّا بالقِلّةِ المصحوبَةِ بضِيقِ الصدر وعدَمِ الصبر، وفي البرزخ بما يُصَبُّ عليه مِن أنواع عذاب القبر ومِنْ ضيقِ اللحدِ وتعذيب الملائكة إيّاه وتسلُّط الحيوانات المؤذيةِ إلى غير ذلك، وفي الآخرة: بأكلِ الضَّريع والزَّقُّوم وشرب الحميم والغسَّاق، خالداً في النار، نسألُ اللهَ العافية.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤] أي: أعمى القلب والبصر، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٥] أنكرَ عَمَى البصَر الحَادِثَ عليه، أَمَّا عَمَى القلب فإنه لم يزَلْ فيه ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه:١٢٥] أي: في الدُّنيا. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه:١٢٦] أي: أعرضتَ وتعَامَيْتَ عنها، ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٦] أي: تُترَكُ في العَمَى وسُوء الحَالِ وأَلِيم العذاب والنَّكَالِ، نسألُ اللهَ تعالى أن يُثبِّتنا وإِيَّاكم على الإيمان ويَعْصِمَنا مِنَ الزَّيغِ والضلال، والحمدُ لله على كُلِّ حَالٍ.

وفسَّرَ قولهُ ﷺ: (ذَاقَ طعم الإيمان مَنْ رَضِي بالله ربّاً، وبالإسلام دِيناً، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولا) رواه مسلم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلموا أَنَّ مَنْ رَضيَ ذَاقَ، ومَنْ لَمْ يرضَ لَمْ يَذُق.

وَقَالَ أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «النَّصائح الدِّينية»: واعلموا معاشر الإخوان أَنَّ مَنْ رَضيَ بالله رَبّاً لزمه أن يرضى بتدبيره واختياره له، وأن يرضى بمُرِّ قضائه وبما قسمه له مِنَ الرِّزق، وأن يداوم على طاعته، ويحافظ على فرائضه، ويجتنب محارمه ويكون صابراً عند بلائه، شاكراً لنعمائه، مُحباً للقائه، راضياً به، وكيلاً ووليّاً وكفيلاً، مخلصاً له في عبادته، ومعتمداً عليه في

غيبته وشهادته ، لا يفزع في المهمّات إلّا إليه ، ولا يُعوّل في قضاءِ الحاجات إلّا عليه ، ولا يطمع إلّا فيما لديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومَنْ رضيَ بالإسلام دِيناً عظَّمَ حُرماته وشعائره ، ولم يزل مُجتهداً فيما يُؤكده ويزيده رُسُوخاً واستقامةً مِنَ العلوم والأعمال ويكون به مُغتبطاً، ومِنْ سَلْبِهِ خَائِفاً، ولأهله مُحترماً، ولمن كفَرَ به مبغضاً ومُعادياً، ومَنْ رضيَ بمحمدٍ ﷺ نبياً كانَ به مُقتدياً وبهديه مُهتدياً ولشرعه متبعاً وبسنّته مُستمسكاً ولحقه معظماً ومِنَ الصلاة والسلام عليه مُكثراً ولأهل بيته وأصحابه مُحِباً وعليهم مترضياً ومُترحِماً وعلى أُمّته مُشفقاً ولهم ناصحاً.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومَنْ قال أو ظَنَّ أنَّ تركَ الطاعات وفِعْلَ المعَاصِي لا يَضُرُّ أحَداً لشرَفِ نَسَبِهِ أو صلاح آبَائِهِ فقدِ افترَى على الله الكذب وخَالَفَ إجْمَاعَ المسلمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السِّرُّ كلُّ السِّر في مُلازَمةِ التوجُّهِ، وإدْمَانِ قَرْعِ البَابِ، وفي التَّحلِّي بالافتقارِ والانكسارِ، بينَ يدي المَلِكِ القَهَّارِ، على دَوَامِ الأَحْوَالِ، ولا سيّما في جَوفِ الليلِ وعِنْدَ الأَسْحَارِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلامُ أهلِ الإخلاصِ والصدقِ نُورٌ وبركةٌ وإنْ كانَ غير فصيح، وكلامُ أهلِ التكلُّفِ والرِّياءِ ظُلمةٌ ووَحْشةٌ وإنْ كَانَ فصيحاً.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيلَ: كُلُّ كلامٍ يخرُجُ وعليهِ كسوةُ القلبِ الذي خرجَ منه، فإنْ كانَ القلبُ مُنوَّراً خرَجَ منهُ الكلامُ وعليه النُّور ، وإنْ كانَ القلبُ مُظلِماً خرَجَ منهُ الكلامُ وعليهِ الظُّلمةُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والكلام في أولادِ الصالحين مثل الكلام في أهل البيت النبوي بمعنى أَنَّ مَنْ كانَ على مثل حال سلفه فهو صالح مثلهم يُعَظَّمُ ويُتبرّك به، ومَنْ كان على الجَهْلِ والغفلة فينبغي أن يُنصَحَ ويُرشَدَ إلى الصواب، ويُحترَمَ شيئاً مِنَ الاحترام لأجل سلفه الصالحين، وكيف لا وقد قال تعالى ما قال في شأن الغلامين والجدار ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢] وقد بلغنا أنّهُ الأب السابع لهما مِنْ جهةِ الأم فحفظا له وحفظا به في أمر الدنيا فضلاً عن الآخرة، فاعلَمْ وافهَمْ وضَعْ كُلّ شي في موضعه وآت كل ذي حقٍّ حقّه، واستعِنْ بالله تسعد وتُرْشَدْ، والأمر كُلّه لله.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد سَمِعَ بعض أجلاّء السَّادة شريفاً يقول: أبي وجدي، فقال له رَحِمَهُ اللَّهُ: قَعْ كما جدَّك وإلَّا فأنتَ سترة وصُورة ولا شيء في المقصورة.

ومِنْ نظمه قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكَرَ جُملةً مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ:

ثُمَّ لا تغترَّ بالنَّسَبِ لا ولا تقنَعْ بـ (كانَ أبي)
واتّبِعْ في الهدي خيرَ نبي أحمدَ الهادي إلى السُّنَنِ

وذكرَ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تثبيت الفؤاد» الذي جمَعَ كلامه فيه تلميذه أحمد الحساوي ، قال رَضِيَ اللهُ عَنهُ وقد ذكرَ شيئاً مِنْ مناقب الصالحين: طَلَبُ المناقب شأن الصغار، والكامل إذا سمعها أحسَنَ الظّن بصاحبها، ويعترف له بالفضل واحتقَرَ في نفسه، وفيها خصلتان تغر العَامّة، وتُجرِّئ السفهاء فيقول مَنْ له أب صالح: هو يكفيني، ولو كفاه لكفَى الناس جميعهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأنه أب الكُل، ثُمَّ سَاقَ كلاماً طويلاً مِمَّا يتعلق بهذا المبحث قال في آخره: وإنما المناقب التّقوى والحِلم والصبر والتّواضع والخُمول وما عَدَا ذلك ففتنة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في وصف الزّمان وأهله: هذا زمان قد رُفِعَتْ فيه الأمانة، وقَلَّتْ فيه الدِّيَانَة، وكَثُرَتْ في أهلِهِ الخِيَانَة، وأصبحَ الناس في أَمْرٍ مريج، مقصُورات هِمَمهم على البُطُونِ والفُرُوج، سَيَّان عندهم الهُبُوط والعُرُوج، لا يُبالي أحدهم إذا نَالَ مُشتهَاه مِنْ دُنياه، كيفَ كانت منزلته مِنْ مولاه، فالله المستعان، ما هذه والله أخلاق المؤمنين، ولا سَجَايَا الموقنين، بل هي شيَم الجَاحِدِين، وشمائل الشياطين، فَفِرَّ يا أخي مِن هذا الزَّمَان فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ، واجْتَهِدْ في إصلاحِ المضغة التي إذا صلحت صلَحَ سائر الجَسَدِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أَنَّ مَنْ خَالَطَ أهل الزَّمان ضَاقَ صدره، وفسَدَ أمره، ورُبّما قامَتْ عليه نفسه، فغلبته لأنَّ أقوالهم وأفعالهم خارجةٌ عَنِ الصراط المستقيم، فاستعِنْ على أمرك بتدبُّر القرآن العظيم، والتّفكُّر في سيَرِ السلف الصالحين، واستشعار نزول الموت كل حين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: نُوصيك بترك مجالسة أهل الزَّمان ومخالطتهم ومعاملتهم والتعرُّفِ إلى مَنْ تنكره منهم إلَّا عند الحاجة مع غاية الاحتراز والحَذَرْ منهم ليسلموا مِنْ شرّك، وتسلَمَ

مِنْ شرّهم، وتكون نيّتك هذه في مجالستهم، فلا تُجالس إلَّا مَنْ تنفعُكَ مُجالسته في دِينك، فإنْ تعذَّرَ عليك فَفِرَّ مِنْ مجالسة مَنْ تضرّك مجالستُه في الدِّين، فِرَارَك مِنَ السَّبُعِ الضَّاري.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمَّا الدنيا فلو جاء إلينا بعض أهلها وبذَلَ لنا الألوف المعقّدة منها والخزائن المملوءة بها، لكنَّا لا نلتفت إلى ذلك ولا نرغب فيه ولا نأخذ منه إلَّا ما كان ضرورة الحال الحاضر، وما الدنيا وما قدرها وهي التي يقول فيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) (الدُّنْيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)[1]، فاعلم وافهَمْ ومنه لو صار مكاننا الحاوي[2] جميعه ذهَباً أحْمَرَ ما اهتزّتْ لنا شعَرَة فرحاً به.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُعطِيتُ معدن الصبر.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: الحقوق التي لنا على الناس نُسامحهم فيها، ولا نُؤاخذهم عليها، والحقوق التي لله لا نسمَحْ بها أبَداً.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إنَّا نسمَعُ أُناساً يشتمونا وهُمْ يأكلون طعامنا، ويشربون شرابنا، فلا نجد عليهم أبداً، ولا نتأثّر لذلك بل ندعوا لهم، ونصفَحْ عنهم، ولو عَلِمَ الخلق ما أفاضَ الله على قلبي من الرّحمةِ بِهِمْ والشفقة عليهِمْ، لَمَا تركوا لي شيئاً غير أنَّ الحق تعالى يُلبس أولياءه الهيبة فيمتنع عنه الناس لذلك.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إني أُصبِحُ وأُمسي وليس في قلبي على أحَدٍ مِنَ الخَلق شيءٌ مِنْ حَسَدٍ أو حقد والحمدُ لله.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أنَّ أحَداً لطَمَني أو رمَاني لم أجِدْ في قلبي عليه شيئاً وكل مَنْ يتعرَّضْ علينا بمكروهٍ أو أذَى، لا ندعوا عليه أبداً، غير أنَّ الحَقَّ سُبحانه يَغَارُ علينا.

وكتَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بعضِ الأمراء: إنَّ لنا شفَقَةً عليكم وغَيرَةً على دِينِ الله، وقد فرَضَ الله علينا النَّصيحة، والسَّعي في إظهارِ الحق حسَبِ الاستطاعة، وأُخِذَ علينا العهد بذلك والمواثيق الغليظة.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) الحاوي هو المكان الذي انتقل إليه الإمام الحداد واستقر به بقية حياته.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نحنُ إنما نتكلَّم للناس على قَصْدِ النَّفع والانتفاع، ونحنُ على نيَّةٍ صالحة، وطويّة سليمة، فيما يكون فيه صلاح المسلمين، وإقامة شرائِع الدِّين، وما نحنُ إِلَّا نُصحَاء فمَنْ أقبَلْ فلنفسِهِ، ومَنْ أبَى فعليها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نحنُ لا نُشير إِلَّا بما يظهَرُ لنا فيه إصلاحُ المسلمين، وحَقْنُ دمائهم، وحفظ نُفُوسهم، وأموالهم، وحُرَمهم، هذا الذي نحبّه، ونُشيرُ به على جميعِ مَنْ وليَ شيئاً مِنْ أُمُورِ المسلمين، ومَنِ التَمَسَ مِنَّا مِنَ النصح غير ذلك أو نقَلَهُ أو نسَبَهُ إلينا فقد خَانَ ومان.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعامِلُ مَنْ هَفَا أو جَفَا بالفضلِ والجُود والإحسان والعفو والامتنان ، استطَالَ رجل على بعض أصحابه فشَكَا منه إليه، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أمَا تحمِل لَهُ ونحنُ نسمَعُ الكلام مِنَ الناس فينا فنصبرِ ونعفو ونحلم بل نُحْسِن إلى مَنْ أسَاءَ إلينا.

ونصَحَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ به رجُلاً وكلَّمه بكلامٍ لطيف، فأجابه الرجل بكُلِّ عنف ورَدَّ عليه كلامه فدَخَلَ سيدي إلى البيت ثُمَّ أرسَلَ إلى الرجل يعتذر إليه وأرسَلَ إليه شيئاً مِنَ الدَّرَاهم وَقَالَ لَهُ: استعِنْ بها على معيشتك.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا وجدنا في هذا الزَّمان مَنْ يقبل الحق ويعمل به رفعناه فوق رؤوسنا وتداوينا بريقه لأنه قد عَزَّ اليوم مثل ذلك وما بَقِيَ مع الناس إِلَّا القيل والقال بغير فائدة ولا عائدة.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إني لأفرح بالمُريد الصادق لنفسه لأنه يُعينني على تسليكه ببركةِ صدقه.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لو أَنَّ جميع أهل تريم عيال عَلَيَّ، حتى دوابهم، لقُمتُ بِهِمْ جميعهم ولم يُشغلني ذلك عَنِ الله طرفة عين هذا في ظاهري، وأمَّا في باطني فليس لأحد فيه شي غير الله أبداً.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كان السيدُ العارفُ بالله عمرُ بن عبدالرحمن العطاس آيَةً في التَّوَاضع، وطرح النَّفْس، وإني سألتُ الله تواضعه فأعطانيه.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: نقبل الحق مِمَّنْ جاء به ولو كَانَ عَبْدَاً أسود مفلفل الرأس ومعَ ذلك نجعل التراب على رؤوسنا، تواضعاً لله عزَّ وجَلْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّما نَحْنُ ضُعفاء ومساكين لا نستطيع حمل ذرّةٍ مِنَ البَلاء، ولا نقوى عليها، وعافية الله أوسع لنا، وأستر لضعفنا، وأَلْيَقُ بعبوديّتنا وفقرنا.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد غَلَبَتْ علينا أهويةُ النُّفُوس، ووَهْنُ العَزَائِمِ، وإيثارُ الشَّهوات، والأخذُ بالرُّخَصِ(١)، فصارَ الواحدُ مِنَّا لاَ هُو سَمَاوِي فيرتفع، ولاَ هُوَ أَرْضِيٌّ فيَتَّضِع.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أَنَّ الورَعْ مُهِمٌّ، ولا طريق إلى الله بدونه، ولا يستطيعه إِلَّا مَنْ وطَّنَ نفسه على الصبر، بالقلّة وراضها، حتى تقنع بالميسور مِنْ غير التفات إلى الشهوات، ولا تعريج على اللّذّات، ولا ميل إلى الرّاحات، هذا حكم مَنْ أَرَادَ الوُصُول إلى رفيعِ الدَّرَجَاتِ، ومُجاورة الحبيب في فَسِيحِ الجَنَّاتِ، ومَنْ لَعِبَتْ بِهِ الأهواء ومالَتْ به زينة الدُّنيا، فلا كلام لنا معه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام:١٥٩].

---

(١) يحرُم على الإنسان أن يُلَفِّق بين الأقوال الضعيفة ويتتبَّع رخص العلماء فيها، ويبحث ويختار لنفسه الذي يُلَبِّي شهواته وأغراضه من غير دليل مُعْتَبَر شرعاً قال الحافظ ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٢) بعد أن روى قول سليمان التيمي: (لو أخذتَ برخصة كُلِّ عالمٍ اجتمعَ فيك الشر كُلّه) قال ما نصّه: (هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً) . وقال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٩٠): ومَنْ تتبَّعَ رُخَصَ المذاهب وزلاّت المجتهدين فقد رَقَّ دِينه.

تنبيه : استدلَّ بعض الناس اليوم على جواز تتبُّع الرخص بقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختارَ أيسرهما ما لم يكن إثماً) وهذا الاستدلال خطأ محض!! . قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٧٥) في شرحه: [بين أمرين: أي أمور الدنيا، يدلُّ عليه قوله: (ما لم يكُنْ إثماً) لأنَّ أمور الدين لا إثم فيها انتهى. وأمَّا حديث: (إنَّ الله يُحبُّ أن تُؤتَى رخصه كما يُحب أن تُؤتَى عزائمه) رواه أحمد وابن حبّان في صحيحه والبيهقي وغيرهم عن ابن عمر وابن عباس وابن مسعود وبعض علماء الحديث يقول بأنه: موقوف. ولا دلالة فيه على تتبُّع رُخَص العلماء وإنما فيه الأخذ بالرُّخصة التي رخصها الله تعالى في كتابه لعباده، كالقصر في السفر، والإفطار للمسافر والمريض في رمضان ونحو ذلك.

وكتَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِمَن شكَى إليه بعض أهل الرسوم له، فقال: وما ذكرتم مِنْ أمرٍ كذا فما هناك كبير أمر، والناس كُلّهم كما تعلَمْ وتَرَى، وعلى ما هو أكثر وأنكَرْ من ذلك ينطوون ويُضمرون فالقِ ما بدا منهم، وما خَفيَ من فتنتهم وشرورهم بالرِّفق، واللطف، وحُسن المداراة عند الملابسة، فاغتنم العافية التي هي أوسع الأشياء، والسكون من أفضل أجزائها كما يُقال: (السكون عافية) ولا تأخذ بشيء، ولا في شيء، أي شيء كان عاراً ولا ناراً، وعامَّة أهل الزمان كذلك إلَّا مَنْ رَحِمَ الله وقليل ما هم، ولا تُغالِبْ، ولا تُزَاحِمْ، ولا تُنَازِع، ولا تُخَاصِمْ، واعلم بأنَّا آخذون بهذا المأخذ في محلّنا ومع أصحابنا، وهو أطيب من محلّكم وأطهر، ولولا ذلك لتحرَّك علينا من شرورهم وفتنتهم ما تضيق به الصدور والأماكن، وينزعج لهُ كل باطن وظاهر، فاسمع ولا تُجرِّبْ، واقبل النصيحة عفواً مِمَّنْ قَامَتْ عليه غالبيّة وخُذها لهذه ولغيرها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أَنَّ الكرامة الجامعة لجميع أنواع الكَرَامَاتِ الحقيقيات والصوريَّات، هيَ الاستقامة المعبّر عنها بامتثالِ الأوامر، واجتناب المَناهِي ظاهراً وباطناً، فعليكَ بتصحيحها، وإحكامها، تخدمك الأكوان العلويّة والسفلية، خدمة لا تحجبك عَنْ ربّك ولا تشغلك عن مُراده منك.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ الصُّحبة: صُحبة أهل الدِّين وأهل الخير مِنَ العُلماء العَامِلِين، وعباد الله الصالحين، ومخالطتهم ومجالستهم محبوبة، ومُرغَّبٌ فيها، وفيها منافع عاجلة وآجلة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أنَّ مُخالطة أهل الخير ومجالستهم تغرس في القلب محبّة الخير، وتُعين على العمل به، كما إنَّ مخالطة أهل الشر ومجالستهم تغرس في القلب حب الشر والعمل به، وأيضاً مَنْ خَالَطَ قوماً وعاشرهم أحبّهم ضرورة سواء كانوا أخياراً أو أشراراً والمرء معَ مَنْ أَحَبَّ في الدنيا والآخرة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العَجَبُ أنّك ترى الجاهل المغرور لا يَفْتُرُ عن طلَبِ الدنيا ليلاً ونهاراً، ولا يزال مُتكالباً عليها، شديد العناية بجمعها، وصنعها، والتّمتُّع بها، ويقيم لنفسه في ذلك الأعذار الكثيرة، ثُمَّ تجده جاهلاً بأمرِ دينه، لم يطلب عِلماً، ولم يُجالس عَالِماً ليتعلَّم منه قط، فإِنْ قيلَ له في ذلك احتَجَّ لنفسه بما يسقط به مِنْ عينِ الله تعالى من عدَمِ الفراغ وكثرة الاشتغال، معَ

أنَّ الله وله الحمد قد يسَّرَ له طلبَ العلم بوجود العُلماء، وبِقِلَّةِ المؤنة في تعلّم القدر الواجب مِنَ العِلم، وأمر الدنيا على الضد مِنْ ذلك فلا يَكاد ينال منها شيئاً يسيراً إِلَّا بعسرٍ ومَشقّة وتعبٍ كثير، فليس ذلك إِلَّا مِنْ موت القلب، وهوان أمرِ الدنيا على الإنسان، وقلّة الاحتفال بأمرِ الآخرة، فإنه يرى حاجته إلى متاعِ الدنيا ظاهرة حاضرة، ويرى حاجته إلى العلم بعيدةً غائبة لأنه لا يحتاج إليه ولا يعرف منفعته إِلَّا بعد الموت، وقد نَسِيَ الموت، ونسيَ ما بعده لغلبة الجهل عليه وفقد العلم عنده.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا قيل : (فلان أَخَذَ عن فلان) ليس معناه أَخَذَ عنه في كتاب أو قال قرأ عليه في كتاب إنما معناه أنه اقتدى به في سيرته بأخلاقه وأفعاله وأقواله فإذا فعَلَ ذلك فذلك شيخُه وهو لَهُ مُريد.

مِنْ حِكَمِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تَدُومُ مَعَ الكُلْفة أُلفَة.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: تفخسَسْ تسلَمْ، لا تتعقرَبْ تُقتَلْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ تَعَوَّدَ نَقْضَ العَزَائِم، حِيلَ بَينهُ وبينَ الغَنَائِم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بصيرةٌ تَهْدِيه، طَالَ تعَبُ المعَلِّمِيْنَ والمؤدِّبِيْنَ فِيه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دبِّرْ ثُمَّ افْعَلْ. فكِّرْ ثُمَّ قُلْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا دعتك نفسك إلى شهوةٍ فإيَّاكَ أن تقول : (أجيبها في هذه وأفرغ القلب من مطالبتها)، فإنّكّ إنْ أجبتها إليها دعتك إلى أعظم منها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تثبت الدَّعاوي بالأقوال حتى تقوم بإثباتها البيِّنة مِنَ الأفعالِ والأعمال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لولا العلامات لادّعى كلُّ واحدٍ ما ليسَ عنده، ولكن بالعلامات والأمارات يُفَرَّقُ بين الصادق والكاذب.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ تيسَّرتْ له مطالبُه الأُخرويةُ، وتعسَّرت عليه مطالبُه الدنيوية، فهو مِنْ ورثَةِ النبيين. ومَنْ تيسَّرتْ مطالبُه الدنيويةُ والأخرويةُ، فهو مِنْ أصحابِ اليمين. ومَنْ تعسّرت عليه مطالبه الأخروية والدنيوية، فهو مِنَ الممقوتين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كثيراً ما يلتبس الحَيَاءُ المحْمُودُ بالجُبْن المذْمُومِ، والفرق بينهما: أَنَّ كُلّ حَيَاء حَمَلَكَ على تَرْكِ خَيْرٍ ووَقَعْتَ بسببه في شَرٍّ، فهو الجُبْنِ المذْمُومِ. ولَيْسَ بالحَيَاء، لأنَّ الحَيَاء لا يأتي إلَّا بخير. كما في الحديث.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا صلُحَتِ المقَاصِدُ، لَمْ يَخِبِ القَاصِدُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: المؤمن يتجوّزُ في العَادَاتِ، ولا يَتَجوّزُ في العِبَادَاتِ، والمنافقُ يتجوّزُ في العِبَادَاتِ، ولا يَتَجوّزُ في العَادَاتِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الدُّنيا شيئان لا ثالث لهما، أحدهما: حُبُّ المال، والآخر: حُبُّ الجاه، فمَنْ زهدَ في المال والجاه فهو صِدِّيق، ومَنْ زهد في المال دُونَ الجَاه فهو مُرَاءٍ، ومَنْ زهد في الجَاه وأحَبَّ المالَ فهو لَئِيمٌ، ومَنْ أَحَبَّ المالَ والجاه كَانَ أصغرُ عقوبتِه حِرْمَانَهُمَا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يكون الخيرُ في الأكثَرِ شَاقّاً في الحَالِ، حُلواً في المآل، ومَثَلُ فاعله مثلُ الذي يصعد في العقبَةِ الكئُود، لا يجد الرَّاحة حتى ينتهي إلى أعلاها، والشر يكون في الأكثَرِ حُلواً في الحال، وشَاقّاً في الاستقبال، ومَثَلُ فاعله مثلُ الذي يقع مِن ذروة جبل أو بيت لا يجد الألَمَ حتَّى يقع على الأرض.

ثَنَاؤُهُ الجَمِيلُ لِحُجَّةِ الإِسْلَامِ الغَزَالِي وَكُتُبِهِ:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الغزالي نعمةٌ مِنَ الله على هذه الأمّة، دَقَّقَ العلوم وغزَلَها، وكُلُّ عَالِمٍ ينقص عن مرتبته[1].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما تشفي الغليلَ كتبُ الغزالي لأنّها دواء مِنْ أمرَاضِ القلوب، ومَنْ أرَادَ أن يصحَّ قلبه فليداوم على قراءتها.

---

(١) أي أقل من مرتبة الإمام الغزالي.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: محبّة الغزالي موهبة لا تُكَيَّفُ وسوف ترى ذلك في الدَّار الآخرة، ولا يحب كتب الغزالي إلَّا مؤمن نيِّر القلب، مُنصِفٌ مِنْ نفسه، لأنّها حق وليس فيها تلبيس، جزى الله الإمام الغزالي خيراً، لقد أرشدنا بكتبه وبركات سرّه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنِ اشتغَلَ بـ«الإحياء» قراءةً ومُطالعةً فقد تحقَّقَ بالعِلْمِ لأنَّ قراءته تكفي عنِ المعَلِّم والشيخ، ولا أنفَعَ لأهل هذا الزَّمان مِنْ قراءةِ «الإحياء» فهو حياة وسعادة في الآخرة.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بن زَينٍ بن عَلَوِي بن أَحْمَدَ الحَبَشِي الحُسَينِي(١)

(١٠٦٩-١١٤٥هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر:٧] وكُلٌّ منهم توبته بحسب حاله وما يقتضيه مقامه، أوّلهم التائبُ مِنَ الكفر، ثُمَّ التائب مِنَ الكبائر. يعني: ألَّا يدخل فيه إلاّ بنيةٍ صالحة، فيكون قُربةً إلى الله بالنية، وذلك رجوعٌ من البعد إلى القرب، وأعلى ذلك التوبة من الميل إلى ما سوى الله تعالى ، وكل ذلك داخلٌ في حيّز التوبة، ويشمل جميعه التوبة، إذ هي رجوعٌ من سبيل البعد إلى سبيل القرب، وكُلٌّ باعتباره ومرتبته، وحسنات الأبرار سيئات المقرَّبين.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في هذه الآية: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾[البقرة:٢٠١]: الحسنة في الدنيا على ثلاث مراتب: رُتبة النفس، والقلب، والسر:

فباعتبار النفس: تكون الحسنة بالحصولِ على الملاذّ الجسمية من الطيبات والعوافي الحسية، كسلامة البدن وكفاية الأعداء ونحو ذلك .

---

(١) المولود بمدينة الغرفة في أوائل عام (١٠٦٩هـ) المتوفّى عصر يوم الجمعة في (١٩) من شهر شعبان سنة (١١٤٥هـ) ودُفِنَ ببلدة (الحوطة) بحضرموت.

وباعتبار القلب: التوفيق لصالح الأعمال ومُجانبة الزَّلَلِ والأخطال ومحبّة الخير وأهله، واكتساب الأخلاق الجميلة مِنَ الزُّهد والتوكل وأخواتها مِنْ مقاماتِ اليقين .

وباعتبار السِّر: صدق المعرفة بالله عز وجل، وخالص الحُبّ له سبحانه، والرِّضى به تعالى، والتشوُّق إليه في الدُّنيا.

وأَمَّا الحسنة في الآخرة ؛ **فباعتبار النفس**: الظَّفَرُ بالحُور والقصور والفواكه ولحم الطيور، ونحو ذلك مِنَ الملاذّ الجسمية .

وباعتبار القلب: الحصولُ على النعيم المقيم وقُرّة العين، ومُجاورة العلي الأعلى، وتكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ونحو ذلك .

وباعتبار السرّ: الفوز بلقاءِ الله ولَذّة النَّظَر إلى وجهه الكريم ونحو ذلك.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفَهم نُور يشرق في القلب ولا يُعطاه إِلَّا مَنْ جَالَسَ الصالحين، وطالعَ كتبَهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طريق السادة آل باعلوي إنما هي: العِلم، والعمل، والورَع، والخوف مِنَ الله، والإخلاص له عزّ وجل.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا تعبَ العبد وحزن قلبه على فوات طاعة أو فعل مخالفة دلَّ ذلك على أنَّ قلبه ملآن إيماناً، والعاقل يعمل لِمَا بعد الموت، والأحمق مَنْ يُهمل العمل ويأتيه الموت وهو غافل لم يستعدّ له.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم إنَّ مِنْ أعظم العلوم نفعاً وأشدّها في حياةِ القلوب وقعاً معرفة سيَرِ الأولياء العارفين الذين هم بأفعالِهِمْ وأقوالهم على الله دالِّين، فيحصل بذلك حُسن الظن بهِمْ ومحبّتهم المُوصِلة إلى أعلى الرُّتَبِ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (المرءُ معَ مَنْ أَحَبَّ)[1].



(١) رواه البخاري ومسلم.

مِنْ أَقْوالِ وَوَصايا العارِفِ باللهِ عُمَرَ ابن عبدِ الرَّحْمَنِ بن عُمَرَ البارِ العَلَوِي الحُسَينِي(١)

(١٠٩٩-١١٥٨هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ: هبَّتْ رياحُ الهداية، مِنْ مَطْلَعِ العِنَاية، فأثَارَتْ سحائب الأعمال الخالصة، والنيَّات المحصة، فأمطرَتْ في بيداء القلب المشرق، فأنبتت أشجار التَّوحيد المطلَق، للإلهِ الحق، والفقر المحقَّق، لِمَا شمله اسم الخلق، فنادى لِسَانُ الحَال والجَنَان : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إذا تطهّرَ العبدُ الموفقُ من أبحرِ التوبة، واتّزرَ بإزارِ الذُّلِّ والمسكنة، وارتدى بِرداءِ الخشوع والخضوع لله المَلِكِ الحق، وانتصَبَ في محرابِ التضرُّع والابتهال لله الكبير المتعال، في أن يجمع قلبَه عليه، ويرد كُلّيّته إليه، فأسعده بالقبولِ والسعادة، وأتاه ما طلَبَ وزيادة، فأعرض بقلبِهِ المصُون، عنِ الخَلْق وعن ما هُمْ به لاهون، وقرأ ﴿قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام:٩١] فلم يبقَ له ولا لهم خبَرٌ، ولا حِسٌّ ولا أثَرٌ، فألهَمَ وأبَر، وَقَالَ: الله أكبر.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لا سعادة في الدَّارَين إلَّا بمحبَّةِ الله ولا محبّة إلَّا بعد معرفة ولا وسيلة إليها إلَّا بدوام الذِّكر والفِكر، ولا يتجرَّد للذِّكر والفِكر إلَّا مَنِ اشتغَلَ بنفسه عن جنسه، ثُمَّ بربه عن نفسه، وأوّل الطريق صبر، وآخره شكر، وأوّله عَنَاء، وآخره هَنَاء، كما قال بعضهم: كابدتُ الليلَ عشرين سنة وتنعّمتُ به عشرين سنة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: عليكَ بفعلِ الخير ومحبّة أهله وموالاتهم، وبتركِ الشرور وبغض أهله ومُجانبتهم، وإذا بُليتَ بِهِمْ في مجلسٍ فعليكَ بالتغافل عنهم، وبمداراتهم، لا مداهنتهم، وفَرِّقْ بين ذلك.

---

(١) المولود بقرية القرين من وادي دوعن الأيمن في (١٥) جماد الأولى سنة (١٠٩٩هـ) والمتوفّى بالخريبة في (٣٠) ربيع الأوّل سنة (١١٥٨هـ) وتَمَّ نقل جثمانه إلى مسقط رأسه القرين ودُفِنَ بها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ تركَ هَوَاه بلَغَ ما يَهْوَاه، وآخر زمان دمان الزَّمَان.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السعادة خافية، والشقاوة خافية، وإنما الدَّليل على ذلك العَمَلُ، فمَنْ رأيته يعمل بعملِ أهل الخير فهو منهم، ومَنْ رأيته يعملُ بعمَلِ أهل الشر فهو منهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشريف بجِدّه، لا بزنده.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصَّبْر مُرٌّ كالصَّبِر، لكنّه حُلو الثمر، ومَنْ صبرَ اختبَر، ومَنْ صَبرَ تجمَّل وتكمَّل، وما تزيدُ الرِّجال على الرِّجال، إلَّا بالصبر والاحتمال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليكَ بلزوم النَّظافة ظَاهِراً وبَاطِناً، والتنزّه عَنِ الأوساخ والأدناس، بتعهّد البدَنِ بالحَلْقِ والقَلْم والقَصِّ في كل نحو نصف شهر، وإنِ استطعتَ أن لا تزال على طَهَارةٍ فإنه عبادة، وسلاح للمؤمن ، وإلَّا فلتكُنْ أوقات طهرك أكثر من أوقات حدثك، وإذا توضأت أو اغتسلت فعليكَ بالاحتياط في ذلك واتّباع السُّنّة ، والأكمل كما في «البداية» من آدابٍ وأذكار وليكُنْ احتياطاً مُنزّهاً عنِ الوسوسة فإنّها من الاختلال والاختبال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وأُوصيك** بأداءِ الصلوات الخمس بأحسن وأكمل ما ينبغي مِنْ أوّل الوقت، وبالجماعة ولو واحداً ومن حيث يُنَادى بها فإنَّ (صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة)[1]، وأيضاً يُكتَبُ للسَّاعي إلى الصلاة بِكُلِّ خطوة حسنة، أو تُمحى سيئة، أو تُرفع درجة، وذلك مِنْ فضلِ الله وبركات رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وأُوصيكَ جداً بإتمامِ الأركان من قراءةٍ وركوع وسجود وغير ذلك فإنه ورَدَ أنَّ الرجل ليصلي ستين سنة وما قَبِلَ الله له صلاة، إذ لا يُقيم صُلْبَه بعد الركوع والسجود ، وفي الأثَرِ أو الخبَرِ: (الصلاة ميزان) فمَنْ وَفَّى وُفِّيَ له، ومَنْ طفَّفْ فقد عَلِمْتُمْ ما قالَ الله في المطففين، وإذا صلّيت خلف إمام فاحذَرْ مِنْ مُسَاوَاتِهِ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إيَّاك أن تتقدَّمَ عليه فيخيب سعيُك، كما وَرَدَ.

---

(١) إشارة إلى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (صلاةُ الجماعة أفضلُ من صلاةِ الفذ بسبعٍ وعشرين درجة) وفي رواية : (بخمس وعشرين درجة) رواه البخاري ومسلم.

وواظِبْ على الرَّوَاتب قبل المكتوبات وبعدها ، وعلى المتيسِّر مِنَ الوِتر ولو ثلاثاً، ومِنْ صلاة الضُّحَى ولو أربعاً فقد ورَدَ: (إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ)(١)، و(مَنْ لَمْ يُوتِرْ فلَيْسَ مِنَّا)(٢)، وورَدَ أنَّ مَنْ واظَبَ على الضُّحَى مشَى على الأرض وما عليه خطيئة .

وعليكَ بصلاةِ التَّسبيح ولو في الشهر مرّة وإلَّا ففي السَّنَةِ مرّتين مرّة بالليل، ومرّة بالنَّهَارْ، ففضلها عظيم، وهي مُجَرَّبة لِقَضَاءِ الحَوَائِجْ، وقُمْ مِنَ الليل ولو يسيراً، بأنْ تجلسَ مُستقبلَ القبلةِ ذَاكِراً للهِ تَعَالَى، وأَكْثِرْ مِنَ الاستغفار عِنْدَ السَّحَر، ومِنْ قَولِ: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وعليكَ إذا كانَ لكَ مال تجِبُ عليكَ فيه زكاة بإخراجها طيِّبةً بها نفسُكَ، مُغتَبِطاً بذلك غير مَانٍّ بها، ولا مُزْدَرٍ للفقير، بل تتقلّد له مِنّةً، فإنه سبب نجاتك وسلامتك وفوزك في الدَّارَين، والمالُ المزكَّى محفوظ ومبارك، وصاحبه مشكور ومحمود، والمال الذي لا يُزكَّى أو يتعدّى بزكاته هو ممحوق، ومُعرَّض للتلَف والغصب والنَّهب، وصاحبه مذموم ومأزور، واحرِصْ أن تتصدَّقَ كل يوم بشي، وإِنْ قَلَّ فإنَّها ترُدُّ البلاء، كما في الحديث ، وإذا لم تستطع فالرَّدُّ الجميل والكلام الطيِّبُ.

وأُوصيكَ إذا صُمتَ رمضان أو غيره بِحِفْظِ الجَوَارِحِ عَنِ الآثَامِ، كَمَا تحفظ البطنَ عَنِ الطَّعَامِ، فإِنَّ الكذبَ والغِيبةَ، وأخواتِها تُفَطِّرُ الصَّائِمَ، كَمَا ورَدَ، ولا تتركْ صيامَ الحَج(٣)، وصيامَ عاشوراء، وتاسوعا، فإنه صومٌ قريبٌ، وفضلُه كثير، وأَفْطِرْ على الحَلاَلِ، وإذا كَانَ عِندَكَ طعَامَانِ، فاخْتَرْ أحلَّهما وَزِدْ في رمضان مِنَ الإِقْبَالِ، وصَالِحِ الأَعْمَالِ، وتَحَفَّظْ جُهْدَكَ مِنَ القِيْلِ والقَالِ، ومُلاَحَاةِ الرِّجَالِ.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» وصححه الحاكم.

(٣) أي صيام شهر ذي الحجة، وسُمِّيَ هذا الشهر بذي الحجة لحجّهم فيه ، وفضل الصيام في العشر منه آكد، ولا سيما صيام يوم عرفة ففي « صحيح مسلم » عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفِّر السَّنَةَ التي قبله والتي بعده).

وعليكَ بِحَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وزِيَارة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ لِعُذْرٍ صحيح يعلمه الله ويعذرك به فأَكْثِرْ مِنْ أمر مَنْ يستطيعه به، فإِنَّ تَرْكَ الحج معَ الاستطاعة إثم عظيم، كما ورَدَ: (مَنْ ماتَ ولَمْ يَحُجْ فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودياً أَوْ نَصْرَانياً)(١).

وعليكَ بتلاوةِ الكتاب العزيز ولو أنْ تقرأ كل يوم جُزءاً أو نصفه معَ ﴿يس﴾ المباركة، واحْذَرْ مِنَ الهَذْرَمَة(٢)، والعَجَلَة، وخلط القرآن بِكَلامٍ أجنبي، فإنَّ ذلك خِلافُ الحق والصواب، بل ينبغي أن تقرأه مُرَتِّلاً وأَنْتَ على غَايَةِ الأدَبِ والخُشُوع والخُضُوع، وحُضُور القلب، فبذلك تستنزل رحمة الله، وتَتَعَرَّض لنفحاته التي لا تُوازنها أعْمَالَ الثَّقَلَين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: **وأُوصيكَ** بِطَلَبِ الحَلاَلِ، والسَّعْي على العِيَالِ، واحْذَرْ مِنَ الإِهْمَالِ، فإنَّ طَلَبَ الحَلاَل فريضةٌ بعد الفريضة، وتحرَّ مِنَ المكَاسِب أنزهها وأقربها إلى سَلاَمَةِ الدِّين، وما رُزِقْتَ مِنْهُ فالْزَمْهُ وعَامِلْ بالتَّقوى، فإنِ اتَّجَرْتَ فعانقِ الصدقَ والنَّصيحةَ، واحْذَرْ مِنَ البيوعِ الفَاسِدَة، وإيَّاكَ والكذبَ والغشَّ، فإنَّ ذلك يمحق الدُّنيا والآخرة، وإنْ عَمِلتَ في الحرث فنِعْمَ ما عَمِلتَ إذا أَخَذْتَ الأرضَ مِنْ حِلِّها وَلَمْ تشتغلْ عَنِ الدِّين بإصلاحها، وأدَّيتَ زكاةَ ثمراتِها، وفي الحديث: (ابْتَغُوا الرِّزْقَ في خَبَايَا الأَرْضِ)(٣) وأنَّ تسعة أعشار البركة في التِّجَارة، و(التَّاجر الصدوق معَ النَّبيين)(٤)، والتَّاجر المضيِّع مذموم جداً، وفي الحديث: (التُّجَّارُ هُمُ الفُجَّارُ إِلَّا مَنِ اتَّقى وبَرَّ)(٥) وإنِ احْتَرَفْتَ بِحِرْفَةٍ كالكِتَابَةِ والخِيَاطَةِ، فذَلِكَ حَسَنٌ ومُبَارَكٌ، وقَدْ وَرَدَ الثَّناء على

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» والبيهقي في «السنن».

(٢) الهذرمة السرعة في القراءة تحمل على الإسراع المفضي إلى التخليط في الكلام بحيث لا يفهم السامع ما يقول القارئ وهذا منهي عنه.

(٣) أخرجه أبو القاسم البغوي وأبو يعلى في «مسنده» (٤٣٨٤) والطبراني في «الأوسط».

(٤) إشارة إلى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (التاجر الأمين الصدوق المسلم معَ الشهداء يوم القيامة) حديث صحيح رواه الحاكم.

(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب» والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه.

كدِّ اليمين، وعَرَقِ الجبين[١]، ولا تترك ذِكْرَ اللهِ مِنْ تَهْلِيْلٍ وتَسْبِيحٍ وغير ذلك في حال، وإنْ كُنتَ مُحْتَرِفاً وعَامِلاً في شغل، وخُصَّ الاستغفار، والصلاة على النَّبي ﷺ بِمَزِيدِ اعتناء، فإنَّهما مِنْ أَنْفَعِ الأشياء في هذا الزَّمَانِ الغريب، واسْتَعِنْ على رَخَاءِ العَيش، وسَلاَمَةِ المُروءة، ورَاحَةِ القلب وَالبَدَنِ، بَلْ وصلاح دِينك، وبِالقَنَاعَةِ فإنَّهَا الكنز الذي لا يَنْفَدُ، والثواب الذي لا يَفْنَى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: والطَّمَعُ على الضِّد مِنْ ذلك يُشين ويُهين، ويذهب الدُّنيا والدِّين، ويلحق العالِينَ بالسافلين، والطَّامع ذليل في الحَالِ، وخائب في المآل، ومَنْ لَمْ يَقْنَعْ ويَقْتَصِدْ تَحَمَّلَ الأَثْقَالَ، وَمِنَنَ الرِّجَالِ، ومُخَالَطَةَ الأَنْذَال، لأنَّ ضرورةَ مَنْ يُسْرِف ويَتَوَسَّعْ وَلَمْ يَقْتَصِدْ في العَيشِ الحِرصُ والطَّمَعُ، وكثرة الحوائج إلى الناس هذا لجاهه، وهذا لماله، هذا يشفع له، وهذا يستدين منه، وهذا يستقرضه، وهذا يستمهله، وهَلُمَّ جرًّا، وإذا احْتَاجَ إِلَى أَحَدٍ صَارَ طَوْع يده، وَذَلَّ لَهُ كَعَبْدِه، وَقَدْ قيل:

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي ... وَلَوْ أَنِي قَنِعْتُ لَصِرْتُ حُرَّا

وانْظُرْ إِلَى العُقَابِ[٢] صَاعِداً في القِنان[٣]، فإِذَا طَمع وقَعَ في الفَخِّ ولَعِبَ بِهِ الصبيان، فاقْنَعْ بالميسور، تَعِشْ مَسْرُوراً ومَشْكُوراً.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: **وأُوصيك** بحُسْنِ العِشْرَة معَ الأَهْلِ والوَلَدِ، ومعَ كل أَحَدٍ، وكُنْ سَهْلاً لَيِّناً، ولا تَكُنْ فظّاً خشِناً، فإنَّ في سعَةِ الأخلاق، كُنُوزُالأَرْزَاقِ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسُودهم، فَصِلْ مَنْ قَطَعَك، وأَعْطِ مَنْ حَرَمَك، واعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَك، وأَكْرِمْ شريفَهم، ووَقِّرْ كبيرَهم، وارْحَمْ صغيرَهم، واشْكُرْ مُحْسِنهم، وَتَجَاوَزْ عن مُسيئِهم، واقضِ حاجاتِهم، وأَصْلِحْ ذاتَ بينهم، وَعُدْ

---

(١) قال ﷺ: (مَنْ أَمْسَى كَالاً مِنْ طَلَبِ الحَلاَل أَمْسَى مَغْفُوراً لَهُ) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٢٠)، وعنه ﷺ: (مَنْ طلَبَ الدُّنيا حلالاً وتَعَفُّفاً عَنِ المسألَةِ وَسَعياً على عِيَالِهِ وتَعطُّفاً على جَارِهِ لَقيَ الله وَوَجْهُهُ كالقَمَرِ لَيلَةَ البَدْر) رواه ابن أبي شيبة (٢٢١٨٦) والطبراني في «الشاميين» (٣٤٦٥) والبيهقي في «الشعب».

(٢) العُقاب: طائر من كواسر الطير، قَويُّ المخالب مسرولٌ له منقارٌ قصير أعقف (أَعْوج مُنْحنٍ) حادُّ البَصر.

(٣) القنان: جمع قُنَّة، وقُنَّة كل شيء أعلاه، القُنَّة: الجبل المنفرد المرتفع في السماء.

مريضَهم، وشيِّعْ جنائزَهم، وأَحِبَّ لَهُمْ ما تُحِبُّ لنفسك، وكُنْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وَقُلْ: لا بأس، وإِنْ كان بأس، وإذا لَمْ تَنْفَعْ فَلاَ تَضُرْ، ولا تُسئ إذا لَمْ تَسُرْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا لم تقدر على قيامِ الليل، وصيام النَّهار، فكُنْ حَسَنَ الأخلاق، فإنَّ صَاحِبَ الخُلُق الحسَنِ، يعدلُ الصائمَ القَائِمَ، وخُص الوالِدَين بِمَزَيدِ بِرٍّ وَصِلَة، فإِنَّ ذَلِكَ يزيد في العُمر ويكثر الرِّزق، وبرَّهم بعد الموت بالدُّعاء والاستغفار، والزِّيارة لقبورهم، وإكرام أهلِ مودّتهم وقَرَابَاتهم، واعْرِفْ لِلْجَارِ والصاحبِ حقوقَهم، بأنْ تحمل لَهُمْ ولا تُحَمِّلهم، وتُظْهِرَ مَحَاسِنَهُمْ، وتستر مساوئهم، ولاَ تَطْمَعْ أن يكونوا معصومين مِنَ الخَطأ، فإنَّ طَالِبَ ذَلِكَ طالِبٌ لِلْمُحَالِ، وقَدْ قيلَ: مَنْ طلَبَ صاحِباً بِلاَ عَيب فَاتَهُ الدّهر بلا صاحب، والمؤمن كالقضيب، مرّةً يَعْوَجُّ، وَمَرّةً يَسْتَقِيمْ، وفي الحديث: (كُلُّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وخَيْرُ الْخَطَّائِين التَّوَّابُون)[1].

و(عَلَيْكَ) بأنْ لا تزال تَائِباً ومُستغفراً مِنْ جَمِيعِ الذنوب، فإِنَّ فيها الكبائر والصغائر، والجَلِي والخَفِي، وما يتعلَّق بِحَقِّ الله وما يتعلَّق بِحَقِّ آدَمِي، ومِنَ الذنوب ذنوب لا يعرفها الإنسان بَلْ رُبَّمَا يظنُّها طاعة ولا يُنجي إِلَّا الهَرَبُ بضَعْفِك إلى قُوَّةِ الله، وبفقرك إلى طَولِ الله، وأَكْثِرِ النَّدَمَ والاستغفارَ آناءَ الليل والنَّهار، وفي الحديث: (طُوْبَى لِمَنْ وَجَدَ في صَحِيْفَتِهِ اسْتِغْفَاراً كَثِيْراً)[2]، (ومَنْ أَكْثَرَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ومِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجاً وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ)[3].

وأُوصيكَ بالخوفِ مِنَ الله، والرَّجَاءِ لله، والصبرِ على بلاءِ الله، والشكرِ على نَعمَاءِ الله، والرِّضا عَنِ الله، والزُّهدِ في غَيْرِ الله، والصدقِ معَ الله، والإخلاصِ لله، والتَّوكُّلِ على الله، وعَلَيْكَ بالحُبِّ لله، وَلِمَحَابِّ الله، وَلِرَسُولِ الله، وأَهْلِ بَيته، وأصحابه، وجميع أهل دائرة الإسلام، الخَاصِّ الخَاصِّ، وَالعَامِّ عَامْ، فإنَّ المرءَ معَ مَنْ أحبَّه، ويُقَالُ أَهْلُ الجَنَّة ثلاثة: المُحْسِنُ، والمُحِبُّ، وَالكَافُّ عنه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٦٣)، والبَزّار (٣٥٠٨).

(٣) رواه الحاكم وأحمد ورواه أبو داود وابن ماجه بلفظ: (مَنْ لَزِمَ الاستغفار...).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيته لتلميذه السيد محمد بن طالب المحضار(١):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم كثيراً (وبعد) فإنَّ أَصْلَ السعادة وبَابَ الفوز في الدَّارِ الآخرة هُو التَّقوى، والعملُ بِطَاعَةِ الله في السِّرِّ والنّجْوَى، فعَلَيْكَ أَيُّها المُحبُّ بِأَدَاءِ الفَرَائِضِ، مِنَ الصلوات والزَّكَوَاتِ، والصوم والحج إنِ استطعتَ إليهِ سبيلا، وأداء ما لِلْخَلْقِ عليك مِنَ الحقوق والنَّفقَاتِ، واللَّوَازِمِ والوَاجِبَاتِ، فإنَّ حُقُوقَ الخَلق مِنَ المُعْضِلاَتِ، واحْذَرِ الظُّلم فإنهُ ظُلُمَات. وإيَّاكَ والحَسَدَ فإنه يأكُلُ الحَسَنَاتِ، والحَذَرَ الحَذَرِ، مِنَ الرِّياء بالطَّاعَاتِ والعُجْب والكِبر فإنّها مِنْ كَبَائِرِ المُهْلِكَاتِ، وخَفْ مِنَ الغَضَبِ فإنّهُ سبب المُقَاطَعَاتِ وَالمُشَاحَنَاتِ، والمُنَاكَرَاتِ والمدَابَرَاتِ، ومَولاَه في عَنَاءٍ وشَقَاء في المَحْيَا والمَمَاتِ. ومَنْ حَسُنَتْ أَخْلاقُه انْبَسَطَ في ذَاتِه وبسَطَ قراباته وكثُرَتْ مُوالاتُه وقَلَّتْ مُعَادَاتُه، ودَرَّتْ عَلَيهِ البَرَكَاتُ، وقُضِيَتْ لَهُ الحَاجَاتُ، وصَارَ في الدُّنيا بِطَاعَةِ الله سعيداً، وفي الآخِرَةِ في جِوَارِ الله في جَنّاتِهِ شَهِيْدَاً. ولن تَنَالَ ذلكَ أيُّها المحِبُّ إلَّا بالصبر، فاصبرْ قليلاً تسترِحْ طويلاً، واسْكُتْ عن جوابِ كَلِمَةِ الشَّرِّ، تُؤجَرْ وتُشْكَرْ، واعْذُرْ مَنِ اعْتَذَرَ إليك، وَمَنْ لَمْ يَعْتَذِرْ هَاتْ لَهُ عُذْراً مَلِيحاً فإنَّ اللهَ يُحِبُّ قبول المَعْذِرَة. ومَنْ قَصَّرَ في حقِّكَ فلا تستنكرْهُ، ولا تَعْتَبْ عليه، ولا تُغَاضِبْه، فلَو قَدَّرَ اللهُ لك قضاء حاجة منه، هيَّأ أسبابها وفتَحَ أبوابها. وما الخَلْقُ إلَّا أقلامٌ بِيَدِ المَلِكِ العَلاَّم، فالسَّعيدُ مَنْ جعلهُ اللهُ سَبَباً لِلْخَير، والشَّقِيُّ مَنْ جعلَه اللهُ سَبَباً لِلشَّرِّ، وَخَلِّ الخَلق وخَالِقهم، وأَحْسِنْ صُحبتهم وخَالِقْهُمْ، ونَاصِحْ أهل الخَير، وَلْيَكُنْ غالبُ مَنْ تعرفُه عندك مِنْ

(١) هو العارف بالله محمد بن طالب بن علي بن جعفر بن أبي بكر بن عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحُسيني، وُلِدَ بحبَّان وترعرع فيها، اشتغل بالتجارة وسافر إلى دوعن مُتاجراً، وفي الخريبة حط رحال قافلته فتسلَّك وأخذ أخذاً تاماً عن الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار وأدخله الحبيب عمر خلوة الصوفية وتحكَّم له، وبعد أن ازداد مِنَ هذا الحبيب سافر مُتوجِّهاً إلى تريم واتّصل بقطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبدالله بن علوي الحدَّاد الحُسيني، وبعد أن كرع مِنْ علومه سافر زائراً للجد محمد بن علي صاحب مرباط وتوفي هناك رحمه الله.

أهلِ الخير، فإنَّمَا هُمْ مُسلمون، ولاَ خَيْرَ أكبرُ مِنَ الإسلام، ومَنْ زَادَ مِنْ أَفْعَالِ البرِّ والتَّقوى زِدْ لَـهُ مِنَ المحبّة، ومَنْ رأيت منه ذَنْباً صغيراً أَوْ كبيراً فقُلْ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٧]، اللَّهُمَّ إلَّا أن تُوَفَّقَ للأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عَنِ المنكرِ، وتكونَ مِنْ أهلِ اللُّطفِ والشَّفقَةِ، والرَّحْمَةِ والنَّصيحةِ، والرِّفقِ واللِّينِ، فانْصَحْ أَخاكَ بِهَذِهِ الشروط. ومَا أَرَاكَ تقدر فاسْلَمْ وانجُ بنفسِك، وأَنْكِرْ بقلبك، هذا إذا تَحَقَّقْتَ الذَّنبَ، وما أبعَدَ تحقيقَ غالب الذنوب مِنَ المسلمين، غير أنَّ الشيطانَ حَاسِدٌ للمؤمن ولا يزال يُوسوس له في إخوانه المؤمنين، حتى لا ينتفع بِهِمْ لا في الدُّنيا ولا في العُقْبَى، لأنَّ سُوءَ الظَّن بالمسلمين أمرُهُ عظيمٌ، وخطرُهُ كبيرٌ، وقد يقع في قلبك بُغض بعض الناس، وأنتَ تحسب بجهلك أنّهُ عدوٌّ لله، وهو وَلِيٌّ لله. وهذا كثيرٌ جِدًّا ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثر:٣١].

وأُوصيكَ ألهمَكَ اللهُ رُشْدَكَ، بالصدق في جِدِّكَ وهَزْلِكَ، وبقَبُولِ الحق وإنْ كانَ مِنْ ضِدِّكَ، وبالتَّواضع حتى معَ عبدك، واحْذَرْ أَنَا وَأَنَا، ويوم فَعَلْتُ، ويوم تَرَكْتُ، ولَوْلا ولَوْمَا، واللهَ اللهَ في تَوقيرِ الكبير، ورحمةِ الصغيرِ، وحُسْنِ العِشرة للغَني والفقير، وزِدْ جِدّاً في حِشمة مَنْ يدلى إليك بقَرَابَةٍ أَوْ رَحِمٍ، أو جِوار، اللهَ اللهَ في ذلك، اللهَ اللهَ في ذلك تَفُزْ بِخَيْرَاتِ الدُّنيا والآخِرَة، مِنْ طُولِ العُمر، وتَوسِيع الرِّزق، ورِضَا الخَلاَّق ومُجَاوَرَةِ الأَبْرَارِ، في دَارِ القَرَارِ.

وعليكَ بالرُّجُوعِ إلى الحق إذا هَفَوتَ، وإذا غَضِبْتَ وغَلَبَتْكَ شَهْوَتُكَ وهَوَاكَ. فارْجِعْ مِنْ قريب، والحَذَرَ مِنَ المُخَاصَمَةِ والمُصَارَمَةِ، والمنُونَة والمزارمة[1]، فإنَّ ذَلِكَ مِنْ أَخْلاَقِ النِّسَاء والعَبِيدِ، وصاحبُه في جَهْدٍ جَهِيدٍ.



(١) المنونة: أن تكونَ كثير الامتنان.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عبدِ الرَّحْمَنِ بن عبدِ اللهِ بن أَحْمَدَ بَلْفَقِيه الحُسَيني(١)

(١٠٨٩-١١٦٢هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عنوانُ القلوبِ الصالحةِ الفرحُ بالرُّشدِ والإيمانِ، وكراهةُ الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ، ومحبّةُ الخيرِ وأهلِ الخيرِ، والانتفاع بالذكر والتذكير وقراءة القرآن، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الذاريات:٥٥]، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[الأعلى:١٠].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل مَنْ لَمْ يتفعْ بالذِّكْر والقُرآن، ولَمْ يخشَعْ للتَّذكير والبيَانِ، فذلِكَ لضَعْفِ الإيمانِ، واعتلالِ الجَنَان؛ حيث ران عليه ما ران، فليتدارك ما بقي مِن عمره، وما فَرَّط في أمره، فالعجَبُ كل العَجَبُ مِمَّنْ إذا اعتلَّتْ يده أو رجله.. بذَلَ جهده في علاجها بكُلِّ وجهٍ، وإذا اعتَلَّ قلبه، ومرض لُبُّهُ.. لا يتفكَّر في علاجه، ولا ينظر في طبّه، ويُهمِلُ أمره حتى يموت قلبه، فلا يحيا أبداً، ويُطبع عليه، ويذهب دينه فلا يفلح سرمداً.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنِ ازدادَ علماً ولم يزدد تواضعاً وافتقاراً إلى الله وخشية له، فما ازداد إلَّا جهلاً، والعلم إذا لم يَعُدْ بنفعه على صاحبه، فالجهل منه أعْوَد، ومثله في ذلك العمل، فما هما إلَّا وسيلتان إلى العبوديّة، وهو الخشوع لله. نعوذُ بالله من علمٍ لا ينفع، وعمَلٍ لا يُقبل. فما مُوجب القُرب إلَّا الحضور مع الله، وما عِلَّة البعد إلَّا الغفلة عَنِ الله، فليغتنم العاقل جوهرة عُمره العزيز؛ فإنَّ ذرَّةً منه رخيصةٌ بألف درّة، فمن لم يُشغل ساعاته بالخير، ويُصبِّر نفسه مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وإلَّا أشغلته بالشر.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قصيدةٍ له تُسمّى «عقد الميثاق»:

ولا نَسَبٌ إلَّا سيقطع حبله ... سِوى نسب التَّقْوَى أعزّ تقيّة
ولا سبب يبقى سِوى سبب الهدى ... وما الغرّة القعساء غير الفتوّة
وكل الورى لله عبدٌ وإنما ... يُقدّرُ قدر العبد في قدر خِدْمَةِ

---

(١) المولود بمدينة تريم سنة (١٠٨٩هـ) والمتوفّى بها ليلة الأربعاء (٢٦) من شهر جمادى الثانية سنة (١١٦٢هـ).

وما المــوت بعــد العــيش إلَّا   ليبتلى الورى أيّهم خير وأحسن سيرةِ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشرح» : فإنْ لم يكن العبد ذا فضل في جده، وانثنى يفتخر بفخر أبيه وجدّه، فإنَّ ذلك فضل لغيره لا يرفعه، وفعل ثمره يعود لفاعله لا ينفعه، إذ ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] ولا يلقى إلَّا ما حفظ ووعى، ولو كان النَّسَبُ يعودُ إلى الولد لعاد على الناس كلّهم بالانتساب إلى آدَمَ ونوحٍ صلَّى الله عليهما وسلَّمَ ، ولـمَّا حلَّ على بني إسرائيل ما حلَّ من المحنة والذلّة والمسكنة وهم أولاد الأنبياء ، وقد رغِبَ نوح في نجاة ابنه لكونه من أهله الذين وعده الله في نجاتِهِمْ، فأجابه: بأنه عمل غير صالح ليس من أهله، فنفاه أن يكونَ من أهله، فالولد وإنْ خُلِقَ مِنْ أبيه، وانفصَلَ مِنْ طِينته، فهو كالعَذِرَةِ والفَضَلاتِ تخرجُ من معِدَته، فالنَّسَبُ **حقيقيٌّ** وهو ما أصله الإيمان، وتوافقَتْ فيه صفات الولد والوالد على الإحسان، و**صوري** وهو ما تباينَ فيه الأوصاف، وتُحقِّقَ فيه الاختلاف، فالحبال كلّها مقطوعة، والأنساب ممنوعة، إلَّا ما وصَلَ إلى الله تعالى بالتقوى، واستمسك بالعُروة الوُثقى، فلا نسب إلَّا سيقطع حبله، سِوى نسب التقوى وأهله، فهو أعز تقيّة لفرعه وأصله، وأنفعُ عائد في نفعِهِ ووصله، قــال تعــالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطــور:٢١] ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢] وأمَّا غير أُولئك ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٦] وتقطَّعَتْ بهم الأسباب، ولا نسَب يُوصِل إلَى الفلاح، إلَّا الهُدى والصَّلاح، وما العِزَّة إلَّا لله ورسوله وللمؤمنين بالله، فمَنِ اعتزَّ بغيرِ الله ذَلَّ، ومَنِ استكبرَ بعِزّةِ غيرِ الله هَانَ وقَلَّ، فما السبب الأقوى غير حبل الهُدى والدِّين، وما العِزّة القعساء التي هي الدّرجة العليا غير البنوّة الحاصلة مِنْ ثَمَرةِ كمال الصبر على المكاره في اتِّباع النبوّة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً في «الشرح» المذكور: لا تفيد طُولُ المُجالَسَة، مَعَ عَدَمِ المُجانَسَة، ولا قُرْبُ الأجسَام والمُعَايَنَة، معَ حقيقة البعدِ في المعنى والمُبَايَنَة، فكَمْ جَمَعَتْ دَارٌ، مِنْ آدَمِي وَحِمَارٍ، ومُسلمين وكُفَّارٍ، وصالحين وفُجَّارٍ، فلَمْ يُغنِ عنهم مِنَ الله شيئاً، فلا تُفيد تلاقِي الأَشْبَاحِ، مع

تبَايُنِ الأرواحِ، (فالأرواح جُنُودٌ مُجَنَّدة ما تعَارَفَ منها ائتلف)[1]، بذكرِ الله على أَمْرِ الله، والأجسامُ مزاجٌ مُتَضَادّةٌ آيلةٌ إلى التُّرَابِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أَنَّ طريقَ السادةِ آل باعلوي أَسَاسُها اتِّباع الكتاب والسُنّة، ورأسها صدق الافتقار وشُهُود المِنّة، فهيَ اتِّباع المَنْصُوصِ، على وجه مَخْصُوصٍ، وتهذيب الأُصُول، لتقريبِ الوُصُول، فلهذا فائدةٌ ونفع معلوم، يزيد على ما يقتضيه اتِّباع الكتاب والسُنّة على وَجْهِ العُمُوم، وذلك عِلمُ الأحكام، المُشْتَمِل والمتعلِّق بظَاهِرِ الأَحْكَامِ، أصل موضوعه عامٌّ في عَامٍّ، شامل لِمَا المقصود منه ربط النِّظَام، وتقييد الطُّغَام، وغيرهم من العَوَام، ولا شك أَنَّ الناس مختلفون في الدِّين في كُلِّ مقام، فلا بُدَّ من علمٍ خَاص لكُلِّ مخصُوص، وهو محل نظر الخوَاص، في حَقِيقَةِ التَّقوى وتحقيقِ الإخلاص، فإِنّهُ صراط مستقيم، أدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وأَحَدُّ مِنَ السَّيف، لا يكفي فيه التَّعليم بالعُمُوم، بَلْ لاَ بُدَّ منه لِكُلِّ جزئي تعريف دقيق وهذا هو عِلم التَّصوُّف، والسلوك به إلى الله تعالى طريق الصوفيّة، فظَاهِرُها عِلمٌ وعَمَلٌ مُقْتَضَاه، وباطنها صدق التَّوجُّه إلى الله تعالى بِمَا يرضاه، فيما يرضاه، فهي جَامِعَةٌ لِكُلِّ خُلُقٍ سَني، مانعة مِنْ كُلِّ وصْفٍ دَنِي، غَايَتُها القُرب إلى الله والفتح الهَبِي، فهي طريق أوصاف وأَعْمَالٍ، وتحقيق أسرار ومَقَامَاتٍ وأحوال، يَتَلَقَّاها الرِّجَالُ، عَنِ الرِّجَالِ، بالتَّحقيقِ والذَّوق والفعل والانفعال، على حسَبِ الفتح والفضل والنّوَال، كما قُلتُ في «الرَّشَفَاتِ» :

وَمَنْ يَكُنْ بِكُلِّ عِلْم عَالِمْ ... وَلَمْ يَذُقْها فهو سَاهٍ نَائِمْ

فخَفْ عَلَيْهِ مَا يَخَافُ الْهَائِمْ ... عِنْدَ كِفَاحِ الموت والأَهْوَالِ

ونيلها مِنْ مَنْح فَيْضٍ وَهْبِي ... أَوْ فَتح فَضْلٍ بعد جِدٍّ كَسْبِي

---

(١) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف الذي رواه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود، وأبو هريرة، والسيدة عائشة قالوا: قال رسول الله ﷺ: (الأرواح جنود مُجنّدة فما تعَارَفَ منها ائتلف وما تنَاكَرَ منها اختلَف) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤/ ١٦٢)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب البر والصلة (١٥٩) و (١٦٠) وأبو داود في «سننه»، وأحمد في «المسند» ، والطبراني في «المعجم الكبير» ، والبغوي في «شرح السُّنّة»، وغيرهم.

لاَ مِـنْ رِوَايَـاتِ الـوَرَى والْكُتُـبِ ولاَ بقِيـلٍ عِلْمهـا أَوْ قَـالِ
طُـوبَى لِمَـنْ طَـابَ لَهَـا اسْـتِعْدَادُه وانْحَـلَّ مِـنْ رِقِّ الـسِّوى قِيَـادُه
فجَـلَّ مِـنْ عَـيْنِ الْحِجَـا رَشَـادُه فَـذَاقَ مِنْهَـا بلّـةً بِبَـالِ
فبلّـة مِـنْ كأسـها المَخْتُـوم تمـلأ ريـاض القلـب بـالعُلُومِ
وتحفـظُ الفَهـم عَـنِ الوُهُـوم وتُطلـقُ العَقْـلَ عَـنِ العِقَـالِ

إِذَا عَلِمتَ ذلك فاعْلَمْ أَنَّ طريقَ السادة آل باعلوي نَسْجُهَا على هذا المِنْوَالِ، فظاهرها علوم الدِّين والأعمال، وباطنها تحقيق المقامات والأحوال، وآدابها صَون الأسرار والغيرة عليها مِنَ الابْتِذَالِ، فظاهرهم ما شرحه الإمام الغزالي مِنَ العِلْمِ والعَمَل على المَنْهَجِ الرَّشيد، وباطنهم ما أوضحه الشَّاذلية مِنْ تَحْقِيقِ الحقيقة وتجريد التَّوحيد[1]، وعلومهم علوم القَوم، ورُسُومهم محو الرُّسُوم، يرغبون إِلَى الله بالتَّقَرُّبِ إليه بِكُلِّ قُربة، ويقولون بأخذِ العهد والتلقين ولبس الخرقة[2] ودخول الخَلْوَة[3] والرِّياضة والمُجَاهَدَة وعَقْدِ الصُّحْبَة، جُلُّ مجاهدتهم الاجتهاد في تَصْفِيَةِ الفُؤَادِ، والاستعداد بالتَّعَرُّضِ لِنَفَحَاتِ الْقُرْبِ في طريقِ الرَّشَادِ، والاقتراب إِلَى الله تعالى

(١) يُعبَّر عن تجريد التوحيد في كلامِهِم بالفَنَاء عن سِوى الذّات العليّة وهو استغراق العبد في الله حتى لا يشهد شيئاً سِوى الذّات العليّة وإلى هذا المقام أشارَ الإمام عبدالله بن علوي الحدّاد بقوله:
الله لا تشهد سِواه ولا ترى إلاّه في مُلكٍ وفي ملَكُوتِ

(٢) الخرقة في اصطلاحهم: اسم لكل ما يُلبس من الثياب كالقلنسوة والعمامة والقميص والقباء والرداء والطيلسان والإزار، وطريقة لبسها أن يتطهر الأستاذ والمريد ثُمَّ تُوضع الخرقة بين يديهما ويقرأ الفاتحة ويُلبسها الشيخ للمريد قائلاً: أُلبسها لك كما ألبسني شيخي فلان كما ألبسه إيّاها شيخه فلان إلى آخر السلسلة وإذا لبس مريد من شيخه لبساً مُطلقاً سَاغَ له أن يُلبس غيره.

(٣) الخلوة: الموضع الخالي الذي لا يوجد فيه أحد. وللقوم الصالحين العارفين خلوات يخْلُون فيها مع ربهم، يذكرونه سبحانه، ويتلون كتابه العزيز، لا يُكدِّر عليهم فيها أحد من البشر، ويخرجون منها وقد صفَّوا بواطنهم من الرعونات والأكدار، اقتداء بمتبوعهم الأعظم محمد ﷺ حين كان يتحنّث (يتعبد) في غار حراء الليالي ذوات العدد.. كما ورد في «صحيح البخاري»، وللخلوة آداب تُنظر في مظانها من كتب السلوك والرقائق.

بِكُلِّ قُرْبَةٍ في صُحْبَةِ أَهْلِ الإِرْشَادْ، فلاَ بُدَّ معَ صِدْقِ التَّوجُّه لِوَجْهِ الله، مِنْ فَضْلِ الله، ومعَ جد الجِهَاد، وَبَذْلِ الاجتهاد، مِنْ فَتْحِ الله، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]. فأصل طريق السادة آل باعلوي: الطريقة المَدْيَنية: طريق الشيخ أبي مَدْيَنْ شُعَيب المغربي[١]، وقُطبها ومدار حقيقتها: الشيخ الفقيه المُقَدَّم (مُحَمَّد بِنْ عَلِي بَاعَلَوِيْ) الحُسَيْنِي الحَضْرَمِي تَلَقَّاها عنهُ الرِّجَالُ عَنِ الرِّجَالِ، وتَوَارثها عَنْهُ الأَكَابِر أُولُوا المُقَامَاتِ والأَحْوَالِ، ولكِنْ لِكُونها طريق تحقيق، وأذواق وأسرار، جَنَحُوا إِلَى الخُمُولِ والسِّرِّ والأَسْرَار، لَمْ يَضَعُوا في ذَلِكَ تأليفاً ولاَ صَنَّفُوا فيه تَصْنِيْفاً.

وَمَضَى الطبقة الأولى على ذلك إِلَى زَمَنِ (العيدروس) وأخيه (الشيخ علي) فاتَّسَعَتِ الدَّائرة، وبَعُدَ المَزَارِ، واتَّصَلَ بهم القريب والمُنْفَصِل ببُعْدِ الدَّارِ، احتيجَ إلى التأليف والإيضاح والتَّعريف، وظَهَرَ بِحَمْدِ الله ما يشرح الصدور، ويُبهج النُّفُوس كـ«الكبريتِ الأَحْمَرِ» ، و«الجزء اللَّطيف» و«المعَارِجِ» و«البرقة» وغير ذلك مِمَّا كثُرَ واشْتَهَرَ، وضَوَّعَ وعرف معرفته الآفاق وانْتَشَر، وأكثر المتأخرون لذلك التأليف، واشتهَرَ لهم في كل تعريفٍ وتصنيف، مالهم في مسالك السلوك ومُنازلة المقامات والأحوال مِنَ المجاهدات، وموارد الواردات والجذبات، وعلوم الأسرار، والمكاشفات في أعمالِ وأقوال تؤذنُ بأنْعَمِ شَرْبَة، وأعظَمِ رُتْبَة، فصَارَتْ طريقتهم طريقة قائمة بنفسها، ظاهرةٌ شمسها، غنيّة عَنِ التَّعريف لشُهرتها عِنْدَ أَهْلِ المعرفة وشُيوعها بِكُلِّ تأليفٍ وتصنيف.

وقد سَلَفَ السَّلَفَ الصَّالح على هذا الحَالِ، يُؤثرون التَّلَقِّي بالتَّحْقِيقِ والأَعْمَالِ، فَلِذَا لَمْ يَظْهَرِ التأليف في العلوم، في زَمَنِ تَابعِ التَّابِعِين لِخَوفِ انْدِراسِ مَا هو معلوم، إِلَى أَنْ ظَهَرَتِ البِدع وخِيفَ التَّلْبِيسُ كَمَا أَشَارَ إلى ذَلِكَ القُشيري[٢] في صَدْرِ «الرِّسالة» ، فاحتيجَ إلى التأليف

---

(١) هو الشيخ العارف بالله أبو مدين شُعيب بن الحسن المغربي ، ابنُه مَدْيَن دُفِنَ بمصر، وأمّا الشيخ شعيب فإنه مدفون بتلمسان وهو مِنْ أعيان الأولياء المقرَّبين والأئمة العارفين توفي سنة (٥٨٠هـ).

(٢) هو الإمام أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القُشيري توفي سنة (٤٦٥هـ)، وهو صاحب كتاب «الرسالة القُشيرية».

وإيضاح الدّلالة، وقد قيلَ للشيخ أبي الحَسَنِ الشاذلي: لِمَا لاَ تَضَعُ تأليفاً في الطريق؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (تأليفي أصحابي) وقيلَ: إِنَّ طريقَ الشاذليّة في حزوبهم مطويّة لاشتمالها على تَحْقِيقِ التَّجْرِيدِ، وعُلُوم التَّوحيد، وصِدْقِ العُبُودِيَّة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ولَيْسَ بين السادة آل باعلوي في طريقِهِمْ تَخَالُفٌ، وإِنَّمَا اخْتَلَفَ المشهود، بِحَسَبِ المَشَاهِدِ واختلاف الشُّهُود، **فظَاهِرٌ** بالجمال، شَاهَدَ الفَضْلَ في مَشَاهِدِ الإفْضَالِ، بَاحَ بالنَّوَال، واسْتَبَاحَ ما فعَلَ وَقَالَ، بِحَسَبِ البَسْطِ والحَالِ، **وبَاطِنٌ** ظاهِرُهُ الجلاَل، فاسْتَعْفَى واسْتَقَالَ، ولاَزَمَ الفقر والانكسار في جَمِيعِ الأَعْمَالِ والأَحْوَالِ، فلاَ فَرْقٌ بَيْنَهُمْ يَقْتَضِي التَّفْرِيق، ولا مُبَاينة على التَّحْقِيقِ، وأَمَّا غير طريق السادة آل باعلوي مِنْ طُرق الصوفية، الصحيحة الصفيّة الوَفيّة، فلاَ تُخَالِفُها في الأُصُولِ، ولاَ في حَقِيْقَةِ السلوكِ والوُصُولِ، وإِنَّمَا الخِلاَف في رُسُومٍ وأَوْضَاعٍ وَمَشَارِبَ، تؤُولُ إِلَى المُحَافظة في تَقْرِيبِ الطريق على الطالب غايتها، كالاختلاف في الفروع بين أهلِ المَذَاهِبِ، فمِنْ حيث أنّهُ في أشياء تابعة وفُرُوع دقيقة، كأنّه لا خلاف في الحقيقة، بَلْ مَنِ اتّصفَ وتَحَقَّقَ بالتَّحقيق رَأَى الحَقَّ وَاحِداً، وحَقَّقَ أنه ليس بين أَهْلِ الحق خُلْفٌ ولا تفريق، لأَنَّ الفُرُوع وإِنْ تعدَّدَتْ فالأصل مُتّحِدٌ لِكُلِّ طريق، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى:١٣] الآية، وَقَالَ تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] وَقَالَ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ...﴾ [آل عمران:٨١] الآية، وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ...﴾ [النساء:١٦٣] الآية، ولذلِكَ قُلتُ في «الرَّشَفَاتِ» :

تَفرَّقُوا في شُعَبِ الإسلام ... وافْتَرَقُوا في ظَاهِرِ الأَحْكَام
واتَّفَقُوا في القَصْدِ والمَرَام ... وقَصْدِ وَجْهِ الله ذي الجَلاَلِ

فهُمْ كَذَا الرُّسلُ بَنُو عَلاَّتِ ... طريقهم وَاحِدَةٌ في الذَّاتِ
تعددَتْ بالرَّسْمِ والهَيْئَاتِ ... في كُلِّ تَفْصِيلٍ بِلاَ انْفِصَالِ

واخْتَلَفُوا في صِفَةِ القُربيّةْ ... وفي اتِّصَالِ القُوّةِ الكَسْبيَّةْ
أَوِ انْعِطَافِ نَفْحَةٍ جَذْبيةْ ... تَرْفعُ عَنْهُ كُلْفَةَ الأَعْمَالِ

وبعــــضُهم مـــا زَالَ في تَقْيِيـــدِ   في جَــدِّهِ وزُهْـــدِهِ الــشَّدِيْدِ
مُراقِبـــاً زواجــــرَ الوعيـــدِ   مُرتَقِبـــاً للمـــوت والمـــآلِ

وبعــضُهم في البَـسْطِ في الوُجُــودِ   في بَـسْطَةٍ مِــنْ نِعْمَــةٍ وجُــودِ
شـــاهد فــضل الله في الوعـــودِ   فعَمَّـــــهُ مَـــوْلاَهُ بالإِفْــضَالِ

وبعــضُهم إذ جــدَّ في اجْتِهَـــادِهْ   فَعَانَـــهُ الحَــقُّ عـــلى مُـــرَادِهْ
بجذبَـــةٍ فانْحَـــلَّ مِـــنْ قِيَـــادِهْ   فَنَــالَ أَسْــنَى الفَــتْحِ وَالآمَـــالِ

وبعــضُهم في لاَعِــجِ الأَشْــوَاقِ   بِرَهْبَـــةٍ في غَايَـــةِ الإِشْـــفَاقِ
أو رَغْبَـــةٍ في حَالَـــةِ الإِمْـــلاَقِ   أَوْ نــسبةٍ مِــنْ مُخْلِــصِ الأَعْـــمَالِ

وبعــضُهم غريــقُ بَحْــرِ الجُــودِ   شـهيد سـيف الكَـشْفِ والـشُّهُودِ
قَــدْ صَــارَ تَحْــتَ العِــزِّ كــالمَفْقُودِ   ولَـــيْسَ عَنْـــهُ مُخْـــبِر بِحَـــالِ

وبعــضُهم غَـــابَ عَـــنِ الخَلِيْقَـــة   وَذَابَ لَمَّـــا شَـــاهَدَ الحَقِيْقَـــة
إذ عَـــلَّ مِـــنْ رَاحِ الهَـــوى رَحِيْقَـــه   وراح بهـــا في طَلْعَـــةِ الجَـــمَالِ

وإِنَّمَا اتَّفَقُوا على منعِ المريد في ابتداء سلوكه مِنْ تتبُّعِ الطُّرق، وخروجه من شيخٍ إلى شيخ، لأنَّ ذلك يضرّه بتفريقِ هِمّته، وتشتيت جمعيّته، فإنَّ قلبه في ابتداءِ أمره كالجريح يضرّه كلُّ تخليطٍ وريح إلى أن يبرأ ويندمِلْ على يد طبيبه الذي به تعلَّق، ومُداويه الذي عرَفَ طبّه وتَحَقَّق، ولعَلَّ الله يمُنُّ بفُرصَةٍ مِنَ الزَّمان أجمَعُ فيهِ مجموعاً مِنْ كلامِ سادتنا آل باعلوي في كُلِّ باب من أبوابِ الطريقة بما تَقَرُّ به عيون ذوي العِرفَانِ، وبالله التَّوفيق وهو المستعان، وبهِ الثقة وعليه التُّكْلان.

ورَدَّ رَحِمَهُٱللَّهُ على الذين يقولون بأنَّه لَيْسَ أحدٌ مِنْ أَهْلِ الله مَوجُودٌ في الدُّنيا فقَالَ في مَنْظُومَتِهِ «الرّشَفَاتِ»:

يَقُــولُ قَــومٌ عَــنْ هُـدَاهُمْ ضَـلُّوا: قَـدْ عُـدِمُوا في عَـصْرِنا أَوْ قَلُّـوا
فقُــلْ لَهُــمْ: كَــلاَّ وَلَكِــنْ جَلُّــوا   عَــنْ أَنْ تَــرَاهُمْ أَعْـيُنُ الجُهَّــالِ

فَكَيْـــفَ يَخْلُـــو عَـــالَمُ الـــشَّهَادَهْ   عَـنْهُمْ وَهُـمْ فِيْـهِ الهُـدَاة القَـادَهْ

قَـدْ حَفِـظَ اللهُ بِهِـمْ عِبَـادَهْ وَصَـانَهُمْ في سَـائِرِ الأَحْـوَالِ

إلى أن قال:

فكَمْ خَفِيْ في الخَلْقِ مِنْ مِسْكِينِ قَـدِ امْـتَلأْ مِـنْ صَـفْوَةِ اليَقِـيْنِ

وَهَـانَ بَـيْنَ النَّـاسِ ذُوْ طمـرينِ وهـو لَـدَى الحَـقِّ عظـيم عَـالِ

مِنْ أَقْوالِ وَوَصايا العارِفِ باللهِ جَمالِ الدِّينِ محمدٍ بن زينٍ بن عَلَوِي بن سُمَيطٍ الحُسَينِي[1]

(١١٠٠-١١٧٢هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢] مَخرَجا: من الشدائدِ والمتاعبِ والكروب، ومخرجاً: مِنَ الهمومِ والغموم، ومخرَجاً: من المشكلاتِ والشبهات، ومَخرَجاً: من ظُلُماتِ الجهل إلى نُورِ العِلم، ومَخرَجاً: مِنَ العَجزِ والكسَلِ إلى الجدِّ والتشمير، ومَخرَجاً: مِنَ الغفلةِ إلى اليَقظةِ، ومَخرَجاً: مِنَ الميلِ إلى الشرِّ إلى محبّةِ الخير، ومَخرَجاً: من صُحبةِ الأشرارِ إلى صُحبةِ الأخيار، ومَخرَجاً: مِنَ الفقرِ إلى الغنى، ومِنَ الشدّةِ إلى الرَّخاء، ومن البَلاءِ إلى العافية، ومِنَ الخوفِ إلى الأمَانِ، ومن الحُزنِ إلى السرور.

ثُمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو عدَدْتُ هذه المخارجَ التي ضمّنَتْها هذه الآيةُ الشريفةُ لانْقضَى الوقتُ ولم تُحصَر، وقد قال بعضُهم: إنَّ تحتَ كُلِّ كلمةٍ من القرآنِ سبعَمِئةٍ ألفِ معنًى، وما خَفِيَ أكثر، جعَلَنا اللهُ من أهلِ الفَهمِ عنهُ والعِلمِ به، وما ذلك على اللهِ بعزيز.

وأفَادَ رَحِمَهُ اللَّهُ على قوله تعالى حكايةَ ذي النُّون عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] قال أهلُ التَّفسير: الظلمات هذه التي نادى فيها هي: ظُلمة الليل، وظُلمة قعر البحر، وظُلمة بطن الحوت. الإشارة في هذه الظُّلُمات عند أهل المعاني إلى معنيين:

---

(١) المولود بمدينة تريم سنة (١١٠٠هـ) المتوفّى بمدينة شبام ليلة الثلاثاء في (٢٠) مِنْ شهر ربيع الأوّل سنة (١١٧٢هـ) ودُفِنَ بجرب هيصم بمقبرة شبام.

أحدهما: ظُلُماتُ الهموم والغموم والكروب والأمراض والأحزان والأشجان والأوصاب وغير ذلك.

والثاني: ظُلُماتُ المعاصي والسيئات والجرائم، والزلّات والهفَوات والغَفَلات، والقسوة والإعراض، والتشاغل بالترّهات والتمادي في البطالات، والانهماك في اللَّذّات والشهوات، وعدم اللَّذّة في الطاعات، هي الظُّلمات كل الظلمات. والمعنى في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء:٨٧] خاصٌّ بيونس عليه السلام عامٌّ في جميعِ المؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يدعو بها مسلمٌ ولا مُؤمِنٌ إلا استُجيبَ له)، قيل له: هذا خاصٌّ بيونسَ عليه السلام؟ قال: أَلَمْ يقُلْ عَزَّ وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨]. وورَدَ فيها مِنَ الفضائل ما لا يُحصى، ونُشيرُ إِلَى طَرَفٍ يسيرٍ مِنْ ذلك، وهو: أنَّ معنى: (لا إله): كل ما يُوَلَّهُ إليه ويُوَلَّهُ به ويُمِيلُ إليه حُبٌّ، واعتمادٌ أو استناد، أو سُكُون أو رُكُون، أو استئنَاس أو طمأنينة، أو اعتقاد أو نفع أو ضُر، أو تقديم أو تأخير، أو توريد أو تصدير، أو حضور أو خشوع، أو انتساب أو رجوع، أو غير ذلك مِنْ أسبابِ الميل والتشاغل، فهذه كُلُّها إلهٌ لِكُلِّ مَنْ وَلِهَ بها أو سكَنَ إليها. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣] والهوى في الشيء هو الميل إليه مُطلقاً، ومنه لُقِّبَتِ المحبّة هوىً؛ لأنّها ميلُ المحب إلى المحبوب أيَّ محبوبٍ كان، ومَنْ كانَ مِنَ الناس في حِطَّةِ القصور والتقصير وليس من أولي الجدّ والتشمير، تائِهاً في بيداء الضلالة، غارقاً في مهواة البطالة، مُعرِضاً عنِ الله مُتَّبِعاً هواه، يُمَنِّي نفسَه الغرورَ والمحال، مُتقاعِداً عن رُتبةِ أهل الكمال، قانِعاً بالانحطاط عنِ التأسِّي بالرِّجال الأبطال؛ فلا شَكَّ أنه في الظُّلمات راتع، ولشهَواتِه مُتابع. ثُمَّ إِنَّ مَن أيقظه الله تعالى الحق مِن سِنَةِ الغفلة، وأخَذَ التّوفيق بيده وهو غارِقٌ في الأشياء التي ذكرناها، فعَرَفَ الحقّ وأهله، واعترَفَ بِظُلْمِهِ وبِجَهلِهِ، وأنه وضَعَ الشيء في غير محلِّه؛ نادى وهو في مقَامِ البُعد: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أن يكُونَ إلهٌ غيرُك، تقدَّسْتَ عن ذلك وتعالَيتَ عُلوّاً كبيراً، ولا معبودَ إِلَّا أنت، ولا مقصُودَ إِلَّا أنت، ولا موجودَ إِلَّا أنت، ولا مشهُودَ إِلَّا أنت، ولا ضَارَّ ولا مُعْطِيَ ولاَ مَانِعَ ولا مُقَدِّمَ ولا مُؤَخِّرَ ولا خَالِقَ ولا رَازِقَ غَيْرُكَ،

ولا ثَمَّ مَنْ يُسْتَنَدُ إليه ويُتَوَكَّلُ عليه ويُفَوَّض في جميعِ الأُمُورِ إليه سِوَاكَ وحدَك، لا شريكَ لك، ولا وزيرَ ولا مُغْنِي في جَمِيعِ ذَلِكَ إِلَّا أنت .

﴿إِنِّي كُنتُ﴾ في تشاغلي بهذه الأشياء واعتمادي ونظري إلى هذه الأشياء .

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنفسي بوضع الشيء في غيرِ محلّه وموضعه، وسُوء أَدَبي معك بسكُوني ورُكوني إلى غيرك ممَّن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا مَوتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:١٩٤].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]: أي تذَكَّروا العُقوبةَ وإِلَّا المثوبة، وهو ذكر القلب، مثاله: إذا أردتَ أن تظلِمَ أو تغشَّ أحداً تذكَّرِ العقوبةَ مِنَ الله، فمنْعُه مِنَ الظُّلمِ والغشِّ داخِلٌ في الذِّكر.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ النُّورَ إذا دخَلَ القلبَ انشرحَ وانفسَح)، فقيل له: هل في ذلك مِن علامةٍ؟ قال: (نعم، التّجَافي عن دارِ الغُرور، والإنابة إلى دارِ الخُلُودِ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ نزوله)[1]، قال: دارُ الغرور هي الدنيا، وحقيقتها: كلُّ شيءٍ لم يُرَدْ بِه وجهُ الله تعالى والدَّارُ الآخرة ، وإنْ كانت صورتُها عبادةً فهيَ بالحقيقةِ دُنيا.

ومعنى (التّجافي والعزوف عن الدُّنيا) هو انصرافُ القلبِ وميلُه وانزواؤه عنها والإعراضُ عن لذَّاتها ومشتهياتها عنه بحكم الشَّرَه والهوى والنَّهمة، لا بقصد الاستعانة على طاعةِ الله وعلى القيام بوظائف عبادته وعُبوديَّته، فمتى صحَّ قصدُه في كُلِّ ما يتناوله ويتعاطاه من أمرِ الدُّنيا، كالتّقَوِّي به على طاعته سبحانه والاستعانةِ على محابِّه ومراضيه، فقد انتفَى عن طلَبِ الدُّنيا المذمومةِ شرعاً، وانقلبَ ذلك بنيَّتِه آخِرةً، فقد عُلِمَ بذلك أنَّ الدنيا والآخرة هُما قصدُ الإنسان فقط، فقصدُه بما يتعاطاه لله تعالى هي الآخرة كائِناً ذلك ما كان، وقصدُه بذلك التَّمتُّعُ مِنْ غيرِ قصدٍ لله عزَّ وجل هي الدُّنيا.

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي في «الزهد» من حديث ابن مسعود.

ومعنى (الإنابة إلى دارِ الخُلُود) هو الرُّجوعُ إلى الله عزَّ وجل والأسفُ على ما فرَّط في جنبه، ودوامُ الإقبال عليه. و(دار الخلود) هيَ الآخرة، وهي ما أُريد به وجهُ الله، والتَّقوى ما لا أُريد به النَّفسُ والهوى. ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤] والحيوان هو: البقاء والدَّوام، وعدم الفناء والانصرام. فلو قُدِّر مثلاً أنَّه مُلِيءَ من العرش إلى الفرش خَرْدَلاً، وقُدِّرَ أنَّ طائراً يأخذ في كُلِّ ألفِ ألفِ سنةٍ حبّةً من ذلك الخردَلِ لنفَدَ جميعُ ذلك الخردَلِ ولم ينقُصْ من مُدَّةِ الآخرة مثلُ خردلةٍ واحدة، أهلُ الجنَّة في النَّعيمِ الدَّائِمِ، وأهلُ النار في العذابِ السَّرمَدِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أثناء مكاتبته: وبالحَرَكَاتِ تكونُ البَرَكَاتُ، وبِالهَزِّ يسقُطُ الثَّمَرُ، وبالتَّوَجُّهَاتِ تكونُ المُوَاجَهَاتُ، وبالاسْتِعْدَادَاتِ تَكُونُ الإِمْدَادَاتُ، وبِالمُجَاهَدَاتِ تَحْصُلُ المُشَاهَدَاتُ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] ومَنْ جَدَّ وَجَدَ، وكُلُّ مَنْ سَارَ على الدَّرْبِ وصَلَ، الهِمّةُ قالَبُ التَّوفيق. وَقَالَ المتنبي(١):

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ   وتَأْتِيْ عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المكَارِمُ
وَتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُهَا   وَتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

وفي الإنسانِ أمرٌ عجيبٌ، وأسلوبٌ غريبٌ، إذا أَمْعَنْتَ النَّظَرَ، وهو أنه بتقديرِ الله عزَّ وجلَّ إذا توَجَّهَ إِلَى أَمْرٍ وأَجْمَعَ هَمَّهُ عَلَيهِ بِكُلِّيتِهِ لَمْ يَكِدْهُ ذَلِكَ الأَمْرُ كَائِناً مَا كَانَ أَنْ لا يكونَ أَبَداً. وكذلِكَ قَالَ لِسانُ العُمُوم: الهِمَّةُ اسْمُ اللهِ الأَعْظَم، فَمَتَى سَوَّى الإنسانُ صُورةَ الهِمّةِ نَفَخَ اللهُ فيها رُوْحَ التَّوفيق، جَرَتْ بِذَلِكَ سُنّةُ اللهِ في خَلْقِهِ التي لا تَجِدُ لَهَا تَبْدِيلاً وَلاَ تَحْوِيلا.



(١) أبو الطيب أحمد بن الحُسين المتنبي شاعر العربية وصاحب المدائح الشهيرة في الأَدَبِ العربي توفي سنة (٣٥٤هـ).

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ علي بن حَسَنٍ بن عبدِ اللهِ العَطَّاسِ الحُسَينِي صَاحِب المَشْهَدِ[1]

(١١٢١-١١٧٢هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]، يعني أَنَّ الله لا يُحِبُّ الفرحين بالباطلِ، دُون الفرح بالحق، أحقُّ الحقِّ يعضِدُه[2]، قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾ [غافر:٧٥] ويعضده قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ [الروم:٤-٥].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَظْهَرُ لِي في تفسير معنى قول جدِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كثير المعَانِي، شديد المبَانِي، حيث قال: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً) فقَالَ رَجُلٌ: يا رسولَ اللهِ؛ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟! قَالَ: (تَحْجُزُهُ-أَوْ تَمْنَعُهُ-مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)[3]، وأَقُولُ أيضاً: ومِنْ معانيه أنه ينبغي لك إذا ظُلِمَ أخوك وبُغِيَ عليه أن تنصرَه بالحق على ظالمه وتتركَ ما بينك وبينه مِنَ الخصومةِ والمظالمةِ، إِنْ كُنْتَ ظالِماً لأخيك المذكور، أو كانَ ظالِماً لَكَ فلا تجعل ما بينك وبينه مِنَ الخصومة والمظالمة والمغاضبة والمنابذة حائلاً بينك وبين نصره على خصمه الظالم له بل انصُرْه عليه، وإِنْ كُنْتَ ظالماً له أو لك ظلوماً منه قبل ذلك، قال الله تعالى في ذم أقوام تقاطعوا وتدابروا، ولم يتعاونوا ويتناصروا ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ۝٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ

---

(١) المولود بمدينة حُريضة ليلة الجمعة في (١٢) من شهر ربيع الثاني سنة (١١٢١هـ)، وكانَ بُرُوزه وسقوط رأسه على الأرض وقت أذان العشاء مُقارِناً معَ أَوَّلِ التكبير في بيت جدّه الحبيب عبدالله بن حسين بن عمر العطاس، ونشأ يتيم الأب، لأنَّ والده توفي وهو صغير دون التمييز في نحو ثلاث سنين، وحفظ القرآن الكريم، وتُوفي بالمشهد ودُفِنَ بها سنة (١١٧٢هـ) عن عُمْرٍ يناهز إحدى وخمسين سنة.

(٢) يعضده: أي يعينه، اعتضد بفلان: استعان به وتقوّى.

(٣) رواهُ البُخاريُّ (٦٩٥٢).

إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٢٤-٣٧].

وكانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصي المُتَعلِّقين به والآخذين عنه على الخُصُوص بوصايا كثيرة فيها النَّجَاةُ والسعادةُ لهم في الدُّنيا والآخرة، وهي لِكَافَّةِ الأُمَّةِ الإسلاميّة على العموم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللهَ اللهَ في مُلازَمَةِ صلواتِ الجماعة في المسجد، ومُلازمةِ تلاوة القرآن، ومُلازمة الاستغفار بالأسحار، وكثرة الصلاة على نبيك المختار، وتأدية المكتوبَات أَوَائِلَ الأوقاتِ بالخُشُوعِ والانْكِسَارِ، ومُصاحبَةِ الطائعين والأخيار، ومُجانَبَةِ الغافلين والفُجَّارِ، والقصد في حَالَةِ الغِنَى والإقْتَار، والعدلِ في حالة الغضب والاختيار، وخشيةِ الله في السِّرِّ والإجهار، وإذا أَذْنَبْتَ فاستغفرْ، وللنعمةِ فاشكُرْ، وللنقمةِ فاصْبِرْ، وفي الطَّاعَةِ فاشْهَدْ مِنَّةَ الجَبَّارِ، ولازِمِ الدَّارَ، وانقَبِضْ مِنَ الأدوَارِ، وكُنْ في أهلِكَ وأرحامِك بَارٌّ، ولَهُمْ قَهَّارٌ، وعليهم تحما وتَغَارُ، وعَلِّمْهُمُ الأدَبَ، وحثَّهُمْ على القُرَبِ، وأعرض عَنِ الجاهلين، ولا تُمَازِحِ العَاقِلَ، ولا تَرْكَنْ إِلَى الغَافِلِ، ولا تَنْسَ حقوقَ الجَارِ، واصْفَحْ لِلْجَانِي، وتغَافَلْ عَنِ العيوب، وتجَاوَزْ عَنْ زَلاَّتِ النَّاسِ، وأَقِلِ العثار، وتَوَكَّلْ على الله تعالى وتَبَتَّلْ إليه، واسْتَعِنْ بهِ وابْتَهِلْ إليه أن يجعلَكَ مِنَ الأبرار، ويُدخلك جَنَّاتٍ تجري مِنْ تحتها الأنهار.

وَقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلُّ مَثْبُورٍ[١] مَنْصُورٌ ومَأْجُورٌ، وكُلُّ غَايِرٍ[٢] مَغْرُورٌ وَمَكْسُورٌ وَمَأْزُور.

---

(١) ثَبَرَ ثُبُوراً: هلَكَ. الثُّبُور: الهلاك والويل والاهلاك والحزن. يقال: (دعا بالويل والثبور) أي قال: (واويلاه واثُبُوراه)، يقولُ ذلك الهالِك ومَنْ أصابته مصيبة شديدة.

(٢) الغاير هو: الذي يعتدي على كَافَّةِ الناس بأي طريقة في الاعتداء يراها مناسبة. قال الحبيب علي رحمه الله: (كُلُّ غاير مغرور)، أي لمَّا اعتدَى على الناس ولَمْ يَجِدْ أحداً يردعه ويُوقفه عِندَ حَدِّه اغترَّ بنفسه، وشَمَخَ بأنفه، وتكبَّرَ على أبناء جنسه، فحصلَ له الاستدراج والإمهال حتى يقع في الإثم الشديد، فيأخذه ربُّنا أخذَ عزيزٍ مُقْتَدِر. وصدق الحبيب علي رحمه الله إذ قال: (كُلُّ غاير مغرور ومَكْسُور ومأْزُور).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُنَّا نسمع أَنَّ مَنْ أحببته فهو دليل على أنه يُحبّك، إلى أن تدبّرنا قول الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ [آل عمران:١١٩] ، ونسمع أَنَّ صلاح ذات البين بين المتخاصمين متعلِّقٌ بصلاحِ نيّة الساعي المصلح بينهما، إلى أن تدبّرنا قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾ [نوح:٥-٦].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ينبغي أن تُودعَ الأمانةَ في هذا الزَّمان إِلَّا عِنْدَ إنسان مُتَديِّن حيي غَني فإِنَّما مثل هذا الأمين معَ الأَمَانَة مثل البعير القوي المربوط حول الزرع فإِنَّ البعير إذا كان تحته ما يكفيه مِنَ القُوت لَمْ يُنازِع الرباط ليقطبه ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ تحته ما يكفيهِ مِنَ الْقُوت فَرُبَّمَا نَازَعَهُ، وقَطَبَهُ لِشِدَّةِ اضْطِرارِه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رَأَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَتَنَافَسُون في خَمسِ خِصَالٍ ويطلبون لأنفسِهم التَّقَدُّمَ والإِجْلالَ، وَأَنَا بحمد ذي الجلال، أَعْرِفُ مِنْ نَفْسِي لَهَا الكَرَاهَة والاستثقال، بحيث إني أُوثر وأكتفي بغيري فيها، لِمَا فيها مِنَ الأثقال، وهي:

١- الإمامةُ في الصلاة.

٢- والتقدُّمُ في الدُّعاء.

٣- وتقبيلُ اليد.

٤- وَأَخْذُ الفنجان الأَوَّلِ.

٥- والقيامُ مِنَ النَّاسِ لِيْ مَعَ الْقُدُومِ. والشَّاهِدُ في ذَلِكْ بَاطِنِي بأَنِّي لاَ أُحِب ذَلِكَ، وَلاَ أَفْرَحُ بِمَا هُنَالِكَ، وَإِنَّمَا الناس فنيّاتهم رُوح أعمالهم، وكلٌّ يزرع ما حَصَدَ، ويشرع مَا قَصَدَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس في الزَّوَاجْ على أَرْبَعَةِ أَقْسَامْ: صَالِح ينكح صالحة، وطَالِح ينكح طالحة، وطَالِح ينكح صالحة، وصَالِح ينكح طالحة كُلُّ ذلك بتقديرِ العزيز العليم قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم:١٠-١١] .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَنْبَغِي لِمَن نَزَلَتْ بِهِ نَازِلَةٌ مُهِمَّةٌ وَحَلَّتْ عَلَيه نَائِبَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ أن يتوضأ وضوءَه للصلاةِ ثُمَّ يصلي ركعتين ثُمَّ يقول: (اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عليه وآلِهِ وَسَلِّمْ) إحدى عشرة مرّة .

ثُمَّ يأتي بهذا الذِّكر سبعين مرّة وهو هذا: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله وسبحان الله والحمد لله وأستغفر الله وحسبنا الله وإنَّا لله ولا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله).

ثُمَّ يأتي أيضاً بهذا الذِّكر المبارك سبعين مرّة وهو هذا : (يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ومِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِير ، لا تكلني إلى نفسي ولاَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ طَرْفَةَ عين ، وَأَصْلِحْ لِي شأني كُلّه يا مُصلح الصالحين) فإنه إنْ شَاءَ الله يفرِّجُ همَّه ويُنفِّس كربَه وتنقضي حاجتُه عاجلاً وما ذَلِكَ عَلَى الله بعزيز، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثَلاَثَةٌ مِنَ الأذكارِ لا ينبغي للعاقِلِ أن يَتْرُكَها لِمَا فيها مِنَ الْمَنافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ:

الذِّكْرُ الأَوَّلُ: أن يقُولَ بعدَ رَكْعَتَي الفَجْرِ، وقَبْلَ صَلاَةِ الصُّبْحِ: (سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظيم، أَسْتغْفِرُ اللهَ). (مِئَةَ مَرَّةٍ).

الذِّكْرُ الثاني: أن يقُولَ بعدَ صَلاةِ الظُّهْرِ: (لا إلهَ إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ). (مِئَةَ مَرَّةٍ)(١).

الذِّكْرُ الثَّالثُ: أَنْ يقُولَ قَبْلَ النَّوْمِ: (سُبْحانَ اللهِ) ثلاثاً وثلاثينَ مَرَّةً. و(الحمدُ للهِ) ثلاثاً وثلاثينَ مَرَّةً. و(اللهُ أَكْبَرُ) ثلاثاً وثلاثينَ مرَّةً. ثُمَّ يقُولَ: لا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ له، لَهُ الْمُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) أخرجَ أبو نعيم والخطيب في رواية مالك والدَّيلمي في «مُسند الفردوس» عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَالَ في كُلِّ يوم مائة مرّة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كانَ له أماناً مِنَ الفقر، وأنساً مِنْ وحشةِ القبر).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خطرَ ببالي ذات ليلة أنه لم يحصل لي ما حَصَلَ للسَّلَف مِن الحَسَدِ والإنكار فلمَّا كانَ صُبح تلك الليلة تغيَّرَ أكثر الجماعة الذين يحضرون لديَّ. وإليه يُشير في بعض قصائده بقوله:

بني مغراه قلبي وحل يهل المعاني ... وصبري مِنْ شغوبي كمل والجسم ضاني
وفكري حار في وقتنا وقت الشواني ... من اصحبته وبالغت في ودّه جفاني
ومَنْ شنَّفت له كأس حلوى صرف هاني ... جزاني في الجزاء من جبح خس المجاني
ومَن شيَّدت حصنه بيدِّي واللساني ... هَدَمْ ما قد تقَدَّمْ برجله مِنْ مَعَانِي
زمان العق فيه ابتذل والبر فاني ... ولو عدَّيت ذي دارسوني في المثاني
ودرسوا عندي العِلم واستسقوا دناني ... حسبت آلاف رجعوا لِحُسَّادي عواني
ولكن حسبي الله وتدبيره كَفَانِي ... إليه ارجع ومنه الفَزَعْ والكُل فَانِي
وصلَّى الله على المصطفى طه اليماني ... محمد جدي الهاشمي قُرَشي كِناني
عليه الله صلَّى عدد ما سب شَانِي ... وعَدّ أهْلِ الحَسَد والعداوه والشَّوَانِي

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِيَّاكُمْ والاغْتِرَارَ بِالنَّسَبِ، وإِيَّاكُمْ واسْتِحْقَارَ ذَا الثَّوْبِ الخَلِقِ (أي القديم)، واسْتِجْلالَ صاحب الكِسَاء الرَّفيع، وإِيَّاكُمْ والغيرة مِمَّا تَرونَ مِنْ نِعَمِ الله على أَوْلِيَائِهِ، أَوْ على أعدائه، والحسد لَهُمْ فإِنَّ صاحب النِّعمة إحدى اثنين: إمَّا مِنْ أَهْلِ السعادة فلا يُستكثر له نِعَم الدُّنيا الفانية بالنسبة إلى نَعِيْمِ الآخرة البَاقِيَة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠]، وإِمَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَة فلا يستكثر له متاع الدُّنيا والله يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧] ويقول تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزُّخرُف:٣٣-٣٥].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ أَذْنَبَ أَجْدَبَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني رأيتُ الناس في هذه الأَزْمَانِ:

[**الأولى** : أنه] غَلَبَ عَلَيْهِمُ التَّهَاونُ والاسْتِكْبَارُ، وعَدَمُ الـمُبَالاَةَ وقِلَّة الاجتهاد فيما يصلح دِينهم ودُنْيَاهُمْ، فَتَرَى إِنْسَاناً وتعرفه مِنْ أَوَّلِ وقته إلى أن يظهر فيه الشَّيب لَمْ يُجَالِسْ عَالِماً، ولَمْ يَتَعَلَّمْ مسألةً مِنَ العِلْمِ الوَاجِبِ الذي هو فريضة على كُلِّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ وَرُبَّمَا جَلَسَ ذَلِكَ الإنسان في بَعْضِ المَحَافِلِ التي يُذكَرُ فيها بالعِلم وأهله فتَرَاهُ كالمستغني عن ذَلِكَ المُعْرِض عَمَّا هُنالِكَ ورُبَّما قيل لَهُ : إنَّ فُلاَناً عِنْدَهُ مِنَ العِلْمِ كَذَا ويُعْرَفُ مِنْهُ كَذَا فيَقُولُ على سَبِيْلِ الجحدان والكُفْرَان: (لَيْسَ ذَلِكَ الإنسان مِنْ أَهْلِ هَذَا الشان ولا يَعْرِفُ شَيئاً)، وتَرَاهُ كالمُجْتَهِد في إطْفَاءِ ذَلِكَ النُّور، والعَامِلُ في إِخْفَاءِ طريق تِلْكَ الخيور، كَمَنْ قيل لَهُ : (إِنَّ هَاهُنَا مَنْهَلٌ مَورُودْ، وعَذْبٌ مَقْصُودْ) ، ويَرَى ذَلِكَ المَنْهَلَ بِعَيْنَيهِ فتَرَاهُ يذر عليه التُّرَاب، وَيَضَعُ فيه مِنْ كِبَارِ الحَصَى والأَخْشَابِ، لِيُوارِيهِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظرين، ويُخفيه عَنِ العِطَاشِ الطالبين، فلَمْ يَكْتَفُوا في أنفسهِمْ بالعَمَى والضلال والإعراض، والجُمُود على الجهل الذي هو على الدِّين والدُّنيا والأُخرى مِنْ أَضَرِّ الأمراض، حَتَّى وقعُوا في البَغْي والحَسَدِ والعَدَاوَة والاعْتِرَاضِ .

(**الثانية**): إنّهم لا يعرفون لِذِي فَضْلٍ فضْلَه، ولا يُنزلون ذا منزلة محلّه، ولا يُنصفون مِنْ أنفسهم بَلِ العَالِمُ والجَاهِلُ عِنْدَهُمْ سَوَاء ، والغالب عليهِمْ عِبَادَةُ الأَهْوَاء .

(**الثالثة**): أَنَّهُمْ إذا صَحَّ اعتقادُهم في وَلِيٍّ لله في وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، رَكَّبُوا اعتقادهم في طلب إظهار الْكَرَامَاتِ، وإِنْ لَمْ يستمر بَيَانها لَهُمْ في جَمِيعِ اللَّحَظَاتِ، اضْمَحَلَّ اعْتِقَادهُمْ فيه وَفَاتَ، وتَهَدَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَبَانِي النِّيَّاتِ الصَّالِحَاتِ .

(**الرَّابعة**): إنَّ الحَرْثَ وأَهْلَ الزَّرَاعة إذا قَبَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ القَطْرَ قليل ولو في المُدَّةِ القريبة مالوا إلى بيع البَقَرِ الذي يحرثوا عليها أموالهم، وَقَالَ لِسَانُ حَالِهِمْ: لا نصبر على ضِمَامِهَا، ولا نمسك مَبَارِكَ زِمَامِهَا، إِلَّا ما دمنا نطعمها القَصَبَ الأَخْضَرَ، وما عَلِمُوا أَنَّهُ تَعَالَى متى عَسَّرَ يَسَّرَ.

(**الخامسة**) : أَنَّهُمْ لا يَجْتَهِدُونَ في غَرْسِ الْمَقَالِعِ إِلَّا مَا دَامَ شربها للسَّيل وإذا انْقَطَعَ القَطْر قليل تركوها وأهملوها، ورُبَّمَا تَرَكُوا بعضها وقَدْ قَارَبَ الإعْتَاقَ، فيعتاق، أَعْنِي الذي لا تَشْرَبُ أَرَاضيهم إِلَّا مِنْ قَطْرِ السماء، وأَمَّا أهل حضرموت الذين أَعْطَاهُمُ الله الآبَارَ القريبة، والأرض

السهلةَ الخصيبةَ، فما على تهوينهم وفسالتهم مزيد، لأَنَّهُمْ لَوْ حَرَثُوا شوارع البلدان، وغَرَسُوا فيها النَّخيلَ والأعنابَ والرُّمَّانَ، لَكَانَتْ كُلّها بساتين، والله المُسْتَعَانُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لا شكّ أَنَّ كَلاَمَ الحُسَّادِ والأَضْدَادِ، قد يكون سبباً لزيادةِ مَنْ يحسده في طريقِ الثَّناء لا حائل دُونه، يدلُّ قوله تعالى حَاكِياً عَنِ المنافقين حيث يقول: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨] ثُمَّ أَجَابَهُمْ بقوله: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨] ثُمَّ حَصَلَ منه الثَّناءُ العظيم، لِمَنِ اسْتُشْهِدَ في سبيل الله بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠] إلى آخر الآيات فافْهَمْ، ومِنَ السُّنَّة ما رُوِيَ مِنَ الثناء مِنْ رسولِ الله ﷺ على جماعاتٍ مِنَ الصحابة وذلك بعد وقوع الطعن عليهم مِنَ الأضدادِ وَالحُسَّاد والأنداَدِ، التي كانت سبب الزِّيادَاتِ والإمداد، بما لو علِموا الحُسَّادُ بذلك الازدياد، وسببِ حَسَدِهم لِحَسُودِهم لَتَركُوا الحَسَدَ عليهم ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح:٢٣].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مثل الكلمة التي تخرج مِنَ الإنسان وهو يخشى من ظهورها عند أهل الزَّمان كمثل الحصاة التي تدرج من رأس الجبل وتسقط في السَّحِيل فإمَّا أَنْ تقعَ بين حَجَرَين فَتُخْفَى، وإمَّا أَنْ تبلغ مُنتهاها فتكون سبباً للجَفَاء فلزُوم الصمت أَوْقَى وأَصْفَى وأَكْفَى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: سبعة أشياء لا أغلى مِنْهَا ، فاطلبها تَجِدْهَا بإِذْنِ الله:

١- سؤالُ العَافِيَة مِنَ الله.

٢- سؤالُ حُسْنِ الخَاتِمَة.

٣- سُؤَالُ المَغْفِرَة.

٤- طلَبُ العِلْمِ مِنْ أَهْلِه.

٥- طلَبُ المَشُوْرَة مِنْ ذَوِي الرَّأي والنُّهَى.

٦- طلَبُ الكَرَامَةِ مِنَ الوَلي بِحُسْنِ العَقِيْدَة.

٧- طَلَبُ الصُّلح مِنَ الخُصُومِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لا تَفْزَعْ مِنْ كَلاَمِ الناس إِلَّا عَنْ أَرْبَع خِصَالٍ:

١ - إنْ أَخَذْتَ عَلَيْهِمْ شَيئاً.

٢ - أَوْ فَعَلْتَ فِيْهِمْ فِعْلاً.

٣ - أَوِ ارْتَكَبْتَ معصية.

٤ - أَوْ أَعْرَضْتَ عَنِ الطاعةِ لله تعالى. وأَمَّا ما يأتيك مِنْ كَلاَمِهِمْ القبيح معَ أنّكَ على الطريق فهو لَكَ دَرَجَاتٌ وتَوفيق، ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[آل عمران:١١١] ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦].

مِنْ أَقوالِ العارِفِ باللهِ الحَسَنِ بن عُمَرَ بن عبدِ الرَّحْمَنِ البَارِ الحُسَينِي[1]

(١١٣٢-١٢٠١هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والعملُ على النيّةِ والطويّةِ، والقلبُ مغناطيسُ، والسَّاقي باقي.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: اللهَ اللهَ في سعَةِ الصدْرِ وأخذِ خاطرِ الصغيرِ والكبيرِ، وخلّوا كُلَّ الأمورِ لصاحبِها فإنه أهلُ الجميلِ وعوائدُه الجميل وفَضْلُه جزيل، وهو حسْبُنا ونِعْمَ الوكيل.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: واشكرِ اللهَ تعالى على ما حباك وأعطاك ، والظاهر له حِكمة، والباطن معمور ومعمور، والسِّرُّ مسرور، والثبات الثبات، وأَعطِ كُلَّ ذِي حقٍّ حقَّه ، ونفسُك لها عليكَ حقوق، والحب الحب، والشوق الشوق، والهيام الهيام، يحصل الأُنس والسلام.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ذِكْرُ القلْبِ هو اللُّبُّ لكن يكونُ حسَبُ الواردِ الإلهي لأنه مِنْ عِلْمِ فُوق، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾[العنكبوت:٦٩] فلابُدَّ مِنَ المجاهدة ومِنَ القوالب والتكلُّف أوّلاً حَتَّى تحصيل الذَّوق وبعد ذلك يحلو المشرَبُ، شعر:

إِنَّـــا لنَعْلَمْـــهُ ولم نَحْـــظَ بـــهِ ذَوقـــاً لِمَـــا معنـــا مِـــنَ التَّـــشتيتِ

---

(١) ولد بقرية القرين بدوعن سنة (١١٣٢هـ) وتوفي بالطائف سنة (١٢٠١هـ) ودُفِنَ قريباً من حَبرِ الأمّة ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ حامدِ بن عُمَرَ بن حامدِ بن عَلَوِي المُنفِّرِ باعَلَوِي الحُسَيني(١)

(١١٢٥-١٢٠٩هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مُكَاتَبَةٍ إلى الشيخ الْفَاضِلِ مُحَمَّد بن أبي بكر بَانَافِعْ في معنى قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١] : ﴿رَبَّنَآ﴾ نحن عبيدك الضعفاء الفقراء المحتاجون، ﴿ءَاتِنَا﴾ بِمَحْضِ فَضْلِكَ وَكَرَمِكَ، ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ التي هي المزرعة والطريق إلى الآخرة، ﴿حَسَنَةً﴾ تُلائِمُ الطبع، وتوافق الشرع، مَحْمُودَة الأصل والفرع، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾، رِضَاكَ عَنَّا وتمام فضلك ونعمتك عَلَيْنَا، في دَارِ كَرَامَتِكَ ومُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ شهادة التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الموت والبعث على شهادة التوحيد، وكمال اليقين، وقُوَّة الإيمان بها المتكفِّل بالأمان، من دخول النيران، المستوجب لدخول الجِنَانِ، في جوارِ الرحمن، الكريم المنَّانِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ معرفتك في الدنيا، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ رؤيتك في الاخرة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ عافيتك في الدنيا، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ عفوك في الآخرة ، آمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٥٣] فاسألْ ربَّك كمالَ الإيمان، وكمالَ الإتِّباع، وتَوَجَّه إليه أن يُرقِّيكَ إلى

---

(١) إمام مسجد باعلوي بتريم ، وُلِدَ بمدينة تريم سنة (١١٢٥هـ)، وحفظ القرآن الكريم، وكانت وفاته فجأة بعد أن صلى العشاء ورواتبه، ليلة رجوعه مِنْ زيارة ضريح النَّبي هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ليلة الخميس (١٥) من شهر شعبان سنة (١٢٠٩هـ) ودُفِنَ بمقبرة زنبل بتريم.

مراتبِ الشاهدين، أهلِ اليقين، وطريقُ ذلك الاتِّباعُ له ﷺ، وقوله: ﴿ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ أي الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق، وَقَالَ عطاء: مع النبيين لأنَّ كل نبي شاهد أُمته. وَقَالَ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: معَ محمد ﷺ وأُمَّته لأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ. قال الحبيب عمر سقاف : كان سيدي الحامد بن عمر رحمهما الله يأمرنا في كتبه بعدم الخوض في الفتن وأحوالها، وكثيراً ما يُوصي بالتَّغَافُلِ عَنِ الزَّمانِ وأهله، بَلْ عَنْ خَاصَّة الإنسان فيما يُحسن التَّغَافُلُ فيه .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ في وصاياه التي أوصى بها الحبيب[1] محمد بن سالم الجفري: وأوصيه بالتَّقَلُّلِ مِنْ مُجَالَسَةِ العَامَّة، والجُمُوعِ المطلقة التي لا تحتوي على قراءةِ شيءٍ مِنَ الكُتُبِ النَّافِعَة، ومُذاكرة العِلم، وإنِ اتَّفَقَ مجلسٌ لموجبِ حقٍّ مِنْ قَرَابَةٍ، أَوْ جِيرَةٍ، أَوْ نحو ذلك فيخفِّفه، ويتحفَّظ فيه، ويذكرُ اللهَ تعالى فيه، ويُحسنُ الظنَّ بجلسائه ولا يسبهم، ولا يغتابهم بعد المفَارَقَة، ويَسْأَلُ اللهَ خيرَ المجلس، ويَتَعَوَّذُ مِنْ شَرِّهِ، ويقول عند المُفَارَقَة: (سُبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك ، أَشْهَدُ أَنْ لا إله إِلَّا أنت ، أستغفرك وأتوبُ إليك) كما وَرَدَ أنَّ ذَلِكَ كَفَّارَة للغوِ المَجْلِسْ، وزيادة في مجلسِ الخَير، والله الموفق للصواب. وأوصي سيدي: باغتنام حضور جموع المسلمين، من زيارة الصالحين، وجموع الخير من ذكر، وقراءة، وعلم، وتهليل، ومولد إذا لم يُقارنها شي من المحرَّمات والمكروهات، واشتمل على أخبار الصالحين، فللَّهِ ضنائنُ في خلقه ظاهرون ومستورون بِهِمْ يرحم الله العِبَادَ والبِلادَ، والمَدَدُ في المَشْهَدِ، وحُسْنُ الظَّنِّ البَابُ المُوصِلُ إلى الله تعالى، والخير كُلُّه في حُسْنِ الظَّنِّ، وَلهَذَا وَرَدَ: (المؤمن يطلب المعَاذِير والمُنَافِقُ يتتبَّع الْعَثَرَاتِ)، فاشْهَدِ الخصوصيّة والخير، يَفِضُ عَلَيكَ الله كُلّ خير، واسْتَمِدْ وتَوَسَّلْ بِكُلِّ مَنْ

(١) لفظة الحبيب تُطلق في اللغة على المحبوب، من فعيل بمعنى مفعول، ولكنها في عرف أهل حضرموت تُطلق ويُراد بها أحد اثنين ١- إمَّا الجد من أي الجهات كان. ٢- أو مَنْ كان من أهل بيت رسول الله ﷺ من السادة الأشراف بني علوي الحسينيين الذين قطنوا حضرموت. وهذا اللفظ أُطلق عليهم في أزمنةٍ مُتأخرة يُعيدها البعض من المؤرخين إلى القرن الحادي عشر وما تلاه. وقبل ذلك كانوا يطلقون على الأكابر منهم لقب الشيخ أو الفقيه أو الإمام، أمّا لقب السيد فهو شائع لهم ولغيرهم، وإنما اختصّوا من بين سائر الأشراف بهذا ، نقلته من تعليقات الأستاذ محمد أبوبكر باذيب على كتاب « المحاسن المجتمعة » .

شَهِدْتَهُ مِنْ أَهْلِ التَّوحِيد ظَاهِراً وبَاطِناً إنْ كَانَ ظَاهِرَهُ الخَير والاسْتِقَامَة والصلاح والهِدَاية، وإلَّا فَبَاطِناً رَجَاء السَّابقة بالحُسْنَى مِنَ الله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]. وفي حديث جبريل المشهور عنه ﷺ: (مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بالله شيئاً دَخَلَ الجَنَّة وإنْ زَنى وإنْ سَرَقَ) كَرَّرَ ثلاثاً إشَارَة إلى تغليب حُسْنِ الظَّن وعَدَمِ الجَزْمِ بِخَاتِمَةِ السُّوء بِكَبِيرَةٍ رَأَى مُرْتَكِباً يَرْتَكِبُهَا.

ومعنى حديث: (لعلَّ الله اطّلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم)[1] يُشير إلى حُسن الظن بشهود وتغليب الخصوصية ورجاء حسن السابقة والخاتمة، ولا تجزِمْ بغضَبٍ من الله على أحَدٍ مِنَ الخلق بحال من الأحوال، ومن حيث الإنسان نفسه يُطْلَبُ منه محو شهود خصوصيّته من غلبة رجاء حسن السابقة إلَّا إذا غلَبَ واستقوى عليه اليأس، واستبعَدَ أن يغفرَ اللهُ له بسببٍ من الأسباب فيطلب منه غلبة الرَّجاء لنفسه، وشهود الفضل من الله تعالى والله ذو الفضل العظيم.

وأُوصي نفسي ووليّي في الله بسعةِ الخاطر والبال معَ من لا بُدَّ له مِنْ معاشرته مِنْ نساءٍ ورجال مِنَ الأهلِ والأقارب والأباعد قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] ولا تحُكْ ولا تفحص عن أحوال الخصوص والعموم لتبقى سليم الصدر، وإنْ سمعتَ أو بلَغَكَ ما تكره مِنْ سابقةِ قول أو فعل ممَّا لا يحرم في الشرع فتغافلْ عنه وكُنْ كأنَّكَ لم تره ولم تسمعه، وتباعَدْ عنِ الاطلاع والاستخبار والاستماع وعن كُلِّ ما يُحرِّك الطبع، ويُشوِّش الخاطر، ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وكُنْ من الذين إذا ﴿مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] واعلم أنه لا يهنأ عيشُ الإنسان ولا يسلَمُ دينُه إلَّا بالتجاهل والتغافل عن أحوال وأقوال أهل الوقت، والصبر والكظم والاحتمال ممَّنْ لا بُدَّ له من لقائه ومخالطته من أقرب وأبعَدْ، والزَّمان دهليز الساعة والقيامة ولا يستغرب فيه إلَّا الخير وفعل الخير وكلمة الخير،

(١) رواه البخاري ومسلم.

والشر لا يستنكر فيه فهو مظنّته وزمانه ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢] ولا يعدل بالسلامة شي وأقوى أسبابها التغافل وقد ورَدَ عن بعض السلف الصالح التغافل مدار أهل الزمان عليه، وورَدَ في الحديث: (خَيرُكُم بعدَ المائتَينِ الخفيفُ الحاذُّ[1] الذي لا مالَ له ولا ولَدٌ)[2] أشارَ بالخيرية إلى تيسير هناء العيش وسلامة الدِّين في خفَّة العلائق وضيق الدوائر، وفي الحديث: (العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحد منها في العُزلة عنِ الناس).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لمن بُلِيَ بالأهل والخلق ومخالطتهم توسيع باله ومُلازمة الصبر الجميل الذي لا يقترن به ضجَرٌ ولا جَزَعٌ ولا رَدُّ الأمر بشِدّةٍ وعنف (والرِّفق خير كُلّه) (وإِنَّ الله يُعْطِي على الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي على العُنْفِ)[3] والله المستعان على الأُمُورِ كُلِّها، (اللَّهُمَّ أَعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ)[4] ومَنْ يستعِنْ بالله ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

وكتَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في زياراته للقبور قال فيها إِنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ بزيارةِ القبور بعد أن نهى عنها فقال: (كُنتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا)[5]، فكان المقصودُ الأهمُّ مِنَ الزِّيارة التَّذكيرَ باليوم الآخر، والقبور أوَّل منازلها فمَنْ زارها اعتبَرَ وادَّكَرْ، واتَّعَظَ بها صار إليه أهلها من البِلَى وتغيُّر الأجسام والصور حتَّى صارَتْ عِظَاماً ورُفَاتاً وعرَفَ قدر الدنيا وحقارتها وأَنَّ المتاع فيها قليل زائِلٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَمَّا أرواح الموتى فهيَ حيّة باقية في عَالَمِ البرزخ إلى وقت النفخة الأولى تشعر بالنَّعيمِ وبالعذاب وبالسِّعةِ والضيق على حسَبِ أحوالها في الدُّنيا مِنْ إِيْمَانٍ وطاعةٍ، وكُفْرٍ أو عصيان، وتنتفع أرواح المؤمنين وتُسر بالدُّعاء والاستغفار والصدقات وقراءة القرآن، وهِبَةِ

---

(١) الحاذ: الظهر.

(٢) أخرجه ابن ماجه.

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٤) وهي وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رواه أبو داود.

(٥) رواه مسلم.

ثوابها إليها وتَرِدُ أفنية القبور، وتسيح فيما شاء الله أن تَرِدَهُ مِنَ المواطن وتتصل بأرواحِ الأحياء وقت النوم وتُناجيها كل ذلك بقُدرةِ الحكيم العليم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعليكَ** بخُلُقِ التَّواضع فهو النعمة التي لا يُحسَد عليها، بأنْ لا تَرَى لنفسك مزيّة ولا تَشْهَدُ لها خُصُوصيّة وتتّهمها في كُلِّ قضيّةٍ.

مِنْ أَقْوَالِ العارِفِ باللهِ عُمَرَ بن سَقَّافٍ (الصَّافي) بن مُحَمَّدٍ بن عُمَرَ السَّقَّافِ الحُسَينيّ(١)

(١١٥٤-١٢١٦هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تفريح القلوب وتفريج الكروب»: واعلم إنَّ مِنْ أعظَم ما يُذهِب الأكدار، ويجلب المسار، عدم مقابلة أهل الشر بالشر، بل بالعفو والصفح والتغافل عنهم، والصبر الكامل عنِ المقابلة لأهلِ النفوس بالنفوس، فإنَّ ذلك هو الدَّاء العُضَال، والهم الذي لا يزال، فاصبر وصابر خُصُوصاً في هذا الزَّمان الفاسد، الذي غلبَ فيه الباطل، وعَمَّ الفساد، وكثُرَ في أهله الحظ، وثوران الأهوية والعناد، فسَلِّمْ تسْلَمْ وتربح وتغنَمْ، وتكون عافية قلبك عنِ المقابلة بالأهواء، أحسن الأدواء، وأربح في السِّرِّ والنَّجوى، ويهون عليك ما فاتك من دنياك، بسلامةِ قلبك، والرِّضى في عقباك، وقد أُوذيَ الصالحون والأخيار، وابتلوا ببلاء اختبار، فصبروا، ورضوا، فكانت لهم العاقبة، فاصبِرْ كما صبَروا، تَظْفَرْ كما ظفروا، واعلم أنهُ لا يُعَادَى ويُؤذَى إلا مَنْ خصّهُ الله تعالى بالفضائل، وتوالَتْ لديه أحسن الوسائل، فاعرف نِعَمَهُ عليك كما قيل:

قُـلْ للـذي بـصروفِ الـدهر عيَّرنـا   هـل عانـدَ الـدّهر إلَّا مَـنْ لـهُ خطَـرُ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في فضل زيارة الصالحين: ومِمَّا يجلب السرور، وبهِ تُكشَفُ الكروب، وتُغفَر الذنوب، زيارة الصالحين، من الأحياء في أماكنهم، والميِّتين في مشاهدهم وضرائحهم، بحُسنِ المقصَدِ، وصالح النيّة، مع التَّمسُّك بالآدابِ الشرعيّة، التي سنَّها الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في

(١) ولد بمدينة سيؤن سنة (١١٥٤هـ)، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن أربع سنين، وتوفي بها في (٢) شوَّال سنة (١٢١٦هـ) وعمره (٦٣) عاماً.

الزيارة، ودَرَجَ عليها بعده الصحابة والتَّابعون، وقد خَصَّ الله تعالى هذا الوادي المبارك بالعترةِ الطاهرة النبويّة، والعصابة العلوية، الجامعين للشرفَينِ، الشاربين مِنَ الكأسين، العِلمِ والعَمَلِ، وخُصُوصاً (تريم الغنَّاء) فقد اجتمعَ في جِنَانْ (بشَّار) منها ما لم يُوجَدْ في غيرها من البلاد، مِنَ الأقطابِ والأوتاد، والأئمة العارفين الأمجاد.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا غشيَتك الغموم والكروب بالنَّظر إلى ظواهرِ الأكوان، ورؤية المخلوقين، وكثُفَ الحجاب عليك، فتفَهَّمْ بنورِ التوحيد، قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ [الشعراء:٧٨] إلى طرق الرَّشاد والنَّظر إليه والاعتماد عليه ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩] يطعم جسدي ويسقيه بالأغذية والأشربة الحسيّة، وقلبي وروحي بالروحية المعنوية، ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾ [الشعراء:٨٠] مرض الجسد معروف، ومرض القلب بالغفلة عن الله والنَّظر إلى غيرِ الله ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] بفتح أبواب معرفته، وأنوار مشاهدته، إلى آخر ما اشتملت عليه الآيات من الرموز والإشارات، ثُمَّ ارفع الهِمّة كما قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢] وإنما وقَّتَ المغفرة بذلك اليوم لكون تحقُّق العبد المغفرة وظهورها له إنما يكون فيه وإلا فالمغفور له مَن قد غفر له في سابق القِدَم، وقوله ﴿رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا﴾ [الشعراء:٨٣] أي معرفة بالله عزّ وجل وتوحيداً كاملاً ﴿وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الشعراء:٨٣] القائمين بحقوق الله تعالى وحقوق خلقه الصابرين الشاكرين المتواصل سرورهم الظاهر نُورهم ﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأَخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] أي ثناءً جميلاً وذكراً حسَناً لأكون قُدوة للمؤمنين والسالكين إلى رِضا ربِّ العالمين ﴿وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء:٨٥].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ممَّا يشرح الصدور ويُذهِب الهم، ترك مجالس العامَّة المشتملة على اللغو والسخرية بالناس، وذكر عيوبهم، وتضييع الوقت في البطالة والجهالة، وكثرة القال في حوادث الزمان بغير اعتبار، وكثرة القال في حوادث الظلم وفعله، وكثرة الخوض في ذلك كلّه باعتراضٍ وإنكار فكل ذلك ممَّا يُكدِّر صفاء أهل الإيمان، ويُشوِّشُ قلوبهم المنيرة، فليُبادرْ إلى العُزلة

والعبادة، ويأخذ كتاباً يهديه ويسليه ويُصفيه وينظر سيَر السلف الصالح وما ابتُلُوا به وصبروا عليه، ورُجوعهم إلى الله ويتحقَّق أنَّ ذلك كلّه أعني البلاء والامتحان للخاص والعام تقريباً لهم إلى الله تعالى وإلى رضاه ومُكفِّراً لسيئاتهم وموفراً لحسناتهم ومُوجباً للتوبة والنَّدَم وفي الحديث: (الكلامُ في الفِتْنَةِ دَمٌ يَقْطُرُ)[١].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أَنَّ أنفع شي للسالكِ الذَّاكر، وأولى ما يتنبَّه ويتيقَّظ به الغافل القاصر، ذكر سير الصالحين، من المتقدِّمين والمتأخرين، خُصُوصَاً صُلحَاء الأعصار القريبة لكونهم أقبلوا على الله في زمانِ الإدبار، وبصَّرهم الله حين عَمِيَتِ الأبصار، وزهدوا وقنعوا باليسير لَمَّا عَمَّ الحرص والطمع في هذه الدَّار.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأَمَّا مَنْ تجرَّدَ لطلبِ العِلم وصدَقَ فيه، فإنَّ الكون كُلّه يُصبح خادماً له، فاخلصوا النيّة في طلبه، وعظِّموا أهله كائناً ما كانوا فلقد كان الحبيب أحمد بن زين الحبشي يُعظِّم العِلم غاية التَّعظيم، ويُثني عليه وعلى أهله غاية الثناء، ويُكرمهم ويُبجّلهم غاية التَّبجيل والإكرام، ويُشير إلى أنَّ الخير كُلّه في طَلَبِ العِلم مع الإخلاص فيه لله تعالى، ويقولُ: (إنَّ الساعةَ منه تعدل عبادة العُمْر) ويُوصي بطلبه كل مَنْ أتى إليه، وعنِ الإمام الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ أَرَادَ الآخرة فعليه بالعِلم، ومَنْ أَرَادَ الدُّنيا فعليه بالعِلم)، وطالب العِلم مُعَانٌ، وقد تكفَّلَ الله برزقه تكفُّلاً خَاصَّاً بعد التّكفُّلِ العَامِّ، لكن معَ الصدق والإخلاص.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أَنَّ العِلمَ يرفع الوضيع، والجهل ينزل الرَّفيع، فمَنْ شرف نسَبُه، وأظلَمَ بالجهلِ حسَبُه نزل به الحال، ووضعَ مقامه مع الجُهَّال، ولا يُرفع النَّسَبُ إلا مَنْ شرَّفَ نسبَه بمحاضر العلماء، وزيَّنَ حسبه بسلوك سلفه القدوة، وكمَّلَ وكَمُلَ علمه وعمله بالزهد في دارِ الزَّوال، المشبَّهة بالخيال، فما الحياة إلَّا لأهل العلم، وما الموت إلَّا لأهلِ الجهل، كما قيل:

وفي الجَهْلِ قبلَ الموتِ مَوتٌ لأَهْلِهِ ... فأجْسادُهم دُونَ القُبورِ قُبورُ

ففي العِلم حياة الأَبَدِ، وفي الجَهْلِ موت الأَبَدِ، وأنشدوا:

ليس مَنْ ماتَ فاستراحَ بِمَيتٍ ... إِنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْياءِ

---

(١) أورده عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن».

أي مَن مَاتَ بالجَهل والبعد عَنِ الله فهو الميت حقيقة ، وإنْ كَانَ حيّاً صُورة وجسماً، وَقَالَ ﷺ: (أنتم على بيِّنةٍ مِن ربِّكم، ما لم تَظْهَرْ فيكم السَّكْرَتانِ: سَكْرَةُ الجَهْلِ، وسَكْرَةُ حُبِّ الدُّنيا)[1] ولعمري لقد غلَبَتْ هاتان السكرتان على غالب القلوب الغافلة واستغرقتها، ومالَتْ بها عن سبيل الهداية، وسلَكَتْ مسالك الغواية، وضَاعَتْ منها الأعمار، وصاروا بنو العلماء من الأغمار، وليت شعري ما أنساهم سير أسلافهم الأكابر، ذوي العلم والزَّهَادَة، والنُّور والعبادة، مرَّتْ أوقاتهم في السَّعي والخيرات، والجِدِّ في العلم والعمل بالصالحات مع الخمول، وعدم الدخول في الفضول، فمالنا هجرنا هذه الطريق، ولم نقتدِ بخيرِ رفيق، أيقظَنا الله من هذه الغفلة، ورزقنا اللحوق بهم عِلماً وعَمَلاً في الحطِّ والرِّحلة ، آمين.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بن عَلَوِي باحَسَنْ جَمَلِ الليلِ الحُسَيني[2]
(١١٧٢-١٢١٦هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يتحتَّم على مَنِ انتسَبَ إلى سَيِّدِ الأوائل والأواخر واتَّصَلَ بذاتِهِ الكريمة التي هي معدِنُ المحَامد والمفاخر أن يحفظَ حُرمته وينهض لاكتسابِ المعَالي هِمّته وذلك بأُمُور:

(**الأوّل**) الجِدُّ الصادق بالنيّةِ الصالحة في تحصيلِ العلوم الشرعيّة خُصُوصاً الكتاب العزيز والسُنّة النبويّة فإنه لم يزل السلف مِنْ أهلِ البيت النبوي رضوان الله عليهِمْ على ذلك ، والعُلُوم الشرعية لم تظهر إلَّا من عناصرهم الكريمة فكيف يليق بهم عدم الاهتمام بها ، وما ثبَتَ عن سادات أهل البيت وأئمتهم مِنْ بذلِ الهِمّة في ذلك حتى طبق علمهم الآفاق قد تكفَّلَتْ به تراجمهم ، فليراجعها مَنْ رَامَ الوقوفَ على باهر فضلهم ، ولذلك قال سيدنا علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (الشريف كُلّ الشريف مَنْ شرَّفه علمُه، والسؤدَدُ حقَّ السؤدَد مَنِ اتّقَى ربَّه، والكريم مَنْ أكرَمَ عن ذلِّ النار وجهَه)، وطِيْبُ العنصرِ وشَرَفُ المحتدِ يستدعي الميل إلى ذلك، فمَنْ لم يجِدْ في نفسه رغبة في هذه الخصال الحميدة فهو على خَطَرٍ وليحذر أنْ يقصدَ بالعِلمِ غرَضَاً دنيويّاً مِنْ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» .

(٢) مُفتي المدينة المنوّرة وعالمها ، المولود بالمدينة المنوّرة سنة (١١٧٢هـ) المتوفّى بها سنة (١٢١٦هـ).

تحصيلِ رياسة، أو جاهٍ، أو مالٍ، أو تصدُّرٍ في المجالس، فيحبط ذلك عمله، وينكشف نُور علمه، ويَضِيْعُ تعبُه، ويكون ممَّن لا ينفعه الله بعِلْمه وقد استعَاذَ ﷺ مِنْ عِلْمٍ لا ينفَعْ[١] ومعَ ذلك لا ينال مِنْ هذه الأُمُور إلا ما قُدِّرَ له، ومِنْ أعظَمِ الموانع لنيلها قصد التّوسُّل إليها بالعِلمِ الذي هو مِنْ أعظَمِ العبادات، وأفضل القُرُبَاتِ، فمَا أخْسَّ صفْقَته، وأكبَرَ ندَامَتَه.

(**الثاني**) تطهير القلب مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وغِلٍّ، وحسَدٍ وخُلُقٍ ذميم، وسُوء عقيدة فإنّها مِنْ جِنَايات القلب، وأسباب إظلامه المانعة مِنْ انطِبَاعِ المعارف والأسرار فيه، كما هُو مُقرَّر في محَلِّهِ مِنْ كتابِ «إحياء علوم الدِّين» وغيره.

(**الثالث**) اجتناب كل ما يستقبح شرعاً فإنَّ القَبِيحَ مِنْ أهلِ البيت أقبَح منهُ مِنْ غيرهِمْ، ولهذا قال العبّاس لابنه عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: (يا بُنيَّ إنَّ الكَذِبَ ليسَ بأحَدٍ مِنْ هذه الأُمّة أقبح منه بي وبِكَ وبأهلِ بيتك، يا بُنيَّ: لا يَكُونَنَّ شيءٌ ممَّا خَلَقَ الله أحَبَّ إليك مِنْ طَاعَتِهِ ولا أكرَه إليكَ مِنْ معصيته، فإنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ ينفعك بذلِكَ في الدُّنيا والآخرة)، وَقَالَ الحَسَنُ المُثَنَّى[٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إني أخاف أن يُضاعف على العاصي مِنَّا العذاب ضعفين، ووالله إنِّي لأرجُو أنْ يُؤتَى المُحسِنُ مِنَّا أجرَه مرّتين)، وقد أرشَدَ الرَّؤوف الرَّحيم ﷺ أصناف الخَلْقِ إلى التقرُّبِ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بطاعته، ورَغّبهم في ذلك ونَهَاهُمْ عن ضِدِّهِ، ورهّبهم بقَوَارِعِ زَجْرِهِ عنه، وأولى الخَلق بذلِكَ أهلُ بيتِ النُّبوّة لمُضَاهَاةِ ذلِكَ لِكَرَمِ

---

(١) كما في الحديث الذي رواه مسلم برقم (٢٧٢٢).

(٢) الحسن المثنّى هو أحد أبناء الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وأُمُّه: خَولَة بنت منظور الفزارية. وُلِدَ الحَسَنُ المثنّى في المدينة المنورة سنة (٤٤هـ)، وحسب بعض المصادر سنة (٤٠هـ). اشتُهِرَ الحَسَنُ المثَنَّى بأخلاقهِ الرَّفيعة وكان صاحب شخصية قياديّة وتُقى، سيداً جليلاً ورعاً عالماً. وهو يُعتبر مِنْ ثُقَاةِ الرُّواة عِنْدَ كل المذاهب الإسلامية. أمَّا في يوم عاشوراء فقد قَاتَلَ الحَسَنُ المثَنَّى إلى جانب عَمّه الإمام الحُسين عليه السلام مُدافعاً عنه في كربلاء. ولكنه كان مِنَ القِلَّة الذين بقوا على قيد الحياة بعد أن أُثخنوا بالجِرَاح فأسَرَهُ الأعداء عندما لاحظوا أنَّ به رَمَق عند تفقدهم القتلى بهدفِ التَّحقيق معه وعاملوه كأسير. انتقل الحسن المثنى رضوان الله عليه إلى رحمته تعالى عن عُمْرٍ يناهز (٣٥) عاماً، وفي رواياتٍ أُخرى: كان أكبر عُمراً. وحسب بعض الرِّوايات فإنه قُتِلَ بالسم بأمْرٍ مِنَ الطغمة الأموية الحَاكِمَة.

مُحْتَدِهِمْ، وشريفِ نسَبِهم، ولتكون حشمتُهم في النُّفُوس مَوفُورةً، وحُرمَةُ الرَّسُول ﷺ فيهِمْ محفوظةً، حتى لا يَنْطِقُ بِذَمِّهِمْ لسان، ولا يُشَابِهِم إنسان، وأَولى الناس بالمُرُوءةِ مَنْ كانَتْ لَهُ بُنُوّة النُّبُوّة ومِنْ ثمَّ حَثَّ ﷺ أهل بيته خُصُوصَاً على مُخَالَفَة التّقوى ومُلازَمتها، كما سيأتي الإشارَة إليه قريباً.

(**الرَّابع**) ترك الفخر بالآباء وعدم التّعويل عليهِمْ مِنْ غيرِ انتساب الفضائل الدينيّة، فقد حَضَّ ﷺ أهل بيته بالحَثِّ على التّقوى، وحَذَّرَهُمْ أن لا يَكُونَ غيرهم أقرب إليه ﷺ بالتّقوى، وأنْ لا يُؤثِرُوا الدُّنيا على الآخرة اغْتِرَاراً بنَسَبِهِم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣] قال السيد السَّمْهُودِي(١) رَحِمَهُ اللهُ: وأعظَم بها خسارة وإسَاءَة أن يَمْنَحَ اللهُ العبدَ قُرْبَ النَّسَبِ مِنْ أفضل خلقه وأشرفهم ﷺ فيكفر هذه النِّعمة بِتَعَاطِي ما يَسُوؤه ﷺ عِنْدَ عَرض عمله عليه، لأنَّ وليَّ الله ورسوله مَنْ تَوَالَتْ منه الطَّاعَاتُ، وَلَمْ يُصر على ارْتِكَابِ المَنْهِيَّاتِ.

(**الخامس**) اجتناب الدُّخُول في الولايات الدُّنيويّة والتّعرُّض لَهَا فَضْلاً عَنْ طَلَبِهَا، لأنَّ اللهَ قَدْ زَوَى عنهُمُ الدُّنيا خُصُوصاً ولد فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، لأنّهم مِنْ بِضْعَةِ رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: (إنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الآخِرَةَ على الدُّنيا)(٢).

(**السادس**) سُلُوك طريقة أسلافهم في التّواضع، والحِلْم، والصبر على الأَذَى ذكراً مِنْ قولِهِ عَزَّ وجَلَّ ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧] وما كانَ عليه رسول الله ﷺ رغيره مِنَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصبر على الأذى، وما كانوا يَتَحَمَّلُونَهُ في الله حَتَّى كَانَتْ لَهُمُ العُقْبَى، فينبغي لأَهْلِ الْبيت أن يَتَّبِعُوا سَلَفَهُمْ في اقْتِفَاءِ آثَارهم، والاهْتِدَاء بِهَدْيِهِمْ وأنوارهم، وأقوالهم وأفعالهم، وزُهدهم وورعهم، وتحقّقهم بِمعرِفَةِ ربّهم، فإنّهم أولَى

---

(١) هو السيد العارف بالله علي بن عبدالله بن أحمد السمهودي وُلِدَ سنة (٨٤٤هـ)، وتوفي سنة (٩١١هـ)، وهو (عَالِمُ المدينة).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مسنده» ورواه ابن ماجه (٤٠٨٢).

الناس بذلك ليَكُونوا خير الناس، أسلافاً، وأخلافاً، وأعمالاً، ويدخلون بذلك السرور على مُشَرِّفِهِمْ ﷺ، وبقيّة سلفهم عندَ عَرْضِ أعمالهم.

(**السابع**) مُعاملتهم في أُمَّةِ سيدنا محمد ﷺ، بِمَكَارِمِ الأخلاق، مِنْ طَلاَقَةِ الوجه، وإفشَاءِ السلام، ومزيد الإكرام، وترك التّعَاظُم على آحَادهم، وإحسان الظن بهِمْ، كما كانَ عليهِ أئمّة سلفهم، ويَخُصُّونَ بِمَزِيدِ الإكرام، صالِحِيْهِمْ، وعُلمائهم، والمُتَمَسِّكين بسُنّةِ جدّهم ﷺ، فإنَّ هاتَين الخصلتَين لا نهايَة لخيرِهِمَا، كما لا نهايةَ لِشَرِّ ضدّهما.

(**الثامن**) التّقلُّل مِنَ الدنيا ورفضها والزُّهد فيها والأخذ منها بما تدعو الحاجة إليه، فإِنَّ ذلك أدْعَى إلى تفريغ بواطنهم مِنْ علائق الحُطَام الفَاني وغوائله، وأمْكَنَ إلى الإنْحِيَازِ إلى منهجِ سلفهم القويم المُوجِبِ للحياة الدّائمة والعيش الهَني في الآخرةِ والأُولَى.

(**التاسع**) عدم امتداد العين إلى ما في أيدي الناس مِنْ زهرةِ الحياة الدُّنيا والتّشوُّف إلى استخلاصِ شيءٍ منها منهم، فإنَّ ذلك له آفَاتٌ وغَوائل زلَّتْ بها الأقدام الرّاسخة مِنَ الفحول، فضلاً عن غيرِهِمْ، وأهْوَنُ سببٍ مِنْ أَسْبَابِ الطَّمَع في ذلك يُوقع في أعْمَقِ مهواة مِنْ مَهَاوي المهَالِكِ، والذنوب المُوبِقَاتِ الكبائر، لأنّه لا يمكن حوز شيء مِنَ الدنيا في هذه الأزمَانِ مِنْ أهلها إلا بوجهٍ محظور، مُجمَعٌ على تَحْرِيمِهِ لأنَّ نُفُوس أهل الوقت قد جُبِلَتْ على الشُّحِّ المطَاعِ، والبخل المُتَمَكِّنِ، والتّهالك على الاستكثار، وسادتنا أهل البيت النّبوي يجُلُّ مقدارُهم، وتأبَى شِيَمُهُمْ، وهِمَمهُم العليّة، الرُّكُونَ إلى هذا الحَضِيض السَّافِلِ، فإنَّ الإنسانَ في هذه الأعصُرِ الحديثة لا يستفيد شيئاً مِنَ الدُّنيا إلاَّ بأمُورٍ أحَدِها: التّلبيسات، وإظهار زيِّ الصلاح، والزُّهد في الدُّنيا، ونحوها وهو على خلاف ذلك في نفس الأمر، ومِنَ المستقبحَاتِ: الدخول في الوَرْطَاتْ العظيمة، كالضَّمَانَةِ لِلْعَوَامِ، وأهلِ الدُّنيا، بحصُولِ المطَالِبِ، وشِفَاء المرضَى، وهذا باب الوُلُوج فيه مِنَ الجَرأةِ على الله تعالى، وقِلَّة الحَياء منه، ومَنْ كَانَ هذا حَالهُ فهو مِنْ أَكْذَبِ الكاذبين، وأهلُ البيت مُنَزَّهُونَ عن ذلك والله المستعان).



مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ طاهِرِ بن حُسَينِ بن طَاهِرٍ الحُسَينيِّ(١)

(١١٨٤-١٢٤١هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيةٍ له: ثُمَّ إِنِّي أوصي بتقوى الله التي هي الدِّين كُلّه وإليه يرجع فرعه وأصله، فالمتمسِّك بها فائز، ولخيرات الدنيا والآخرة حائز، وهي في سيَرِ سلفنا مجموعة، وعلى آثارهم مطبوعة، وهم أئمة الهُدى، الواجب بِهِمْ الاقتداء، وحقيقة سيرتهم السّنيّة بذل الوُسْع في طلَبِ العلوم النَّافعة مع العمل بها، وتصفية النفوس من شوائبِ الرياء والعُجب، وذلك باستغراق الأوقات في الطاعات والقُربات والباقيات الصالحات، كما أوصي باقتفاء هؤلاء الأخيار، والتعلُّق بما لهم مِنَ الآثار، حسَبِ الاستطاعة والإمكان، وإنْ عاقَتْ دون ذلك عوائق فالإنسان ببذلِ الطاقة مأمور، وتارك الممكن غير معذور، والميسور لا يسقُط بالمعسور.

وفي وصيّةٍ أُخرى قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثُمَّ إِنَّ التقوى بكمالها، وتفصيلها وإجمالها، قد صبَّها آباؤنا الأوّلون، وسلفنا الصالحون، في قالب سيرتهم السويّة، وطريقتِهِمْ المرضيّة، فهي العُروة الوُثقَى، وهي واضحة المنار مُشرقة إشراق الشمس في رابعةِ النهار، وهي طريق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والخُلفاء الرَّاشدين المأمور بالعض عليها بالنواجذ، من كلِّ طالبٍ وآخِذٍ، مُسلسلة على تقوى مِنَ الله ورضوان، ومُحرَّرة بدلائلِ السُّنّة والقرآن، لا يختلف في ذلك اثنان، ثُمَّ إنّها بالتفصيل بعيدة الأطراف، واسعة الأكناف، وبالإشارة إلى أنموذج منها على الإجمال، أنّها علوم وأعمال، وتطهير للبال، من رذائلِ الخلال، وتحليته بكُلِّ خُلُقٍ حميد، ووصفٍ سديد، مع إنفاق الأوقات، في أنواع الطاعات، والباقيات الصالحات، بصحيحِ النيَّات، وصُحبةِ الأخيار، ومصارعة الأشرار، وخمول وانكماش، ونفرة واستيحاش، عَنِ الغوغاء والأوباش، مع اعترافٍ واتصاف، بمكارمِ الأوصاف، مع نفوس أبيّة، وهِمَم عليّة، وورع حاجز، وزُهد ناجز، ورفق واقتصاد، وترك للمعتاد، واهتمام بالمعاد، فهذا شي يسير، ونزرٍ مِنْ كثير، ذكرته تبرُّكاً وتشويقاً للرَّاغب في

---

(١) المولود بمدينة تريم سنة (١١٨٤هـ) والمتوفى ببلدة أهله (بالمسيلة) سحر ليلة الجمعة الخامس من شهر ربيع الأوّل سنة (١٢٤١هـ).

هذه الطريق ولئلا يدَّعي سلوكها غبي، مِنْ غَيْرِ تحقيق، فلا أقَلَّ مِنَ الإنصاف، ولاَ أَجْمَلَ مِنَ الاعتراف.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وكُونوا من خيار القُرّاء والحَمَلة، ولا تغترُّوا بقراءة مَن تسمعونه مِنَ المقصرين الجَهَلَة، فما هكذا قراءة السلف، وإنما حصل التساهل مِنَ المتأخرين مِنَ الخلف، وقد قسَّمَ الحقُّ من أورثه الكتاب، إلى ظالمٍ ومقتصدٍ وسابِقٍ أوَّاب، فجعلهم ثلاثة أحزاب، وشمل ما نحن فيه ظاهر الخطاب؛ لأنَّ لظاهر كلام الله كثيراً مِنَ الأحكام، فينقسم الناس في القيام بها على هذا الانقسام، فارتفعوا رحمكم الله عن حضيض النقصان، واطلبوا الكمال في كُلِّ شان.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بنِ إِدْرِيسَ ابن مُحَمَّدٍ بن عَلَي المَغْرِبي الحَسَنِي[1]

(١١٦٣-١٢٥٣هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ يحث أحد تلاميذه في اتِّبَاعِ المَنْهَجِ الأحمدي المحمَّدي: نَسَبِي الكتابُ والسُّنّةُ، أُنْظُرْ إِلَيَّ فإِنْ وجَدْتَنِي على الكتابِ والسُّنّة فقُلْ : أحمد بن إدريس على الكتابِ والسُّنّة فهذا نَسَبِي.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أكبرُ غذاءٍ للنَّفس ذكرُ الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصدق هو الإيمان، لأنَّ مَنْ صَدَقَ في قوله كانَ كلامه لا يُرَدُّ وما اتَّصَفَ القُرآن بالإعجاز إِلَّا لكونه صدقاً، لا يأتيه الباطل مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولاَ مِنْ خَلْفِهِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الخَلْوَة إِنْ لَمْ يَحْصُلْ فيها الفتح، يحصل فيها التَّنْوير لِلْمُسْتَقْبَلْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّ ما شَغَلَكَ عَنِ الله تعالى فهو شؤم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصبر صِفَة مُمَيِّزة للقلوب المُميِّزة عَمَّا سِوَاها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ جميعَ الفِتَن الجارية في هذا الكون سببها مُخالفة الأوامر الإلهية.

---

(١) صفيِّ الدِّين صاحب (الطريقة الأحمدية)، المولود ببلدة (ميسور)، مِنْ مقاطعة عرائش بالقُرب مِنْ مدينةِ فَاسْ المغربية سنة (١١٦٣هـ)، وحفظ القرآن الكريم، وتوفي ليلة السبت بين المغرب والعشاء، ودُفِنَ صبيحة ذلك اليوم (٢١) مِنْ شهر رجب بمَدِينةِ (صَبْيَا)، سنة (١٢٥٣هـ).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ عن العصبية: أمَّا العصبيةُ وتحزُّبُ أهلِها أحزاباً، وتضليلُ بعضِهم بعضاً، حتى أنَّهم ساروا كأنّهم مِلَلٌ مختلفةٌ، يعرفُ ذلك مَنْ عَرَفَ أيَّامَ الناسِ، واطّلَعَ على مُؤلّفاتِهم، فهذا لا نَرْضَاه، ونَنْهى كُلَّ مُسْلِمٍ عنه، لأنّهم أُمّةٌ واحدةٌ خيرُ أُمّة، ونبيُّهم واحد، وكتابُهم واحد، وقبلَتُهم واحدة، فأنَّى يكونُ التَّفرُّقُ والتَّعَصُّبُ؟! ولَمْ نَزَلْ نَنْهَى الناسَ عَنْهَا.

ودَخَلَ رَحِمَهُ اللهُ إلى بعض مدارس زَمَانه، ولَمَّا خرَجَ منها قيل لَهُ: كيف رأيتَ رِجَال التّدريس؟ فقال: رأيتُ كراريس، بِأَيْدِي أَبَالِيس.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يتمسّك كثيراً بقَولِ القَائِلْ:

وإِنْ كُنْتَ تَهْوَى القوم فاسلُكْ سبيلهم ... فَمَا وَصَلُوا إِلَّا بِقَطْعِ العَلائِقِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: اعْتَقِدْ تَغْنَمْ، أَوْ سَلِّمْ تَسْلَمْ.

ومِنْ أدعيته الجامعة قال رَحِمَهُ اللهُ في دُعائه: (اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأبنائنا ولإخواننا ولأهلينا ولِمَنْ لَهُ حَقٌّ علينا ، ولجميعِ المسلمين الذين هُمْ في عِلْمِكْ مسلمون مُنذُ كانَ العَالَمَ إلى ما لا نهايةَ ، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولهم ما قدّمنا وما أخّرنا وما أسررنا وما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا ، أنتَ المُقَدِّمْ وأنتَ المُؤَخِّرْ لا إله إِلَّا أنت، ولا إله غيرُك، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العلي العظيم).

ومِمَّا أُثِرَ عنه أنهُ كانَ يختِمُ دُعاءه ومُنَاجَاتَه لربه دَائِماً بقوله: وصلَّى الله على مولانا محمد وعلى آلِهِ في كُلِّ لَمْحَةٍ ونَفَسٍ عَدَدَ ما وَسِعَهُ عِلم الله ، والحمدُ لله رَبِّ العالَمِين، ثُمَّ يمسح وجهه بيده.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بن عُمَرَ بن زَينِ بن سُمَيطٍ الحُسَيني[1]

(١١٧٨-١٢٥٧هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ عند قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزّمل:٤] أي: وُجُوباً؛ لأنَّ الأمرَ عند أهلِ الأُصول للوُجُوب، إلَّا إِنْ دَلَّ دليلٌ على النَّدْبِ أَوِ الإِبَاحَة.

(١) المولود بمدينة شبام سنة (١١٧٨هـ) والمتوفى بها سنة (١٢٥٧هـ).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: العمَلُ بغيرِ نيةٍ لا يُقرِّبُكَ إلى الله؛ والنيّةُ بغيرِ عَمَلٍ تُقرِّبُكَ عندَ الله، انظُرْ سَحَرَة فرعونَ حين قالوا: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:١٢١] ثُمَّ قتَلَهُم فرعونُ قَبْلَ عمَلِهِمْ شيئاً صاروا مُقرَّبينَ بنيّتِهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: التَّثقيلُ في المعَاش يُجرِّبُ ثُمَّ يُغرِّبُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: تكثُرُ الغفلةُ بمجالَسَةِ الغافلين:

وما ينفعُ الجَرْبَاءَ قُرْبُ سَليمةٍ ... منها ولكنَّ السليمةَ تَجرُبُ

كيفَ تفِرُّ مِنَ المجذُومِ ولا تَفِرُّ مِنْ مجَالِسِ الغفلة، ولكن أين البصائر؟! ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧] أمَّا الدُّنيا فقهاءُ فيها، ونعلَمُ مضارّها مِن مصالِحها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ طَلَبَ الرَّاحَةَ في الدُّنيا فهو مغرور ، لأنّهُ طَلَبَ شيئاً ما يكون، كما قال بعضهم:

تطلُبُ الرَّاحةَ في دارِ الفَنَاء ... خَابَ مَنْ يطلُبُ شيئاً لا يَكُونْ

وكما قال بعضُهم: مَن طَلَبَ ما لاَ يُخلَقُ، أَتْعَبَ نفْسَهُ ولم يُرْزَقْ، يعني طالِبَ الرَّاحةِ في الدُّنيا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ سيدنا الحبيب عبدالله الحدَّاد جاء إلى عينات لزيارة الحبيب محسن بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، فلمّا اتّفقَ به، قال له السيد محسن: يقولون: إنّك فعلْتَ تصانيفَ وقصائد، كأنّك بغيت مثل الشيخ أبي بكر! فقال له سيدنا عبدالله: ومَنِ الذي أَعْطَى الشيخَ أبابكر؟ قال: الله. قال له: وما خزائنه ملآنة وفضله واسع ودائم؟! قال له السيد محسن: صدقت، يُعطيك مثله وزايد. ومعه قرن زَبَاد (أي طِيب)، بَقِيَ يُلَطِّخُ به سيدنا عبدالله مُدَّة المَجْلس وهو يُكرِّر : (يُعطيك وزايد).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ لبعضهم: هَلْ طلَبَ سيدُنا الحبيب عبدالله الحَدَّاد مِنْ أَهْلِ زمانه المُعاونةَ لدعوته؟ فقال: اللهُ أعلم، فقال: كيفَ وقد صنَّفَ «رسالة المعاونة» وَقَالَ في قصيدة:

إنَّ قلبي الآنْ يا صاحبي في غُربةٍ وكُربَةْ

مِـــنْ زَمَـــانٍ قـــد خَـــانْ   ومَعْـــشَرٍ لا يحفَظـــونَ صُـــحْبَهْ
مـــا تـــــراهُمْ أعـــــوَانْ   إلَّا عـــلى بَاطِـــلْ وتَـــرْك قُربَـــهْ
مـــا أُولَئِـــــكَ أخيــــارْ   كَــــلاَّ ولا بـــالمتقينَ الأبـــــرارْ

هذا في زَمَانْ وَلَدْ علوي، فكيفَ في زَمَانِي وزَمَانَكْ؟.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: تعلَمونَ أنَّ التقصيرَ في الدعوةِ وقِلَّ المعاونةِ عليها مِنْ سُوءِ الظنِّ باللهِ، وبخلقِ اللهِ؛ لأنَّ المقصِّرَ ظَنَّ أنَّ اللهَ يهدي خَلْقَهُ، وأنَّ خلقَهُ لا يهتدون، إيش الحَامِلْ لَهُ على التَّقصير سِوى هذا!! والله يقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥]، وإنَّما قُلْ: عَليَّ التَّذكير، والهدايةُ بيدِ الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: السيفُ والقَلَمُ لهما وجهان إلى الجَنَّة وإلى النار: فمَنْ كَتَبَ بقَلَمِهِ طاعةً أسعدَهُ اللهُ به، ومَنْ كتَبَ بقَلَمِهِ مُخالفَةً شَقِيَ به. والسَّيفُ كذلك، تقتُلُ بِهِ مُسلِماً بغير حقٍّ فتدخُلُ النار، وتقتُلُ بِهِ كَافِراً حَرْبياً فتدخُلُ الجَنّة. فإذا تعوَّذتَ مِنْ شَرِّ لِسَانِك مرّة، فاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّ قَلَمِكَ مئةَ مرّة. والقلَمُ والسِّيفُ لا يُحمَدانِ إلَّا لِتَقِيٍّ، ولهذا كسَرَ السَّيفَ سيِّدُنا الفقيهُ المقَدَّمْ، أي: كسَرَ الحَيفَ أي (الظلم والجور) في الحقيقة، وإلَّا تَراهم شَلُّوه وسَلُّوه في الدّعوةِ إلى الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إذا كَتَبَ الإنسان بقلمهِ شيئاً لا يجُوزُ، فقد كفَرَ النِّعَمْ؛ نِعْمَةَ القلَمِ والبيَاض والدَّواة واليد والأرضِ التي أقلَّتْه، والسماءِ التي أظلّته، والشمس التي رأى بها، والسماء التي ضَمَّتْ الشمس، وهكذا ... إلى شيءٍ لا يُحصَر، لهذا وقَعَ عاقبةُ تَرْكِ الشكْرِ العذابُ الشديد، وسُمِّيَ كَافِراً. أي: (كافراً بالنعمة).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: كُلُّ ساكتٍ عنِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المنكر فهو رَاضٍ بهَدْمِ الدِّين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: امحوا العَوَائِدْ قبلَ أن تمحوَكم، وتمحُوَ رُسُومَكم، ترجع حضرموت مَكَالِفْ وحَرَّافين، والأعيانُ يكونونَ قِسْمَ الغُرَبْ(١)، ولا محوها إلَّا بالرُّجُوعِ إلى سِيْرَةِ السَّلَفْ التي فيها شَرَفُكُمْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كثُرَ الفضولُ قلَّتِ الفَضَائِلُ، وإذا قَلَّ الفضول كثُرَتِ الفَضَائِلُ، والإنسانُ وعَاءٌ يصلُح يمتلئ فضائل أو فضائح. والإنسان يُحَادِيْ ويتَحفَّظ على قلبه، لأنه ما خُلِقَ إلا لمعرِفَةِ الله تعالى.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمِعَ بعضُهم إنساناً يقول: لا خيرَ في الإسراف. قال له: لا إسرافَ في الخير. يعني أَنَّ السرَفَ لا يكونُ إِلَّا في حرامٍ أو مكروه، وأَمَّا الإنفاقُ في وُجُوهِ الخير فلا يُسمّى سَرَفاً، (ما نقَصَ مالٌ مِنْ صدَقَةٍ بَلْ يَزْدَادْ)، والمواساةُ ليست بالمالِ فقط، بَلِ المواساةُ إلى المحتَاجينَ بالمال، وتعليمُ الجَاهِلِ، وإرشادُ الضَّالِّينَ، مِنْ أفضَلَ المواسَاة. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]، لَمْ يَقُلْ مِنْ مال، بَلْ إذا أعطيته كِسْرَةً أحييتَ جسْمَهُ الفاني، وإذا علَّمْتَهُ مسألةً أحييتَ رُوحَهُ الباقي، وشتَّانَ بين الأمرين، ولا يضرُّهُ إذا مَاتَ جُويع ودينُه سالمٌ، ما ضرَّهم ما أصابهم في الدُّنيا، جَبَرَ الله لهم بِهِ الجنَّة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدُّنيا سبيلٌ مسلوك، ومتاعٌ متروك.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسمعُ والدي عُمَر يقول: إنَّ هذه الدّعوةَ للحبيب عبدالله الحَدَّاد: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي في أولادي ولا تضُرَّهم، ووفِّقْهم لطاعتِكَ وارْزُقني بِرَّهم). والضميرُ في (برَّهم) يحتملُ عوْدَه على الأب وإلى الأولاد. وكما إنَّ الولدَ يُسمّى عَاقاً، وكذلك الأب، وفي البِّرِّ كذلك، والبَرَكَةُ شأنٌ آخَرُ؛ ولسيدنا أحمد بن محمد الحبشي(٢) هذه الدَّعوات: (اللَّهُمَّ لا تكشِفْ لنا حال، وبارِكْ لنا في الأهلِ والمالِ والعيال، وارزقنا من رزقِكَ الحلال؛ واكفِنَا شرَّ ما

---

(١) أي يضطرون السفر إلى الغربة لكثرة الديون التي أثقلتهم بسبب التكلفات الزائدة والعادات السيئة القبيحة.

(٢) هو الحبيب أحمد بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي (صاحب الشعب)، توفي سنة (١٠٣٨هـ) ودُفِنَ بالشعب، وعمره مائة وخمس سنين.

تأتي بِهِ الأَيَّامُ والليال). ولسيدنا عبدالرحمن مَولَى العرشَة[1] : (اللهُمَّ نزِّهْ قلبي عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونَك، واجعَلنِي مِنْ قوم تحبُّهم ويُحبونَكْ).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ مؤمنٍ يتثبَّتُ في الكلامِ والأخبار، لا يُخابرْ إِلَّا بخَبَرٍ مُحَقَّق، وأَمَّا المكروه وخبَرُ الشرِّ خَلِّ غيرك يُخابرُ به؛ لأنَّ العَجَلَةَ وعدَمَ التّأَنّي مذموم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اليأس مذهب إبليس، ماحد ييأس مِنْ كَرَمِ الله وفضله، وإِنْ كَانَ الزَّمان عيف، وآخر زمان، ففضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يختص بِزَمَنٍ، ولا تُحصَى مواهبُه، ولا تنفَدُ عَجَائِبُه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شجرة العوائد تُسقى بماءِ التكلُّف، وتُثمرُ البُعدَ عَنِ الأوطان، ومفارقة الأهل والإخوان؛ مع هذا تراه لائماً نفسه على ارتكاب هذه الأشياء، ومَالَّاً لهذه العادات، ومُبغضاً لهذه المُثقلات؛ لِمَا قد جرَّعته في الحال من المنغصات، ولِمَا لحقه بسببها مِنَ المقالات المشوّشَات؛ فإِنَّ رِضا الناس غايةٌ لا تُدرَك:

ولا بُـدَّ مِـن مُـثْنٍ عليـك وشـامتٍ   وإِنْ كنـتَ مَرضِـيّاً قـويمَ الطريقـةِ

فإِنَّك إِنْ أرضَيتَ واحداً سخط عليك عشرة، وإِنْ أرضَيتَ عشرة سخط عليك مئة، وإِنْ أرضيتَ مئة سخط عليك ألف، وهكذا، وإِن تركتهم جميعاً وأرضيت ربَّك كفاك مؤونتهم، واسترحتَ من معاناتهم ومعاناة تلك الأشياء الشَّاقّة المتعسِّرة، بل المتعذِّرة مع ما ترجوه من سلامة الآخرة من عدَمِ الدخول في تلك الأمور التي لا يسلم الداخل فيها مِنَ المحظور، فانظُرْ بعينِ قلبك؛ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦]:

لقـد أسـمعتَ لـو نادَيـتَ حيّـاً   ولكـن لا حيـاة لمـن تنـادي
ونـارٌ لـو نفَخْـتَ بهـا أضـاءت   ولكـن ضـاع نفخـك في الرَّمَـادِ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِلْزَمُوا سِيْرَةَ السَّلَفِ، فإِنها شَرَفٌ، وتركُها سَرَفٌ، إرجِعوا إليها، ارحَموا أنفُسَكم وأولادَكم ومَكَالِفَكُم يرحَمْكُم الله؛ لأنَّ القَانِعَ بسِيْرَةِ السَّلَفِ، رحِمَ نفسَه مِنَ الهَذَاهِذِ

---

(١) هو الحبيب عبدالرحمن الجفري المتوفّى بـ(تريس) سنة (١٠٣٧هـ)، الملقَّب (بصاحب العرشة)، والعَرْشَة: شجرة ضخمة كانت إلى جوار ضريحه.

والغُرَبِ، وغيرُ الرَّاضي بها مُعذِّبٌ نفسَه مِنْ عَقْبة إلى غُبَّـة، واصرفُوا زَوَائِدَ العَوَائِدِ في الدَّعوةِ إلى الله.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عبدِ اللهِ بن عُمَرَ ابن أَبي بَكْرٍ بن يَحْيي الحُسَينِي(١) (١٢٠٩-١٢٦٥هـ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا وُصُول إلى نَيْلِ كُلّ مأمولٍ، إلَّا بمتابَعَةِ سيدنا الرَّسُولِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ أهلَ الزَّمان اعتلّوا بثلاثِ عِلَلٍ: بالجَهل، والدّعْوَى، وعدم قبول النَّصيحة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أُصُول العَاصِي ثلاث: الجَهْل، والهوى، والدَّعْوَى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما نحب البقاء في الدُّنيا إلَّا لثلاثَةِ أشياء: لتعليم أولادنا، وللدَّعوةِ إلى الله، وللقيام آخِرَ الليل، ذكروا عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قَامَ في مِحْرَابِ العَمَل حتَّى ورمت قدمَاه ، وكانت سيدتنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقول له: لِمَا تصنعُ هذا يارسولَ الله وقد غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ومَا تَأَخَّرَ؟!، فقالَ لَهَا: (أَفلاَ أُحِبُّ أن أَكُونَ عَبْداً شَكُورا)(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: العِلمُ والعَمَلُ مَعَ الإخلاص لله عَزَّ وجَلَّ، هو طريق أسلافنا العلويين ...إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وخُلاصَة القول فيها أَنّها: توزيع الأَوْقَاتِ، بالأَعْمَالِ الصالِحَاتِ، مَعَ كَمَالِ الاقتداء فيها بسيِّدِ السادات، وتصحيحها بالإخلاص مِنَ الشوائب والآفَاتِ، وتطهير القلب مِنْ كُلِّ خُلُق دَنِي، وتحليته بِكُلِّ خُلُق سَنِي، والرَّحمة والشفقة على عِبَادِ الله، وبَذْلِ الوُسع في تعليمهم وإرشادهم، إلى ما فيه النَّجَاة، والتّورُّع عَنِ الحرام والشبهات، والتقلُّل مِنَ المباحات والشهوات، واغتنام سَاعَاتِ الأعمار، بالاعتزالِ عَنِ الكبار والصغار.

---

(١) المولود ليلة الجمعة بالمسيلة في الـ (٢٠) من شهر جمادى الأولى سنة (١٢٠٩هـ)، وحفظ القرآن الكريم في سِنٍّ مبكِّر، وتوفي بها بعد مُضي ثلث الليل ليلة الاثنين في الـ (٢٠) من شهر جمادى الأولى سنة (١٢٦٥هـ).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وكتبَ إليه الحبيب المسنِدُ عيدروس بن عمر الحبشي يشكو إليه مِنْ عَوَارِضَ وأشغالٍ قلبية ومرض لبعض الإخوان فكتَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُجيباً عليه من ضمن مكاتبة أرسلها إليه(١)، نذكر منها قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأَمَّا ما شكوته يا ولد عيدروس: فدواؤه العَمَلُ بالعِلم، والتَّركُ لِكُلِّ إثمٍ، والتّوكُّلُ على الله، وتركُ الاهتمام بما ضمِنَه لكَ، والجِدُّ فيما يطلبُه منك، وإنزالُ حوائجِكَ به، والدُّعاءُ مبذولٌ كما هو منكم مَسْؤولٌ والسلام.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أخذه العلومَ وحقيقة التحصيل والجد والاجتهاد: كُنْتُ في أَيَّامِ الصِّغَرِ أَقْرأُ على خَالِي طاهر بن الحسين في «فتح الجواد شرح الإرشاد» وأُطالع عليه بقيّة شروحه المجتمعة عندي كـ«الإمداد» و«الإسعاد» و«التَّمشية» ، وغيرها معَ «التُّحْفَة» ، و«النِّهاية» ، و«المغني»، وغيرها وكُنْتُ أتحَفَّظ جميع ما يُقرِّره خَالِي طاهر في المدْرَس في قراءتي، وقراءة غيري، وكَانَ خَالِي طاهر يتكلَّم على كُلِّ عبارة.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عبد اللهِ بن الحُسينِ بن عبدِ اللهِ بَلْفَقِيه الحُسَيني(٢)

(١١٩٨هـ-١٢٦٦هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولْيَعلَمِ اللبيبُ أنَّ كلما زادَ نبْلُ الإنسانِ زادَ حُسَّادُه ،﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾[الفتح:٢٣] وَمَا حَقُّ الحليمِ عند ذلكَ إلَّا التغافُلُ والمداراةُ وعدَمُ الاكتراثِ بما يبلُغُه ممَّا لا يُلامُه مِن أَهلِ السَّفَاهَة والحماقةِ ويحتسبُ ذلكَ عندَ اللهِ وله أُسْوَةٌ بمَنْ تقدَّمَ من الأنبياءِ والمرسلينَ والصحابةِ والتابعينَ والعلماءِ العاملينَ ، ونحنُ نُوصي أحبابَنا أهلَ الفضلِ بذلكَ ونجاهدُ أنفُسَنا عليه لحتى يأذَنَ اللهُ بالفتحِ أو أمْرٍ من عندِه ، ونقولُ كما قالَ القائلُ:

نهارٌ وليلٌ واختلافُ حوادثٍ ... سواءٌ علينا حلْوُها ومريرُها

---

(١) هذه المكاتبة من الحبيب عبد الله بن عمر بن يحي في عشر من شهر ذي القعدة سنة (١٢٦٢هـ) عنوانها : إلى الغرفة إلى الولد الأسعد عيدروس ابن الأخ عمر بن عيدروس الحبشي سلّمه الله آمين.

(٢) ولد بمدينة تريم في شهر ذي الحجة سنة (١١٩٨هـ) ونشأ بها، وتوفّي بها يوم الأربعاء (١٨) القعدة سنة (١٢٦٦هـ).

وسَلْ ربَّكَ التوفيقَ والعفْوَ والرِّضَا.

وقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في مكاتبتِه للشيخِ العلامةِ رضوان بن أحمد بن الشيخ عبدالرحمن بارضوان بافضل نذكرُ منها قولَه : واللهِ ما أُوتوا إلَّا من قبلِ هذه اللُّقْمةِ وعدمِ التَّفْتيشِ عنها كما قيل : كُلْ ما شئتَ فمثلُه تعْمَل، ولقد قالَ بعضُ الكُمَّلِ الرجال : لأنْ أَرُدَّ دِرْهَماً من شُبْهَةٍ أحبُّ إليَّ وأفْضَلُ مِن أن أَتصدَّقَ بمائةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ومائةِ أَلْفِ درْهَمٍ حتَّى عَدَّ ستمائةَ أَلْفِ درْهَمٍ فما بالُكَ يا محبُّ فيمنْ يأكلُ حراماً، ويأخذُ حراماً، ويلبسُ حراماً، ويتصدَّقُ بحرام، ولقد واللهِ هذه اللقمة غشَّتْ المتنسِّكينَ، بضروبٍ من الغرورِ والمُوبقاتِ، فضلاً عن غيرِهم منها : تزيينُ سوءِ الأَعمالِ، وتزكيةُ النَّفْسِ والرِّضا عنها وغَمْطُ الحقِّ وسوءُ الظَّنِّ بالمسلمينَ، والرياءُ والإِعجابُ والاسْتِكْبارُ، واسْتِخْفافُ الخَلْقِ، والأمْنُ مِن مَكْرِ اللهِ، ونسيانُ العَواقِبِ، والغُرورُ بسرابِ الأَماني، وذلك كلُّه مما يُحْبِطُ الأَعمال ، بل بعضُه مما يجرُّ إلى الكفرِ والعياذ بالله هذا من حيث الظَّن، وأما في الظاهرِ فمنها إرسالُ الألسنِ في مهاوي الفُحْشِ والتَّفَحُّشِ والكذبِ على اللهِ وعلى رسولِه، وحَمَلَةِ شريعتِه، وكالغيبةِ والنميمةِ والبهتانِ والسعايةِ، وهكذا في سائرِ الجوارحِ كاستماعِ ما لا يجوزُ سماعُه، ونظرِ ما لا يحلُّ نظرُه، وفعلِ ما لا يجوِّزُ الشرْعُ فعلَه، إلى غيرِ ذلك مما لا يدخُلُ تحتَ الحَصْرِ والقياسِ، فضلاً عن أن يسَعَه القرطاسُ، وإذا تأمَّلَ العاقلُ ذلك وجدَ الغالبَ منه في نفْسِه وفي غيرِه من المتنسِّكينَ فضلاً عن غيرِهم من التارِكينَ الهالِكينَ، وما ذاك إلا من جهةِ المَطْعَم، وفي الأثر[١] : (من أكلَ الحرامَ عصَتْ جوارِحُهُ شاءَ أَمْ أَبى) وكمْ مِنْ مسكينٍ جاهلٍ في زعمِه أنه يأْكُلُ الحلالَ ويلبَسُ الحلالَ وما يأكُلُ ويلبَسُ إلا حراماً كما لا يخفاكم فيمَنْ يتعاطى العُقودَ الفاسدةَ، أو لا يَعرِفُ مشروطاتِ الرِّبوياتِ، ولا يُؤدِّي الزكاةَ على وجهِها أو يخلطُ نحوَ مالِ اليتيمِ بمالِه، أو يأكُلُ أو يلبَسُ أو يسكُنُ في المشترَكِ بلا تيقُّنِ حِلٍّ أو عِلْمِ رِضَا .

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : ومن يعاملِ اللهَ بمثل هذه المعاملاتِ كيفَ يزْكُو له عَمَلٌ، أو يَسْلَمُ عنِ الزَّلَلِ، وكُلُّنا بذلِكَ عليلٌ، ولا مَعْنَا إلا حُسْنُ الظَّنِّ بالمولى الجليل، وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوَكِيلُ،

---

(١) وهو للعارف بالله سهل بن عبدالله التستري.

فأَنتَ يا مُحِبُّنا وخلاصَتُنا لا تأْلُوا جُهْداً في تذكيرِ الحبايبِ والمُحِبِّينَ، وتعريفِهم بشرايعِ الدِّين، وما كَلَّفَ اللهُ به المسلمين، وعلى تعريفِهم الواجبِ فَعُظَّ بالنواجِذِ، ودَعْ غيرَه من سايرِ النَّوافِلِ والمَآخِذِ، وارْكَبْ جَوادَ اللُّطْفِ، وسِرْ في مهيعِ الرِّفقِ، بما استطعتَ ومن وجدته في دِينه مُوافقاً مذهباً معتَبَراً فلا تُعنِّفْ عليه حتى يرسخَ قدمُه، ويبدو علمُه، وكنْ معهم كالطبيبِ الماهرِ في معرفةِ العِلَلِ وعلاجِها، واللهُ يتولى هديَ الجميع.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخاطباً للشيخِ العلامةِ رضوان بن أحمدَ با رضوان: فاللهَ اللهَ يا محبُّ في الدعوةِ إلى اللهِ وإلى سبيلِه بحَسَبِ الجُهْدِ ولا تسأمْ من ذلك، وتستصعبْ ما هنالك، وتَتَعذَّرْ بأنَّ القولَ غيرُ مسموعٍ، والكلامَ إلى صاحبِه مرجوعٌ، فعليكَ الذي عليكَ، وليس الهُدى منك وإليك، فـ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة:٩٩]، والسُّكونُ في هذا الزمانِ قد لا يُساغُ، واللهَ اللهَ ثم اللهَ اللهَ في صَرْفِ الوقتِ جميعِه بعدَ أَداءِ الفرائضِ وضروراتِ الحاجاتِ، في التَّفَقُّهِ في الدِّينِ، وتحصيلِ أسبابِه ما كانت كتابةً وقراءةً ومطالعةً فإنَّ الفقْهَ اليومَ مِن أهمِّ العلومِ الواجباتِ، وأولى ما أُنْفِقَتْ فيه نفائسُ الأوقاتِ، وقد قاربَ الدَّرْسُ أو كاد، فلمْ توجدْ مهماتِه فضلاً عن غيرِها سِوَى في الأفرادِ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعاقل لا يعبأُ بصوادرِ كلِّ حاسدٍ ولاح، والجبلُ الراسخُ هو الذي لا تزعزِعُه الرياحُ، والهزبرُ الأشَمُّ هو الذي لا تروِّعُه الوقاوقُ والصياحُ، فاطرحِ القوسَ لبارِيها، واستقِمْ وسلِّم تَسْلَمْ كما من سَلِمَ، ولا عاصم من أمرِ اللهِ إلا مَن رَحِمَ، ومَن كانَ معَ اللهِ كانَ اللهُ معَه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فليَعْلَمْ خُلاصتُنا وذوونا وإن كان عالماً بأن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما اصْطَفى مَنِ اصْطَفى وما اختارَ ما اختارَ مِن صفوةِ خلْقِه من النَّبيينَ والمرسلينَ والعلماءِ والصالحينَ إلا بعد مزيدِ الابتلاءِ والامتحانِ ومكابدةِ المُعْضِلاتِ التي تَقِلُّ عندها طاقةُ الإنسانِ وتحجُمُ دونَها فرسانُ الميدانِ، فانظرْ إلى ما وقَعَ لسيِّدِ ولَدِ عدنان، وإلى ما وقَعَ لِمَنْ قبْلَه من أهْلِ النُّبوةِ والعرفانِ، ثُمَّ إلى وُرَّاثِهم وتابعِيهم بإحسانٍ، حسبما هو مشهورٌ في سِيَرِهم ومنثُورٌ من خبَرِهم، ومذكورٌ بكلِّ لسانٍ، حتى قالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (أَشَدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثمَّ الصالحون ثم الأمثلُ

فالأمثلُ)[١] إلى غيرِ ذلكَ من الأحاديثِ الصِّحاحِ الحِسَانِ، وأشار وصرَّحَ بالكثيرِ من ذلك آيُّ القرآنِ، فمنهم من أخرجَ من الجنةِ دارِ الأمانِ، وبكى وتضرَّعَ إلى الرحيمِ المنَّانِ، حتى نبتَ من دموعِه العشبُ فأجتباه ربُّه وأعظَمَ عليه الامتنانَ، ومنهم من أُلْقِيَ في النارِ، ومنهم من أُوذِيَ بفرعونَ والأشرارِ، ومنهم مَن طالَ ضُرُّه حتى كأنَّ جسْمَه مرعَى الديدانِ والحيتانِ، ومنهم من قُطِعَ رأسُه، ومنهم من نُشِرَ بالمناشيرِ، ومنهم من أُجْلِيَ عن بلَدِه وأُوذِيَ بأنواعِ الذُّلِّ والهوانِ، ومنهم منْ عُزِلَ عن مُلْكِه العظيمِ، وأُلْقِيَ على كرسيه جسَداً وذاقَ ما ذاقَ وأنابَ وأصطفاهُ ربُّه بغاياتِ الإحسانِ، ثمَّ ارجعِ البَصَرَ وانْظُرْ ما وَقَعَ للخلفاءِ الأربعةِ وللحَسَنَينِ ولأُويسِ القَرَني وللفُضيلِ ولعامَّةِ الصحابةِ والتابعةِ مما لا يَحتاجُ إلى بيانٍ، ثمَّ ما وقعَ لأئمَّةِ الحديثِ، كالبُخاري وأئمةِ الدِّينِ كالشافعي ومالكٍ وأحمدَ والنعمانِ، وإلى ما وقع لآلِ بني علَوي الأشرافِ كالفقيهِ المقدَّمِ والسَّقافِ والحبيبِ الإمامِ سالم بن بصري والعيدروسِ وأخيه والسَّكرانِ، كذلك ما وَقَعَ لأكابرِ الصوفيةِ ومعالمِ الحقيقةِ من رميهم بالكُفْرِ والزندقَةِ وإجلاهم من البلدانِ، وهذا شيءٌ يعُزُّ عن تحدُّه لسانٌ أو يحصرُه بنانٌ، ومعلومٌ أنَّ هؤلاءِ وأمثالَهم من أهلِ النُّبوةِ والعرفانِ، ما نالوا تلك المقاماتِ العليةَ والاصطفاآتِ الإلهيةَ والمِنَحَ الرَّبَّانيةَ والاجتباآتِ الرَّحمانيةَ إلَّا بعد التَّجرُّعاتِ الشديدةِ من غَصَصِ ذلك الشَّانِ، فكفى بهم قُدوةً وكفى بهم تسليةً وأُسوةً، لمن ابْتُلِيَ بنَزْرٍ قليلٍ من نذْلٍ حقيرٍ من أهلِ الجهالةِ والطغيانِ، والزُّورِ والبهتانِ، مع أنه بينَ أهليه في عافيةٍ وفي بلَدِه مع أمانٍ، ولقد أحْسَنَ سيدُ الطائفَةِ الجنيدُ رَحِمَهُ اللهُ ونفعنا به آمين حيث قالَ كما نقَلَهُ عنه العلامةُ زَرُّوقٌ في «قواعده» ما لفْظُه: أَصَّلْتُ أصلاً لا أستبشع بعدَهُ ما يَرِدُ عليَّ من العالمِ وهو أنَّ الدنيا دارُ همٍّ وغمٍّ وبلاءٍ وفتنةٍ وأنَّ العالَمَ كُلَّه شرٌّ، ومن حِكَمِه أن يتلقَّاني بكُلِّ ما أكْرَه فإنْ تَلَقَّاني بكُلِّ ما أُحِبُّ فهو فَضْلٌ وإلَّا فالأصْلُ الأوَّلُ. انتهى.

ومِنْ كلامِ الشيخِ علي الخوَّاصِ: لا يكمُلُ الفقيرُ حتى يكونَ قُطْباً يدورُ عليه الأذى من أهْلِ إقليمِه كلِّهم، كما تدورُ الرَّحا على قُطْبِها، ومن كلامه أيضاً: لا بُدَّ لأهلِ اللهِ مِن أعداءٍ يُؤْذُونهم، فإذا صَبَرُوا كانت لهم الإمامةُ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا

---

(١) أخرجه أحمد وغيره.

صَبَرُواْ﴾ [السجدة:٢٤] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام:٣٤] فما بلَغُوا مقامَ الإمامةِ إلَّا بعد مبالغَتِهم في الصَّبرِ، وانظُرْ إلى ما كتَبُه نبيُّ اللهِ يعقوبُ بعدَ قصةِ ولدِه نبيِّ اللهِ يوسفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ومَا أَسَرَّه يوسفُ لبنيامينَ إذ جعَلَ السقايةَ في رَحْلِ أخيه فمِمَّا كتبه يعقوبُ بعدَ رجوعِ إخوةِ يوسفَ وإخبارِهم له بما وَقَعَ:

بسم الله الرحمن الرحيم، مِن يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيمَ إلى عزيزِ آلِ فرعونَ، سلامٌ عليكم وإني أَحمدُ اللهَ إليكَ الذي لا إلهَ إلَّا هو، أَمَّا بعدُ فإنَّا أهلُ بيتٍ مولَّعةٌ بنا أسبابُ البلاءِ، فإنَّ جدي إبراهيمَ خليلَ اللهِ عزَّ وجلَّ أُلْقِيَ في النارِ في طاعةِ ربِّه فجعَلَها عليه برْداً وسلاماً، وأَمرَ اللهُ سبحانَه جدِّي بذبحِ أَبي ففدَاهُ اللهُ تعالى بما فداهُ به وكان لي ابنٌ وهو مِن أحبِّ الناسِ إليَّ ففقدْتُه فأذْهبَ حُزني عليه نُورَ بصَرِي، وكانَ أَخوهُ مِن أُمِّه كان إذا ذكرتُه ضمَمْتُه إلى صدْرِي فأذْهَبَ عني وَجْدي وهو المحبوسُ عندك في السَّرِقةِ، وإني أخبرُكَ أَني لم أسْرِقْ ولم أَلِدْ سارقاً فلَمَّا قرأَ يوسفُ الكتابَ بكى وصَاحَ وقال: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف:٩٣] إذا علمت ذلك كلَّه فاعلَمْ أنَّه طالَ ما يُخامِرُ ويخْطُرُ بقلْبِنا أنْ نؤلِّفَ كتاباً حافلاً نذكرُ فيه شأنَ الدنيا وشأنَ ما وقع بأهلِها وما سيقعُ مما أخبرَ به الصادقُ المصدوقُ وما أعدَّ اللهُ للصابرينَ ليكنْ تسليةً لي ولأمثالي من أبناءِ الزَّمانِ، سَهَّلَ اللهُ ذلك قريباً في عافية آمين.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فكونوا يا محبينَ حسب الظنِّ في المخيرةِ والإحسانِ، وحفظِ الأمانةِ والمروءةِ وطِيبِ اللسانِ، واتَّسِمُوا بالطاعةِ وحُظُّوا عليها الجماعةَ من الأهلِ والجيرانِ، واللهُ معكم ويحفَظُكم وهو المستعانُ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تَهْذِي بِهَذِيفِ الناس تُمسي كذَّاب.

ومن نظمِه رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفَاتَني مِنْ خِيَارِ النَاس كَمْ رَجُلٍ ... مَا فَارَقَ الذِّكْرَ طُولَ العُمْرِ والكُتُبَا
بَكَّاءُ لَيلَتِهِ سَجَّادُ خَلْوَتِهِ ... مِنْ خَوفِ خَالِقِهِ يَستعذِبُ التَّعَبَا
لَيثُ النِّزالِ إذا ما عَارَكَ الرُّقَبَا ... لـهُ اشتغالٌ بحِفظِ السِّرِّ عَنْ دَخَلٍ

تَلقَـاهُ في الجُـودِ كالطـائيْ، وأَحـنَفِهِمْ　　في الحِلْـمِ، قـد فَـاقَ قُـسّاً حيثُما خَطَبَـا

مِـــنْ آلِ بيـــتِ رَسُـــولِ اللهِ أكثـــرُهُمْ　　وآلِ أَبي فـــضْلِ الأخيـــارِ والخُطَبَـــا

مِنْ أَقْوالِ العارِف باللهِ عبد اللهِ بن حُسَينٍ بن طَاهِرٍ الحُسَيني(١)

(١١٩١-١٢٧٢هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (المؤمن مِرآة المؤمن)(٢)، يعني أَنَّ المؤمنَ يرى في أخيه المؤمن أخلاقاً حسنة فيقتدي به فيها، ويرى فيه أخلاقاً سيئة فيعلم أَنَّ في نفسه أمثالها، فيُطالب نفسه بإماطتها والتخلِّي عنها.

وَقَالَ أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (المؤمن مِرآة المؤمن) يعني أَنَّ المؤمن يرى في أخيه المؤمن عيباً، فيأمره بإماطته، ويُطالبه بإزالته، فيكون له كالمرآة يرى بتعليم أخيه له عيب نفسه؛ كما تحكي المرآة عيب نفسه. معنى ثالث: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (المؤمن مِرآة المؤمن) يعني أَنَّ المؤمن يرى المؤمنين فيتجلُّون له بحسب ما في باطنه من خيرٍ او شرٍّ؛ فإِنْ كانَ باطنه سليماً صافياً، نقيّاً تقيّاً، صادقاً عارياً مِنَ الأخلاقِ الخبيثة رأى المؤمنين كذلك، وظَنَّ بهم الظنَّ الحسن، ولم يجوّز غيره البَتّة، فتراه ينخدع لِكُلِّ مَنْ خدعه، ويُصدِّق بِكُلِّ ما يُقال له؛ لأنه يرى ما عنده فيظنّه بهم، ويراهم كأنّهم متخلّقون بالأخلاق السليمة التي جُبِلَ عليها، وهذه فضيلةٌ ومزيّةٌ حسنةٌ يطبع الله عليها كثيراً من المؤمنين وإِنْ كان أعلى منهم وأكمل من يرى الأشياء على ما هي عليه صحةً وفساداً، وصلاحاً وفسقاً ، وإِنْ كانَ الإنسان الناظر إلى المؤمنين خبيث الطويّة سيء الأخلاق شرِّيراً -والعياذ بالله- تجلَّتْ له صورته في كُلِّ مَنْ رآه مِنَ المؤمنين، فلا

(١) المولود بمدينة تريم في ذي الحجة سنة (١١٩١هـ) ونشأ بها، وتوفّي منتصف ليلة الخميس (١٧) من شهر ربيع ثاني سنة (١٢٧٢هـ) بمحله المعروف بالمسيلة.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود.

يرى أحداً إِلَّا ويظنُّ به السُّوء؛ لِمَا تحقَّق عنده مِن أخلاق نفسه، فلم يُجوِّز عليهم خلاف ما عنده وقاسهم على نفسه، قال ﷺ: (إذا قال الرجلُ: هلَكَ الناس فهو أهلَكُهم)(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لِمَنْ أمَرَ بمعروفٍ أو نهى عن مُنكرٍ أن يكونَ برفقٍ وشَفَقَةٍ على الخَلق، يأخذهم بالتَّدريج، فإذا رآهم تاركين لشيءٍ مِنَ الواجبات فليأمرهم بالأَهَمِّ فالأَهَمِّ، فإذا فعلوا ما أمرهم به انتقَلَ إلى غيره، وأمَرَهم وخَوَّفهم برفقٍ وشفقة معَ عدم النَّظَر منه لمدحهم وذمّهم وعطائهم ومنعهم وإلاَّ وقَعَتِ المدَاهَنَة، وكذا إذا ارتكبوا منهيَّات كثيرة ولم ينتهوا بنهيِهِ عنها كُلّها فليُكلِّمهم في بعضها حتى ينتهوا ثُمَّ يتكلَّم في غيره.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ تكلَّم مِنَ الأولياءِ الذينَ تغلبُ عليهم الغَيْبَةُ والفَنَاءُ بالله عَمَّا سِوَاه بكلامٍ يُنكرُه العَقْلُ فلا يُبادرِ الإنسانُ إلى الإنكارِ عليهِمْ والقَدْحِ فيهِمْ بل يُنْظَرْ أوّلاً في الشخصِ المتكلِّم هل ثَبَتَتْ ولايتُه وصلاحُه أَمْ لا؟ فإنْ ثَبَتَ له ذلكَ فليَنْظُرْ هل ثبتَ إسنادُ ذلك الكلامِ إليه أمْ لا؟ فإنْ ثبتَ إسنادُه إليه فليَنْظُرْ هل الكلامُ موافقٌ للشَّرعِ أمْ لا؟ فإنْ كانَ مُوافِقاً فذاكَ وإلَّا أوَّلَه لاحتمالِ أنَّهُ مع غَلَبَةِ حالٍ أو غَيْبَةٍ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القناعة مِنَ الله، والنَّظَر إلى الناس والطَّمَعُ بِمَا في أَيْدِيهِمْ شؤمٌ وإهانةٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض رسائله: **وعليكَ** بِتَرْكِ العَوَائِدِ التي نظَّمها الناس، وجعلوا لها شعاراً ومناراً، وصيَّروها معلومة بينهم بالضرورة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ينبغي لِلْعَالِمِ أن يُذَاكِرَ العَامَّةَ بشيءٍ مِنَ الحَقَائِقِ التي لا يفهمونَها؛ لأنَّهُ يَضرُّهم ذلك، كما قال سيدنا علي كَرَّمَ ٱللَّهُ وَجْهَهُ: (أتُحبُّونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه؟)(٢)، وما يُروى عن بعض العارفين مِنْ ذلك فهُوَ إِمَّا مغلوبٌ على ذلك، أو يظُنُّ أنّهم يفهَمونَ ما يقولُه، وإِلَّا فلا ينبغي لأحدٍ أن يُذاكِرَ العَامَّةَ إِلَّا بما يُفْتيه لهُم ويُعَرِّفُ لهُم مِنْ مُهمَّاتِ الدِّين التي يَحْتَاجُونَ إليها.

---

(١) رواه مسلم في كتاب «البر».

(٢) كما في «صحيح البخاري»: قال علي كرم الله وجهه: (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟) وفي لفظ: (أتحبون).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليسَ الورَعُ مطلوباً في المعاملات، وتناول الشبهات فقط، بَلْ مطلوباً حتى في الجوارح ، ينبغي للإنسان أن لا ينظر ولا يسمع ولا يفعل كل ما قيل بتحريم نظره، أو استماعه، أو فعله، أو قيل بكراهته.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مُخالطة الصالحين وسَمَاعُ سِيَرهم وسِيَرِ الصحابة والسَّلَفِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يعرف بها الإنسان نفسه ونقصه وقصوره عن أحوالهم ومراتبهم ولا يرى لنفسه فضلاً على أحد مِنْ خَلْقِ الله تعالى ، ومجالسة أهل الغفلة المشغولين بالدُّنيا وزخارفها، يرى الإنسان أنّهُ أحسن حَالاً منه خُصُوصاً إذا كان مُتنسِّكاً بشيءٍ مِنَ الطاعات كما قال صاحب «الحِكَم»[(١)]: (رُبَّما أَرَاكَ الحسنات مِنْ نفسك صحبتك مَنْ هو أسوأ حَالاً منك).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما شي أنفع لِدَفْعِ المصائب والفِتَنِ والأمراض مِنَ الصدقة في السِّر بحيث لا يعلم بمعطيها حتى قابضها، قيل له: وكيف يمكن ذلك؟ قال: يمكن ذلك بإدخالها إلى بيتِ الفقير أو وضْعِها في يد أعمَى بغير كلام، أو عَصْبِها في ثوبه، كما أنّا نُخفي المعاصي ولا يشعر بها أحد، كذلك يُمكن إخفاء الصدقة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ با يطلب الدُّنيا يصلح نيّته أوّلاً في طلبه، لأنَّ النيّة صلاحها رأس البِرّ كُلّه في كُلِّ شي، قال الحبيب عمر بن زين الحبشي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنا با أطلب بأربعةِ شروط:

الأوّل: أن تُيسَّرَ لي من وجه حلال بأنْ لا أرتكِبَ حرَاماً ولا شُبهة.

الثاني: أن يُوفقني الله لإخراج الحقوق الواجبة منها إذا تيسَّرَتْ كالزكاة والنفقة لأهلها، وصلة الأرحام والأقربين.

الثالث: أن لا أشتغِلَ بسببها عن حُضُور الجُمعة والجَماعَاتِ، ومجالس العِلم، وأهل الفضل، بل تكون عَوْناً لي على الفراغ لذلك.

الرابع: أن يُوفقني الله لصرفها في مصارفها المستحقّة.

---

(١) هو تاج الدِّين أحمد بن محمد بن عبدالكريم ابن عطاء الله السكندري المالكي الزاهد المذكّر الكبير القدر تلميذ الشيخ أبي العبّاس المرسي، كان ينفع الناس بكلامه وحِكمه وكانت لِحكمه حلاوة في النُّفُوس، توفي سنة (٧٠٧هـ)، وقبره بالقرافة يُزار.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم رحمك الله أنه إذا عُرِفَ أحدٌ بالعلم والولاية والعبادة، والصلاح والكرم والزَّهَادَة، أحبّه الناس، واعتقدوه، وتودَّدوا إليه، وتردَّدوا عليه، ولجؤوا إليه في دفع ما يقع عليهم من الظُّلم مِنَ الأجناد وغيرهم، فيبذل ذلك الرجل الصالح جاهه، ويذبُّ عنهم بلسانه بحسب نفُوذ جاهه وقبول كلمته، ويرى ذلك فرضاً لازماً عليه نصرةً للشرعِ، وقياماً بحق الإسلام والأخوة، والصحبة والمودّة، وشكراً لِمَا خوَّله الله، وأنعَم به عليه من سعة الجاه وقبول الكلمة، ولا يرى له مِنَّةً إذا قُبِلَتْ كلمته، ولا يأخذ على ذلك أجراً، بل يبذل ماله في ذلك، ويجتهد في دفع الظلم عن غيره أشدّ من الدفع عن نفسه، فإنْ قُبِلَ كلامه فذاك، وإلَّا وَكَّلَ أمره إلى الله ولم يُدافع بغيرِ ذلك. فهذه سيرة الصالحين.

ثُمَّ إنه إذا مات ذلك الصالح قامَ في مقامه إنسان من أولاده أو من غيرهم، ولم يسلك سبيل ذلك الرجل الصالح ولا طريقته، ولا أَخَذَ ما أَخَذَ فيه من العلم والزهادة والعبادة، وعدم الطمع في الناس والميل إليهم، بل ظَهَرتْ منه الرغبة فيهم والطمع فيما في أيديهم، فأَخَذَ الناس في الفرار منه، والنفرة عنه، فجعل يُطالبهم بما كانوا يتودَّدون به إلى صاحب ذلك المقام الأوَّل، وبالتردُّد عليه؛ كما كانوا يتردَّدون هم وآباؤهم على ذلك الولي، ويرى في نفسه أنَّ ذلك حق لازِمٌ عليهم، وأنّهم مُقصِّرون في حقّه. هذه والله مصيبة؛ وبليّة عظيمةٌ تدلُّ على قلّة دِينِ مُدَّعيها وعقله، أيكون جزاء إحسانهم، أو إحسان آبائهم إلى أبيه أو جدّه، وتردّدهم وتودّدهم إليه لصلاحه وولايته سببَ استعبادهم واسترقاقهم وإذلالهم أبداً ما تناسلوا؟! فَلَعَمْرِي؛ لا تصدر هذه الأخلاق إلَّا من إنسانٍ دنَتْ هِمّته، وقلّت مُروءته، ومال طبعه إلى غوغاءِ الناس وسَفَلتهم وأنذالهم، ولم تنظر نفسه إلى مكارِمِ أخلاقِ مَن جَلَسَ في مجلسه، ولم تجنح هِمّته إلى خلاله السنيّة، وصفاته العليّة؛ التي أقلّها الزُّهد في الدنيا ووجاهاتها، والتواضع وعدم النَّظَر إلى الناس جاؤوا أم ذهبوا، والإنصاف مِنَ النفس وعدم الانتصاف لها، وغيرها مِنَ الخصال الحميدة، والأفعال السديدة.

سَارَتْ مُشرِّقةً وسِرتُ مُغرِّباً شَتَّانَ بين مُشرِّقٍ ومُغرِّبِ

فينبغي لمن أُقيم في مقام أحَدٍ من الصالحين أن يجتهدَ في سلوك طريقته، والتشبُّه به في ظاهره وطويّته، ثُمَّ يعترف بالخلوِّ عن أذواقه وحقيقته، ولا يدَّعي شيئاً من أحواله ومواجيده، ولا يُطالب أحداً بأنْ يحترمه أو يُعظِّمه، فضلاً عن أن يتردَّد عليه أو يتودَّد إليه. ومَنْ أكرمه أو أحسن إليه كافأه بالعطاء أو بالدُّعاء والثناء، ومَنْ لم يأته رأى ذلك مِنَ النِّعَم التي يجب عليه شكرها، ورأى له مِنَّةً وفضلاً من أن يراه جفاءً، أو يتكدَّر عليه خاطره ، ومَنْ عاداه أو آذاه، أو آذى مَن يلوذُ به، وَكَلَ أمره إلى الله؛ كما كان مَن كان قبله، ولا يأخذ في مدافعته بالمقاتلة والمعاندة لأنَّ هذا يُخرجه عن سبيل مَنْ هو مُدَّعٍ مقامَه، فتكون أفعالُه أوَّلَ شاهِدٍ عليه بالتكذيب؛ لأنَّ المعاندة والمقابلة بمثل فعلِ الظالم شأن الأجناد والظَّلَمَة، فيدعوه ذلك إلى التشبُّه بهم، بل إلى أن يكونَ منهم كما هو مُشَاهَدٌ ومجرَّبٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَمْ رحمَكَ اللهُ إنَّ من مكايد الشيطان العظيمة لأبناء الأخيار أَنْ يُزيِّنَ لهم التَّزيي بزي الجُند والأشرار؛ مِنْ لُبْسِ السلاح، وتقصير الثياب، وتبقية الشَّعْرْ ، ومَنْ تشبَّه بقَومٍ فهو منهم، وشِبْهُ الشيءِ مُنجذبٌ إليه، قال سيدنا الإمام محمد بن محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونفعنا به في آخر كتاب الحلال والحرام مِنَ «الإحياء» عند ذكره الظَّلَمَةَ والتحذيرَ من مجالستهم: (فَمَنْ عُرِفَ بذلك فقد عُرِف، ومَنْ لم يُعْرَف فعلامته القَباءُ وطُول الشارب وسائر الهيئات المشهورة، فَمَنْ رُئي على تلك الهيئة يجب اجتنابه، ولا يكون ذلك من سُوء الظن؛ لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيَّا بزيِّهِم، ومساواة الزَّي تدل على مساواة القلب، فلا يتجانن إلَّا مجنون، ولا يتشبَّه بالفُسَّاق إلَّا فاسق. نعم؛ الفاسق قد يُلَبِّس فيتشبَّه بأهلِ الصلاح؛ وأمَّا الصالح فليس له أن يتشَبَّه بأهلِ الفساد؛ لأنَّ ذلك تكثير لسوادهم) انتهى. ولَعَمْرِي؛ ما ترى أحداً تزيَّا بذلك الزَّي إلَّا وهو قد استحسن سيرة الجند، وزيَّنَها الشيطان في عينه، ومالَ طبعه إلى مجانستهم ومجالستهم، فقلَّما ترى أحداً فعل ذلك إلَّا ونفرَ طبعُه عن طلبِ العلمِ ومجالسة أهله ومذاكرتهم، ولا يميل طبعه إلى العبادة وسيرة السلف الصالحين، بل تراه متباعداً عن أهل الفضل، ونافراً منهم. وإنِ اتفق له مجالستهم من غير اختيار استثقل ذلك المجلس، وضاقَ صدره به وهم كذلك؛ وذلك لأنه لم تكن بينه وبينهم مجانسة ولا مؤالفة ولا موافقة، بخلاف ما إذا جلس مع الجُند وأهل السلاح والشر والغفلة ، فتراه بينهم منبسطاً منشرحاً بذلك، فهذه

والله بليةٌ عظيمةٌ، ومصيبةٌ وخيمة تدعوا إلى كثيرٍ مِنَ الشرِّ والفساد التي لا يحصرها تعداد، بل قد تجرُّ إلى القتل بغير حق، وترويع العباد والتأبي عن قبول الحق، وعدم الانقياد، وقد ابتليَ بهذه الخصلة بعض إخواننا العلويين وغيرهم من أبناء الصالحين، فتراهم مثل الجُند في زيِّهم ولباسهم حتى إنهم يلبسون الفضّة والحرير، ويُظهرون بعض عورتهم من كثرة كَفْتِهم الإزار؛ حرصاً منهم على التَّشبُّه الكُلِّي بالجُند والأشرار، وتركاً وفراراً مِنْ سِيرة سلفهم الصالحين الأخيار.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: اعلم رحمك الله أنَّ أنفعَ شي لصلاحِ القلوب، وأقربَ شي لغُفرانِ الذنوب، وأذهَبَ شي للكروب، وأجدى شي لجلب كل محبوب، مُجالسةُ أولياء الله الصالحين، والعُلماء العَامِلِين الخَاشعين، والعُبَّاد الزَّاهدين الذَّائقين، الذين (إذا رُءوا ذُكِرَ الله)[١]، ينهضك إلى الله حالُهم، ويدلُّك على الله مقالُهم، وتغشى مجالسَهم أنوارُهم، وتبعثه على مكارمِ الأخلاق أخلاقهم، وتُحَقِّرُ إليه نفسه أعمالهم، وتعودُ عليه في الحال والمآل بركاتهم، فمجالستهم زيادة، والنَّظَر إليهِمْ عِبَادَة، ومحبّتهم سعادة، مُجالِسْهُم في أنوارِ السرور رَاتِعْ، ومِنْ شَرَابِ رَحِيقِ المحبّة كَارِعْ.

... إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: فمَنْ رزَقهُ الله مجالستهم ورؤيتهم، فليعُدَّ ذلك مِنْ أكبرِ نِعَمِ الله عليه، وليتغانمهم، وليجالسهم معَ المحبّة والتَّعظيم والإكرام، وحُسن الظن، وكمَالِ الأدَب ظاهراً وباطناً، معَ طلبِ الانتفاع والتبرُّك بهِمْ، والاقتداء والاهتداء بهديهِمْ، (فالمرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)[٢]، والمرءُ مِنْ جَلِيْسِهِ، (والمرءُ على دِيْنِ خَلِيْلِهِ)[٣]، شعر:

---

(١) أورده الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» : صـ٢٤٠، ونقله عنه الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» (٤٦٨/٣) بشرح فيض القدير للمناوي وأوّله: (خياركم مَن ذكّركم بالله رؤيته) وروى ابن حبّان وصححه من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ مِنَ الناس مفاتيح لذكر الله إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله) ا. هـ من «فيض القدير» للمناوي (٥٢٨/٢)، وله شواهد من حديث ابن عباس وابن مسعود ذكرهما الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) وتكملة الحديث: (فلينظُر أحدُكُم مَنْ يُخَالِل)، رواه أبو داود والترمذي بإسنادٍ صحيح، قالَ الترمذي: حديثٌ حَسَنٌ.

هُـداةُ الـوَرَى طُـوْبَى لِعَبْـدٍ رآهُـمُـوا   وجالَـسْهُمُ لَـوْ مَـرَّةً مِنْـهُ في العُمْـرِ

أُولئـكَ الأقـوامُ هُـمْ مُـرادي   وَمَطْلَبـي مِـنْ جُمْلَـةِ العِبَـادِ
وحُـبُّهم قَـدْ حَـلَّ في فُـؤَادي   أَهْـلُ المعـارفِ والـصَّفاء والآدابْ

وانظُرْ إلى كلبِ أهل الكهف لَمَّا صاحَبَ أولياءَ الرَّحمن ذُكِرَ معهم في القرآن، وسيدخل معهم غداً الجِنَان، وكذا جلد المصحف لَمَّا جَاورَ المصحف لم يُجُزْ لهُ مسّه إلا معَ الطهارة تعرفُ بذلك فضيلة المصاحبة والمجالسة، قال رسول الله ﷺ: (إنَّمَا مثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ كحَامِلِ المسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وإِمَّا أَنْ تَبتاعَ مِنْهُ، أو تجد مِنْهُ رائحةً طيِّبةً...)[١]، الحديث أو ما في معناه.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ الحَسَنِ بن صالِحِ بن عيدروسٍ البَحَر الجُفْرِي الحُسيني[٢]

(١١٩١-١٢٧٣هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ عن القرآن: والقرآنُ الكريمُ هو أصلُ العلومِ، ومنبعُ الأسرارِ، لكنه يحتاجُ إلى صِدْقِ التَّلَقِّي، وكمالِ الإِصْغاءِ، والإقبالِ عليه بكُنْهِ الهِمَّةِ.

وَقَـالَ رَحِمَهُ اللهُ في قولـه تعـالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٧] : أي **في الـدُّنيا:** بالقُربِ والمعرفة والأُنس والمحبّة ونحوها، **وفي الآخرة:** بِكَمالِ الرؤيةِ والمشاهدَة والخُلود في جِواره.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥] ؟ لابُدَّ عند ذِكرِ الله الحضورُ بالقلبِ والقالَب، مع استِشعارِ عَظَمتِهِ وعِزَّتِهِ واستبدادِه بالوجود، وهو أكبرُ من كُلِّ شيء، فإذا استَشعَرتَ عظمته وعزّته واستبداده بالوجود، صَغُرَ في عينِكَ كُلُّ موجود، إذْ لا

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الملقّب بـ(البحر)، المولود بمدينة الحوطة (خلع راشد) سنة (١١٩١هـ) والمتوفّى في (٢٣) من شهر ذي القعدة سنة (١٢٧٣هـ)، بضاحية (قرية ذي أصبح) ودُفِنَ بها.

وجودَ لهُ إِلَّا بالحَقِّ الموجود، وبذلك الاستِحضار والاستِشعار يَسهُلُ عليكَ عمل كُلِّ مأمور، واجتِنابُ كل محذور، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥] أي: أكبر مِن كُلِّ عملٍ مبرور، أي: أكبرُ من جميع الطاعات والقُرُبات؛ لأنَّ جميعَ العبادات فرضِها ونَفلِها لا تُعتَبَرُ إِلَّا بالحُضور، إذْ هوَ روحُها وحقيقتُها التي عليها الشأن يدور، مع افتقارها إليه، فالذِّكرُ لا يَفتقرُ إلى شيءٍ مِنَ العبادات، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]: أي جزاءُ الله للعَبدِ أكبرُ مِن عَمَلِه.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنى السّكينة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [الفتح:٤] الآية فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السكينة يُنافيها الاضطراب، فإنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سَكَنوا إلى الحق؛ فلم يبقَ في قلوبهم شيءٌ إِلَّا ربهم، ومحو عنها كُلَّ التفاتٍ أو مَيلٍ إلى أهلٍ وولدٍ ومالٍ، أو غيره مِنْ حُبِّ الدنيا وشهواتها.

وذاكَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] فقال : أي عرَّفناه طريق الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:٣] أي قدَّر أُمُور الخير والشر، وأظهرَ الدلائل القطعيّة، والبراهين الدالّة على الألوهيّة والوحدانية والقيومية، في المبدعات الكونية، وأنزلَ الكتب، وأرسلَ الرسل إيضاحاً للمحجَّة السويّة، وتماماً للحُجّة على مَنْ ضلَّ عنها وجعل لهم الاختيارات.

.. إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإنَّ الشيطان لا يدخل إِلَّا في قلوب أهل الشك فيخلي بينه وبينهم حتى يرجعوا إلى ربهم، وأَمَّا مَنْ تابَ وأنابَ إلى ربِّه وطلب منه أن يهديه ويمدّه بحُسن رعايته وتوليه كما في الحديث القدسي: (كُلُّكُمْ ضالٌّ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ)[1] وَقَالَ تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣] ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١] لكن اقتضَتْ أوصاف الجلال بقاء أهل الضلال في ضلالهم، وأوصاف الجمال بقاء أهل الهدى في هدايتهم، وعاد الرّحمة المحيطة بالكُل كما قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] لكنه يكتبها للذين يتقون.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة والآداب.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ على قوله ﷺ: (عليكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَ اللهِ؛ لاَ يَمَلُّ اللهُ حتى تَمَلُّوا)[١]، قال: إنَّ الحقَّ تعالى لا يمَلُّ من إسداء وارداتِ الثَّواب والجزاء الموعود على الطَّاعة والعبادة حتى تملُّوا أنتم، فإذا حصَلَ منكم ذلك المَلَلُ انقطعَتْ وارداتُ الجزاء والثَّواب، وليسَ السببُ في انقطاع ذلك إلَّا مَلَلُكم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ على قوله ﷺ: (مَن رأى منكم مُنكراً فليغيِّره بيده...)[٢] وهذا في حَقِّ السّلاطين وأولياء الأُمُور، (... فإنْ لم يستطع فبلسانه)، وهذا في حَقِّ العُلماء والدُّعاة، (... فإنْ لم يستطع فبقلبه)، وهذا في حَقِّ بقيّة المؤمنين، (... وذلك أضعفُ الإيمان)؛ لأنَّ أدنَى مراتب الإيمان الكراهيّة القلبيّة للمَعصيّة مع المفارقة وعدم المخالطة، لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال:٢٥].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ في قوله ﷺ: (مَن ماتَ لا يُشركُ بالله شيئاً دخلَ الجنة، وإنْ زنَى وإنْ سرق)[٣] كرَّرَ ذلك ثلاثَاً. قال: لأنَّ مَنْ ثبَّتَ اللهُ قلبَه بنُورِ الإيمان في الأزَل لا يضرُّه العصيان؛ لأنَّ الخاتمةَ تكون على مُقتضَى السَّابقة، ولأنَّ ما كان مِنَ الأعمال الظاهرة يعملها الإنسانُ بقصد الدُّنيا وزهرتها ووجاهتها وأغراضها الفانية يُكتب في الصَّحيفة وينسلخ بانسلاخها والخروج عنها، وما كانَ مِنَ الأعمالِ يعملها العبدُ بقصدِ الدَّار الآخرة يُكتب في اللوح المحفوظ ويبقى ببقائها، وما كانَ يعمله بقصد وجه الله يكتب في أُمِّ الكتاب عند الحقِّ تعالى. واستدلَّ بقوله ﷺ: (إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجنة...)[٤] إلى آخر الحديث، وبقوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾ [الرعد:٣٩].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد والأربعة عن أبي سعيد.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري (٣٢٠٨) في بدء الخلق، ومسلم (٢٦٤٣) في القَدَر.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في الأثر : (العافية عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في الصمت)، لأنَّ اللسان ترجمانُ القلب وهو رئيس الجوارح، ولأنَّ الجوارح كُلَّها تُكفِّر اللِّسان[١]، تقول: (إنِ اسْتَقَمْتَ.. اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا)[٢]، ولأنَّ الله لا يُؤاخذ بما في القلب مِنَ الخواطر ونحوه، وإنَّما يُؤاخذ عبدَه بما تكلَّم به، فإذا تكلَّم بالسيئ انعكسَ ظلامُه على القلب فيسري ضررُه على الجوارح.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم رحمك الله أنَّ أَسْعَدَ العَزَائِمِ، وأربَحَ الغَنَائِمِ، في التزامِ تقوى اللهِ التي أَوْصَى بها الأولين والآخرين فَتَنافَسَ فيها أُولُو العزم مِنَ الأنبياء والصِّدِّيقين وسائر الأولياء المكرَّمين لَمَّا سمِعُوا خطابه لهم جلَّ وعَلا حيث قال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحُجُرات:١٣] فنَالَ كُلٌّ منهم مِنَ الكرامة والزُّلفَى عنده على قدر ما قُسِمَ له مِنَ الخشيةِ، وقِسْمتُه مِنَ الخشية على قدر ما قُسِمَ له مِنَ العِلْمِ، وقسمتُه مِنَ العِلمِ على قدر ما قُسِمَ له مِنَ اليقين، وقسمتُه مِنَ اليقين على قدر ما قُسِمَ له مِنْ مقاماته التسعة، وحَظّه منها على قدر تعرُّضِهِ لِلنَّفَحَاتِ المُشَارِ إليها بِقَوْلِهِ ﷺ : (إنَّ لِرَبِّكُمْ في أيَّامِ دهركم نفحاتٍ[٣] ..) إلى آخره، ونصيبه في التعرُّض على قدر يقظَة القلب وحُضُوره معَ الله فيها، وحضورُه على قدر صفَائِه، وصفاؤه على قدر شرحِ صدره، وشرحُ صدره على قدَرِ النُّور الذي دخله، والنُّورُ هذا موهبةٌ مِنَ الله تعالى لِمَنْ يَشاء مِنْ عباده ولَهُ قَابليَّة في قَلْبِ كُلّ عبد، وفي كُلِّ قَلْب مُؤمن منه نصيب مقسوم يأخُذُ حظّه مِنَ النَّفَحَات المُتَعَرِّض لَهَا، وبِكَثْرَةِ التّعرُّضَات تزيدُ زيادة تَامَّة في الأوفر مِنْ ذلك لِمَنْ حَظّه أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ النُّور، ويزيدُ القليل بِكَثْرَةِ التعرُّضَات ودَوامها، ويقل الأوفر عند نقصها، بل يذهب عند فقدها وتعطيلها والعياذ بالله مِنْ ذلك.

---

(١) معنى: (تُكَفِّرُ اللِّسَانَ) أَيْ: تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ.

(٢) وهذا الحديث بتمامه، عن أبي سعيد الخدري رضيَ الله عنه، عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: (إذا أصبحَ ابنُ آدمَ.. فإنَّ الأعضاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ؛ تقولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فإنَّما نَحْنُ بِكَ، فَإنِ اسْتَقَمْتَ.. استقمنا، وإنِ اعوججتَ.. اعوججنا) رواه الترمذي [٢٤٠٧].

(٣) الحديث: (إنَّ لله في أيام دهركم نفحاتٍ فتعرّضوا لها) رواه الترمذي والحاكم والطبراني وابن عبدالبر وابن أبي الدُّنيا.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى (لا معبودَ إِلَّا الله، لا مقصودَ إِلَّا الله، لا مشهودَ إِلَّا الله) ، (لا معبود إِلَّا الله) : أي لا يستحق العبادة إِلَّا مَنْ لَهُ الخَلق والأمر، وبِيَدِهِ النَّفع والضُّرُّ، خالقُ الموت والحَيَاة ، هُو الله جَلَّ جلاله ، وإذا كان لا يستحق العبادة إِلَّا الله فلا ينبغي أن يقصد بكُلِّ عِلْمٍ وَعَمَلٍ وَنِيَّةٍ وَفِعْلٍ إِلَّا الله، فَلاَ مَقْصُودَ وَلاَ مَشْهُودَ إِلَّا الله، إِذْ لَيْسَ في الْوُجُودِ إِلَّا ذَاته تَعَالَى وصفاته وأفعاله .

وإذا قلتَ : (لاَ مَشْهُودَ إِلَّا الله) صرت موحداً لنفسك مغنياً للخَلق بشهُودِ الحق.

وإذا قلتَ : (لا مَوْجُودَ إِلَّا الله) صرت مُغْنِياً لنفسك ولذكرك مَعَ الْخَلق بوجُودِ الحَقّ.

وهل يصلح أن يُرَادَ بِ(لاَ مَقْصُودَ إِلَّا الله) أَيْ لَيْسَ لِي مَقْصُود بعبادتك إِلَّا قصدُ وجهك وطَلَبُ رِضَاكَ وَشُهُودُ جَمَالِكَ وَكَمَالِكَ ؟ أي لاَ لأَجْلِ طلَبٍ مِنْ نَعِيْمٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ دُنيا وآخِرَة.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عمَّا يدفع بهِ هَمَّ الرِّزق؟ فقالَ: إِنه العِلمُ بِقُدْرَةِ الله، وعَظَمَةِ هذه القُدرة، وما تَفَرَّعَ منها، مِنْ خَلْقِ الْكَائِنَاتِ مِنَ السموات والأرضين والجِبَالِ والأَشْجَارِ وَالنَّبَاتِ وغيرها.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنى قوله في بعض مذاكراته: إِذَا صَحَّتِ المُعَامَلَة، صَحَّتِ المُنَازَلَة، وإِذَا صَحَّتِ المنازلة صَحَّتِ الْمُشَاهَدَة، وإِذَا صَحَّتِ المُشَاهَدَة أَفْنَتْ وَأَبْقَتْ؟ فقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِذَا صَحَّتِ الْمُعَامَلَة مَعَ الله في الظَّاهِرِ والْبَاطِنِ، صَحَّتِ المُنَازَلَة يعني تَنَزُّلَ الأنوار الإلهيّة على القَلب، فإِذَا تَوَاتَرَتِ الأنوار واسْتَولَتْ عليه، أثمَرَتْ للعبد المعرفة والمُشَاهَدَة لأوصاف الحَقّ، وإِذَا صَحَّتِ المُشَاهَدَة لتلك الصفات الكريمة الإلهيّة، أثمَرَتْ للعبد الفَنَاءُ عَنِ الصفاتِ الدَّنيَّة والاتّصاف بالصِّفَاتِ المَحْمُودة القُدسيّة.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنى قولهم: السَّماع، ثُمَّ العِلم، ثُمَّ الفَهم، ثُمَّ الذَّوق، ثُمَّ الحَالُ، ثُمَّ المقَامُ؟ فأَجَابَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنهُ إذا سَمِعَ كلام الله، وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَثْمَرَ لَهُ العِلم، فيرسخ لَهُ الفَهم، فيطرَبُ لَهُ طرَباً ورغبة، أو خَوفاً وهيبة، وهذا هو الذَّوق، ويحمله ذلك على العَمَل بِمُقْتَضَى الرَّغبة، أو الرَّهبة، ويُسَمَّى أَوَّلاً حَالاً فإِذَا دَامَ ورَسَخَ سُمِّيَ مَقَاماً.

وذاكَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى: (الشكور): فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الشكور ليس هو مَنْ يشكر على نعمةِ الوجد، بل مَنْ يشكر على نعمةِ الفقد، لأنّها مِنْ أعظم النِّعَمِ لأنَّ الله جلَّ وعلا لا يمنع على عبدِهِ شي إلا رحمة به، وتفضُّلاً عليه لأنهُ لا يختار له إلَّا ما هو أصلَحْ وأرجَحْ، إذ يحصل للعبد بالمنع السلامة، والثواب الذي هو أعظم وأكبر ولا يكونُ العبدُ شكوراً إلَّا إذا لاحَظَ تلك النِّعَمَ المستترة في المنع، فإذا عرَفَ سُرعة زمن الصبر، وعظم الجزاء في دارِ النَّعيم المقيم، ارتاح لذلك وفرح بالمنع والتذَّ به كما يلتذُّ أهل الدنيا بضد ذلك.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل تواضع الغني للفقير أفضل أو تعزُّزه على الغَني؟ فأجابَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ تواضع الغني للفقير أفضل لأنّهُ أعطى العبوديّة حقّها مِنَ الانكسار ونحوه ولم ينظر إلى الدُّنيا عجباً واعتزازاً – وأمَّا تعزُّز الفقير على الغني فرُبَّما يكون فيه العجب ورؤية النفس أنه خير من الغني وليس الغني كذلك لأنّهُ قد انكسَرَ قلبه بالتواضع والله عندَ المنكسرة قلوبهم.

وقد أَجَازَ سيدُنا الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحبيبَ الفاضلَ عبدَالله بن إبراهيم بن عيدروس في بعض الأذكار بعد تلقينه ذلك حرفاً بحرف وأنقلها هنا حسبما وجدته بخط محبّه عمر محمد شمَّاخ وهي: (لا إله إلَّا الله لا معبود إلَّا الله) : فالمستحق للعبوديّة هو الله فلا يُعبَدُ بالحق غيره ومَنْ عبَدَ غيره فهو الباطل، واتِّباع الهوى هو عبادة الباطل، ومَنْ تحقَّق بعبادةِ الله لم يعبد غيره من خلق، برياءٍ أو غيره لأنهم لا يملكون ضُرّاً ولا نفعاً ولا حياةً ولا نشورا، فلا يستحق العبادة إلَّا مَنْ أنشأ الوجود بعد العَدَمِ فإذن لا معبود غيره، ولا مقصود يُقصَدُ في عطا ولا في منع، ولا في خفض ولا في رفع، إلَّا مَنْ لهُ القُدرة والملك والملكوت وكل شي مُطيع لأمره، مُذعن لربوبيّته، مُتصرِّف فيه بما يشاء لا مانع لِمَا أعطَى ولا مُعطي لِمَا منَعَ، فلا موجود في الوجود إلا واجد الوجود، ولا موجود غيره إلَّا المجاز بإضافةِ الفعل إليه مجَازَاً والحقيقة هو الله، ما معه في الوجود غيره، فإذا عرفت أنَّ لا موجود غيره نفيت شهود مَنْ سِواه فلا مشهود غيره، إذ هو الشاهد والمشهود، فمَنْ عرف هذا فقد تحقَّق بالعرفان، وشهد شهود الفتيان، فيحق له أن يفنى عن جميع الأكوان، فإذا فني به بقيَ به، ولهُ في كُلِّ شان، وذاقَ صفوةَ الإيمان، وشهدَ الأمورَ على حقائقها بالجمع والفرق، وذلك مطلب المخصوصين المحبوبين المقرَّبين،

عند الملك الدّيَّان، ومجمع هذا الذِّكر هو: (لا إله إِلَّا الله لا معبود إِلَّا الله، لا إله إِلَّا الله لا مقصود إِلَّا الله، لا إله إِلَّا الله لا موجود إِلَّا الله، لا إله إِلَّا الله لا مشهود إِلَّا الله).

الذِّكر الثاني هو: (الله ناظرٌ إليَّ) فمَنْ هو ناظره استحى منه أن يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره وهو حاضره في سرِّه وجهره ويُسره وعسره لا يغيب عنه طرفة عين.

الذِّكر الثالث: (الله حاضرٌ معي) قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ...﴾ [الحديد:٤] الآية.

والذِّكر الرّابع: (الله قريبٌ مني) بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] فقُربه ليس قرب المسافة، فهو قريب بقدرته وتصريفه إذ لا قُدرة لأحد أن يدفع ما ينزله بالعبد ولا يدفع ما أراده فهو بالحقيقة أقرب مِنْ كُلِّ قريب ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٥] ومَنْ داوم على الذِّكر فلا جرَمَ أن يرتفع عنه الحجاب ويرقى في معاني الذكر إلى مواطن الاقتراب، ويشرب شراب الصفوة الأحباب، ومِنْ هنا ينفتح القلب ويزول عنه الحجاب، ويذوق ما ذاقه المتّقون الأنجاب، وينسى مع ذلك الأحساب والأنساب، ويتحقَّق بشهوده رفيع الجناب، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

وذُكِرَ لديه قول الشيخ الرّفاعي: (علامة رِضَا الله عَنِ العبد نشاطه في الطاعات، وتثاقله في المعاصي)، فقال، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علامة رضا الله على العبد وُجُود حلاوة الطاعة، ومرارة المعصية.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنِ مُجَاهدة النَّفس: مجاهدة النفس لمعرفة عظمة الله وجلاله، وكماله، وجماله، وانفراده بالألوهية، فإذا عَرَفَتْ النفس ذلك رأتْ ذلّها، ونقصها، وعيوبها، ورذائلها، فعند ذلك تنقاد لحُكمه، فتُشمِّر في امتثال أمره، وتنتهي عن زجره، وتُذعِنُ لقَدَرِه، وتُسارع إلى مرضاته، وترغب في معاملته، وترهب مِنْ غضبه، وتنفرد بعبادته، وتستعين به، وتعتصِمُ به، وتتوكَّل عليه، وتحقَّقَ أنْ لا وصول إليه إلَّا به، فيتوجّه إلى مُجاهدة نفسه، بحولِ الله وقُوّته، ويشهد الله سابق مِنّته، وتوفيقه وهدايته، فحينئذ يحصل له التّبرؤ من حولِهِ وقوّته، ونظره إلى علمه وعمله، فيسلَم بعد الشهود من عِلله، ولا يطلب منه الثواب والأجر إلَّا بمُقتضى سابق رحمته وفضله، بموجب أسمائه الرّحيمة الكريمة.

وللنفس ثلاثة مراحل أو أوصاف(١):

(١) **نفس أَمَّارة بالسُّوء:** أي مشاهدة للحظوظ الفانية، مُتوجِّهة إليها بِكُليتها، مُطالبة بها.

(٢) **ثُمَّ تصيرُ لوَّامة:** وهي أرفع وأشرف، ولذلك أَقسَمَ الله بها لاختصاصها بالمعرفة، فإذا عرفتَ نقص تلك الحظوظ الفانية، ورأت النفس الأَمَّارة لامَتْ عليها، ورجَعَتْ وتابَتْ منها، وأَنَابَتْ إلى ربِّها.

(٣) **ثُمَّ تصير مُلهمة:** وهي يبدو لها الإلهام بالتقوى، ومبادئ المكاشفات، والمعارف الإلهية، وهي أصعب خلاصاً من تلبّساتها مما قبلها، وأكثر السالكين واقفاً بها، محجُوباً بخيالاتها، فيصير راكِنَاً إلى حالاتها مِنَ الذَّوق والهيمان، ولوامع مكاشفاتها، ونحو ذلك.

(٤) **ثُمَّ تصيرُ مطمئنة:** بالانقيادِ لأمره، والامتناع عن زجره.

(٥) **ثُمَّ تصيرُ راضية** : بعد الطمأنينة، مشاهدة لفعله في جميع خلقه.

(٦) **ثُمَّ تصيرُ مرضيّة** : لديه لتوجهها إلى عباده بالرّحمة والرأفة في دعوتهم، إلى ما فيه فلاحهم وسعادتهم، وقُربهم إلى ربهم، فهي المحبوبة المرضيّة لديه تعالى ولديهمْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عنِ الإيمان: إِنَّ الإيمانَ مثله كالمصباح يحتاج إلى تقويةِ نُوره بالزَّيت، وكذلك الإيمان يحتاج إلى تقوية نُوره بالعبادة، كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ويحتاج إلى حفظ وصيانة له عمَّا يخذله ويبطله مِنْ مهاب الرِّيح والعواصف، وذلك مثال المعاصي.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عند ذكر النِّعَمِ: ارفع يديك وادع بهذا الدُّعاء: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تفضَّلتَ علينا بهذه النِّعمة، وجعلتها مِنّةً امتننتَ بها علينا، فاجعلْها سببَ الشكر، وسببَ النعمة، وسببَ المزيد، وسببَ المحبة والهداية، وسببَ الإقرار والاعتراف لك بالصمدانية، يا مَنْ هو يُطْعِمُ ولا يُطعَمُ.

(١) إجمالا ، وبالتفصيل ستة كما ذكرها الحبيب لاحقاً.

وشكى إليه سيدُنا الجليلُ عقيل بن حسن الجفري ما يعتريه مِنْ ضِيقٍ وشدّةِ قَبْضٍ ويتأثّر مِنْ ذلك جداً فقال له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اُنظُرْ إلى أوصاف ربّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا تنظر إلى أوصافك، فإذا نظرتَ إلى أوصافه تعالى بعمقٍ وإيمان شديد عشقتَها، وإذا عشقتَها فَنِيتَ بها، وإذا فَنِيتَ بها أنارَتْ أوصافُه نوراً عليك فيتبدَّد همُّك وما يعتريك، فافزعْ إليه في كُلِّ أمرِك وهو الكفيلُ بذلك.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَبي بَكْرِ بن عبدِ اللهِ بن طالِبِ العَطَّاسِ الحُسَيني[1]
(١٢١٥-١٢٨١هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النُّفُوسُ سبعةٌ: النفسُ الأمَّارة، النفسُ اللَّوّامة، النفسُ الملهمة، النفسُ المطمئنة، النفسُ الرّاضية، النفسُ المرضيّة، النفسُ الكاملة.

النفس الأمَّارَة: هي التي تأمُر بالسُّوء.

النفس اللَّوّامة: هي التي تلوم الإنسان إذا فعل المعصية.

النفس الملهمة: هي التي تُفرِّق بين خاطر الملك وخاطر الشيطان.

النفس المطمئنّة والرَّاضية والمرضيّة ، والكاملة: فهي للكامل ، ما شي قاطع عن الله مثل النفوس والدنيا ، وآخر ما يخرج من رؤوس الصدِّيقين نفوسهم ، والدنيا إذا تملّكَتْ القلب غيَّرته وما اهتدى سبيلا ولأنَّ قرينها الشيطان العدو ، وإذا دَخَلَتْ إلى القلب لا بُدَّ أن يدخل قرينُها ورَانُها ، وإذا دَخَلَ إلى القلب أفسده.

---

(١) المولود ببلدة حريضة في (١٦) من شهر جمادي الأولى سنة (١٢١٥هـ) والمتوفّى بها في (١٩) من شهر ذي القعدة سنة (١٢٨١هـ)، وهو ذاكراً لقول: (لا إله إلا الله) وعلى طهارةٍ بعد صلاة العشاء ليلة السبت متأثراً بحُمّى، ودُفِنَ يوم السبت بركن قُبّة جدّه الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس ببلدة حريضة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفه للحبيب صالح بن عبدالله العطاس(١) بأنه: وقعَ على الثَّمَرِ، ولم يدرِ بالشجَرِ، ولا ما حولها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ ضمن مكاتبة أرسلها للشيخ العلامة أبي بكر بن عبدالله بن أحمد باسودان نذكر منها قوله: وما ذكرته تحقّقناه وفهمناه، ظاهره وباطنه، حثيثه ودقيقه، والنيّة مطيّة، تُبَلِّغُ صاحبها كل أُمنيّة، وذكرتم عزمكم السَّفَرْ، في طيّه إِنْ شاء الله الظَّفَرْ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥] وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠-٢١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف:٣٢] وأنوي بسَفَرِكَ التّفقُّه في الدِّين، وإحياء سُنّة سيِّد المرسلين، وامتثال ما قاله ربُّ العالمين، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٢٢] وفي الحديث المشهور عن النبي المذكور المسمّى حديث جبريل، (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى)، والنية مِنْ أَعْمَالِ القلوب، لو وُزِّعَتْ على جميعِ الكون لوسعته، ولم ينقص منها شي، لأنها كلمة من كلماتِ الله، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩] وفيما تقدَّم مِمَّا في الأرض من ذكر الآيات، من مسموع ومروي، وحِسِّي ومعنوي، فلها منهم مدد، ولهم منها مدد، فمددهم منها رؤية الحق فيها، ويشهدون الله فيها، بغير حلول أو اتِّحاد إلى غير ذلك، مِنْ إعطاءِ الرِّسالة حقّها، وأداء الأمانة أهلها، ويشهدون الله في الكثرة منها، والوحدة في الكثرة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] هذا فيما يتعلّق بعلم معرفة الله التي لا تتناهى، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وعند قوله

---

(١) هو السيد العارف بالله صالح بن عبدالله بن أحمد العطاس وُلِدَ بوادي عمد بجهة حضرموت في شهر رجب الأصَبْ سنة (١٢١١هـ)، وتوفي بها ليلة الأربعاء في (٥) مضَتْ مِنْ شهر جمادي الآخرة سنة (١٢٧٩هـ).

تعـالى: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٢٢] فالسلامة مُقدّمة، والغنيمة مُتمّمة، وبقوله: ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٢٢] بعد غيبتهم، عن عوالم جنسهم، وأبناء جنسهم، يأتون إليهِمْ، بأعجبِ العجَائِب، ما لم يُسطَّرْ في كتاب، ولم يدخل في ماهيّته حساب، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزُّخرُف:٥٩] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] وما ذلك إلَّا بعد أن تلاشَتْ منه الصفات البشرية، وتحقَّقتْ بالصفاتِ الرّبَّانيّة، عند أسماع ما برزَ عنه، لمن تهيأتْ له القابليّة، وصفَى عنِ السِّر والعلانيّة، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧] ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد:٤] وأنتم ياسيدي من وارثي الرسول الأعظم ﷺ، وللمؤمنين من عندكم ودايع، فمنهم: مَنْ يرتحِلُ ويأتي، ومنهم: مَنْ تثبِّطه عين العجز والتّباطي، فحينئذ هتَفَ بكم هاتف الرَّحمن، وأزعَجكم عنِ الأوطان، ومُفارقة الأهل والخِلاَّن، لأداء ما حملتموه من الودايع، وبدائع البضايع، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة:٦٠] فمنهم: نصيبهم منكم القراءة والاستماع، ومنهم: بالاستماع، ومنهم: بالقولِ والفعل، ومنهم: بالابلاغ، وينتسبون أولاد وأحفاد، لأنَّ أولاد الرُّوح، أكثر من أولاد الشيوخ، ولأنَّ الجسم الجثماني من عَالَمِ المُلْك، ونسبته إلى عالم الأرواح تتلاشى بها لا شي، والرُّوح ما تسعه أكناف الوجود وهو يسعها، ومحلّه القلب، والقلب بيت الله، ومحل نظره، وفي الخبر المروي: (ما وَسِعَني أرضي ولا سمائي، ووسِعَنِي قلبُ عبدي المؤمن)[1] ونيّتكم إنْ شاء الله صالحه، وتجارة رابحه، **والله الله في حُسْنِ الظن بالله، وبعبادِ الله، لا سيّما أهل الصلاح، ولا تَقُلْ : قَلُّوا**، ولكن جَلُّوا عن أن تراهم أعين الجهالِ ، ولا تخلو زوايا الأرض منهم، ولا يلتبس عليك رثاثة الزّي والرَّسم، وتعسّر العوام، لأنَّ لهم في ذلك مقاصِدٌ ولحُسن ظنّك مراصد، لأنَّ صاحب حُسن الظن مُصيب، وإنْ أخطأ، وأشياء متعلّقة بذلك، وصفاتك ما يمكن نسطرها في هذا الكتاب، لأنَّ الكتاب كل يراه، وشاهدت قلوبنا مطلوب قلبك، فافهَمِ الإشارة، وتلقَّ السفارة، واستنشقِ العبارة، وأبشرْ بالبشارة، عبد الغني غني، والسَّاقي باقي، واعتمِدْ ما عناه هذا

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» .

الكتاب، لأنه ركن الطلاب، والمحب عبدالله باعطيّة، حقَّقَ الله له العطيّة، وخصّه بأعلى رُتبة في القُربيّة، ولم يزَل مِنّا على بال، أسمعنا الله فيكم بكلِّ خير، وصَرَفَ عَنّا وعنكم كل بؤس وضير، وهذا الكتاب جعلناه لكم عن طريق أخيكم علي، على حسب ما عرّفتوا وإنما حبّينا نعرض كتابكم هذا على سيدنا وشيخنا الخليفة جمال الدِّين محمد[1]، حتى يُسدِّد معايبه، ويجبر مثالبه، لأنَّ نحن محل التّقصير، وعاجزين عن رُتبة التشمير، وإبراز ما في الضمير، والتّحسن نفوده إليكم، وحُكمه إليكم، وهو بايصلكم، وإنْ أراد بقاه أو تغطيته، وأمرنا بيِّن، وهو سيِّد ونحن عبيده، والسلام، وسلموا لنا على أولادكم عمر ومحمد وعبدالرحمن والمحب باعطية مِنّا ومِنْ جميع الحبائب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

طالب دعواتكم وباذله بوبكر بن عبدالله العطاس ٢٠ الحجة ١٢٧٢هـ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ضمن مكاتبةٍ عظيمة أرسلها للسيد العلامة أحمد بن زيني دحلان[2] وهي:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة:٢٤] ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠] هُمُ الذين قذفَ الله في قلوبهم الخير العاجل والآجل، وسَبَقَتْ لهم من الله العناية الربَّانية فأقبلوا على تحصيل الفضائل، وأهملوا جانب الرعونات والرّذائل، وعُوِّضوا من ذلك حميد الأخلاق والشمائل، وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد مركز الدائرة الكامل، وعلى آله وأصحابه الأواخر والأوائل، وعلى سيدي الحبيب العارف بالله والدَّال عليه بحاله وأفعاله وأقواله الجامع للسِّر الأحمدي، والمقام المحمّدي، بواسطة طرق عديدة، وفوائد مفيدة، الفائز الحائز بما أُودِعَ من السِّر المصُون، والكنز المكنون المخزون، في صدفةِ من كان آخر

---

(١) يقصد الشيخ العلامة محمد بن عبدالله بن أحمد باسودان.

(٢) هو السيد العارف بالله أحمد زيني دحلان المكي الحَسَني (مُفتي الشافعية) بمكة المكرّمة والمولود بها سنة (١٢٣٢هـ)، وتربّى بوالده وحفظ القرآن الكريم، توفي بالمدينة المنوّرة على صاحبها أزكى الصلاة وأكمل التسليم، ليلة الأحد (٤) من شهر صفر سنة (١٣٠٤هـ)، ودُفِنَ بالبقيع.

اسمه ألف ونون، ولا زال في بحارها يعوم، ولبضاعتها يسوم، حتى خلُصَ مِنْ تلك السياسة، ما توصَّل بها إلى اصطياد أهل النّخوة والرِّياسة، حتى كان يُعامل أهل الغلظة والجلافة، باللِّين والرِّفق واللَّطَافَة، وسَارَتْ بذكر دعوته الرُّكبان، إلى كلِّ مكانٍ كان، حتى صَارَتْ عادته وديدنه، وليس مَنْ كانت هذه أنموذج مِن صفاته، وبعض آياته، إلا مَنْ قال في حقه تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] وهو سيدي أحمد بن زيني دحلان أمتعَ الله لنا بحياته آمين.

وَقَالَ في أُخرى مادحاً للسيد أحمد زيني دحلان: صفيُّ الدِّين والفائز بالنَّصيبِ الوافر، مِن إرث سيد المرسلين السيد الحَسَن ذي المقام المستحسَن، أحمد بن زين دحلان لا زال نفعُه متعدٍّ للقاصي والدَّان آمين اللهُمَّ آمين ، صدَرَتْ هذه الأحرف مِن جهة حضرموت بلد حريضة لطلب صالح الدُّعاء بما يعود عليَّ نفعُه في الدَّارَين معَ شُهُود العَظَمَة والتجلي التَّامِّ حين ينزل ربّنا إلى سَماءِ الدُّنيا: أي دُنُوّ رحمته على قلبِ كُلِّ عبدٍ يقظان، وزوايا صدره وقلبه ، طافحة بنُورِ الإيمان، ومِن هاهنا ظهَرَ التفاوت بين المعطين لا المعطي، مِن حيث القِسمة الأزليّة والهِبَاتِ الامتنانية، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ [الزُّخرُف:٣٢]، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ [الواقعة:٦٠]، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠]، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]، فشتَّان ما بين الفريقين، وبَون ما بين المقامين، كما يُعلم أَنَّ الواحد أقلّ مِنَ الإثنين لإنفاق هذا مِنَ الغيب، وهذا مِنَ الجيب، ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩]، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٤]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]. وبعد:

ياسيدي عثرنا على مكاتبتكم لولدنا سالم بن أحمد بن محسن العطاس، فتأمّلناها وتصفّحناها فهيّجني منها ما هيّجني، وأطربني ما أطربني، حيث ذكرتم الاستقامة ونُصرة الحق التي هي مِن شأنِ أهل الإيمان والإسلام الّذَينِ رَتَّبَ الله على وجودهما الخلودَ في دَارِ السلام،

وعلى فقدهما الخُلُود في دَارِ الانتقام، خلّصنا الله منها وجعلنا مِنَ الذين سبَقَتْ لهم منهُ الحُسنى، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا ...﴾ [الأنبياء:١٠٢] إلخ.

ومن ضمن مكاتبة أرسلها للحبيب عقيل بن عيدروس بن عقيل لَمَّا أخبره بأنه رتّب القراءة والمدرس بعد العشاء يقول فيها يُوصيه بذلك وبحِفْظِ الوقت: وذكرتم أنك رتّبت القراءة والمدرس بعد العشاء فيالها من مسرّة ومبرّة ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:٧٣]، وفضيلة العلم يا سيدي وحبيبي ما يُوازيها شي، ولا يُعادلها ولا يُماثلها شي، لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:١٨] و﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:٩] وفي الخبر: (مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يفقهه في الدِّين)[1]، **وعليكَ** بحفظ الوقت لأنه كالسيف إنْ لم تقطعه قطعك، وأشياء في الوقت يمكن قضائها الله الله في حفظ الوقت، وفي حفظه تحصل البركات، ويمتَدْ ويظهَرْ فيه أشياء عجيبة لا يحتمل هذا الكتاب شرحها، وفي الإشارة كفاية لمن فهمها، والله الله في الأولاد واحتفِظْ بِهِمْ ليكونوا لك قُرّة عين، والله الله في مطالعة الكتب خاصّة كتب سادتنا العلوية، لأنَّ فيها المشارب الهنيّة، وإنْ حصّلتم «الإحياء» وسبّرتم قراءة فيه فهو المطلوب.

... إلى أن قال: **وعليكَ** فيه بجزء المحبة والشوق، تحصل على الإكسير، وتعثر على الكنز الكبير، وقِدْ فيك البركة والخير الكثير، واشكر الله تعالى على ما أعطاك مِنْ محبّةِ الخير، وفعل الخير، الله يرزقك شكر النعمة التي أنعَمَ الله بها عليك لأنك إذا شكرت زادك، وزيادة الشكر على تلك النِّعمة تعُمُّ سائر النِّعَمِ الظاهرة والباطنة، لأنَّ جزاءنا مُقيَّدٌ، وجزاءه مُطلَقٌ، ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص:٣٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤] رزق حسي ومعنوي فالمعنوي كالعِلم والعقل والصبر، والحِسِّي ما ينفع ويحصل به التوصُّل إلى سعادة الأبَدِ، واللهَ اللهَ في حُسْنِ الظن بعبادِ الله، لأنَّ سرّ الله فيهِم خفي، اللهَ اللهَ، تتبّعهم لأنَّ زَوَايَا الأرض لا تَخْلُو منهم:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ولـــولاهمُ بَـــيْنَ الأَنَـــام لَدُكْـــدِكَـتْ   جِبَـــالٌ وَأَرْضٌ لارْتِكَـــابِ الخَطِيْئَـــةِ

وَجَاهِدْ تُشَاهِدْ، ومَنْ جَدَّ وَجَدَ، أَوْصَلَكَ الله إلى رِضَاه، وبلّغك مِنَ المقصود أعلاه آمين.

...إلى أن قال: ولعاد لنا فرحة بشيءٍ مِنَ الدُّنيا إلَّا إنْ كان فيما أَخْبَرْنَاكُمْ به وقِدْ علمه عندكم ولُقمة في بطن جائع، أو كسوة عريان، أو سَدُّ خُلَّة[1] لمسكين، وغير ذلك من وجوه البِر الموصلة إلى الله، وأمَّا غير ذلك فلا لنا رغبة فيه ولا عَشقة إِنْ مرادك مرادنا وحالك حالنا ومالك مالنا ونيّتك نيتنا في كل ما قصدنا من كل ما ذكرناه فذلك المقصود، وغاية المطلوب والوعد هناك في يوم لا يخلف الميعاد وحكمنا بانستلم ذلك وإنْ مُرادك شي ثاني فلا نقدر نتحمَّل حق الله وحق الناس الحيث نحن مستثقلين ذنوبنا حولوا بها لمن أردته الأوّله والثانية الخاطر طيِّب جم جم، عندنا الخير والكفاية، ونشكر الله الحيث أشياتنا قامَتْ بالله، ومَا قَلْ وكفَى خيرٌ مِمَّا كثُرَ وألْهَى، (ليكُنْ بلاغ أحدِكُم مِن الدُّنيا كزادِ الرَّاكِبِ)[2]، والدُّنيا آخر الزَّمَانْ خضِرَة خَطِرَة، معَ قِلِّ التَّوفيق، الله يُوفقنا لِمَا فيه رضاه آمين.

وَقَالَ له أيضاً: واللهَ اللهَ في المَثَارِ آخر الليل، والاعتبار والادِّكار، وتذكَّرْ مَنْ درَجَ مِنْ أسلافِكَ وأقرانِكَ، لِيَصْطَقِلَ قلبُكَ، ويكون محلاًّ للتّجليَّات في تلكَ الساعة، أوصَلكَ الله إلى رضاه وبلّغك مِنْ كُلِّ مقصودٍ أقصَاه والسلام. وكانت هذه المكاتبة في ٢٠ شعبان سنة ١٢٨٠هـ.



---

(١) أي قضاء حاجة.

(٢) قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان، لفظ الحاكم: (وقال: بلغة ومال مثل زاد الراكب)، وقال: صحيح الإسناد.

مِنْ أَقْوالِ وَوَصايا العارِفِ باللهِ مُحْسِنِ بن عَلَوِي بن سَقَّافٍ بن مُحَمَّدٍ السَقَّافِ الحُسَيني(١)

(١٢١١-١٢٩٠هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانَ السَّلَفُ يقولون مَنْ فَاتَهُ منهُمُ الكتاب، لم يَفُتْهُ المحراب، ومَنْ فَاتَهُ المِحْرَاب لم تَفُتْهُ الآدَاب.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم رحمك الله أَنَّهُ إذا عُرِفَ أحدٌ بالعِلمِ والولاية، والعِبَادَة والصلاح، والكرَمِ والزّهادة، أحبّه الناسُ واعتقدوه وتودّدوا إليه، وتردَّدوا عليه، ولَجَأُوا إليه في دفع ما يقع عليهِمْ، مِنَ الظلم مِنَ الأجناد وغيرهم، فيبذل ذلك الرجل الصالح جاهه، ويذبُّ عنهم بلسانه بحسب نفوذ جاهه، وقبول كلمته، ويرى ذلك فرضاً لازماً عليه، نُصرَةً للشرع وقياماً بحقِّ الإسلام والأُخوَّة، والصُّحبة والمودّة، وشُكراً لِمَا خوّله اللهُ وأنعَمَ به عليه مِنْ سِعَةِ الجاه، وقبول الكلمة، ولا يرى له مِنّة إذا قُبِلَتْ كلمتُه، ولا يأخذ على ذلك أجراً، بل يبذل ماله في ذلك، ويجتهد في دَفْعِ الظلم عن غيره أشد مِنَ الدّفع عن نفسه، فإنْ قُبِلَ كلامُه فذاك، وإلا وكَّلَ أمرَه إلى الله، ولم يُدافع بغير ذلك، فهذه سيرة الصالحين.

ثُمَّ إنه إذا مات ذلك الرجل الصالح، قامَ في مقامه إنسان مِنْ أولاده أو مِنْ غيرهم، ولم يسلك سبيل ذلك الرجل الصالح ولا طريقته، ولا أَخَذَ ما أَخَذَ فيه من العلمِ والزَّهادةِ والعبادةِ، وعدمِ الطمعِ في الناسِ والميل إليهم، بل ظهَرَتْ منه الرغبة فيهِمْ، والطمع في أيديهم، فأخَذَ الناس في الفرار منه، والنفرة عنه، فجَعَلَ يُطالبهم بما كانوا يتودّدون به إلى صاحبِ ذلك المقام الأوّل، بالتّردُّدِ عليه، كما كانوا يتردّدون هم وآباؤهم على ذلك الولي، ويرى في نفسه أنَّ ذلك حق لازم عليهم، وأنّهم مُقصِّرون في حقِّه، وهذه والله مصيبة وبليّةٌ عظيمة تدل على قِلّة دين مُدّعيها وعقله، وهل يكونُ جزاءُ إحسانهم وإحسان آبائهم إلى أبيهِ وجدّه، وتردّدُهم

---

(١) الملقَّبْ بـ(زعيم وادي الأحقاف) المولود بمدينة سيؤون سنة (١٢١١هـ) المتوفّى بها عشيَّة الأحد بعد أن توضأ لصلاة العصر في الخامس مِنْ شهر رمضان سنة (١٢٩٠هـ) ودُفِنَ بقُبَّة جدّه الحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف.

وتودّدهم إليه لصلاحه وولايته، سببَ استعبادهم واسترقاقهم وإذلالهم أبداً ما تناسلوا، فلعمري ما تصدُرُ هذه الأخلاق إلَّا مِنْ إنسان دَنَتْ هِمّتُه، وقلَّتْ مُروءتُه، ومَالَ طبعُه إلى غوغاء الناس وسَفَلَتِهم وأنذالهم، ولم تنظرْ نفسُه إلى مكَارِمِ الأخلاق.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بن مُحَمَّدٍ بن عَلَوِي المِحْضَارِ الحُسَيني[١]

(١٢١٧-١٣٠٤هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذمّه للدُّنيا: إنَّ الدُّنيا دار فُرقة ودار حُرقة وفَجعة ودار خروج وعروج، ومتاع وضياع، وأطماع وانقطاع، وشُكا وبُكى، وأسقام وحِمام، ودار أرواح تخرج مِنَ الأجساد، وترجع يوم المعاد، ودار زرع وهناك الحصاد، ودار جرجرة وزَرْزَرَة، ونَدَمٍ وهَمّ، واعتبار وانذار، ودار منون، ولا فيها سكون، ودار قبائح وفضائح، ومساوي وبلاوي، وسجن وحزَن، ودار انتقال وزوال، ودار نكَالٍ وآجال، تقصفها الآمال، ودار خطا يكشفها الغطا، ودار منَايَا، ورزَايَا، ودار شتَاتٍ، وآفَاتٍ، وفوَاتٍ وأموَاتٍ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الإنسان إذا تيسَّرَتْ دُنْيَاه ولَمْ يَتَصَدَّقْ، ولَمْ يُنْفِقْ منها في البِّر، كَانَ شَبِيهاً بالكَلْبِ السمين لا يُذبح ولا يُباع ولا يُنتفع به.

ولَـمَّا وقَفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا البيت مِنْ منظومة الشيخ سعيد الشوّاف[٢] المسمّاه «قصعةِ العَسَل» :

أَمَّـــا الـــشريف البـــذَّال   إذا تكـــــرَّمْ بالمـــــال

---

(١) المولود ببلدَةِ الرَّشيد مِنْ قُرى وادي دوعن الأيمن سنة (١٢١٧هـ) وحفظ القرآن الكريم في السابعة من عُمره وتوفي ليلة الخميس في (٧) من شهر صفر ظفر الخير بالقويرة سنة (١٣٠٤هـ).

(٢) هو الشيخ العارف بالله سعيد بن سالم الشوَّاف ولد ببلد هينن في أجواء عام (٩٢٥هـ)، فتح الله عليه بالفتح الربّاني وهو ناظم القصيدة الفريدة المشهورة عند أهل الله المسمّاه «شوارق الأنوار» المعروفة بـ «قصعة العسل» وهي تزيد على خمسة آلاف بيت وكل رويها على لفظ الجلالة ، استغاث فيها بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا وملائكته وكتبه ورسله وذكَرَ الكثير من العلماء ومؤلفاتهم والأولياء وكراماتهم والصُلحاء وأعمالهم. دفن بالمشقاص رحمه الله ونفعنا بعلومه وأسراره في الدارين.

فَــاقَ المـــشائخ الابـــدال هـــذاك مِـــنْ حِـــزبِ الله

فكَتَبَ الحبيب أحمد المحضار:

أَمَّـــا الـــشريف اللَّفلـــوف إذا بخـــل بالمـــصروف

وَقَـــالَ مانـــا مكلـــوف هـــذاك محـــبط والله

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيةٍ له: وقد شَحَّتِ الأَيَادِي وقَلَّتِ المُوَاسَاة، ولا صَدقةٌ ولاَ زَكَاةٌ، وهذه القطيعة يُبْسُ الطبيعة، والمُؤمِن لا يزَالُ خَائِفاً مِنَ الله رَاجِعاً إليه، ينفق مِمَّا آتاه الله، والعِلم انْدَرَسَ وانطمَسَ، ومَنْ شَافَ ضَوءَ ماقَبَس، وإدبار وتَخلِيطٌ وتَخبِيطٌ، وعدم احتفال بالأمر المُحِيطِ، وأقبلوا الناس على محَبَّةِ الدُّنيا بكُلِّ وجهةٍ وكل مَعنَى، واتَّبَعُوا أهوائهم، وأعرضوا عن مَولاهُمْ، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧].

ذَهَــبَ الرِّجَــالُ المُقْتَــدَى بِفعَــالِهِمْ بِــالبِرِّ والتَّقْــوَى وَزَجْــرِ المُجْــتَرِي

فترى بعض الرَّعيّة يعطي السَّلاطين والشياطين، ولا يَسخَى بلُقمَةٍ للمَسَاكِينْ، والأراذل أخذوا الرِّيَاسَة، وشاركوا أهل التَّعَاسَة، وفي آخر الزَّمَان يذهب الحَلاَل وتجي أموال مِنْ غير حِلّها، فيسلِّط الله بعضهم على بعض وتذهب لذّة حياتهم في عِيشةٍ مُنكَّدَة، والشَّريف إذا ما رَسَخَتْ أقدامه، في العِلمِ والعبادة فهو آية نُسِخَتْ، وصُورةٌ امتَسَخَتْ، ورُكنُهُ انسلخَتْ، فكيف يكون حاله في الآخرة في مقعده بين أهله وأسلافه، وقد حصل خلافه، قال الشيخ أحمد بن علوان قدس الله روحه: (من لم يَتَّبِعِ النَّبيَّ في سُنّته ويَدَّعِي أنّه مِنْ قرابته، انقطَعَ حبلُه ونسبتُه) رزقنا الله الاتِّبَاعَ، ولا قيَّدنا بالطِّبَاعِ، فطباعنا مثل السِّبَاعِ، ومثل الذئب إذا جَاعَ، فأخلاقنـا بهيميّـة، وطباعنـا ناريّـة، ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٨]، والحاصل أَنَّ الطبع يترتّبُ عليه الشَّرْ كُلّه، ويَميل منه الخير كُلّه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولله عبادٌ في أطرافِ البلاد، يتنزّهون عن السؤال، وتعرفهم الرِّجال، أطعمهم الزمان سوء المَذَاق، وضرّهم الإملاق، تسمع لبطونهم مِنَ الجُوع عَرْعَره، وتشوف ألوانهم مِنَ الطوى مُخْضَرَّه، وضعف البدان، واصفرار ألوان، من الشدائد والامتحان، وشدَّة الهَوَانِ، من الوقوف بالبيات، تجمّعوا في هذه الأوقات، مِنْ جميع الجهات، مقلدين اللغات، إنْ

قالوا لأحَدْ هَاتْ، أعطاهم نهفات، قدّرَ الله عليهم قَضَاه فأمضَاه، فنسأله تعالى لنا ولهم عطاه ورضاه، والفكرة تُوجِبُ العِبرة، وقد تزاحموا المساكين على الأبواب والمساجد، والانتباه على المياسير واجب، فمَنْ أجلا الله عن بَصَرِهِ الشُّبَهَ، عَرَفَ وانْتَبَهَ، ومَنْ ضعُفَتْ قُوَاه، واتَّبَعَ هَوَاه، وسَارَ معَ السائرين في سَيْرِهِ، ومَنَعَ الناس مِنْ خَيره، فقَدِ اسْتَحَقَّ العَطَبُ، وعداه الجَرَبُ، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [الهُمَزة:١-٥]. ،لابُدَّ ما يتمَزَّق، وجديده يتشعوَق، ولا تنفعه الفلوس، في اليَومِ العَبُوس، وأكثرها معَ النَّصَارَى والمجُوس، ما خُلِقْنَا إلَّا لعبادةِ المِلِكِ القُدُّوس، ومحَاسَبَة النُّفُوس، قبل الرُّمُوس، وإشباع الجائع وأمان الخائف ونُكسى اللبُوس، ونتلمَّح الأوقات وحالها المعكوس، خصوصاً عند تلاطُمِ هذه الأمواج، وعسر الخرَاج، فقد استلَّتِ الأرض، وحَصَلَ النَّقض، وتغيَّرَتِ المحَاسِنُ، وضَاقَتِ الأَمَاكِنُ، ونحنُ خير أُمّة، ونبينا نبيُّ الرَّحمَة، وشَرْعُنَا واحد، وإلهنا واحد، وديننا واحد، والآثار ظاهِرَة، والدُّنيا عَابِرَة، وقد أمَرَنا الله بالتزوُّدِ مِنْ هذه الدَّارْ، لِدَارِ الْقَرَارْ، معَ عِلْمِنا أنّا راحلين مِنْ هذه الدَّار، وكأنّه لا فَنَاء ولا موت، أو على غيرنا كُتِبَ الفَوتْ، وقد أبْطَرَنا الشَّبَع، حتى نسينا المُرتَجَع.

... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وانظروا إلى المساكين أَوْحَاش، ما لهم في الأرض معَاشْ، قد ملئوا الأزقَّة في كُلِّ مكَانْ رفقه، لا عليهم رقعة ولا لهم خرقه، ولا في يد واحد حِلقَه، وقد عمّكم الله لعطاياه، وفضَّلَكُمْ على براياه، قَدِّمُوا الذخائر لليوم الآخِرْ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج:٢٤-٢٥]،فإنَّ الصدقات تُطوِّلُ الأعمار، وتعمرُ الدِّيار، وتُرضي الجبَّارْ، والمؤمن في ظِلِّ صدَقَته يوم القيامَه، وله عند الله الكرامَه، أين التجَّار المذكورون، والكُرماء المشهورون، وأين العُلماء وأهل الخَوفْ، ذي يَملُونَ الجوفَ، ويردُّون الناس مِنَ النوف، فنعمة الله تسَعْ خلقه، ويأكلون رزقه، والحق حقّهم وحقه، يا بخت من بضاعته الحسنات، وشاتيه مُدندلَة في جميع الأوقات، معاد شفنا شاية مُدندلَة، ولا خبزة مُعجَّلَه، ولا تمرةً مُسهلَه، ولا خرقة مشملَه، ولا جفنةً للمأكلَه، انصرَفُوا الناس عن محلاَّتْ

الثواب، وفعلوا ما يُوجِبُ العقاب، فلا أحد يغترّ بالمُهله، أو يجعل الأشياء سهلَه، لابد ما تظهر السخرية، ويبان عدل الله في البريّة .

... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمساكين في كُلِّ مَكَانْ، عاندهم الزَّمَانْ، وجهز عليهم سلطان، أخرجهم مِنَ الأوطان، وقد كانوا في أرض يأكلون ثمَرَها، وعندهم علمها وخَبَرَها، فما معكم من الله أمان، يهديكم عارض الامتحان، ويُشتِّتْ شملكم في كل مكان، فقد أخرج الحرثان، أهل الأبقار والثيران، وأهل الأموال لا تُعَدُّ بحُسبانْ، ونخيل صنوان(١)، وغير صنوان(٢)، فرّقهم في البلدان، مع أولادهم والنسوان، انتشرَتْ عليهم وحشة الغُربه، وكل يوم يُصالُونْ كُرْبَه، انتزعَتْ عليهم تلك اللحوم، وتبدَّلَتْ منهم تلك الجُسُومْ، ديارهم صارَتْ مَهْجُورَة، بعد ما كانت مَعمُورَة، صاروا في حالةٍ شنعاء مدفوعين بالأبواب، ينامون على التراب، باعوا أوسَاهُمْ(٣)، ولا نفقَتْ أموَالُهُمْ، نعوذ بالله من تغيير النِّعَمِ، وحُلُول النِّقَمِ، ذلك بما عَصَوا، وعلى الشريعة اعْتَدَوا، خالفوا الله في أمْرِه، وما قَدَرُوا حَقَّ قَدْرِه، تعلَّموا في طُرُق الحِرَاثَه، وحَصَلَتْ في الدِّين رَثَاثَه، وصاروا مِنْ أبعد الناس في الدين، وأكثرهمْ مُفسدين، والشريعة علينا وعليهم مَحْتُومَة، وأعلامها مَعلُومَة، وكيف يطمعون في الرَّحْمَة، مع حُصُول هذه الذنوب، ويتوب الله على مَنْ يتوب، فارحمُوا مَنْ حالَ عليهِمْ القَضَاء، وقُولوا : يا الله رضى يا الله رضى، لا تلفحْ وجوهكم هذه النار، ولا تولُّون الأدبار، فإنَّ الله حَكَمٌ عدلْ، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ١٤﴾ [الطارق:١٣-١٤] ، أخاف أنْ يَضرِبَ عليكم زمَانَه، أو يحيق بكم امتحَانَه، ويحِقْ عليكم القَولُ، وتركبون كل جَولْ، وهذه شهور البركات، والحسنات قد أسعفت بالتجارة للأحياء والأموات، البُطُونُ جَائِعَةٌ، والأجساد عَارِيَةٌ، وإنَّ اللُّقَم تُنجي مِنَ النِّقَمِ،

---

(١) الصنوان: ذو الأصول أو الجذوع المجتمعة في منبتٍ واحد كالرَّمان والتِّين وبعض النخيل.

(٢) وغير الصنوان: ما كان على أصل أو جذع واحد كسائر الأشجار جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي أنَّ رسول الله ﷺ قال لعمر: (أما شعرت أنَّ عمَّ الرجل صنو أبيه) وقال البراء رضي الله عنه: الصنوان: هي النخلات في أصل واحد، وغير الصنوان: المتفرقات.

(٣) جمع وسل وهو ما يدخر لوقت الحاجة فيباع .

ويغفر الله بها الزَّلَلَ، ويقبل العَمَلَ، ويبلغ بها الأمَلَ، لِمَنْ سأل، وكم مِنْ مُخَدَّرَة تندُبُ، وعيونها تسكُبُ، لا تزهَدْ تطلُبْ، تشرب الكأس المَرِيرَة، ما تجِدْ لثوبها مَرِيرَة، يا بخت مَنْ عرف موضوعها، ويا ويل مَنْ عرفها وضيَّعها، ففي الخُدُور مَنْ لا يدور، وأَمَّا الذين يختلفون، ومِنْ مَا مَعَ النَّاس يختطفون، فلا يُقاسُون بأمثالِهِمْ، ولا تُقَاسُ أحوال المخدَّرِين على أحوالهم، ما يزال يُدعى داعيهم، وترعى في المحاشر مراعيهم، وربُّهُ دَارِي بِكَسْبِه، ونَهْبِه وَوَهْبِه، فالغرمات للحُريمَاتْ، ومَنْ لا يعرفِنْ الكُليماتِ، فقد ذاقوا في الدنيا الصَّبرَ، وصالُوا الأمر العَسِرِ، ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ [القمر:٣٨] ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ [القمر:٤٠]، فالحالُ ما أصعبَه، والزمانُ ما أتعبَه، انتشرَتْ في الأرض وحْشَة، وحَصَلَتْ للفقراء دهشَة، فمنهم مَنْ رَكِبَ نَعْشَه، ومنهم مَنْ يُصَالِي وحشَه، فهل مِنْ مُتاجِرٍ، يغبطهُ الأكابِرُ على المنابِرِ، في اليوم الآخِرِ، ينتبه مِنَ الغفلَةِ، ويستعِدُّ للنُّقْلَةِ، يطعَمُ الناس أكلَه، ويشِلْ معهم في الحتلَه.

... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: راحوا أهل الفَضْلِ، وذي يحصل منهم الجُعْلْ، ويبذلون البَذْلْ، ولا تلقى منهم فَسْلْ، هدمتهم صروف الأيام، وخلَّفوا نساء وأيتام، فما عاد نشوف إِلَّا مَنْزُوع الرَّحْمَة، ومَنْ لا يسخى بلُقمَه، ومَنْ شُوره للحُرمَة، يبخل على الجائع الناجع، وهو في التخَمِ، عسى الله يُسرِعْ في تغييرهِمْ، أو يهديهم لحُسن مصيرهِمْ، ولكنَّ الفريسة فريسة، ولا تغرا به الأمور النفيسه، ما يروق عنده جليسَه، وهو في كبيسةِ الكبيسة، فما انتظارهم في هذه الدنيا، وما اعتذارهم إذا وردوا دار البقيا، فعسى ماكسبوا مِنْ كَسِب، يرجَعْ للنّهِب، وترجع الدنيا إلى أربابها، ذي يعرفون أبوابها، ويعطون الأمور استحقاقها، وتأكل الفقراء منهم أرزاقها، فهل مِنْ مُستجيبٍ يُقدِّمُ له نصيب؟ أو يُطعِمُ غريباً، أو يصِلُ قريباً، ويعرفْ فضْلَ اللُّقَمِ، أنها أفضل مِنْ بناء الحرم، وأَنَّ اللُّقْمَة في بَطْنِ جَائِعٍ، أفضل مِنْ بِنَاءِ جَامِعٍ، فالمساكين لائذين، وبالأبواب واقفين، ومِنَ الرَّدِّ خائفين، وإِنَّ لهم دولة يوم القيامة، يُنادي مُنادي تخلَّلُوا هذا الجمع مِمَّنْ أطعمكم لُقمَة، أو سقاكم شربة، خذوا بيده وأدخلوه الجنة، وهذا الوعد مضمون، وقد تكفَّل به مَنْ يقول للشي كُنْ فيكون، سبحان ربك رب العزَّة عمَّا يصِفُون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ عن المرأة: المرأة سراج الدَّار ولا تخبرونها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: والمَدَدُ في المشهَدِ[1]، وصلاحِ المَقْصَدِ، وأَمَّا مَعَ سُوء الظَّنِّ، فلو كَانَ بِرُكبَتِهِ النَّبي محمَّد، قال سيِّدنا الشيخ بوبكر بن سالم في ورده: (اللَّهُمَّ افتح لنا باب حُسن الظَّنِّ فيكَ وفي خَلْقِكَ) ومِنْ عَادَةِ الذُّبَابِ ما يحط إلَّا على الجيفة، والمؤمن يطلب المعذِرَة، والمنافق يطلب العيوب، والشيخ بوبكر اختار لأولاده سَلامَةَ القلوبِ، والحمدُ للهِ على المزيدِ، وكمالِ التَّوحِيدِ، والمولى أظْهرَ حِكمَتَهُ في كُلِّ كائنةٍ، ودَلَّ أهلَ العُقولِ على ما أبْدَعَتْهُ المعَايَنَةُ، وحَصَلَ أنواع وطَبَائِعَ، وطَبِيعَتُنَا نُعالِجُ ونُصَارِعُ، وسُبْحَانَ مُودِعِ الأَسْرَارِ، في قُلوبِ آلِ المحضارِ، فتبَارَكَ اللهُ أحسَنُ الخَالِقِين وخيرُ الرَّازقين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ طَلَبَ العَلِيَّاتِ مِنْ هؤلاءِ السَّاداتِ، هَانَتْ عليهم المجَاهَدَات، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، شعر:

ما يعرف الشَّوقَ إلَّا مَنْ يُكابدهُ ولا الصَّبابةَ إلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

وقطرةٌ مِنْ شَرَابِ الحقيقة لو شربوها الخلق كلُّهم تكفيهم، فالسَّالِكُ يسلكُ مقام الإيمان، حتى يمنَّ اللهُ عليه بمقامِ الإحسان، والسَّالِكُ لا مقصدَ له إلَّا الله تعالى، ومَنْ تحقَّقَ بكلِمَةِ لا إله إلَّا الله، كانت له جَنَّة عَاجِلَة، يقول الله تعالى: (لا إله إلا الله حِصْنِي، فمَنْ قالها دَخَلَ حِصْنِي، ومَنْ دَخَلَ حِصْنِي أمِنَ مِنْ عَذَابِي) رواه الإمام علي العُرَيضي عن أبيه الإمام جعفر الصَّادِق عن أبيه الإمام محمد البَاقِر عن أبيه الإمام زين العابدين عن أبيهِ الإمام الحسين

---

(١) المعنى من كلام الإمام أحمد المحضار: (والمددُ في المشهدِ) أي بحسَبِ قُوَّة اعتقادك واتِّساع مَشهدِكَ وصِدق إخلاصك وتعلُّقِكَ ووَلَعِكَ تنال مَدَدك ومَطلُوبَكَ ويتحقَّق شُربُكَ ومَقصُودُكَ. فعلى المؤمن عندما يحضر الكثير من المشاهد والمناسبات الإسلامية والمجالس الدينية يحضر قلبه ويُحسِنْ ظنّه بكُلِّ مَنْ حَضَر حتى يخرج بالفائدة والنصيحة والخير والنُّور والهدى، وأمّا مَنْ يحضُر بِقصدِ الانتقادِ والرَّدِّ والمراءِ والجِدَالِ والاستخفافِ بالرِّجالِ فهذا لا ينتفعُ بشي ولا يحصِّل شيئاً بل لا يخرج مِنْ هذه المجالس إلاّ وقلبُه ملآنٌ حقدٌ وحَسَدٌ على إخوانِه، أعاذنا الله من ذلك. يقول الحبيب أحمد المحضار:

في مواكِبْ تَقَعْ فيها مِنَ اللهَ نَظْرَهْ موكِب الرَّبْ تفْويتُه في القَلْبِ حَسْرَهْ

هذا ما حاولت أن أقوم بتقريبِ العبارة وتوضيحها على حسب علمي وفهمي والله أعلم.

عن أبيهِ الإمام علي بن أبي طالب عَنْ جَدِّهِمْ الأعظَمِ محمَّدٍ ﷺ عن جبرئيلَ الأمينِ، عن ربِّ العالمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في المناهِلِ وأعْذَبِها: وأعذَبُ المَناهِل مناهلُ أهْلِ البيتِ، فهُمُ المصباح والزَّيت، ومَنِ انتقَلَ عنهم إلى الغير، أو رأى سَير غير ذلك السَّيرْ، فلا ترجى له خير، فعليهم التَّعويل، وهُمْ لنا خير جيل، وقليلهم كثير، وقصيرهم طويل، وبعض إخواننا حفظهم الله، عَكَفُوا على الجِيَف، وتخيَّلَوا في ذلك الشَّرَف، يطلبون فضَّةً وذهَب، والدّهر يَتعجَّبُ منهم كل العَجَب، لأنّ الحاكم الذي ما في حكمه اختلاف، جَعَلَ رزقهم الكَفَافَ، المحضار والعطاس مثل الكاف، فنظروا إلى العُمُومِ، وَقَالَوا بغينا فوق المعلوم، ومنهم مَنْ يكسَبُ، ومِنهم مَنْ يذهَبُ، ومنهم مَنْ يَزرَعُ، ومنهم مَنْ يَقلَعُ، ومنهم مَنْ يَسترفِدُ، ومنهم مَنْ يتعبَّدُ، ومنهم الواصِلُ والجَامِعُ، ومنهم القَاطِعُ، ومنهم الشَّبْعَانُ، ومنهم الجَائِعُ، ومنهم الشَّاعِقُ، ومنهم الرَّاقِعُ، وحَدْ مَائِلْ، وحَدْ عَادِلْ، وحَدْ عَاصِيْ، وحَدْ طَائِعْ، فعسى يَسمع مُستجِيبْ، ويحصل له نَصِيبْ، ويَعقِلْ ويَفهَمْ، ويَتعلَّمْ ويَعلَمْ، وينزع لباس جَهْلِهِ، ويَلْزَمْ المحراب مثل أهلِهِ، ويُفارق المعراك، ومجالس التنباك، ويَسمَعُ النَّاصِحَ، ويَعمَلُ عَمَلَ صَالِحٍ، قبل أنْ يطولَ عليه النّدَمُ، ويدخل في الهرَمِ، لا سلِمَ مِنَ العَطَب، ولا حَصَّلَ فضَّةً ولا ذَهَب، كما حمار الحَزَبْ، تتسَادَى له شُعَبْ، ينهق بغى تمر وَحَبْ، حتى هَبَّتْ عليه المَهَبْ، ولا فَرِحَ بالمنقلَب، مثل أبي لهَبْ، ماأغنى عنه ماله وما كَسَبْ، سَيَصلى ناراً ذات لهَبْ، وهذه الأودية كلّها بادية، وقد حُرِمنا بلدان سلفنا العالية، لا حِبَالَنا اتصلَتْ ولا طيِّباتنا تعجَّلَتْ، نقطع السّاعات في القَهوَاتْ وتَفُوتُ علينا الصَّلَواتْ والجماعَاتْ، ولا عَادْ هِمَمْ عُلْويّة، ولا مَنازِلْ عَلِيَّة، فعسى الله يَقُودنا إلى رِضَاه، ويجزل لنا عَطَاه، ولا يكشف غِطَاه، وأنا خائف مِنَ المكر، وأستغفر الله مِنَ الوَعْظِ والزّجر، لا أنا مَرْحُومْ، ولا نبي مَعصُومْ، إنَّما عَنَانْ الأقلام، تجيب لي هذا الكلام ، والسَّلاَمْ خِتَامْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأهل البيت الكبير يَشِلْ الصغير، والعَالِمْ يَحْمِلُ الجَاهِلَ، والذَّاكِرُ يَشِلْ الغَافِلَ، والغني يشِلْ الفقيرَ، وجاهُ بن سالم كبيرٌ، وعُمدتُنا الإسلامُ والصَّلاةُ والصِّيامُ والقيامُ،

والقُرآنُ فيه جَلاءُ الأحْزانِ، وعِبادةُ الحنَّانِ المنَّانِ، والنَّاجِي يأخُذُ بيَدِ أَخِيه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي نصيحته للسَّادة: والسَّادَة عليهم يحتَشِمُونْ، وبعد الصِّحَة لا يَسْقَمُونْ، وللخيرِ الكثيرِ لا يخترِمُونْ، وبسوءِ الظن لا يتوهّمُونْ، وبأنفسهِمْ لايُعجَبُونْ، وبالنَّسَبِ لا يَفْتَخِرُونْ، وللمُسلِمِين يَتَوَاضَعُونْ، وفي المجَالِسِ لا يَترفَّعُونْ، وبالقُرَشيَّةِ لا يَدَّعُونْ، وفي أنفسهِمْ لا يَتفكَّرُون، ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥] ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:١٢]، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] والحمد لله ربِّ العالمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا قام بنظم أسماء الله الحُسنى: وكَفَى بكلامِ الوَاحِدِ الأحَدِ، وحديثِ نبيِّهِ عَالي السَّنَدِ، وبكلامِ الصَّالحين البعيدِ عَنِ النَّقْدِ، المفيضِ بكلِّ مدَدٍ، ولولا أنّ حقيقةَ الإنسانِ سِرٌّ في القلْبِ يتفرَّعُ إلى الجَسَدِ، ولا يصلحُ لمن عاشَ بالدَّعَاوِي والمسَاوِي أنْ يتكلّم مع أَحدٍ، إنما ميراثُ الوالِدِ يصيبُ الولدَ، نَحنُ النَّخْلُ وهم الطَّلْعُ، ونَحنُ الماءُ وهمُ الزَّرْعُ، والمصباحُ يحتاجُ إلى زيتٍ، وكلامُنا هذا سراجٌ لأولادِنا في البيتِ، وكلُّ شجرةٍ لها غُصُونٌ، وتحتَ الغصونِ فُنُونٌ، فإذا حَضَرَهُمْ شيءٌ مِنْ هذا يحضرون، ويَسمعُون وينصِتُونْ، ويُقبلون، ويَعمَلُونْ، وعلى مَوائِدِ اللهِ يجتمِعُونْ، ومِنْ أنهارِهِ يَشرَبُونْ، ولا يَخوضُونْ، ولا يَلعبُونْ، ولا يَتحاسَدُونْ، ولا يتنَابَزُونْ، ولا يَتخاصَمُونْ، ولا يَتَسَابُّونْ، ولا يَتحَانَقُون، ولا يَتعَالَقُون، ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:٣٤] دينيّة نُوحيّة، إبراهيميّة، هُوديّة محمَّديّة، نَبويّه عَلَويَّة، خَالِصَة خَاصَّة، شريفة لطيفة، قديمة مَكنُونة مخزونة، روحَانيّة رحمَانيّة، مِنْ أولي الأرحَامْ الذين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٥] ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [آل عمران:٦٨] ومِمَّنْ وليهم الله ورسوله، شجرةٌ طيبةٌ أصلُها ثابتٌ وفروعُها في السَّماءِ، وحَرَّكَ في قُلُوبِ المحبين أصلُها، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨] فكَانُوا أحَقَّ بها

وأهلَها، نُورٌ يَتوقَّدُ، مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، وهو النُّورُ المحمَّدي الذي أُنْزِلَتْ عليه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في الاعتناء بالقرآن وقراءته على الوجه الأكمل: الحمدُ لله سِرّاً وجهرا، وأعظم الله لنا أجرا، لأنَّا أحيَّينا الدنيا وأمَتْنَا الأخرى، ورَدّينا البُرهان بُهتان، ولم نجعل للعلم قدراً، وأعجبتنا صور، ما تحتها خَبَرْ وقد أحطنا بها خبرا، وعرفنا أنَّهَا لاَشْ وبَلاَشْ وكان عاقبة أمرها خسرا، فاتقوا الله يا ساده وأديموا لله شكرا، على ما خصّكم واجتباكم وأنزلَ عليكم ذكرا، أنقذوا أنفسكم من ورطات الجهل ولا لكم مِنَ التّعلُّم عذرا، حتى يعود ليلكم فجرا، وتدخلون في دِينِ الله بحفظِ كتابِ الله وتجويده لأني ما عَادْ أرى أَحَدْ يقرأ ولا يُحْكِمْ سُورة ولا مُقرا، وقراءة الناس في هذا الزمان تحرقهم وتحرق أمواتهم والعارف ينكرها نكرا، والسبب المعالمة ما علَّموهم التجويد[(١)] وإخراج الحروف مِنْ مخارجها[(٢)] وإِنَّ في القُرآن إظهاراً[(٣)] وإدغاماً[(٤)] ومدّاً وقصرا، حَسفوا الصِّغار وخلّوهم كما جَلَبِ السَّوَاحِلِ لا يستطيعون

---

(١) علم التجويد: هو علم يُعرف به إعطاء كل حرف حقه مخرجاً وصفة. حُكمه: الوُجُوب الاصطلاحي في هذا الفن، لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزّمل:٤]، وموضوعه: الكلمات القرآنية. وغايته: صون اللسان عن الخطأ في كتاب الله تعالى. وثمرته: الفوز برضاء الله تعالى.

(٢) مخارج الحروف خمسة: الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم.

(٣) **الإظهار:** هو النُّطق بكل حرف مِنْ مخرجه بغير غُنَّة وذلك إذا وقع بعد النُّون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الحلق الستة وهي حروف الإظهار: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء. مثاله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة:٦٢]، ﴿أَنْعَمْتَ﴾ [النمل:١٩]، ويُسمّى إظهاراً حلقياً.

(٤) **الإدغام:** هو إدخال حرف ساكن بحرف متحرِّك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدوداً وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه، وحروفه ستة مجموعة بلفظ: (يرملون). وينقسم إلى قسمين: إدغام بغُنّة، وإدغام بلا غنّة. **الإدغام بغنّة:** يكون بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف (يُومن) مثاله: ﴿من يعمل﴾، ﴿صراطاً مستقيماً﴾، ولا يقع الإدغام إلاّ في كلمتين أمَّا إذا وقع في كلمة واحدة فهو إظهار شاذ مثاله: ﴿دنيا، صنوان، قنوانٌ﴾. أمَّا **الإدغام بلا غنّة:** يكون بعد النون الساكنة أو التنوين، لام أو راء، مثاله: ﴿من ربهم﴾، ﴿هدى للمتقين﴾. والغنّة: هي صوت يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه.

صَرفاً ولا نصرا، وأستغفر الله العظيم وأرجوه عافية وغفرا، وأن يُسبِلَ على عيوني سترا، ولا يؤاخذني إذا سَطّرتُ سَطْرًا، وصلى الله على محمدٍ الذي مَنْ صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا، وعلى آله.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحث على التمسك بحبلِ الله: تمَسّكُوا بِحَبْلِهِ الوثيق، يُفرِّجْ عنكم هذا الضِّيق، فإنَّ الذنوب ذلّتْكُمْ بعد العِزّة، والمَعَاصِي أوجَبَتْ هذه اللزّه، ومَنْ حَضَرَ مَحَاضِر الصَّالحين، ونَظَرَ أوجاه(١) المُفلحين، (هُمُ القوم لا يشقى بِهِمْ جليس)(٢)، ولا يَحُومُ حَولهُمْ إبليس، ومَنْ ضَاعَ عُمْرهُ في البَطَالَة، وهو في غَايَةِ الجَهَالَة، ويَسْمَعُ هذه الدلائل، فهو غافلٌ وجَاهِلٌ ومَائِلٌ، وهو في غيِّهِ سَابِحٌ، ولا يَسْتمِعُ لناصِحٍ، ولا حَضَرَ ختم «النَّصَائِحْ»(٣)، فهو رائحٌ غير رابحٍ، وفقنا اللهُ للعَمَلِ الصَّالِحِ، وسَتَرَ لنا جميعَ القبائحِ، وإنَّ انقضاءَ الأعمارِ في الغَفَلاتِ، فإليكَ ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [البقرة:١٦٧]، ومَنْ عَرَفَ الحقَّ ولا تبعَ، وحَضَرَ المَواعِظَ ولا سَمِعَ، فلا خَلاقَ لَهُمْ في الآخِرَةِ ولا يُكلمهم اللهُ ولا ينظرُ إليهم، والمُصيبةُ الجامعةُ الغفلةُ مع تحقُّقِ النُّقْلَةِ، وعدمِ المُهْلَةِ، ولا فَكَّرَ في العَوَاقِبِ، ولا أَسِفَ على فَوَاتِ المَراتِبِ، دبَّرَنا اللهُ بحُسْنِ تدبيرِه، وأدَامَ لنا العِلْمَ وأهلَه، وأعلا محلَّه، وبَسَطَ الأرْزاقَ، وفكَّ الوِثاقَ، وكفانا شرَّ الشِّقاقِ والنفاقِ، وسوءِ الأخلاقِ، وجعلَ هذه البلدةَ في نعمةِ اللهِ السَّابغةِ، فقد لزِمَتْهُم الحُجّةُ البالغةُ، ومساجدُهم ومدارسُهم فارغةٌ، وأسواقُهم نابغةٌ، وفَّقَ اللهُ الجميعَ لحِفظِ قواعِدِ الإسلامِ، ويَكفينا حديثُ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومَنْ سَبَقَتْ له الهداية في سَابِقِ العِلمِ القَدِيم، وفّقه اللهُ في هذه الحياةِ لفعلِ الخيراتِ، وتَرْكِ المنكراتِ، وحُبِّ المساكينِ، ومَنْ كَانَ مِنْ أهلِ الإيمانِ، إذا سَمِعَ الخِطَابَ، لا يَفوتُهُ الجوابُ، لأنَّ تعلُّقَ الدَّاءِ بالدَّوَاءِ، فاسْأَلْهُ الشِّفاءَ، فقَالَ: على شَرطِ الصَّبْرِ على شُرْبِ القَارِّ، فمَنْ ثَبَتَ شَكَرَ اللهُ مَسْعَاه، ومَنْ لم يَثْبُتْ فسَدَ عَليهِ ما ادّعَاه.

---

(١) من الوجه.

(٢) حديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هو كتاب «النصائح الدينية» للإمام عبد الله بن علوي الحدَّاد.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان بيتُ نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُوصٍ فقيل له: لو بَنيتَ بيتاً؟ فقال: هذا كثيرٌ لِمَنْ يموتُ، ونحنُ نشوفُ قُصُورَنا وتَقْصيرَنا لا لنا عَمَلٌ ولا قَولٌ ولا صِدْقٌ ولا نيةٌ، وإِنِ استمرَّ الحالُ وعِشْنا مع المُخَبِّطِينَ والمُخَلِّطِينَ والجُهَّالِ، وأهلِ الغواية والضَّلال، فما أَشْتَمَ هذا الحَال، مَعَاذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا اسْمُه، ولا مِنَ الإسلامِ إِلَّا رَسْمُه.

... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صَفَتِ الحياةُ لِكُلِّ غافلٍ وجَاهِلٍ، وتكدَّرَتْ على كُلِّ عَاقِلٍ وفَاضِلْ، وقد جاءَ مِنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ، بَوَارُ البضَاعَةِ، وصالُوا الأشرارُ على الأخيارِ، وهُتِكَتِ الأَسْتارُ، واستعلوا التُّجَّارُ، وطلبُوا الفَخَارَ، واللهُ يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ، ولا عَادْ مَنْ يَغْضَبُ للهِ، ويَسِلُّ سَيفَهُ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، والأراذِلُ صاروا إلى النَّخْوةِ، والباديةُ تبَسَّطُوا في أمورِ الدُّنيا، وصارُوا مُلوكاً وقهروا الحظَرَ بالغلَبَةِ، كَثُرَتْ أموالُهم، واتَّسَعَتْ آمالُهم، ورجَعُوا إلى تشييدِ المَبَاني، ولا يعرفونَ السَّبْعَ المثاني، وَاهِيَانَة الدِّينِ مِنْ قل الدُّوَلِ، وأمورٌ تُطْوَى ولا تُرْوَى.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأَقْبَحُ ما يكونُ الاشتغالُ بالمَعَاصِي والغفلَةِ بالدُّنيا، فهذا يكون سببَ سَلْبِ الإيمان، والسَّادَات والفقراء في هذه الجهات، اغترّوا بالجهل والتفَاخُرْ بجدودهِمْ بغير عِلمٍ ولا تَقْوَى ولا استقامةٍ، وغالبُهم يحتقرون الناسَ، وهم مُلَطَّخُونَ بالأدناسِ، أمورٌ شنيعةٌ، وأحوالٌ فضيعةٌ، وغفلَةٌ شامِلَةٌ، وعقولٌ ضالّةٌ، فَمَنْ عَاقبَهُ اللهُ بِسَبَبِ التقصيرِ، فإلى اللهِ المصيرُ، ومَنْ سَامَحَهُ فهو على كُلِّ شيءٍ قدير.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَصِفُ الكُسَالى عَنْ طاعةِ اللهِ وقراءةِ القرآنِ: يَعْبُرُ عليه الشَّهْرُ ما يختِمُ القُرآنَ، إنْ قَعَدَ في مَسجدٍ زعْلاَنْ، وإِنْ صَلَّى كَسْلاَنْ، بين شِعَابٍ فجاج، وباهَذا وبَاحَاجْ، وبلاد علاج، ولا فيها خَرَاجْ، أهلها في ضَلاَلْ، وحَسِفْ عِيَالْ، وطَلَبْ مُحَالْ، وابتلوا فيها بأموال، شي حَرَامْ وشي حَلاَلْ، وكان سَبَباً لِفَسَاد الأعمَالْ، وتَعطيل شَرَائِعْ، ودِينْ ضَائِعْ، ونساء ماقسمهنّ إِلَّا البُكاء والفَجَائِعْ، قَطَعَ الله القَاطِعْ، وهذا مذهبهم في جميع المواضِعْ، وفي هذا الشَّق ضَائِعْ، مِنْ عَقْبَةِ الخريبة إلى صَنعاء كلام واقِعْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ جاء إلى أرضنا افتضَحْ، وفي مرضاحها ارتضَحْ، يكون مَنْ كَانْ، ولو مِنَ الأركان، وكم شُفنا مفاضيح، تحتَ المراضيح، انقلَبَ بهِم المِجَنْ، ولحمهم بدمهِم اعتجَنْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: دوعن هو الوادي الرئيس، محل كل أنيس، وإنَّ فيه العدّة، وأُنس الوحدة، مِنَ الصعيد إلى الجانبِ الفريد، ووادي التمر الجويد، والحب الحصيد، وسيوله ما تُحصى بالتعديد، وإنَّ أهله إذا اغتربوا، رجعوا لَهُ وطلبوا، وصبروا وتهذّبُوا، وإِنْ تعبوا وعُذبوا، ويبذلون فيه ما كسبوا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في حقيقة الجهاد في سبيلِ الله: الحمد لله الذي هَدَانا لهذا، فجاءت بحَمدِاللهِ قُرَّةً للعيون، وسَلوةً للمَحزُونِ، حُلوَة المَذَاقِ، طيِّبة الأعرَاقِ، وتُنادِي في وادي الإشرَاقِ، البِدَارَ البِدَارَ، السِّباقَ السِّباقَ، ياطُلاَّب حضرة الخلاّق، فما كل وقت تُقام الأسوَاقُ، وقد أُخِذَ علينا الميثَاقُ، بتحمُّلِ المَشَاقِ، بالذَّبِّ عَنْ دِينِ صاحبِ البُرَاقِ، قبل الانمَحَاقِ، فقَدْ حَلَّ بِنَا ما لا يُطَاقُ، وبلَغَتْ النَّفسُ التَّرَاق، وسَالَتِ الدَّمُوع على الآمَاقِ، ونَزَحَ الفرنجِي بجزيرتنا وضَرَبَ عليها الرَّوَاقَ، وقيل مَنْ رَاقْ، ونَادَى المُنَادِي فلَم تجبْهُ الرِّفَاقُ، وأَسْمَعَ أهل الآفَاقْ، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢]، ما أحسَنَ هذا النِّداء، يا أهلَ الأذوَاق والإتفَاقِ، اركبوا مَتنَ حورَاء ماها صَدَاقٌ، إلَّا مِنَّة الرَّزَّاق، قال الله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء:٨٤] ويجعَل دَمَهُمْ مِهرَاقٌ، قال الله تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٤]، لقد دَارَ الكأس الدِّهَاقُ، وأَمْطَرَ السَّحَابُ الدِّفَاقُ، وبَرَزَتْ الدُّنيا مُثبِّطة أهل الأسوَاقِ، لابِسَة النِّطَاقَ، صَادَّةً عَنِ التَّلاَقِ، فوَقَعَ منهم الوِفَاقُ، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٦٦]، ويأخُذُ عليهم السِّبَاقَ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤]، القاتل مِنكُمْ سَعِيدٌ، ومَقتُولكُمْ شَهِيدٌ، تحمل إليه الطِّباق، يُبعَثُ مُتشحِّطاً في دمِهِ، تَفُوحُ مِنهُ رائحة المِسكِ، فطُوبى لأهل الاتِّسَاقِ، ﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح:٢٢]،

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح:٢٠]، غنيمة فيها إرفاقٌ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، ولفُّوا السَّاق بالسَّاق، قال الله تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة:١٩١]،فإنَّهم والله الفُسَّاقُ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]، يفتح لكم الأغلاق، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، لِقِلَّة الإرفاق، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد:٤] قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]، عِندَ الاتِّفاقِ، قال الله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران:١٢٧]، غارقين في بحرِ الإغراقِ، قال الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨]، أهلُ الإمْلاقِ، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦]، عَنِ اللِّحاقْ، قال الله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٤]، ونجعلهُ مِنْ أهلِ السِّباقِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، بالقُوَّةِ المانِحَة الإتِّساقِ، وهذا الجواب الموعُود به في الأوراقِ، حسبما ورَدَ مِنَ الفيضِ الإلهي بلا تَشدُّقٍ ولا تنطَّاقٍ، وقُلْ لِلْحُذَّاقِ: الوعدُ عِندَ الاتِّفاقِ، اللهُمَّ وفِّقنَا لِمَا تحبهُ وتَرضَاه يا أرحَمَ الرَّاحِمين، وصَلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآلِهِ وصحبِهِ وسَلَّم.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عيدَرُوسِ بن عُمَرَ بن عَيدَرُوسِ الحَبَشِي الحُسيني(١)

(١٢٣٧-١٣١٤هـ)

سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٧]، ما معنى كَرَم القرآن؟ فأجابَ: بأنَّ معنى كرم القُرآن هو كنايةٌ عن كثرة ما يُعطي مِنَ العُلُوم، فاستُعير له ذلك، والجامعُ كثرة العطاء.

وسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوله تعالى حكايةً عن نبيِّ الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١] كيفَ طلَبَ الصلاح وهو نبيٌّ والنبوة أعلى من الصلاح؟ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ مراتبَ الصلاح لا تنتهي، ولا تمنع النبوةُ الزِّيادةَ في الصلاح، فإنَّ أقلَّ الصلاح الإسلام، كما قالوا على حديث: (... أو ولدٌ صالحٌ يَدْعُو لَهُ) فسَّرُوه بالمسلم. وكُلَّما نَالَ العبدُ فضيلةً من الفضائل بعد الإسلام، أو رقى رتبةً، ازداد صلاحاً إلى ما لا منتهى له، فقد عُلم أنَّ الصلاح يعُم جميعَ الرُّتَب، فنقول: مؤمنٌ صالح، ووليٌّ صالح، ونبيٌّ صالح، ففي حديث المعراج، تقول الأنبياء في السموات لنبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام: (مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح....)(٢). وكان يقول على قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧] إنَّ ذلك ليسَ خاصّاً بالاستغناء بالمال، بل هذا الطغيان يجده الإنسان في نفسه عند كل كمالٍ يحصل له دُونَ غيره، حتى العَالِم، لا ينجو مِن إظهار هذا الطغيان إِلَّا مَن عصمه الله مِمَّن سَاسَ نفسه بالآدابِ الشرعيّة.

وكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: يجوز أن يكونَ الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧]، رَاجِعاً إِلَى الرِّزق، أي: عُبَّادُ الرِّزْقِ، على وزن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (تَعِس

(١) المولود بمدينة الغرفة يوم الجمعة في أول شهر محرَّم سنة (١٢٣٧هـ) والمتوفَّى والمدفون ببلدة (الغُرفة) ليلة الإثنين من شهر رجب الأصَب سنة (١٣١٤هـ).

(٢) رواه البخاري.

عَبْدُ الدِّيْنَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمْ)(١)، فإِنَّ كُلَّ ما اشتغل به الإنسان عن مولاه فهو عبدٌ لذلك المشتغَل به شاء أم أبَى، بل هو شيطانٌ بمقتضَى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزُّخرُف:٣٦]، وقد قال بعض أكابر السلف الصالح: ما شغلك عَنِ الله فهو عليكَ مشؤوم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العِلمُ إِنْ وقَعَ في القلبِ فهُوَ نُور، وإِنْ وقَعَ في النَّفْسِ فهُوَ نَارٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قوله ﷺ: (استفتِ قلبَكَ وإِنْ أفتوك وأفتوك)(٢): إِنَّ المرادَ بهذا القلب هو القلب المنوَّر المبرَّأ عَنِ الهوى والميل إلى ما يقتضيه الطَّبع، فليسَ كُلُّ قلبٍ يُستفتَى وتُقبَل فتواه فافْهَمْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد أبدَى بعضُهم على قوله ﷺ: (أنا وخِيارُ أُمّتي بُرآءُ مِنَ التَّكلُّف) معنًى حَسَناً، وهو أنه ﷺ وخيار أُمّته لا يأتون بالأعمالِ المرضيّة مِن فعلِ المعروف وترك المنكر مِنْ كُلِّ ما هو مِنْ واجبات الشَّرع ومندوباته فعلاً وتركاً، ويُباشرون ذلك على محبّةٍ ورغبَةٍ وميل، بل يكونون متلذِّذين بذلك، ليس عندهم تكلُّفٌ ولا مشَقّة ولا ثقلٌ لذلك الأمر والنَّهي، كما هو شأن مَنْ عداهم مِمَّنْ لم يبلغ مقامَهم ولم يتَّصف بوصفهم مِنْ عَامَّةِ المؤمنين.

وكانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول على قوله ﷺ: (إِنَّ أحدَكم ليعمل بِعَمَلِ أهل الجنة فيما يبدُو للناس وهو مِنْ أهلِ النار)(٣): قوله: (فيما يبدُو للناس) يدلُّ على أنَّ عملَ هذا الذي صار إلى ما صار إليه كانَ معلولاً بالآفاتِ الباطنة، وإنما ظاهرُه مِنْ أعمالِ أهل الجنَّة، وباطنُه ليسَ كذلك، وعِنْدَ الخاتمة ظهرَ واتَّضَحَ ما كان أبطنَه مِن خسيسِ قصده وسُوءِ عقيدته، نسألُ اللهَ العافية.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٠).

(٢) روى الدَّارمي وأحمد عن وابصة بن معبد الأسدي أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال له: (جئت تسأل عن البر والإثم؟ قال: قلت نعم، قال: فجمع أصابعه فضرب بها صدري، وقال: (استفت نفسك، استفت قلبك يا وابصة) ثلاثاً (البر ما اطمأنَّت إليه النَّفس واطمأنَّ إليه القلب، والإثم ما حَاكَ في النَّفس وترَدَّدَ في الصدر، وإنْ أفتاك الناس وأفتوك).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يفيدُ على ما ورَدَ: (إِنَّ خادِمَ القَومِ سيدُهم)(١): أنَّ السِّيادةَ والخدمةَ باعتبارين: فمِن حيثُ كونُه مُباشراً للخدمة يُقالُ له: خادِمٌ، ومِنْ حيثُ إِنَّ القَومَ قد صاروا محتاجين ومفتقرين إلى خدمته هو سيدُهم، فهذه الخدمة والسيادة شاملةٌ لِكُلِّ مَنِ احتاج إلى الآخر، فالمحتاج والمحتاج إليه كُلٌّ منهما سيِّدٌ مِن وجهٍ وخادمٌ مِن وجه. مثاله: المَلِكُ سيِّدٌ مِن حيث نفوذ حُكمه على الرَّعيّة، وخادمٌ مِن حيثُ سياستُه لهم ورعايتُه لهم وحفظُه لأنفسهم وأموالهم، ومنعُه مِن تعدِّي بعضهم على بعض، وقِس على ذلك.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ على قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (رجعنا مِنَ الجهادِ الأصغر) أيْ: جهاد الكُفَّار الظَّاهر (إلى الجهاد الأكبر)(٢) أي: جهاد النَّفس والهوى والشَّياطين، فإنَّ الجهادَ الظّاهر فرعٌ مِنْ فروع الجهاد الباطن؛ فلا يخرج للجهاد الظَّاهر إلاّ إنْ جاهَدَ نفسه وغلبها، وإلَّا فإنَّها تدعوه إلى اختيارِ الدَّعة والرُّعونة والبقاء في منازل المتخلِّفين وتُخوِّفه القتلَ والأسرَ ومكابدَة الغُربة ومشقَّة السَّفر وغيرَ ذلك مِمَّا يُضْعف عزمه وهِمَّته، فإمَّا غلبَتْه وإمَّا غلَبَها، فبَانَ أَنَّ الجهادَ الأكبرَ هو جهاد النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، فما جَاهَدَ الكُفَّار إلَّا بعد جهاد نفسه.

مِنْ سِيرَةِ وَأَقْوالِ العارِفِ باللهِ حامدِ بن أَحْمَدَ بن مُحَمَّدٍ المِحْضَارِ الحُسَيني(٣)

(١٢٥٠-١٣١٨هـ)

قرأ رَحِمَهُ اللهُ على الشيخ محمد(٤) بن عبد الله باسودان و أتقَنَ فنَّ الفقه عليه، ونبَغَ في عِلمِ الفَرَائِضِ، وصَارَ خليفة والده في حياته وبعد مماته. وكان له أخذ وانتفاع بمشايخ عصره بل

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ، وتكملة الحديث :(وساقيهم آخرهم شرباً).

(٢) رواه البيهقي.

(٣) المولود بالقويرة من قُرى وادي دوعن الأيمن سنة (١٢٥٠هـ) والمتوفّى والمدفون بها في (٣) مِنْ شهر جماد الأوّل سنة (١٣١٨هـ) وكان آخر كلامه مِنَ الدُّنيا تكريره لكلمة التَّشهُّد.

(٤) وُلِدَ الشيخ محمد باسودان بمدينة (الخريبة) من قُرى وادي دوعن الأيمن سنة (١٢٠٦هـ)، وتوفي بها في (٦) من شهر شوّال سنة (١٢٨١هـ) ودُفِنَ بجوار أبيه بالخريبة.

كان محط أنظارهم حتى أنه كان لانطوائه فيهِمْ و كثرة عطفهم عليه يتكلَّم في حضرتِهم بِكُلِّ صراحة، ومع ذلك كانَ مقبول اللَّهجة، قوي الحُجَّة، و كَانَ على جَانِبٍ مِنَ الفِرَاسَةِ، و صدق الحَدْسِ، وحُسنِ الرأي، ولَهُ باع طويل، في الإصلاح بين المتخاصمين مِنَ السادة و القبائل و غيرهم. و قد عبَّرَ مُؤلِّف كتاب «تاج الأعراس» ، في وصف نشاطه الإصلاحي بقوله: (إنَّ لَهُ مِنَ الإصلاحات والخَدَمَاتِ، ما هي أعظم مِنَ الكَرَامَاتِ، ولكنَّها تحتاج إلى مُجَلَّدَاتٍ).

وذكر السيد العلامة الحبيب أبو بكر بن علي المشهور في كتابه «لوامع النُّور» أنَّ جَدَّه الحبيب العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور كان مِنْ خواص أقرانه و أصدقائه الحبيب العلامة حامد بن أحمد المحضار. فقال: (كانت أَوَّلُ مراحل الأخوة و المودّة بين سيدي الجد علوي و الحبيب حامد في وادي دوعن حيث كانا معاً يتردَّدان على دروس الشيخ العلامة محمد بن عبد الله با سودان بالخريبة كما التقيا مرَّات بالقويرة لدى زيارة الجد علوي لوالده الحبيب أحمد بن محمد المحضار، و مِنْ بعد هذه المرحلة تكررت لقاءاتهما وقويت عرى الاتصال بينهما، و أثمر جناه في شكل تبادل الإجازات فيما بينهما و تكرَّرَت الزِّيارات فيما بينهما بتريم وسيئون و القويرة. وكان الحبيب حامد يأتي إلى هذه المدن المباركة وخُصُوصاً في حياة الحبيب علي بن محمد الحبشي و أقرانه وتنطلق لسانه بالدَّعوةِ إلى الله ويبتهج الناس لمذاكرته وحُسن أسلوبه.

و قد ذكر مؤلف «تاج الأعراس» حادثة طريفة في هذا المضمار، ومفادها: أنَّ الحبيب حامد المحضار حضَرَ في مدينة سيئون للمولد العام الذي يقوم به الحبيب علي بن محمد الحبشي آخر خميس في شهر ربيع الأوَّل مِنْ كُلِّ سنة وصادف أن قام الحبيب أحمد بن حسن العطاس وذكّر الحاضرين وندبهم إلى سيرة السلف ثم قام الحبيب علي بن محمد الحبشي فأشبع الفصل في شمائل المتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم و تعَرَّضَ لذكر المذموم من الدنيا بما تَعَرَّضَ له قبله الحبيب أحمد بن حسن العطاس و تناول حديث دخول الفقراء إلى الجنة قبل الأغنياء بخمسمئة عام إلى غير ذلك و اشتدّ التأثير بالحاضرين فأوغلوا في البكاء و النحيب وتغلّب عليهم جانب الخوف على الرَّجاء، وجاءت نوبة الوعظ عند الحبيب حامد فحينما قام وقع نظره على السيد الثري شيخ بن عبد الرحمن الكاف وكان مِنَ الموفّقين لأعمال الخير والبر فقال له الحبيب حامد على سبيل

المداعبة: قد سمعتم يا عم شيخ ما قاله الوُعَّاظ : إنَّ الفقراء يدخلون الجَنَّة قبل الأغنياء بخمسمئة عام، فإنْ أحببتم يا أهل المال إنْ نحن نسير سوياً فاعرفوا المعروف مِنَ الآن وإلاّ سوف نتركَكُم في أثناء الطريق ولا نُبالي فكأنه بذلك خفَّفَ على الحاضرين ثُمَّ وَاجَهَ الجمع وَقَالَ: وأنتم يا إخواني لا تُصدِّقون كُلَّما قاله أحمد بن حسن وعلي حبشي، مِنْ جهة أمر الدُّنيا، هذا علي حبشي معه سبعة آبار مِنَ النَّخل في سيئون ولا يزال يشتري، وأحمد بن حسن لَمْ يكتفِ بما معه مِنَ الحرث في الذَّات بلده حريضة بل يشتري مِمَّا حواليها، فضحك الحاضرون وسرَّى عنهم ما كان بِهِمْ مِنَ الخوف، واعتدَلَ الحَالُ بعد ذلك المقَالِ). و في روايةٍ أنَّ الحبيب علي بن محمد الحبشي قامَ مرَّةً ثانية مُعقِّباً على كلمة الحبيب حامد وقال: (كلمتين مِنْ حامد المحضار غَطَّتْ في معَانيها المذَاكرات التي قيلت في هذا المجلس).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا با تحُوك حُكْ شياذر لا تحُوك مَحَاسِر.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تفسح في ذي تعرفه، ولا تتعرَّف على ذي ما تعرفه.

مِن وَصَايَا العارِفِ باللهِ عُمَرَ بن أَحْمَدَ بن عُمَرَ الجِيلانِي الحَسَنِي[1]

(١٢٣٩-١٣٢٩هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيّته: وصيَّتي لك أن تكونَ بمولاك مُكتَفِياً وواثِقاً ومُتعلِّقاً، وبمكارمِ الأخلاق مُتخلِّقاً، وللدنيا مُطلِّقاً، ومِنْ رِقّها مُعتقاً، ولأبواب الشهوات مُغلقاً، وللحقِّ مُوافِقاً، وللصدق مُرافقاً، وعلى بابِ الله واقِفاً، ولهوَى النفس مُخالِفاً، ولأوامرِ الله مُمتثِلاً، وعلى طاعته مُقبِلاً، ولِكُلِّ ما يشغلك عنه مُجانِباً، ولِمَنْ يدلّك عليه طالِباً، ولمعاصيهِ مُباعِداً، وللمُقبلين عليه مُعاوناً ومُساعِداً، ولحُرُماته وشعائر دينه مُعظِّماً، ولأوليائه المشغوفين بمحبّته المشغولين بخدمتها خادِماً، ولنعمائه شاكراً، وعندَ بلائه صابِراً، ولقضائه راضياً، ولأحكامه مُسلِّماً، ومعَ الحق دائِراً، وإليهِ صائِراً، ودُمْ على تلاوةِ كتابِ الله، وثابِرْ على ذكرِ الله، وقُمْ إذا هَجَعَ الأنام بين

(١) وُلِدَ في حوطة السادة آل الجيلاني (براورة) بريدة الدّيِّن بحضرموت سنة (١٢٣٩هـ)، وتوفّي ودُفِنَ ببلدةِ الخريبة سنة (١٣٢٩هـ).

يدي الله، وأَحسِن المحافظة على الصلوات الخمس، التي هيَ مِنَ الدِّين بمنزلةِ العِماد والرأس، وأشعِرْ قلبك في كل حال على إطلاع مولاك عليك، وإحاطَة علمه بك، وكُنْ مُراقِباً له تعالى معَ اللحظَات والأنفاس، وكُنْ معَ الخير وأهله، وأطلِعِ اللهَ مِنْ قلبِكْ على مَحبّةِ الحق، ومحبّة القيام به، وأصلِحْ نيّتك فيما بينك وبينه سبحانه يكفِك فيما بينَكَ وبين خلقه، وخُذْ مِنْ نفسِك لربك، ومِنْ دُنياكَ لآخرتِكَ، وقَدِّرْ نُزُول الموت بك في كُلِّ وقت، وتَزوَّد لمعَادِكَ فإنَّ خيرَ الزَّاد التّقوى، ونَقِّ قلبك مِنْ كُلِّ خُلُقٍ مذموم، واضمِرْ الخير لجميع المسلمين، واصبِرْ على أذى مَنْ آذاك، ولا تَجْفُ مَنْ جَفَاكَ، وعَامِلِ المسلمين بالذي تُحب أن يُعاملوكَ به.

مِنْ أَقْوَالِ وَمُذَاكَراتِ العارِفِ باللهِ عليٍّ بن مُحَمَّدٍ بن حُسَينٍ الحَبَشِي الحُسَيني(١)

(١٢٥٩-١٣٣٣هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ما شي أحلَى ولا ألَذ مِنَ القُرآن، ثُمَّ تلا قوله تعالى مِنْ سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ...﴾ [الفرقان:٦٤] إلى آخر السورة، ثُمَّ قال: ما شي أجمع مِنَ القُرآن، إذا قَصَّ قَصَصاً طَرَحَ بينهن موعظة عظيمة، شُفِ المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَـمَّا قال في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] ما قال: لَغَوْا، بل قال: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢]، ما سمعوا ولا تكلّموا ولا فرحوا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بشّرنا في مخاطبته لنا في سورة الانفطار بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦]، أَلْهَمنا الجوابَ في السؤال لنقول له: كَرَمُكَ يارب. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦] يعني: قل لي: كرَمَك، لو أرادَ إرهابك لقَالَ: بربك القهّار، وإلّا بربّك الجبّار، وإلّا بربك المنتقم، لارتَهبت ولعاد قدرت تِجُوّب عليه.

(١) المولود ببلدة قَسَم الشهيرة يوم الجمعة في (٢٤) مِنْ شهر شوّال سنة (١٢٥٩هـ)، وبعدها انتقَلَ إلى مدينة سيؤون واستقرَّ بها، فأسَّسَ (رباطه العلمي) بسيؤون، وتوفى ودُفِنَ بها في الـ(٢٠) مِنْ شهر ربيع الثاني سنة (١٣٣٣هـ).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد سماعه للقارئ يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات:٣٩-٤٢]: فهي دائرة فضل ودائرة عدل، أهل دائرة العدل أهل العَمَل يُجازَوْن على قدر أعمالهم، وأهل دائرة الفضل هُمْ المخلَصون مِنْ عبادِ الله، جعلني الله وإيّاكم وأولادنا ومَنْ تعلّق بنا مِن عباده المخلصين، الله يدخلني وإيّاكم دائرة الفضل، فإذا أدخلَكَ الله يا الإنسان دائرة فضله معاد با تنتظر جزاء على الأعمال، با يقع إلاَّ عطاء ما ينقطع كما في قوله تعالى في سورة فُصِّلَتْ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فُصِّلَت:٣٥]، يعني أهل العمل أهل دائرة العدل ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصِّلَت:٣٥] أهل دائرة الفضل، الله يدخلني وإيّاكم وأولادنا وإخواننا وأصحابنا دائرة الفضل، ويجعلنا مِنْ أصحابِ الحظِّ العظيم، ويُوصلنا بالنبي الكريم والصراط المستقيم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الله تعالى لحبيبه محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]. ما قال: حَسَنٍ، والعَظَمَة طرفُها وسيع وتشمُلُ الحَسَن وغيرَه، وأمَّا هو صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَن)، كما جاء عند أحمد والتّرمذي والدّارمي. ما قال: عظيم؛ لأنَّ العَظَمَةَ حقّهُ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر الآية ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] من سورةِ البَلَدِ أي: الطريقين، طريق الخير وطريق الشَّر، ثُمَّ قال على قولِ الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١١-١٣]، وأوّل ما يجب على الإنسان فكّ رقبته مِنَ المعاصي والذنوب التي با توقعه في سَخَطِ الله وسَخَط رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يسعى في عِتْقِهَا بكثرةِ الأعمال الصالحة وكثرة الاستغفار وكثرة الرجوع إلى الله والتوبة الخالصة والإقلاع عن الذنوب وعدم الإصرار على المعصية.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلوم ثلاثة: علم يُدرِكُه الفَهم، وعلم يُدركُه الذَّوق، وعلم لا يُدركُه فَهم ولا ذوق، بل هو إلقاءٌ مِنَ الحق جلَّ وعلا، فالعلم الذي يُدركه الفَهم هو العلم الظاهر هذا، والعلم الذي يُدركُه الذَّوق هو علم العارفينَ بالله، والعلم الذي لا يُدركُه الفَهم ولا

الذَّوق هو الإلقاء مِنَ الحضرة العَليَّة على العبد كما قال الله لحبيبه محمد ﷺ في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٩].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الأربعاء ٢٤ جمادى الأوّل سنة ١٣١٨هـ ببيته: أين ثمرة المذاكرة؟ أينَ الأعمال الصالحة؟ أينَ التالين لكتابِ الله؟، شُو العلم إِلَّا الذي يسكن القلوب، ما هو الذي يسكن الجوارح، إذا سمعوا المذاكرة مُدّة ماهُمْ في المجلس كل واحد منهم يقول في نفسه با أعمَل خيراً، وتُحدِّثهُ نفسه بالمبادرة إلى فعلِ الخير، وإذا خرَج قد الجماعة قاعدين له كما وصَفَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد:١٦] نحنُ بغينا ثمرة العِلم تظهَر فينا، إذا سمِعَ الواحد مِنَّا مُذاكرةً بفضيلةٍ يُبادرُ بالعمَلِ بها، وإذا سَمِعَ بنهي يُبادر بالتّركِ له، وشُو ثمرة العلم إِلَّا العَمَل، وسبب فترتنا عنِ الأعمال الصالحة كُلّه حب الدنيا والهوى، شُو الهوى ما هو زين خصُوصاً فينا يا أهل البيت.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإيمان ضعُف إذا نزلَتْ بالإنسان حاجة ما أسرع ما يقول مَنْ بايقضي حاجتي؟ مَن با يعطينا؟ باتشكي حالك على واحد مثلك، إذا قد ولا بُدّ مِنَ الشكوى أشكِ إلى مَنْ هو قريب منك وهو المعطي وهو المعز وهو المانع، قال أبوي عبدالله حدَّاد: (فكرك واختيارك دعهما وراك).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الأربعاء ٢٨ شوّال سنة ١٣٢٢هـ مُخاطباً لطلبة العلم بعد أن جمعهم وضيّفهم: شُو نحنُ دائماً با ندعي لكم، وبانفَرّحْكُم إذا بقيتوا على عشقتكم هذه في الطلَب، شمِّرُوا باركَ الله فيكم في طلَبِ العِلم، واجتهدوا، وشو سلفكم واصلوا الليالي والأيَّام في الطلَب، ولا حد يقول : خاف ما با أفهَمْ شيئاً، شو مَنْ جَدَّ وجَد، وإذا عَلِمَ الله صِدقك في الطلَب رزقَكَ الفَهم، والعطاء الإلهي ما هو مُقيَّدْ بكبيرٍ ولا بصغير، ابذلوا وسعكم في الطلَب، ولا زموه ولا زموا الأدَب في حضرةِ الشيخ، شُو الأدَب الدَّقيق، والعِلم إِلَّا مِلح، والعِلم إِلَّا بركة وكل واحد منكم يحمل دواه وسفينة، طالب العلم إذا ما معه دواه ولا سفينة ما هو طالب علم، إذا عرفت المسألة قيِّدها رُبّما تغيب عنك فتحتاج لها تجدها مُدوّنة في سفينتك ، ولا أحد

يقول قدنا كبير خاف ما با أفهَمْ شيئاً، شُو السِّر في الجِد، مَن جَدَّ واجتهَد، وواصلَ الليالي والأيَّام في طلبِ العِلم أدركه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تخلّقوا بأخلاق أبيكم علي كَرَّمَ ٱللَّهُ وَجْهَهُ، لا تأنفون إنْ حَدْ قال لك: ياالفاعل قُلْ له : سَوَى كلامَكْ، وإنْ حَدْ قال لك : ما أنتَ سيِّد قل له : سوى كلامك، لأنَّ السيد مَنْ شرُفَ على قومه بالعلم ونحوه، وأين الشرف وأين الفضل مَوِّتُوا أنفسكم شُفْ موت النفس يجمعك يا الإنسان على خيرٍ كبير.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ارغبوا في هذه المطالب واطلبوها مِنَ الله ومَنْ صدَقَ في طلب ربه ناله، ومَنْ صَدَق في طلب نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ناله، ومَنْ صَدَق في طلب مقام من قبله وأخلاقه ناله، والعطاء الإلهي ما هو مُقيَّد بوقت ولا شخص، لا تحصى مواهبه، ولا تنفد عجائبه، ولا تُحصَرُ له مِنَنٌ، ولا تختص بزمنٍ دُون زمَن، اصدقُوا في الطلَبِ وإنْ لم ينفتح لك الباب اليوم هو ينفتح لك غُدوه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُخاطباً ابنته خديجه: علِّمي بناتك القُرآن شي ما شي دواء للقلوب مثل القرآن، كل حرف مكسي نُور، ويملي أُذن القاري والسامع.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الأربعاء ٨ القعدة سنة ١٣٢٣هـ ببيت الشيخ عمر بن محمد بارَجَاء بعد أن ذُكِرَ له مَنْ يتولّى الخطبة يوم الجمعة: الخطبة بغت واحد عَالِمْ، خاشع حاضر، كان الشيخ محمد الخطيب عَالِمْ عامِلْ، ما يلحن في قراءته أبداً، وكان يحب الفقراء والمساكين، ويقضي حاجاتهم، وكان له تعلُّق كبير بأهلِ البيت ومحبّة أكيدة، وكان له أخ في جاوه اسمه عبدالقادر وكان يتواصله بالإرسال وهو يستمد منها ويُمِدْ غيره حتى تعلّقت هِمّته لملاقاة أخيه وتوجّه إلى مكة وكان آخر خطبة خطبها يوم عيد الفطر فبكى فيها بُكاءً شديداً ما بكى مثله في خُطَبِهِ كُلّها فعرفنا أنه آخر وداع من حضرموت وتوجّه حتى وصَلَ جدّه فتوفّاه الله إلى رحمته قبل أن يلقى أخاه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه وأسكنه بحبوح جنّته، وكان هو في ذلك الوقت أوسع أهل سيؤن في عِلمِ النحو نحو الأوّلين، ولا عنده سعة في علم العربية، إنما سواده قوي جم، الكتاب المعقّدة عباراته الذي لا يمر فيه إلَّا الذكي، هاته له يقرأه ولا يلحَنْ في كلِمَةٍ واحدة، ما رأيت أحداً

أقوى سواداً من هذاك الشيخ، فولده محمد وأحمد بن عبدالله ما جاتهم قُوّة السَّواد إِلَّا مِنْ جهته، وقد سمعتُ بقراءته كتباً عديدة وكُنتُ أقرأ عليه في علم النحو فهو شيخي قرأتُ عليه «المتمِّمة» ولَمَّا رجعتُ مِنْ مكة فتحتُ المدرَس في علم النحو وحضَرَ تقريري فيه، فقال ياسيدي علي: إيش هذا النحو الجديد، ما هو الذي كُنَّا نعلمكم إيَّاه وكانَ الشيخ مُنصِفاً، فلمّا أعجبه تقريري في علم النحو طلَبَ مني أن يقرأ علي، فقرأ علي «حاشية الجمل على الهمزيّة» .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أَضَرَّ على النُّفُوسِ مثل مجالسةِ أهلِ الفُلُوس، ولا أنفعَ للجَنَانِ مثل مجالسة الزِّيَانِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الاثنين فاتحة محرَّم سنة ١٣٢٦هـ بمسجده الرياض، بعد قراءة الحديث وسورة الرحمن والإنشاد: السُنّة المطهرة دعتنا إلى ما دعتنا إليه، والكتاب العزيز دعانا إلى ما دعانا إليه، وكل واحد منهما يدعونا إلى فتح باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمَنْ أجابَ داعيهما وامتثل الأمر واجتنب النهي يافوزه با يربح ربحاً أبَديّاً في الدنيا والآخرة، ومَنْ لا أجَابْ الدَّاعي وبقيَ في المخالفة، مخالفته باترجع إليه، شو أهل المخالفة ما جابوا لأنفسهم خير، وإذا ما أجبنا داعي الله، وداعي رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واستنصحناهم عاد نحن با نجيب داعي مَنْ؟ با نجيب داعي هَوَانا، وداعي أنفسنا، أو داعي الشيطان، لا أحد ينظر أَنَّ نفسه با تأمره بالخير قط، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣] .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المجتهد في العَمَلِ، والمجتهد في الطلَبِ، مُستمِدّاً مِنْ اسمه القوي، مِنْ (ياقوي يامتين) ، اطلبوا مِنَ الله القوّة على طاعته، اللَّهُمَّ إنِّي ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي، وإيش قُوّة حبيبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ليلة الإسراء وعلى مُشاهدة الملائكة وعلى مُشاهدة صور شتّى، فالبشريّة ما تطيقه ولكنَّ الله أمَدّه وقوّاه، وجبريل لَمَّا وصَلَ حدّه قال له الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أقدُمْ، قال: لو قَدَمَ قَدَمي طرح بنان لاحترقتُ مِنَ النُّور، وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَاوَزَ الحُجُبَ، ماحد مثل حبيبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حَدْ عَرَفَ حبيبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ربي لي[1] خلقه.

---

(١) لي : كلمة دارجة بمعنى الذي.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا الجَاهِلُ أقبَلَ على العَالِم وتعلَّم منه، ولا العَالِمُ تخبَّر على الجَاهِل وسارَ إلى عنده، وتكلَّفَ المشقّة في تعليمه، وبلَّغَ الدعوة إلى الله نائباً عن حبيبهِ ونبيِّه محمد ﷺ وأعطى الأشياء حقَّها، وخرجَ من العهدة، شو حبيبكم محمد ﷺ وراه يجهل حال الكفار والا أنهم ما بايطيعونه حاشا الله أنه عالِمٍ بمَنْ با يطيعه، ومَنْ بايخالفه ولكنه أعطى الأشياء حقّها، دعاهم أوّلاً بلسانه، ثُمَّ بسنانه جاهدهم، وهدَى الله بهِ مَنْ هَدَى، وأَضَلَّ بهِ مَنْ أضل، ولكنَّه ما تَرَكَ الدَّعوة إلى الله، وإنْ كان قده عَالِمٍ بالحَال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا نظَرْنا وأَمْعَنَّا النَّظَر إلى ما نَحْنُ فيه مِنَ الكَسَلِ والضعف، وعدَم تشميرنا إلى الأعمالِ الصالحة، ووقوفنا مع الشهوات والفانيات، وعُكُوفنا عليها ونَظَرنا وأَمْعَنَّا النَّظَر إلى مَنْ قبلنا وَمَا هُمْ عليه مِنَ العلومِ والأعمال الصالحة والأخلاق حصّلنا فرق كبير، والمباينة حاصلة، لا الخُطَا كَمَا الخُطَا، ولا الأمَل كما الأمَل، ولا العِلم كما العِلم، ولا العَمَل كما العَمَل، ورا لي قالوه السَّلَف الصالح في كتبهم كذب حاشا الله، التّقصير إلَّا عندنا ومعَ ذلك كل واحد معه دعوى كبيرة، يَدَّعي إنه مِنَ العُلماء، ويَدَّعِي إنَّهُ مِنَ الصالحين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المتأخرين خُطَاهم قصيرة، وآمالهم قصيرة، وهِمَمهم كلّها سفلية، كُلُّ يشتهي يا ليت لي دار كبيرة، يا ليت لي مال كثير، يا ليت لي عيال، إيش فائدتك مِنَ الدَّار الكبيرة؟ ، وإلَّا مِنَ المال والا مِنَ العيال ؟ ، ليه ما تطلب المطلَبِ العَالِي الذي معَ الرِّجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرِ الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يتأتّى العمل إلَّا بالعِلم، ولا يتأتّى العِلم إلَّا بالتعلُّم، ولا يتأتّى التّعلُّم إلَّا بالطلَب، فمن أين بايجي العِلم بلا طلَب؟، ومِنْ أين بايجي العَمَل بلا عِلم؟، والعِلم يهتفُ بالعَمَل، فإنْ أجابه وإلَّا ارتَحَل، الله يُكثِّر العُلماء والمتعلِّمين، ويطلق أَلْسِنَة الدُّعاة بالدعوة، ويفتح الآذان الصُم لقبولها، الله يُحيي مِنَ الدِّين ما مَات، ويحفظنا مِنَ البليَّات، ويُوفقنا لِمَا يرضي الله في هذه الحياة وبعد المَمَات.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الجمعة ٢٦ من محرَّم سنة ١٣٢٦هـ بمسجده الرياض في أثناء مذاكرته: ما تعسَّر على العبد مطلَبْ طلبه مِنْ ربه، وسِّعُوا مشاهدكم في ربِّكم، ووجِّهُوا المقصَدَ

إليه، واخلصُوا في الطلَبِ، واعرفوا حقَّ المنعِمِ، شُو نحنُ غارقين في نِعَمِ الله، لو با يعد الإنسان نِعَم الله عليه ما با يقدر يحصيها، كُنَّا يا معشر الحاضرين عَدَم محض مالنا وُجُود أبداً، تعلَّقَتِ القُدرة الإلهيّة بخلقنا، حتى خلقك يا الإنسان مِنْ نُطفةٍ مذرة، ثُمَّ ركَّبَك مِنْ لحمٍ ودَمٍ، وخلقَكَ بشَراً سويّا، لا قصَرْ فيك إصبع، ولا قصَرْ فيك عين، ولا قصَرْ فيك أذن، ثُمَّ أكرمك بالتمييز تُميِّز بين التَّمرة والجمرة، وتُميِّز بين لي ينفعك ولي يضرّك، ما خلقك لا بقرة ولا ثور من الثيران، ثُمَّ أكرمك بالنعمة الكبيرة التي ما يعادلها شيء ولا تطلع في الميزان نعمة الإسلام، وشو الكافر بشَرْ مُرَكَّب مِنْ لحْمٍ ودم، تعلَّقَت القُدرة بطرده حتى كفر بالله، وأنت يالمسلم تعلَّقَتْ القُدرة بقُربِكَ وإسلامك فهَدَاكَ الله إلى الإسلام، ثُمَّ مِن بعد أرسل لنا الرسول الأعظَم الحبيب ﷺ الذي خاطبه مولاه جَلَّ وعلا مُعظِّماً لشأنه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد لله الباب مكانه مفتوح، وعطاه هذاك هو ما انقطع، ومدده هذاك هو، ولا قال لنا ربي : أنتم يالتاليين معاد لكم شي، لا بل قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠] والحبيب ﷺ قال: (مَثَلُ أُمَّتي مثلُ المطَرِ، لا يُدْرَى أوّلُه خيرٌ أَمْ آخِرُه)[1] والآن الواحد إذا ما حصَّل له جليس مِنْ أقرانه يجعل جليسه القرآن يُلازم تلاوته، ولا بُدّ ما ينفتح له الباب، كان الحبيب أحمد المحضار إذا كتَبَ لي كتاب يقول فيه: (مِنْ جليسِ الله أحمد المحضار) وكان يقول: (عدّوا لي يا عيالي شو لي أربعين سنة أقرأ ختمة بالليل وختمة بالنهار)، والإنسان لا يستصعب الأُمُور هذه على نفسه وإذا شافها باتِتْصَعَّبْ عليه يسألها مِنْ ربه ويسأله أن يُؤهله لها، اقبلوا على الله واصدقُوا في العَمَلِ، السبحه أعطوها حقها، والتلاوة أعطوها حقّها، والنَّسَم أعطوه حقه، إنّما لا تُضيِّعُوا أوقاتكم كُلّها في الشهوات، واللَّذّات والرُّعُونَات.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شو ما شي أَشَدّ مِنْ دَاءِ الحَسَد والكِبر، وإيش أَحْرَم قريش بركة النبي ﷺ وسِرّه إِلَّا حَسَدَهُمْ وحقدهم، وفرعون إيش أضلّه عن طريقِ الهُدى، وأخرجه عَنِ المِلّة، إِلَّا كِبْره، والكِبر أَضَلّ أهله وأحرمهم خيراً كبيراً.

---

(١) أخرجه الترمذي مرفوعاً ورجاله ثقات وفيه إثبات سماع الحسن البصري من علي عليه السلام، وأشار إليه ابن عبد البر وقال: إن الحديث حسن.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أحد قال لَك : يا مُنافق ، قامَتِ القيامة عليه، وغضبتَ عليه أشدّ الغضب، وأنت أوصاف النفاق كُلّها فيك، حدّثت وكذبت، ووعدت وأخلفت، وائتمنت فخنت، كم من واحد أعطاك كلاماً ما بغا حد يدرى به رحت أخبرت الناس به، ولو حَدْ قال لك ما أنت سيد ، اشتقيت منه، ورُبّما عادك تضربه، وأنتَ خلي مِنْ وصف السيادة، وأين أوصاف السيادة فيك:

بحِلـمٍ وعِلـمٍ سَـادَ في قومِـهِ الفتَـى وكونـــكَ إيّـــاه عليـــكَ يـــسيرُ

وأينَ الحِلم لي هو فيك؟، وأينَ العِلم لي معَكْ؟، ولو مدَحَكَ وَقَالَ لَكَ: أنتَ عَالِمْ صدّقته، وأنتَ عَالِمْ بأنَّ ما عندَكَ شيء مِنَ العِلم، وإِلَّا قال لك : أنتَ ولي وخيِّرْ صدّقته، وأنتَ على يقينٍ أنّكَ خَلِي مِنَ الولاية، وخَلِي مِنَ المخيَرَه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما شي أضَر على الإنسان مِنْ مخالطَةِ الضِّد، ولو كان سيِّد وطريقته ما هي زينه لا تُخالطه لأنّه قد ضيّع نفسه وعاده با يضيِّعك:

عـنِ المـرءِ لا تـسأَلْ وسَـلْ عَـن قرينِـهِ فكـــلُّ قـــرينٍ بالمقـــارنِ يقتـــدي

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد صلاة التراويح بمسجد الرياض في أثناء المذاكرة: الله يسلك بي وبكم خير طريق، ويلحقنا بخير رفيق، الله يرزقنا الصدق والإخلاص في العَمَل، إذا صَدَقَ الإنسان وأخلَص ما با يخيب، وشو هذا الشهر موسم السنة، اقبلوا على الله فيه، وتوجّهوا إليه بالأعمالِ الصالحة إنْ بغيتم تظفرون بخير هذا الشهر وبركته وسرّه وفوزه، القُرآن لازموا تلاوته، والذكر اعكفوا عليه، وشو المستعدين من الرجال فازوا بخير هذا الشهر وسرّه ونُوره، وتقهقروا عنِ ارتكابِ المعاصي، قيِّدُوا جوارحكم فيه، العين احفظوها، واللسان احفظوها، والأُذن احفظوها، والبطن احفظوها، لا حد يفوِّتْ صيامه وقيامه بلاش، شو حبيبكم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (رُبَّ صائِمٍ ليسَ له مِنْ صِيَامِه إِلَّا الجوع، ورُبَّ قائِمٍ ليسَ له من قيامِهِ إِلَّا السَّهَر)[1] والليلة السابعة من رمضان ما واحد لاحَتْ له بارقة نُور مِنْ عمله، هذا مِنْ خُبْثِ السريرة، وعَمَى البصيرة، الله يُصفِّي السرائر، وينوِّر البصائِر.

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» برقم (٣٢٥١) وأحمد في «مسنده».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: اسعَوا في صلاحِ القلوب، شو ما زالَ القلب خارِبْ ما باتصلح الجوارح، (ألاَ إِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسد كُلُّه وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ لجَسَدُ كُلُّهُ ألَا وهيَ القَلْبُ)(١) والناس الآن سَعَوا في إصلاحِ الجسد، والقلب الذي بايدركون به السعادة الأبدية ما سعوا في صلاحه، الله يصلح قلوبنا، ويُصفِّي مشروبنا، والحسنة الواحدة يتقبّلها مِنّا، ويُبارك لنا فيها، والسيئة يتوب علينا منها، ويُبدِّلها حسنة، الله يُبدِّل السيئات حسنات.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الخميس ١٨ شوّال سنة ١٣٢٦هـ ببيت الشيخ عمر بن محمد بارجاء: مادّة الفِكْر أوسَع مِنْ مادّة الذِّكر، فالذكر مُنحصِر إلا في جارحةٍ واحدة، وأمَّا الفِكر بالجوارح كُلّها إلا الذِكر القلبي يُضاهي الفِكْر ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:١٣٥] يعني الذكر القلبي، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٣٥] أستغفر الله من جميعِ الذنوب، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥] وَقَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان:٦٢] لكنه قال: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:٦٢] إذا فكّر الإنسان فيما أنعمَ الله به على عباده في الليل، وجَدَ القائم قائِم، والنَّائِمْ نائِم، وكُلّهم ترعاهم العين الربَّانيّة والأقدار والأحكام تعمل فيهِمْ، والحكم لله فلا الطائع يثق بطاعته، ولا العاصي ييأس من مغفرته كلهم تحت القضاء والقَدَر، وإذا أمعن الإنسان النَّظَر وشط إلى ذنوبه وعجزه وتقصيره حصّل ذنوبه كثيرة، وعجزه وتقصيره كثير، وإذا نظَرَ إلى سِعَةِ جُود الله وفضله، وما عامل به عباده، طمعَ في فضلِ الله وسعة جوده وكرَمه، وأن يُعامله بما عَامَلَ عباده الصالحين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: اللهُ قسّمَ الأخلاق بينَ العباد، كما قسَّمَ الأرزاق فمَنْ أكرمه الله بالمال وأحرمه الأخلاق فقد أحرمه خير كبير، أَمَّا المال تتبعه التَّبِعَات، وأَمَّا الأخلاق تتبعها الحسنات، عسى لنا حظ وافر مِنْ محاسنِ الأخلاق، اللَّهُمَّ أهدني لأحسنِ الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، واصرِف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلَّا أنت.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه».

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعجَب مِنَ الإنسان مُركَّب مِن لحمٍ ودم وعروق، وأَهّلَهُ الله لحمل القرآن، وحَمْلِ سرّه، ولكن لَمَّا يسّره الله لنبينا ﷺ وأجراه على لسانه قدرنا على النُّطقِ به ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١] إذا قد الجبل ما بايستطيع حمْله فكيف إلا الصورة الإنسانية، ولكن لَمَّا أنزله الله على نبينا ﷺ ويسّره له استطعنا قراءته وحفظه فالله يجزي عَنَّا حبيبنا محمداً ﷺ أفضل الجزاء.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ أحرمه الله حِفظ القرآن أحرمه خيراً كبيرا، ومَنْ أكرمه الله بحفظِ القرآن أكرمه بخيرٍ كبير، فمَنْ كان يحفظ القرآن يستغني عَنِ الأشياء كُلّها إذا ذكَرَ أمر الرزق يستغني بالقرآن، وإذا ذكر حوادث الزمان وأهله فعليه بتلاوةِ القرآن، ففيه الغنا عن كُلِّ شي ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥] وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:١-٦] وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء:١٠٦].

وَقَالَ أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماشي ألَذ مِنَ القُرآن في الآذان ولا شي أحلَى منه في الألسُنْ، ولا أنجع منه في القلوب، الله ينفعنا بالقرآن ويرزقنا حفظه وحفظ حقّه، ويرزقنا العمَلَ بما في القرآن، الله يوقفنا على سرّه، وفهم معانيه، ويجعلنا وأولادنا ومَنْ نُحِبْ مِنْ حَمَلَةِ القرآن، ومِنْ حفَظَته، ومِنَ القائمين بحقوقه، الله يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بقدر ما عند العبد لله ورسوله والشريعة والدِّين مِنَ الحُرمةِ والتَّعْظِيم يكون له عند الله بقدره من الأجر والمحبّة والقُرب، وهذا ميزان إذا رأيتَ أنّك تحب الله والنبي ﷺ والدِّين، وتحب الطاعة، ونفسك مُراعية للحدود، ومائلة عنِ الحرام، والإساءة، فهذا دليل إنْ شاءَ الله على سعادتك، وقُربك مِنَ الله، ومحبّتك له، وإِنْ رأيتَ قلبك ونفسك والعياذ بالله مائلة عنِ الخير والطاعة، ومُعرضةً عنِ النصح فهذا دليل الغفلة والإعراض عَنِ الآخرة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أكرمه الله بحُبِّ هذا النبي الكريم، إذا سَمِعَ به، أو ذُكِرَ عنده يطرَب، وتهُشُّ روحه مِنّة من الله فهذا باينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، باتقع به شفاعات جم، إلَّا إنْ كان شؤم الكسب، كفى الله الشر، با يحول بيننا وبينه، لا أدري، حَادوا على شمعة إيمانكم خلُّوه يُضيئ لكم في الدنيا وفي ظُلماتِ يوم القيامة، في القيامة ظلمات ما يُضيئ منها إلَّا نُور الإيمان، والمعاصي ما تخلِّف لأهلها خيراً، يصلي إلى القبلة، وإذا جاءت المنيّة ووُضِعَ في قبره حرفوه والعياذ بالله عنها، ماشي يعيضكم في نعيم الآخرة، جاهدوا أنفسكم لأنفسكم، الله يقول: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت:٦] وصاحب المال إمَّا مُحَاسَبٌ في قبره إنِ اكتسبه من حلال أو مُعذَّب إن كان من حرام، ولو كُشِفَ للناس الغطاء عنِ العاصي لرأوا قبره يشتعل عليه ناراً، وأهل العبادة مستريحون في الدنيا والآخرة، يقولُ قائلهم: (إنْ كان أهل الجنة على ما نحنُ فيه إنّهم لفي عيشٍ طيِّب) ما يغبط أحدهم أهل الجنة من تنعمه بما هو فيه، جِدُّوا واجتهدوا الله يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣] مَنِ استقامَ على الصراط هُنا بايمر يوم القيامة على صراطٍ أدق من الشعَر، وأحَد من السيف، ومَن لم يستقِمْ عليه هنا با تزلّ قدمه في النار هناك، وليست هي ناركم هذه التي قد طُفِئَتْ سبعين مرّة، هل أنتم مؤمنون بالغيب أم لا؟ وهذا من الغيب، هل معكم شك في ذلك؟ أيَّ شيء يُعيض الإنسان في نعيم الآخرة، ورِضا ربّه جلَّ وعلا، ورِضا حبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورِضا الله في اتِّباعِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ما أمركَ به اتبعه، وما نهاكَ عنه اجتنبه، ما يعيض الإنسان شي من الدنيا وشهواتها لا ولد ولا مال ولا شهوة مأكَل، ولا شهوة ملبَس، ولا شهوة منكح، وما أكثر المواعظ ولكن ما أجْدَتْ لَمَّا أنَّ السماع بالآذان فقط ما ولَجَ إلى القلوب، وهي محل نظر الرَّب، كما في الحديث: (إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) وفي الحديث القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) هل يصلح منك توسِّخ محلَّ نظر ربك ومواصلته بالمعاصي، إمَّا بحسَدٍ أو بعجبٍ أو برياءٍ أو بكبرٍ، إنْ هو كبر فعلَى مَنْ تتكبَّر، وإنْ هو حسَدْ تحسد مَنْ ؟ وتعترض على مَنْ ؟ يا ما أجرأكَ على الله ، بغيته يواصلك وأنتَ مُلطَّخ بالمعاصي، جِدُّوا قبل الحسرة ، باتقع حسرات جم، قال بعض من سلفنا لولده: (إفحَسْ

بعابعك، وأَذِبْ جعاجعك(١)،) مَنْ أرادَ أن يكونَ مثل أهله فليدحق مداحقهم، لا يكون الحال كما قال الله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم:٥٩] يَعُدُّ الواحد مِنَّا عشرة أو خمسة عشرة أو عشرين مِنْ أجداده كلّهم رجال وهو مُباين لهم، لا الولد مثل أبيه، ولا البنت مثل أُمِّها، أسمعوا الموعظة واعملوا بها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العِلم وسيعة أطرافه، فسيحة أكنافه، قليلٌ عُرّافه، رَاحَة أقوَام في العِلم، ورَاحَة أقوام في العَمَلْ، والعِلم وسيع، والعَمَلْ وسيع، والعِلم أوسع، لأنَّ العِلمَ ممدود، والعَمَل مقصور، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ [النساء:١١٣] وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]. وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النُّفُوس شَمَخَتْ جَمْ، إذا جئت وأردت أن تعدِّلها ما تعدَّلَتْ، لو قالوا أهلُكَ وإخوانك: هات لنا قربة ماء مِنْ تحتِ الدَّار، أنِفَتْ نفسُكْ، والمدَار كلّه على موت النُّفُوس، وما دَامَتِ النَّفس حيّة، فلا تطمع في حصول شيء.

فَضْلُ الخُروجِ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدَّعوة إلى الله العَامَّة في هذا الزَّمان عُدِمَتْ، والسبب طلبَةُ العِلم غلَبَ عَلَيْهِمْ الكَسَلُ، ومَنْ قُلت له: بغيناك تنشر الدَّعوة إلى الله قال: باتلقون لي آه، خرَجْ ما بغا الثواب بغا إلَّا الأجرة فقط، والدُّعاة مخاطبين على عدَمِ نشر الدعوة خطاب شديد، وإلَّا فالإيمان قوي أدنَى محرِّك يحرِّكه با يتحرَّك حَالاً.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدَّعوة إلى الله اليوم أهم المهمَّاتِ، وأقرَبِ القُرُبَاتِ، ولو أَنَّ الدَّاعي اقتصَرَ على الفريضة وتركَ النَّافلة وصرَفَ أوقاته كُلّها في نشرِ الدعوة با يُحَصِّلْ جزاء وافر،

---

(١) معنى: (افحس بعابعك)، أي: افحس كلامك قبل أن تخرجه. تقول: بعبع الرجلُ: أي تابع كلامه في عَجَلة حتى لا يكاد يُبين واشتدّ به الخوف فأخذَ يُبعبع بكلمات مُبهمة.

ومعنى: (أذب جعاجعك) أي: اجعل كلامك قليلاً وفعلك كثيراً ولا تكن من الذين ينطبق عليهم المثل الذي يقول: (أسمع جعجعة ولا أرى طحناً) يُضرب للرجل يُكثر الكلام ولا يعمل والذي يَعِدُ ولا يفي. وجعجع الشخص علا صوته بوعيد لا يستطيع إنجازه.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فُصِّلَت:٣٣] ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، والحِكمة هي التَّرتيب، يأتيهم أوَّلاً باللِّين، ثُمَّ بعنف أرفع مِنَ اللِّين، وإذا قلت لواحد: أنشُرِ الدعوة قال: خاف ما يعملون، وإيش عليك إِنْ أَجَابوا الدَّعوة وعملوا با تُحصِّلْ قسمك في الثواب، وإلَّا خرجت من عهدة التبليغ، والله قال لحبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨] والهداية إِلَّا مِنَ الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصي ولده بالدَّعوةِ إلى الله والحث عليها: وافتح يا ولدي باب الدعوة إلى الله وإلى سبيله في بلدك وما يليها، وفي كُلِّ محل نزَلْتَ به، وابذُلْ جهدك في تعليم الجاهلين، وإرشاد الضالِّين، (لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم)[1]، وقد كثُرَ الجهل في هذا الزَّمان وعمَّ أكثر البلدان وتعيَّن على مَنْ أكرمه الله بنصيبٍ مِنَ العِلم أن يرشد إخوانه المؤمنين إلى ما أوجَبَ الله عليهِمْ، وما حرَّمه، فاجتهد بغايةِ وسعك في الإرشاد والتَّعليم، حتى تكون مِنَ المبلِّغين عن سيِّدِ المرسلين، ولك منه العناية التَّامَّة، والمدَدُ الوافر لكونك أحييتَ سُنّته.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وأوصيكَ** أيضاً بالدَّعوة إلى سبيل ربِّك بالحِكمةِ والموعظةِ الحسنة، وإرشاد الضَّالِّين، وتعليم الجاهلين، واحْذَرْ مِنْ تَسْوِيلِ الشَّيطان لَكْ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الدَّعوة فإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الدَّسَائِسِ التي أحرم بها كثيراً مِنْ خَلْقِ الله مِنَ الدُّخُولِ في دِيْوَانِ الدَّاعِين إلى الله، وأَنْتَ إِنْ كُنْتَ تعتقد في نفسك إِنَّكَ على غَيْرِ بصيرةٍ فَبِقَدَرِ مَا عِنْدَكَ مِنَ العِلْمِ أَرْشِدْ بِهِ غَيْرَكَ، وبقدَرِ ما أَنْتَ مُحْتَاجٌ له فاطلبه، لا ينقطع ابن آدَمَ مِنْ طَلَبِ الزِّيَادَةِ في العِلم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيتُ شبكةً للمواهب العظيمة والعلوم اللّدنيّة مثل الدّعوة إلى الله وإلى سبيله، فاقنص بذلك يا أخي ما قُسِمَ لك.

---

(١) رواه البخاري.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بن حَسَنٍ بن عَبْدِ اللهِ العَطَّاسِ الحُسَيني(١)

(١٢٥٧-١٣٣٤هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]: لا يقف على عجائبه إِلَّا المطهرون، وهكذا في جميعِ الأشياء، فمَنِ ابتغى العِلمَ فقُلْ له: لا يمسه إِلَّا المطهرون، فمَنِ ابتغى الولاية فقُلْ له: لا يمسّها إِلَّا المطهرون.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤]، وليسَ هناك عداوةٌ ظاهرة، بل عداوة باطنة، يَحْملونك على أشياء تُشتِّت باطنك وتدخُلك في مداخلَ غيرِ مأذون لك في الدخول فيها ولا أحدَ يطيقها، وليسوا كُلّهم بل بعضهم؛ لأنه قال: ﴿إِنَّ مِنْ﴾ و ﴿مِنْ﴾ للتبعيض.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف:٣٣]: إذا أنبتت الأرضُ ولم يظلم صاحبُها وأَدَّى حقوقَ الله فيها لم تظلم مِنْ نباتها شيئاً، أي: لم تُخْفِ منه شيئاً، بل تخرج ما فيها كُلّه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ...﴾ [الشورى:٥٢] الآية، قال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ أي: في الوقت المتقدِّم على خلقك وخلق روحك وسِرِّكَ ونبوّتك، ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ أي: النبي ﷺ، ﴿نَّهْدِى بِهِۦ﴾ بذلك النور ﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عجبتُ مِنَ المفسِّرين إذ قالوا في قوله تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨]: إنه بمعنى مُنَضَّدٍ بعضُه فوقَ بعض، واقتصروا عليه، وإنما هو بمعنى: مهضوم لا يُقلق ولا يُثقِل ولا يُغْثي، فهو: فعيل: بمعنى مفعول وبمعنى فاعل، فهو مهضومٌ في نفسه

---

(١) المولود ببلدة حُريضة في (١٩) من شهر رمضان المبارك يوم الثلاثاء سنة (١٢٥٧هـ) والمتوفّى بها فجر يوم الإثنين وهو يُجدِّد الوضوء لصلاة الصبح في سطح بيته بعد قيامه المعتاد في نصف الليل الأخير، في (٦) من شهر رجب سنة (١٣٣٤هـ).

وهاضمٌ لغيره. قال شيخنا الحبيب صالح بن عبدالله العطّاس: إنَّ الخريف مثل لبَنِ الأُم لا يُكرِب ولا يضُر.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [القصص:٧٧]: يعني: مِن قُوّةٍ وهِمّةٍ وسمعٍ وبصرٍ؛ وجميع ما أعطاكَ الله ﴿ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧]، وبعد ذلك قال: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، فالدنيا ليست كُلّها لك ولكنْ لك نصيبٌ منها، والباقي نصيبُ غيرك.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : إنَّ معنى قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]: يعني في انتزاع الإيمان من قلوبهم، لا ما هو في غلبةِ الأجسام، انظُرْ إلى سَحَرة فرعون لَـمَّا آمنوا توعّدهم فرعونُ بالصَّلْب وتقطيع الأَيدي والأرجُل، ولكن ما قدر أن ينتزعَ إيمانهم، أمَّا غلبة الأجسام قد حصل حتى للأنبياء وغيرهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في الدُّعاءِ الوارد عنه ﷺ: (لبّيك وسعدَيك، والخيرُ كُلّه بيدَيك، والشرُّ ليسَ إليك)[١]: إنَّ الله تعالى طلَبَ مِنَ العباد امتثالَ أمره واجتنابَ نهيه، فطلَبَ منهم الفروضَ وإعلاءَ الدِّين ومُجاهدة الكُفَّار وتعظيمَ شعائره وغيرَ ذلك، فنُخاطبه بـ: (لَبَّيْكَ) ونُجيبه إلى ما طلَبَ، و(الخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ) لا نعلي ولا نُعطي ولا نمنع ولا نتحرَّك ولا نسكُن إلاَّ بك وبعَونك وتوفيقِك، و(الشَّرُّ ليسَ إليْك) هذا تنزيهٌ للمرتبة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ﷺ: (سِيروا بسَيرِ ضُعفائكم)[٢]: هذا الحديث عامٌّ في كُلِّ شيءٍ في السَّيَر واللِّباس والعَوائِد وفي كُلِّ شيء يتَّبع النَّاسُ بعضُهم بعضاً.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ﷺ: (الإمامُ ضامنٌ)[٣]: ليسَ معناه أنَّهُ يضمن ما اختلَّ وقصر مِن صلاة المأمومين، بل معناه أنَّهُ ينوبُ عنهم في المخاطبة والسُّؤال، فإذا لم يأتِ بالمقصود من حيثُ الذَّات أو أَخَلَّ بشيءٍ مِنَ المأمور به في الصلاة فقد خانهم.

---

(١) رواه مالك والدّارمي وأحمد.

(٢) رواه الشافعي والترمذي وحَسّنه وابن ماجه والحاكم وابن خزيمة.

(٣) تمامه: (والمؤذِّن مؤتمَنٌ، اللهُمَّ أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين)، رواه أبو داود والترمذي وابن حبّان والبيهقي عن أبي هريرة، وأحمد عن أبي أمامة.

وسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الغطِّ الصَّادر مِن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما هيَ الحِكمةُ فيه؟ فقال: الغَطُّ هو الدَّفع بقوّة، والحِكمة فيه-والله أعلم –لأجل أنْ يلتئِمَ الجسمُ بالرُّوح ويتَّحدا ويكُونا كالشَّيء الواحد؛ لأنَّ بين الجسم والرُّوح حجاباً لطيفاً مِنَ البشريّة.

وسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ عن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حديث وابصة: (استَفْتِ قلبَك): هل يعُمُّ كُلَّ قلبٍ فيكونَ الاستفتاء لِكُلِّ الناس وفي كُلِّ وقت؟ فأجاب بقوله: نعم، هو عامٌّ في كُلِّ وقت ولِكُلِّ الناس؛ لأنَّ القلبَ لا يكذب أبداً، بل صاحبُ القلب الذي يكذب، فإذا كانَ هناك مثلاً عدوٌّ لك وجاء أحدٌ يمدحه ويصفه بأوصافٍ متَّصفٍ بها، فأنتَ تنكر هذه الأوصاف بلسانك وتردُّ على الذي يصفه وتقول بلسانك: ليست هذه الأوصاف.

وسئل رَحِمَهُ اللهُ عن دعاء الإمام علي زين العابدين في قوله: (اللّهم إنّك أيّدتَ دينك في كُلِّ أوانٍ بإمامٍ أقَمْتَهُ لعبادك)فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: بأنَّ المراد إمامةُ أهل البيت المشار إليها بقول الإمام الحدَّاد: (ومِنَّا إمامٌ حانَ حِينُ خُروجِهِ)، وهي مرتبة الإمامة الخاصّة التي يتوارثها أهل البيت إلى أن يظهر المهدي.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: أهلُ البيتِ طريقتُهم العمَل، ولا يأخذونَ مِنَ العِلمِ إلَّا ما يُرشِدُهم إلى العَمَلِ ويحفَظُهُ لهُمْ، وأَمَّا باقي الأشياءِ فيتَلقَّونَ مِنْ حضرةِ الفَيض، ويأخذُونَ العلومَ المطلقَةَ والمقيَّدةَ مِن حضرَةِ التقوى المشارِ إليها في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢٨٢].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: تحتاج المرافقة إلى الموافقة فبهما حصول السعادة الأبديّة، وأَمَّا المرافقة بغيرِ موافقة أو بالعكس فلا يحصل بها جدوى، وأكثر أهل الزَّمان يُحرَمُون الأولياء بسبب تمسكهم بأحدهما. اللهُمَّ متعنا بصالحي زماننا وارزقنا التّأدُّب معهم والانتفاع بهِمْ والأخذ عنهم في خيرٍ ولُطفٍ وعافية يا أرحم الرَّاحمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ لَمْ يتصدَّقْ معَ القِلَّةِ لم يتصدَّقْ معَ الكَثْرَةِ، ومَنْ لم يُجاهِدْ نفْسَه على قيامِ الليل وفِعلِ الخيرِ معَ التَّعَبِ لم يفعَلْ ذلكَ معَ الصّحةِ والفراغ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إذا اتَّسَعَ عِلمُ الإنسانِ اتَّسعَتْ معرِفتُهُ، وإذا اتَّسعت معرفتُهُ اتَّسعَ مشهَدُهُ، وإذا اتَّسعَ مَشهَدُهُ اتَّسعَ شهودُهُ، وإذا اتَّسعَ شهودُهُ اتَّسعَ مدَدُهُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: العِلم في ذاته صناعة يعرفها البَر والفاجر، والمؤمن والكافر، وإنما ثمرته والمقصود منه العمل، وهو: أخلاق، وآداب، ونيّات صالحات، وهو ما عليه السلف، مذكور في كتبه كـ«بداية الهداية» و«الإحياء» للغزالي، و«الأذكار» للنووي، وأشباههما.

وشكا إليه بعض الناس أجيراً عنده فقال رَحِمَهُ اللَّهُ له: كل مَنْ لا يخاف الله ولا يخافك فلا تستأجره فإنه لا ينصح في خدمتك.

وتكلَّم يوماً في أحوال الناس وما ينبغي لكل أحد أن يتعاطاه فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي للغني: كثرة الإنفاق والتصرُّف في وجوه الخير، وينبغي للعَالِمِ: بذل نفسه للتدريس، ونشر العلم، وينبغي لصاحب الجاه السعي في إصلاح ذات البين، ثُمَّ قرأ قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق:٧] والسعة القدرة وهي في كل شيء بما يناسبه ففي المال بإنفاقه في الخير، وفي العلم ببذله للناس، وفي الجاه بنصرة المظلوم، وفي أهل الحِرَفِ والصنائع والتجارة بالنصح للمسلمين وإتقان العَمَلِ.

وشكا إليه بعض أهل الثروة والغِنَى كثرة اختلاف الناس إليهم وتعبهم في مراقبتهم فقال: إنهم يزورون أُمَّهم ولا يزورونكم فإِنْ أردتم الرَّاحَة فاتركوا لهم أُمَّهم وفارقوها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا خَطَرَ لك خاطر سُوء أو معصية فارفع رأسك إلى السماء وقُلْ: (الله) مَعَ حَبْسِ النَّفَس وسكون الهاء فإنَّ الخواطر الواردة على القلب تحترق بهذا الذِّكر وتَزُول في الحال ، أَجَازَني في ذلك السيد أحمد بن دحلان. والحِكمة في رفعِ الرأس إلى السماء أَنَّ الشيطان لا يأتي الإنسان مِنْ فوقه قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] ولم يقُلْ : مِنْ فوقهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ لرجل يقرأ في «الأذكار النووية» : احفَظْ ما تقرؤه مِنَ الأذكار، وحَدِّثْ نفسَكَ بالعَمَلِ، ومَنْ لا تُحَدِّثْهُ نفسُه بالعملِ، فكأنَّهُ لا يرجو لقاءَ ربه اقْرأْ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف:١١٠].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : الأوقات ثلاثة: وقت لك، ووقت عليك، ووقت لا لك ولا عليك: فأَمَّا الوقت الذي هو لك فهو الوقت الذي تعمره بذكرِ الله، والدَّعوة إلى امتثالِ أوامره. وأَمَّا

الوقت الذي هو عليك: فالوقت الذي تعمره بمخالفة أمر الله. وأمَّا الوقت الذي لا لك ولا عليك: فهو الوقت الذي لا تعمره بشيء لو تصوّر خلوّه عن ذلك والأعمال كلّها لها زمام، والنية الصالحة تصيِّر الأفعال كلّها طاعة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ مَنْ أرادَ التقدُّم فعليه بكتب المتقدِّمين، ومَنْ أرادَ التأخُّر فعليه بكتب المتأخرين، ونعني بالمتقدِّمين أمثال الأئمة الرّافعي، وأبي إسحاق الشيرازي، وحجّة الإسلام الغزالي، والإمامين النووي، وإمام الحرمين[1].

وسأله بعض السادة عمَّا ينبغي أن يقرأه مِنَ الكتب فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ له: اقرأ «بداية الهداية» للغزالي، و«الأذكار» للنووي، و«المنهاج» في الفقه، و«الإحياء» في التصوُّف، و«البغوي»[2] في التَّفسير، و«الملحة» في الإعراب، وكُتب ابن هشام[3] في النَّحو، وبقراءتها يحصل الفتوح، وتترقّى الرُّوح.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُخاطباً تلميذه العلامة الشيخ محمد بن سالم بلخير: إنَّا وجدنا مِنَ البركة والنُّور والعِلم والإفادة والاستفادة في هذه الكتب الثلاثة ما لم نجده في غيرها وهي: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي[4]، و«شرح النَّوَوي على صحيح مسلم»، و«اليواقيت والجواهر في عقائدِ الأكَابِر» للشعراني، فعليك بمطالعتها ومداومة النَّظَر فيها، وما أشكَلَ عليك مِنْ بعض العبارات في «اليواقيت»، مِنْ كلام أهل الحقائق، أو مِنَ التَّدقيق مِنْ أهلِ الكلام في العَقَائِدْ، مُرَّ عليه ودعه كما هو ولا تبحث فيه بحال، ولِكُلٍّ مقام رجال، والبحث في هذه العلوم يزيدها

---

(١) أبو المعالي عبدالملك بن الشيخ أبي محمد عبدالله بن يوسف بن عبدالله الجويني، الملقّب بإمام الحرمين وُلِدَ سنة (٤١٠هـ)، تفقه على أبيه والقاضي حسين وله مؤلفات منها «نهاية المطلَب في دراية المذهَب» وغيره، توفي بنيسابور سنة (٤٧٨هـ).

(٢) هو أبو محمد الحُسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي المفسِّر صاحب التصانيف الكثيرة كـ «شرح السُّنّة»، و«معالِم التنزيل»، و«التهذيب» وغيرها، توفي في شوّال سنة (٥١٦هـ).

(٣) جمال الدِّين عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، مِنْ عُلماء النَّحو انتهت إليه رئاسة هذا الفن، توفي بمصر سنة (٧٦١هـ).

(٤) هو جلال الدِّين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الحافظ المصنف، توفي سنة (٩١١هـ).

تعوّصاً خُصُوصاً على مَنِ الفَهم وسيلته إلى العِلم، وأمَّا أهل النور فإنهم يستخرجون الجواهر مِنْ معادنها، واللالئ مِنْ أصدافها، ويعرفون ما انحرَفَ مِنْ ذلك، وبعض العلوم تُطْوَى ولا تُرْوَى.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أربع مُقدّمات ينبغي قراءتها وتكرارها للمبتدئ والمنتهي ، المبتدئ تنفعه والمنتهي تُذكِّره لاحتوائها على علومٍ كثيرة وهي: مُقدِّمة «تفسير الفخر الرّازي»[١]، ومقدمة «شرح النَّوَوي على صحيح مسلم» ، ومقدمته على «المهذَّبْ» ، و«مُقَدِّمَة ابن خلدون»[٢] رحمهم الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُخَاطباً طلبَةَ العِلم: ينبغي للطالب أن يقرأ المعشر[٣] سبعاً، ويُفكِّر في تقويم ألفاظه، ثُمَّ في معانيه سبعاً أخرى، ويقرأ «الرِّسالة» للحبيب أحمد بن زين الحبشي، ثُمَّ «المختصَر اللطيف»، ثُمَّ «المختصر الكبير» للعلامة بافضل ثُمَّ «الزُّبَدْ» ثُمَّ «الملحة» و«الرَّحَبيَّة» و«الجزرية» ثُمَّ «المنهاج» للنووي، وحثّهم على قراءته كثيراً، ومَنْ أرَادَ أن يقرأ شيئاً مِنْ شروحه فليقرأ «المغني»، أوّلاً ثُمَّ «النهاية» ، ثُمَّ «التُّحفة» ، ومَنْ أشكَلَ عليه شيءٌ مِنَ «التُّحْفَة»، و«النَّهاية»، فليراجع «الغُرَر» .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عادة السلف الصالح أنّهم يصرفون ثلث أموالهم في حَرْثِ الأرض، وثلثها فيما يكرمون به، وثلثها فيما يأكلونه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لِمَنْ أرَادَ أن يُباشِرَ أمراً دنيوياً كحِرَاثَةِ أَرْضٍ، أو سَفَرٍ لطلَبِ العيش، أن ينوي به العون على الطاعةِ والخير، لينال ثوابه، وتُيَسَّر أُمُوره، ولا يقصد مُجرَّد الأكل والشرب والرّاحة والبناء ونحو ذلك، والعادة تنقلب عِبَادةً بالنية.

---

(١) فخر الدِّين محمد بن عمر بن الحسين الرَّازي مِنَ العُلماء الأُصوليين له مؤلفات في الكلام وأصول الفقه والتفسير والفلسفة ، توفي سنة (٦٠٦هـ).

(٢) أبو زيد عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي، توفي سنة (٨٠٨هـ).

(٣) المعشر هو الحصة من الكتاب التي سيقرأها الطالب على شيخه ، وكانوا يقولون للطالب : هذا معشرك ليوم غد فيذهب يدرسه ويحفظه ويفهم ألفاظه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ما رأيت عملاً مِنْ أعمالِ السَّلَفِ، ولا عادة مِنْ عاداتِهِمْ، إلَّا وله أصلٌ ومُستنَدٌ من السُّنّة، والذي لم يَطّلِع على السُنّة يَظُنُّ بِهِمْ الظن، فيُجَازف في حَقِّهِمْ فيضل.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إذا جاءك الحديث الصحيح فاتركه على ظاهره وما يدل عليه لفظه العربي وإِيَّاكَ أن تؤوّله على هواك كما فعل أرباب النّحَل الضالّة الذين أخضعوا النصوص لأهوائهم بدل أن يخضعوا أهوائهم للنصوص.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إني أعجَبُ مِنَ الذين يتجرأون على الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فينسبون آله إلى الانحراف نسألُ اللهَ الحِفظ والسلامة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: خطَرَ على بالي القائلون بكَرَاهَةِ الصلاة على الآل في التّشهُّد الأوّل فما أدري ماذا سيقولون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وأي دليل صحيح معهم في ذلك.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ امرأة خبَزَتْ نحو مُد من البُرِّ فجَعلته ستة عشر قرصاً مستوية فعجب الحاضرون من ذلك فقال: إنَّ بعض النساء تكون عينها مباركة، ويدها مباركة، وقلبها مبارك، وبعضهنَّ تكون عينها شهلا، ويدها خبلا، ونيّتها غير صالحة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: خصلتان لابُدَّ منهما، ولكن لا تعطوهما قلوبكم بالكلية، وهُما: الحراثة، وتدبير الدنيا، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلَبِ، وكل مَنْ ليسَ له ترتيب في أُمور دنياه لا يستقيم حاله، بل إنْ كان خيِّراً تَرَذَّل وتَجَعْثَث، وإنْ لم يكُنْ خيِّراً عصى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ **وهو بتريم: مكة أعز بلاد الله ومكانكم هذا عزيز ونجد فيه مِنَ الأذواق** والأشواق والأسرار شيئاً لا نجده هناك، ومكة فيها الخبايا وفيها الرِّجال وفيها أربَابُ الأحوال ولكنّها تضطرب كموج البحر ، وكان الشيخ عبد الله باسندوة الدَّوعني وهو مِنْ أولياءِ الله لَمَّا جاء إلى مكة يمشي حافياً ولم يُبالِ بالأوساخ التي يطأها في الشوارع فقيل له في ذلك فقال: مكة كالبحر وهل يتنجّس البحر؟.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وطريقنا طريق الأسلاف ومنهج الاستقامة والدعوة إلى الله وهي التي تبقى وتدوم وغير ذلك يذهب ولا يدوم، وهو ميراث النبوّة ، قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إني تاركٌ فيكم الثقلينِ ، إني تاركٌ فيكم ما إِنْ تمسَّكْتُم به لن تضلُّوا من بعدي كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي)[(١)].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تريم معدن لِكُلِّ ما تطلبه، كُلّه فيها، قال الحبيب عبدالرحمن بن محمد بن شهاب الدِّين:

ومِنْ هنا يا داخل المدينه تريمنا مِنْ كُلِّ شي حَسِينه

عظِّموا البلد في قلوبكم حتى تتأدّبوا فيها، وعظِّموا سلفكم في قلوبكم حتى تتبعوهم، وعظِّموا شعائر الله ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢] أفادت هذه الآية للقلوب تقوى، وللأرواح تقوى، وللأسرار تقوى، وللأجسام تقوى، فأَمَّا **تقوى الأجسام** : فهو اتقاؤها الحر والبرد، **وتقوى القلوب**: اتقاء الشرك وما تعلَّق به، وتقوى الأرواح والأسرار لأهلها لأنّا ما وصلنا إليها حتى نتكلَّمَ فيها، أَمَّا الخصلتان الاولتان: فَخُوْضُوا فيهما، وهل يسير أحد في الشوك بلا نعال، أو يجلس في الشمس والظِّل عنده، أو يجلس في البرد والدفء عنده.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لمن أراد سُكنى تريم أَنْ يتخَلَّقَ بثلاثِ خصال: الاقتصاد في المعيشة، والتواضع، والأدب بباطنه وظاهره.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ ضاعت عليه السِّيرة فليذهب إلى تريم يجدها، ومَنْ ضَاعَ عليه قلبه يسير إلى اليمن.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجدنا شيئاً في تريم ما وجدناه في غيرها ببركةِ أهل البيت، وأهل البيت حصل لهم ما حصل مِنْ بركةِ متبوعهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخاطب الشيخ العالم العامل أحمد بن عبدالله بن أبي بكر الخطيب الأنصاري التريمي حين قَدِمَ على سيدي يزوره: إِنَّ مدينتكم تريم مثل الجلد المدبوغ قد لَيَّنه الدباغ، يكفيه أدنى رَش، لسكنى السلف العلويين بها والأعمال الصالحة وأرضنا مثل الجلود

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن.

التي لم تُدْبَغْ فيها كثافة، ونحن مخالطون لبادية وعوام يكثفون علينا، ولي مُنْذُ جئت مِنَ الحَرَمَيْن الشريفين نحو ست وأربعين سنه وأنا قائم في مقامِ الحبيب القُطب[1] عمر بن عبدالرحمن العطاس معاونة لآبائي حتى توفّاهم الله فخلفتهم في المقام فإذا عرضت نائبة اجتمَعَ لها أهل بلدنا، وأمَّا المجالس الحسنة، والمذاكرات العِلمية، والأمور التي تعود عليهم بالنفع فلا يسارعون إليها، والسبب في ذلك اكتفاؤهم بما خَصَّهم الله به مِنَ الشرف، وأهل البيت ذواتهم طاهرة، وأرواحهم طاهرة، وأحوالهم صافية، ولكن الموطن غَيَّرَ وكَدَّر عليهم وهُمْ مثل الحَبّة المدفونة، إذا ما أتى عليها سيل ما تنبت، فإذا لم تُسقَ بعِلمٍ ولا بحلمٍ ولا بعَمَلٍ ولا بتذكيرٍ، فبأي وجه تنبت، وقد كان سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس يتردَّد في الأودية والبلدان وَمَا وَجَبَتْ عليه الجمعة في بلد داعياً إلى الله يُقرِّب الناس ويُعلِّمهم، وهكذا كان سلفنا في الدعوة إلى الله والصبر على المخالطة، ونحنُ نتكلَّف مخالطة العوام، ونخاف على أنفسنا منهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخاطب أهل تريم: يا أهل تريم الناس ما يأتون إليكم إلَّا يستمدُّون بركتكم، وبركة بلدكم، وبركة مَنْ مضى قبلكم، وإلَّا فالبلدان كثيرة، والماء الذي عندكم موجود عند الخلق كُلّهم، لكن شرَّفَ الله المكان بأهله، المكان بالمكين، هذه البلدة مدبوغ أديمها يُحفظ ما يوضع فيه مِن سمن أو ماء أو قرآن أو إيمان أو إسلام أو عمل صالح أو سر أو توجُّهات أو فكر كُلّه محفوظ، لو أردت أن تكون مخالفاً فيها ما تقدر، ايش قياسكم لو أراد أحد أن يغني في المسجد لا يقدر، أو يجي بكلامٍ فاحش لا يقدر، أو يخلع ثيابه لا يقدر، الحُكُم للموطن وأمَّا إذا كان في مكان آخر فسيستريح، الله يحفظ ما ضاع مِنْ سيرة أهلنا.

---

(١) القطب في اللغة: حديدةٌ تدور عليها الرحى، والقُطْبُ: سيدُ القوم، والقطب مَلاكُ الشيء ومدارُه. «القاموس المحيط» وإن أردتَ الأدلّة الشرعية والنقلية على وجود مراتب الأقطاب والأوتاد والأبدال فهي مفصلة في كتاب «الخبر الدال على وجود الأقطاب والأوتاد والأبدال» للحافظ جلال الدين السيوطي ضمن «الحاوي للفتاوي».

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبلد تريم حافظة لحضرموت عادتها وعبادتها، فعادتها هذه الأسباب الظاهرة، والمعاملات الصالحة، فعادتها وعبادتها السِّيرة الحسنة، والدعوة إلى الله، وهذه أمانة ائتمنكم الله عليها احفظوها، الورع أمانة، والعِلم أمانة، والعمل أمانة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] كُونوا محافظين على ما معكم مِنَ السِّيرةِ المحمودة، فَمَنْ ضيَّع لم يلحقه بعد، والذي رتّبه السلف إذا ضَاعَ يعسر ردُّه، اذهنوا له قبل أن تُضيِّعوه، كنت إذا جئت إلى شبام أسمع الطاحنات على الرّحى يقرأنْ «فتح الرَّحمن» لا تُضيِّعوا ترتيب السلف.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإِنَّ تريم تريم، و(كل) عندكم من صيغ العموم، عِلمها حَسِين، وعملها حَسِين، وأهلها حِسَان، وعوائدها حَسِينة، واطرح على هذه الكلمة الذي تريده ولا نود نسير من عندكم غير أَنَّا كما قال الحبيب عبدالله:

غير أنّا ومن ورانا شجون وأمور جذابة بالزِّمام

وفي عشية الخميس ١٢ صفر ١٣٣٤هـ وقع مجمع عظيم حضره الجم الغفير من أهل تريم ونواحيها ببيت السيد العلامة علوي[1] بن عبدالرحمن المشهور وقُرئ شي من كلام سيدي نفع الله به فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: هذا كُلّه من بركةِ تريم، وسُكَّانها الذين دعوا وهدوا وتخلّقوا، قال الحبيب عبدالله الحدَّاد: الحرم عندنا أماكن مكة والمدينة وتريم وهذه الأشياء أمانة عندكم غير بعيدة منكم، كل واحد معه قسمه نعم معنا هذا الاستحسان فهل يمكن أن نتبصَّر في أنفسنا إلى أن نصير في حيز الاتباع على قدم مَنْ تَقَدَّم خَلُّوا اجتماعاتكم هكذا تذَاكَرُوا في سلفكم وفي أقوالهم وأفعالهم وكليّاتهم وجزئياتهم، والإنسان قد ينتقل بقلبه وَقَالبه وروحه وسرّه في لحظة تسري به الأشياء كُلّها وهي تَمُرُّ مَرَّ السحاب والانسان تحمله الأعمال الصالحة وبعض الناس تحمله الرُّوح والرُّوح إذا حدتها الأشواق والأذواق حدت الجسم كالشراع إذا هبَّتْ الرِّيح حَمَلَ السفينة.

---

(١) وُلِدَ بمدينة تريم سنة (١٢٦٢هـ) ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، وتوفي بها في شهر محرّم سنة (١٣٤١هـ) ودُفِنَ بمقبرة زنبل.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه مدينة تريم مدينة الصالحين، ومَنْ دَيَّنَها أوفته، ومَنْ تواضع لها رفعته، ومَنْ ترفَّعَ عليها دحقته، ومَنْ سالمها سالمته، وقد قالوا شوارع تريم شيخ مَنْ لا شيخ له، ليه؟ لأنَّكَ كُلَّمَا سرت في شارع من شوارعها عارضك مسجد، وتسمع في طريقك مَنْ يتلو القرآن، وذاك يقرأ أوراد، وذاك راكع، وذاك يبكي ويتضرّع إلى ربه، وهذا يأمر بمعروف وينهى عن منكر، حتى في أسواقها، وكُلُّهم صالحون أبناء صالحين، إذا نظرتَ إلى واحدٍ منهم تجده ولي ابن ولي إلى النَّبي، عالم ابن عالم إلى النبي، متّبعٌ ابن متبع إلى النبي، وهَتْ جميع الخصال الزّينة كُلّها تحصّلها معهم، ولا باتقدر تقول فيهم سارق ابن سارق، حاشا لله، فمَن هو الذي يجحد خصوصيّاتهم، وخصوصيّات بلدهم، وقد ارتفعت فيها أعمال صالحة، عادت بركاتها على أهلها، وعلى أهل واديها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخاطب أهل تريم: الله الله في العلوم والأعمال، فقد ضاعت العلوم والأعمال، وعليكم يا أهل تريم أن تحدوا الناس للخير، وقرّبوهم إلى ربهم، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف:٥٦]، واقتدوا دائماً بسلفكم من أهلكم فإنّهم دَرَجُوا على مَدْرَجٍ حَسَنْ، ومسالك رضيّه، قال الحبيب عبدالله الحدَّاد فيهم:

فهُمُ الكثيرُ الطَّيِّبُ المَدْعُو لهم   مِنْ جَدِّهم حِينَ الزَّفافِ أَلَا تَعِي

وأنا بغيتكم إذا جلستم أن لا تتذاكروا إِلَّا في أخلاقِ السلف، وأفعالهم وأقوالهم، لا تأتون بأُنْسٍ آخر تتنافسون فيه، شي لا يُغني ولا يُسمن من جوع، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وخُذُوا مِنَ العلوم مِنْ كُلِّ شي طرف، والأهم علومكم وأعمالكم يا أهل تريم، لأنه مضنون بها على غير أهلها، وتصلح إِلَّا لأهلها، ما تصلح للناس كُلّهم، لو تكلَّمتم في سلفنا وما قالوه وما فعلوه في مكانٍ آخر ما عرفتم تقولون شي، والأشياء الزّينة ما تظهر إِلَّا في تريم، ولو أحد عرَضَ علينا مُلك الدنيا كُلّه مُقابل ما يجريه الله علينا من خيراتها لم نقبل ولن نقبل ذلك، فعليكم بمغانمة الأشياء، والذين هُمْ أُمناء على الوقت مِنَ العُلماء والدُّعاه عليهم أن يسلكوا مسالك السلف، حتى يُعينهم الله ويعاونهم، ويسلك بنا وبهِم مسلك السلف، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة:١٥] فالنُّور: هو سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ،

﴿وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة:١٥] هو القرآن ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦]، انتبهوا فإنّه قال: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ [المائدة:١٦] هُمُ الذين لهم الهداية، وليس هم الذين يتبعون البلاوي والتحجّرات، وقد قالوا: على الإنسان أن يحفظ أحسن ما سمع، ويُحدِّث بأحسن ما حفظ، قال الشاعر:

قد عرفناك باختيارك إذ كا ... نَ دليلاً على اللبيب اختياره

واختيار الإنسان دليل عقله، وعلى ما هو مستكن فيه، مُقبلاً كان أو مُدبراً، مُستقيماً أو مُنحرفاً، ياريتنا بانعرف مثلكم، وياريت عاد فينا هِمَّة لطلَبِ العِلم، وبانعمل كل شي، فلا تتخذوا لكم قدوة في أعمالكم إلَّا سلفكم، وهُمُ الذين شكرهم الله، وأظهرَ الله بركاتهم في الدنيا كُلّها.

...إلى أن قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومثل هذه المجالس الذي تُذكَر فيها سير السلف، هي غذاء للأرواح السايرة، والأسرار الطائرة، وكُلٌّ له تلقي، وكُلٌّ له تنَزُّل، وبركاتُ الاجتماع يُفيضها الله على البقاع، وينزل عليها جُوده وكرمه ونفحاته وهِبَاته، ودَخَلَ البعض في بركَةِ البعض، ودَخَلَ غير المقبولين في بركَاتِ المقبولين، وهذا المكان والأماكن الزينة مثل الأرض الطيِّبَة، التي لا تنشق الماء، وتمطر عليها سحب الجُود الإلهي، وأنتم خلفاؤه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومَنْ قَامَ معكم بالنيابة والاستخلاف، إمَّا صوري أو معنوي، أمَّا الأصل فلأهلِ البيت، وهذا لا نتحدّث به للفخر، بل لأجل أن يحفظ كل منكم بضاعته، قال الحبيب عمر البار:

وإنْ ذَلُّوا وقلّوا سوابقهم قويّه ... وعاد الخير فيهم ولو كانوا بقيّه
صغير القوم منهم سبق قطب المزيّه

وأنتم افرحوا بالموطن الذي أنتم فيه، إيه قياسكم لو كُنتم في مكان آخر هل يكون لكم مثل هذا الاجتماع على هذه الهيئة الحسنة؟، والناس بعضهم يسلك بخاطره، وبعضهم بعقله، وبعضهم بهواه، فاسلكوا على منهاج السلف، في الدعوة إلى الله، يتكلّمون على بصيرةٍ بالحجّة المنيرة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنا أرجو منكم إذا اجتمعتم في مجلس اذكروا أحوال أهلكم وأفعالهم، ومَنْ هو على قدمهم ومنهجهم، مِنَ السلفِ الصالح، ففيهم الغُنية، وفيهم الكفاية، وهُمْ كما قال فيهم سيدنا الحدَّاد:

هُمُ الحاملون السرَّ بعد نبيِّهم ... ووُرّاثُه أكرِمْ بها مِنْ وراثةِ

والحق جَلَّ وعلا قد قال لسيِّدِ الوجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يأمره باقتفاء مَنْ قبله، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠] والحمد لله جمعنا الله على التزاور في الله، والمحبّة في الله، ما جمعكم إلَّا الشوق والمحبة، والتعاضد والتزاور، وكُلّنا فقراء لله ولفضله وعفوه وإحسانه، ولا معنا عمل، ولا معنا علم، ولا صفاء، ولا أخلاق، ولا إقبال، لكن لا نجمع على أنفسنا شي فوق هذا فنتخلَّف، فاطرحوا القَدَم على القَدَم، وسيلحق الخالف بالسالف، فهُناك العيش وبهجته، وهناك مَنْ هو مُبتهج ومُنتهج، فالمبتهج: هو الذي يسير إلى ربِّهِ وهو فرحان، صافي، وليس مُشوَّش الخاطر. والمنتهج: هو السائر على سواء الطريق. تأمّلوا التشويقات التي تحدوا الناس إلى ربهم، ومَنْ رأى قلبه جامد، أو جسمه فاتر، فلينظر إلى كلامِ السلف لتسري فيه هِممهم، ونِيَّاتهم، ولا يتكلّف ما لا يستطيع، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] واشكروا الله إذ وفقكم للأعمالِ الصالحة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأهل البيت نور بثّهم الله في العَالَمْ يدعون عباد الله إلى الله، بالتشويق والترغيب، وسيدنا الحبيب محسن بن علوي السقاف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: مَنْ فاته الكتاب لا يفوته المحراب، ومَنْ فاته المحراب لا تفوته الآداب، ومعكم الآداب لكنَّا بغينا فوقها المحراب قال سيدنا حدَّاد القلوب:

قومٌ إذا أرخى الظلامُ ستورَه ... لم تُلْفِهم رهنُ الوِطا والمضْجَعِ
بل تُلْفِهم عُمُدَ المحارِبِ قُوّماً ... للهِ أكرِمْ بالسجودِ الرُّكَّعِ

وإذا جينا إليكم يا أهل تريم انتعشَتِ الأرواح ورَجَعَتْ لنا بشي، ومِنْ دُعاء السلف: (اللَّهُمَّ يامَنْ وَفَّقَ أهلَ الخيرِ للخيرِ وأعَانَهُمْ عليه، وَفِّقْنَا للخيرِ وأَعِنَّا عليه)، والحمد لله الخير فيكم، والعِلم فيكم، والأشياء محفوظة، فالذين يعلمون يسلكون سبيل المعلِّمين مِنَ السلف،

والمتعلِّمين كذلك، وباتحصلون على المقصود كُلّه، ولو اجتمع أحدُكم بواحدةٍ مِنْ عجائز تريم لَوَصَفَتْ له الشي الكثير، مِنْ سِيرةِ أهلكم، وباتقول لكم : آل فلان عاداتهم كذا، وكلامهم كذا، ومسراهم إلى المساجد وقت كذا، وفعلهم كذا.

ومِنْ نصائحه الثمينة لأولاد السَّادة العلويين خُصُوصًا إذا رآهم يكثرون الخوض في السياسة يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهم: يا أولادي أَصْلِحُوا أنفسكم، والزموا سيرة أهلكم وسلفكم، لأنَّ الدنيا إنْ صَلُحَتْ ما هيَ لكم، وإنْ تغيَّرَتْ ما هي عليكم، والسياسة قد جعَلَ اللهُ لها أُنَاسًا استغرَقَتْ أوقاتهم، لا استراحوا في الدُّنيا، ولا سلِمُوا مِنْ عذابِ الآخرة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو أَنَّ الناس الذين أَلَّفُوا في الكرامات قصدوا إلى شرح حال الولي الذي وقعَ التأليف فيه فيذكرون ما وقَعَ له بعد الفتح مِنَ الأُمُورِ الباقية الصالحة، والأمور الفانية، لَعَلِمَ الناس الأولياء على الحقيقة، فيعلمون أَنَّ الولي يدعو تارَةً فيُستجابُ له، وتارةً لا يُستجَابُ له، ويُريدُ الأمر فتارَةً يُقضَى، وتارةً لا يُقضَى، كما وقَعَ للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ويريد الولي بأنْ تَظْهَر الطاعة على جوارحه تارةً، وتظهَرَ المخالفة عليها كسائرِ الناس، وإنما امتازَ الولي عنهم بأمرٍ واحد وهو ما خصّهُ الله تعالى به من المعارف، ومنحَهُ مِنَ الفتوحَات.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ مُحَمَّدٍ بن عَيدَرُوسٍ ابن مُحَمَّدٍ الحَبَشِي الحُسَيني[1]
(١٢٦٥-١٣٣٧هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣٢] : إِنَّ المراتبَ الثلاث مُرتّبه على حسَبِ ما في نسق الآية الشريفة، أفضلهم: **الظالم لنفسه**: وهو الذي قهرها في رِضَى

---

(١) المولود بحوطة الحبيب أحمد بن زين (خلع راشد) بحضرموت في (٢٠) من شهر شوَّال سنة (١٢٦٥هـ) المتوفّى بمدينة سورابايا في منتصف ليلة الأربعاء في (١٢) من شهر ربيع الثاني سنة (١٣٣٧هـ) ودُفِنَ عشيّة الأربعاء عقب الصلاة عليه بمسجد عمفيل.

المحبوب، وجشَّمها المشاق لنيلِ المطلوب، حتى استأنَسَتْ وانقَادَتْ مِنْ غير أن يتقدَّم ظهور شيء مِنْ أخلاقها عليه، فهؤلاء أهل العزمات القويّة، والهِمَم العليّه، أعطاهم الله سيطرةً ومَلَكَةً على أنفسهم وأحوالهم فهُم المعنيين والله أعلم بقولِ الباري جَلَّ وعلا : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحِجر:٤٢] .

وثاني **مرتبة المقتصِد:** وهو الذي مع نفسه بالمداراة لم يهملها في اتباعِ الشهوات ولم يُجشمها المشَاق والصعوبات، فهؤلاء في حضانة العناية الربَّانيّة تربيهم وتغذيهم.

ومَـنْ رعتـه العنايـة في المجـي والـذهاب فـلا يُبـالي

وثالث **مرتبة السابق بالخيرات:** فهذا قائم معَ الميزان الشرعي عند تناوب الخواطر والأحوال فمتى تعارضَتْ عليه كانَ أميَلَ إلى ما هي أسبق إلى الخير بإذنِ الله من الله فتأييد وحفظ والإذن ما يكون إلَّا معَ توقُّف وهُمْ المعنيين والله أعلم في قول الْبَارِي جَلَّ وعلا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠١] وصفهم بالتَّقْوَى مَعَ ما يتناوبهم مِنْ تعارُضِ الخَوَاطر والحَالاَت، والله أعلم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِكُلِّ حق حقيقة ولا خَلَقَ الله شيئاً عبَثاً، تنبَّه، وتفكَّر، وتدبَّرْ، قول الباري جَلَّ وعلا، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩] ولا شاور أحداً، ولا أشهَدَ أحَداً، جعَلَ لِكُلِّ شيءٍ مُبتدأ وغاية، ووظيفة العبد بينهن، إذا ظهَرَ له أمر يعطيه ما يُناسبه، إلى أن يصِلَ غايته، يُكتَبْ له ذلك عمل مقبول، ولا قلَّتْ بركات الأخوّة والمعاشرات والمعاملات والمجالسات وغيرها إلَّا لعدم إعطائها حقّها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اضبُطْ نفسَك مع مجالسة أبناء جنسِك، فإني أرَى أكثَر ما يدخل على الإنسان مِنَ الأمراض القلبية مِن مخالطَة الأضداد، والسم الكبير والضُّر الضرير، مجالسة العامّة، اسمعوا كلام النّصيح : (فخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ) وألقُوا لكم قراءة في «الإحياء» ما يحضرها أحَدْ مِنَ العَامّة، وافحصُوا عن غوائلِ أنفسكم، شُوفوا مجالس العامّة حجاب للإنسان عن نفسه بل يُزيِّنونها له، ويُعينُونها عليه، ولو خلا الإنسان بمعصيةٍ أورثته ذلاً وخَوفاً

واستصغاراً أو فقراً وانكساراً، لكان أحسَنَ مِن مجلس علمٍ معَ عامّة تورث عُجُباً واستكباراً ومحبّة ظهور واشتهار، وأستغفر الله ممَّا أقول وأفعَلُ ولا حولَ ولا قُوّة إلَّا بالله العلي العظيم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التَّنقُّل مِنْ مَحَلٍّ إلى مَحَل، فيه نوع تروُّح للإنسان ولولا ذلك لَمَا تعَدَّدَتِ المَراتِب والمقامات والأحوال، معَ أنَّ المطلوب معك حيث ما كنت، وقُربه منك في أوّلِ خطوة كقُربهِ منك في مُنتهى السَّير، فصارَ التعدُّد مِنْ لَوَازِمِ الطالب لا المطلوب، لأجل استكمال القوّة المرئية والسماع، لتتم الحِكمة الرَّبَّانية، وإلَّا حضرةُ الإمكان واسعة، ولا شيء مُستحيل على القَادِر، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود:١١٨-١١٩] ، يعني للإختلاف والرَّحمة اللَّهُمَّ اجعلنا مِنْ عبيدك الرُّحَماء المرحومين المحفوظين مِنْ كُلِّ مَا لاَ تَرْضَاه في عَافِيَةٍ كَامِلَة، وأَلْطَافٍ شَامِلَة، آمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِكُلِّ رُتبَةٍ مِنَ الرُّتَب توبة خَاصَّة بها ، مثال ذلك : إذا كَانَ الإنسان أوّلاً يعبد الله طمَعاً في دخولِ الجَنَّة، وخَوفاً مِنْ دخولِ النَّار، فإذا ارْتَقَى عنِ هذه الرُّتبة شَهِدَ النَّقص في الحَالَةِ التي كَانَ مُلابِسَاً لَهَا وعَبَدَ الله خَالِصَاً لوجهِهِ لا طَمَعَاً في دخولِ الجَنَّة، ولاَخَوْفاً مِنَ النَّار، فلِهَذَا كَانَ الحبيبُ ﷺ لا يرقَى مِنْ رُتبَةٍ إلى أُخرَى إلَّا ويَرَى الأُولى بُعداً بالإضَافَةِ إلى الثانية، فكَانَ يستغفر الله، وإليهِ الإشارة بقولِهِ ﷺ: (إنه ليُغانُ على قلبي حتَّى أَسْتَغْفِرَ اللهَ في اليوم والليلةِ سبعينَ مرّة)(١) فكانَ ذلك لِتَرقِّيهِ إلى مقامَات بعضها فوق بعض.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الجَمادَات لَهَا وجهتان وجهة إلى خالقها وهيَ فيها عَامِلَة به، عَابِدَة له، ووجهة إلينا وهيَ فيها لا تعلَم ولا تسمع ولا تنطق، بِخِلاَفِ الحبيب ﷺ فإنَّ اللهَ كَشَفَ له عن تلكَ الوجهة التي إليه، فلِهَذَا لَمَّا أَحَبَّ ﷺ أن يُسمِعَ الحاضرين عندَه تسبيح الحَصَى سأَلَ الله أن يُزيلَ عنهم الحِجَابَ فسمعوها تُسَبِّحُ بِلِسَانٍ فصيح(٢)، وكذَلِكَ لَمَّا ظهَرَتْ لهم الوِجهة الأُخرى التي إلى الخَالِقِ وبإعتبارِ وجهة الخالق، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء:٤٤].

---

(١) أخرجه النسائي .

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» وأبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: في ظهور مظاهر العدل كمال المحبَّة والفضل لأهْلِ الإيمان لأنّها تَسُوقهم إلى بابه، وتجريهِمْ على طلابه، وإلّا هيهات مِنْ أينَ للعبدِ العَاصِي لسان يُخاطِبُ بها جَبَّارَ السموات والأرض لولا العِنَايَةُ الرَّبَّانيّة بالسَّابقةِ الأَزَلِيَّة، الذي عَرَّفته البَاب، وفهّمته الخِطَاب، ويتوب الله على مَنْ تَاب.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الأدب مرتبة سلامة، ولو تأدَّب الخَلق كُلّهم معَ أَهْلِ السِّر لَرَقَوا أعلَى المراتب، ولكنَّ الأرزاق مَقْسُومَة، والآجَال مَعْلُومَة، وكُلاً عمل على قدر مفهُومه، لتتمَّ حِكمَةُ الصَّانع: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

وَمِمَّا أوصَى به بعض إخوانه في مُكاتبةٍ أرسلها إليه وذلك في شهر الحجّة الحرام سنة ١٣٠٨هـ قال له رَحِمَهُ اللَّهُ: الحَذَر كل الحَذَر تطرح في قلبك أدنَى غش، أو غِل، أو حقد على أحَدٍ مِنَ الأُمّة المحمَّديّة، ولو عَادَاك أحَد لا تُجازيه بفعله، لأنَّ هذا الشيء نفعه عَائِدٌ عليك، ومَنْ كَانَ سبباً في نفعك ما يمكن تظهر عليه غِشّاً أو غِلاً، لأنَّ هذا مِنْ نتائجِ الصِّفَات البَشَريّة، وما تكسبه مِنْ عداوة عدوّك أكثر مِمَّا تكسبه مِنْ صَدَاقة صديقك، لأنَّ العدو يُعلِّمك تحتمل الأذى، وكظم الغيظ، وستر المساوئ، والتَّخَلُّق بالأخلاقِ المحمودة، فصَارَتِ العَدَاوة عين الصدَاقة، لِمَنْ عَرَفَ، فلِهَذَا ينبغي للإنسان أن يُفَرِّغَ قلبَه عَنِ الخَلق ليتأهَّلْ لِنَظَرِ الحق، لأنَّ محبّة المولى ما تساكن محبّة غيره في قلب، (والدُّنيا ملعونَةٌ ملعونٌ ما فيها إلَّا ذِكْرُ الله)[1] أي كل ما أحببته لله، وابتغاء وجه الله، فهو مِنَ الذِّكْرِ الحقيقي، لأنّ الذِّكر الحقيقي هو أنْ تُشْغِلَ قلبك بما يُحِبّه الله منك، وعِمَاد ذلك وساسه النِّيَّاتُ الصالحة، وحُسْنُ الظَّن بالله، وبِخَلْقِ الله، وكما التَّذَكُّر والتَّفكُّر فيما أَسْدَاهُ إليك سيدي ومولاي مِنْ عظيمِ النِّعَم التي لا تَقْدِرُ على القيام بعُشْر عُشْرِ معشار مِنْ شُكرها، ولو عُمِّرْتَ عُمر الدُّنيا سبعين ألف مرّة، فيظهر لك بذلك عَجْزُكَ وتَقْصِيرُكَ عَنِ القُدْرَةِ بأدَاءِ حقوق المنعِم وما يفعله المولى مِن جميلٍ، فهو محض مِنّة وفضل لا يُقابله عمل صالح، بَلِ التَّوفيق للأعمال الصالحة هو عَين المِنّة فيحتاج إلى شكر آخر، والشكر

(١) الحديث رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي .

يحتاج إلى شكر إلى ما لا نهاية له، إلَّا التَّحَيُّرُ في كَمَالِ جلالِ الله وعظمته كما قال ﷺ مَن أُوتيَ عِلم الأوّلين والآخِرين الذي أطلعه الله على أسرارِ مملكته: (سُبحانك لا أُحصي ثناءً عليكَ أنْتَ كما أثنيتَ على نفسِك)[1] فإذا كانَ هذا حال أحب الخَلق إليه وأقربهم لديه، فكيفَ بحالنا ؟ هيهات هيهات ، اللَّهُمَّ لا تحرمنا خَيْرَ ما عِنْدَكَ لِشَرِّ ما عِنْدَنا، اللَّهُمَّ إنَّا نبات نعمتك، فلا تجعلنا حصاد نقمتك، يا أرحمَ الرَّاحمين.

ومِمَّا أوصَى به بعض إخوانه في كتابٍ أرسله إليه وذلك في شهر رمضان المعظَّم سنة ١٣١٤هـ قال له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونرجو طرفكم سَاكِن، ورمضانكم مَاكِن، الحذَر فيه مِمَّا يفسده ظَاهِراً وَبَاطِن، لأنَّ الله يغفر لِكُلِّ الناس فيه إلَّا ثلاثة: مُدمِن الخمر، وعاق لوالديه، أو مُشَاحِنْ، كما لا يخفَاكْ، والذي ظهَرَ لي إنَّ في معنى الحديث أنَّ الثلاثة كُلّها يجمعها الأخير لأنَّ الخمر ما خامَرَ العقل وأسكَرَ الحِسَّ، وجميع الحظوظ النفسيّة في كُلِّ حظ منها نوع من ذلك مُخالف للشرع ، والعقل النوراني يأبَى ذلك ، ومُخالفة الشرع خروج عَنِ دائِرَةِ الحِسْ، وأمَّا عقوق الوالدين فمن المعلوم قطعاً أَنَّ السَّلَفَ والخَلَفَ ومَنْ تبعهم بإحسان لا يرضون إلَّا ما يرضَاه اللهُ ورسولُه، والشحناء عندهم غير مرضيّة ومتى خالف الإنسان ما يرضونه آباؤه وأجداده فقد عقّهم وخالفهم ، فمِنْ هُنا يتبيَّن لك صحَّة المفهوم ، فإنْ قدرتَ على مُداواة هذا الدّاء المخُوفِ، بأي دواء وعلى أي صفة فافعَلْ ، وإلَّا فاجتهد كُلّ الاجتهاد أن لا تُبْقِي في قلبك أدنى حقد أو أدنَى بُغض، أو أدنَى أنَفَة، أو أدنَى نظَر بعينِ سخطٍ، فإذا فعلتَ ذلك فقد أدَّيتَ ما عليك ، ودَعْ كُلاً وعمله ، فافهَمْ تغنَمْ، فهذه هديّة مِنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأخيك ولك ولِمَنْ سمعها ووعَاها ، والله يتولَّى الكُلْ بحفظه ورعايته وكلاءته، وأستغفر الله وأتوبُ إليه وأتبرأ مِنْ حَولي وقُوّتي وألتجئ وأعتصِمُ بحولِ الله وقُوّته.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أحسَنَ إليك إنسان فلا بُدَّ أن تُحسِنَ إليه بقدرِ إحسانه معك ، ولو كانَ ذلك الشخص كافراً فلا يمكن أن تنظر إلى ذاته، انظُرْ إلى ما صَدَرَ منه إليك، وعامله بما عامَلَكَ به، كما فعَلَ الحبيب الأعظَم ﷺ معَ الملِك قيصَرَ لَمَّا كتَبَ إليه يدعوه إلى الإسلام

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها .

فحالَ وصول الكتاب إليه استلمه وقبّله وبجّله فلمّا بلَغَ الحبيب ﷺ فِعْلَ الملِك قيصَرَ حالَ وُصُول كتابه إليه أثنى عليه ودعا له ببقاءِ المُلْكِ وهذه عادَة الكرام يُكافئون مَنْ أحسَنَ إليهم ولا شَكَّ أَنَّ الحبيب ﷺ منبعُ المكارِمِ كُلِّها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: الدَّليل على ضعفِ الإيمان اعتراض الإنسان على القضاء والقَدَرِ، فلِهذا ترى الواحد إذا ما تأتّى له مطلبه على أصل ما يُريد يحزَن غاية الحُزن، ويضيق حاله، ويشتَد طبعه على أهله وعياله، ولو شهِدَ صدور ذلك الفِعل مِنَ الله وأنه بإرادته وقضائه بَرَدَ جأشه، وسلَّمَ الأمر، وهذا الحال لا يأتي إلَّا بمباشرة الإيمان للقلب، لأنَّ مباشرة الإيمان للقلب ينشأ منها التذكُّر، وإذا دَامَتْ تلكَ المباشرة للقلب امتنع من دخوله الشيطان، وسَلِمَ صاحبه مِنَ الاعتراض، وبحر التّسليم خَاضْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ في كتاب لبعض أولاده: أكثِرْ مِنْ قراءةِ هذه الصلاة على حبيبِ الإله، معنا إجازة فيها، بواسطة أحد مِنَ المشائخ عن بعض ساداتنا آل باعلوي أهل تريم وهي: (اللهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد بن عبدالله القائِمِ بحقوقِ الله ما ضَاقَتْ إلَّا وفرَّجها الله) والعدد حسب ما شئت وفي أي وقت شئت فهو مفتاح لأبواب الأرزاق الحسيّة والمعنويّة وليكُنْ ما تنويه عالي، والباقي تبع، والأشياء ما هي مُقيَّدة، لأنَّ الصادق المصدوق ﷺ قال: (إنَّ مِنَ الذنوب ذنوباً لا يُكفِّرُها الصلاةُ، ولا الصيامُ ولا الحجُّ ولا العُمرة، قالوا : فما يكفرها يا رسول الله ؟قال الحبيب ﷺ : (الهمومُ في طلبِ المعيشَةِ)[1] وقد تكلَّم على ذلك البقيّة السيد أحمد بن زيني دحلان وَقَالَ ما معناه: إنَّ الذنوب كالأمراض، والمكفرات كالأدوية، فكل مرض له دواء يُقابله والحضور خصُوصاً لأمثالنا يحصل مع طلب الحاجات الدنيوية أكثر، وقد تكلَّم على هذا حبيبنا وواسطتنا في كل خير الحبيب أحمد بن زين كما لا يخفاك قال: إنَّ القلب والطبع والنفس تُساعد الإنسان حال الدعاء بالحاجات الدنيوية ويجد الدَّاعي حضوراً مع ربه بخلاف ما لو دعا بحاجةٍ أُخرويّة، والمقصود مِنَ الأشياء الحضُور مع المولى ولا نظر إلى الوسيلة علوية أو سفلية

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» والديلمي في «مسند الفردوس» وأبو نعيم في «الحلية» بألفاظ مختلفة متقاربة .

كما في قصّة نبيّ الله موسى فجزاهم الله عَنَّا أفضل الجزاء ، وأَظُنُّ الحبيبَ أحمدَ لم يُسْبَقْ إلى مِثْلِ هذه المقالةِ فللَّهِ الحمد .

قلت: وقد أجازني في الصلاة المذكورة مكاتبة ومُشافهة وبهذا الدعاء ويرويه عن الحبيب الإمام أحمد بن محمد بن حمزة العطاس وهو: (اللهُمَّ يا عَالِمُ بحالي، ارحَمْ ضعف حالي، واغنِ فقري بلا سؤالي، في الدنيا والآخرة في عافية يا كريم، اللهُمَّ يا محوِّل الأحوال حوِّلْ حالي إلى أحسنِ حال في الدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الرَّاحمين).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: انتبه ياولدي باركَ الله فيك شُفِ المطلوب عزيز ودَعْ ما يُشغلك عنه واعطِ الأشياء حقّها واطلُبْ مِنْ ربّك التَّوفيق لِمَا فيه صلاح عاجلك وآجلك، فإنه لا تتخطَّاه الآمال، ولا يَضْجُرُه كثرة السؤال، وخَلِّ عينك صوب مقصدِك، شُفِ اللفتات تقطع بالإنسان، وتُضيِّع الوقت، واجعَلْ لك في كُلِّ وقت توبة مِنْ كُلِّ عمل زين أو شين، فأَمَّا الشين فزَلَل، وأَمَّا الزَّين فلا يخلو مِنَ الخَلَل، واشهَد التّقصير من نفسك ، ولا يقنعك منها ذلك فإنه بطالة بل طالِبْها بالتَّشمير، مع تحقُّق التقصير، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر:٦٧] معناه والله أعلم أنه لم يقدر أحد أن يقومَ لله بما عليه على حسب ما يليق بجلاله وجماله وكماله، فلِهَذا ما دامَ الإنسان معَ غاية تشميره فهو مُقصِّر في جنابِ الله لعجزه عنِ القيام بما يجب له على الوجه المطلوب، والمولى كريم يقبل اليسير، ويرحم الصغير والكبير، ولذلك خلقهم اللَّهُمَّ ادخلنا في كنَفِ رحمتك الواسعة آمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: احفظ ربك يحفظك، واعرف حقه مع كمال الأدَبِ في الظاهر والباطن وتفقّدْ نفسك في حركاتك وسكناتك ولحظاتك وخواطرك ومدخلَكْ ومخرجَكَ، وتوقّوا مواضع التُّهم ومظان الشر، ومَنْ أتاه خاطر شر لا يُسامره ويُنمِّيه بفكره يرجع يزيد عليه، استعيذُوا بالله مِنْ كُلِّ ما يسخطه، واستعينوا به على كل ما يُرضيه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ من ضمن مكاتبة أرسلها لولده الحبيب علي بن محمد بن عيدروس الحبشي: اترُكِ الظنون اركب سفينة ظنونك واجرها على مَجْرَى حُسن الظن بالله وبخلقِ الله، والحذَر مِنْ قولة : قياسي كذا وكذا وإلَّا في ظني إلَّا أن تحقَّقت، والأمّة مرحومة، والرَّحمة

سبَقَتْ الغضب، ولا تستحسن لسانك وما يُلقَى عليها إلَّا إنْ وَافَقَ الشرع ظاهراً وباطناً، واقصر عن طُولِ الكلام خُصُوصاً لِمَنْ لم تكُنْ أهلاً لمخاطبته لكمالٍ أو لنقصٍ، واستنفع بكلامك قبل أن تنفع به الناس، وإلَّا صرت مُفرِّطاً مثل مَن يُقسِّم ماله، ويترك أهل الحقوق عليه جياع، الحذَر كل الحذَر، وسواء كان الكلام في خط، أو مجلس، تكلَّم بالمضمون، واترُك الخيلاء في مشي وكلام وقعود وقيام، وفي جميع أفعالك وأعمالك، اشرد بنفسك عن كُلِّ مُستحسَنٍ عندها ولا تأمنها ولو ساعدتك في كُلِّ شيء فإنَّ لها ثورات ومراصد ما يتنبّه لها إلَّا حكيم ، (دَعْ ما يُريبُكَ إلى ما لا يُريبُكَ)[1] والزَمْ طريق العَامّة في كُلِّ ما يبدو ، واشهد النقص ولو كملت لأنَّ كمال كل شيء بحسبه كما عرفت بالنسبة إلى ذلك الشيء القابل للكمال، لأنَّ القابليّة مُشعره بنقص تَقَدَّمَ ، والله من وراء ذلك كلّه ، كان ولا زمان ولا مكان ، فهو على ما عليه كان.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصي ولده علي: والله الله يا ولدي في الصبر وغضّ الطرف عن مساوئ العباد، وليكُنْ لك في نفسك شغل عنهم، والحذَر مِنَ الرُّكُون إلى كلامِ الخلق فيك، شُفه السُّمُّ النّاقعُ ، قد ذاقه أبوك ولَـمَّا فتّش على نفسه وعيوبها ومخابيها حصَلَ الأمر على غيرِ ما يظنّه وظنّوه الخلق بكلامهم فيه، ياساتر لا تكشف ، بل يكفي الإنسان ما يظهر له من مظاهرِ فعله في تقلّباته ومعاملاته مع الله ومعاشراته للخلق إذا تحقّقها يُحصِّلها مبنيّة على غيرِ ساس.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : خلِّ الناس يقولون ما قالوه ولا تُغيِّر لأحد ظنّاً في ربه فرُبّما بعضهم صادق في الإعتقاد خلِّ له حاله مع ربه وقل: (اللَّهُمَّ اجعلني خيراً مِمَّا يظنون ولا تُؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون) وقل: (اللَّهُمَّ آتِ نفسي تقواها، وزَكّها أنت خير مَنْ زكَّاها، أنتَ وليُّها ومولاها) وفي هذا كفاية إذاعقِلْتَ معناه، وخللت معناه، وفهمت تغريد طيره ومغناه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحوادث الظاهرة لا يكون للإنسان بها هَم، أو فكر لأنَّها تشغله عن قلبه، وتُنسيه ذكر ربه، ولا هو مأمور بالبحث عن الأسباب بل ظاهرة من غير بحث ، وإذا

---

(١) أخرجه الترمذي وأحمد وابن حبان .

تحقّقها العاقل حصل كل شيء في محلِّه ، وكل مقام قامَ به أهله لأنَّ الرُّتَب الوُجُوديّة ملانة بأهلها ولا يمكن تبقَى فارغة، والإنسان يحمد الله حيث لم يبتليه بأكبر مِمَّا يراه، وكم لله مِنْ سِرٍّ في حركاتِ قُدرته، قَعْ جويِّد، قع جويِّد، قع جويِّد، واسألوا الله لُطفه وعافيته، وكل محكوم عليه ما يمكن تفزع منه، لأنَّ ناصيته بيد الحاكم والله غالبٌ على أمره.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله الله في الانتباه، وتفقُّد أحوالكم، لا تخلّون الأيَّام والليالي تمُـرُّ في غفلة، حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسبوا، وشُوفوا فائدتها من خسارتها، لأنَّ المولى ما خَلَقَ العبد ليهمله أو يرضَى منه بالإهمال، بل ليقوم بـما عليه ويكفي من محاسبةِ النفس شهود التّقصير وتحقّقه فبذلك يقرع باب التوبة والنَّدَم والاستغفار، ويدخل من بابِ الذل والإنكسار، وهي أحسن الطرق وأحبُّها إلى المولى سبحانه ، لأنَّ مقابل الذل والإنكسار الكرَم والجود والرحمة والعندية.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصي ولده: والله الله في حفظ قلبك، وأوقاتك وساعاتك، شف نحن ما نحن راضين منك إِلَّا بما يَرْضَى به ربّك، ونبيك، وسلفك الصالحون، وما عدا ذلك فأنتَ وهو انتبه باركَ الله فيك، وحَسِّنْ أخلاقك معَ الكبير والصغير، واحفَظْ لسانك وقلبك، وجميع جوارحك مع خلقه، وأَحْسِنْ الظن بالله، وبخلقِ الله، وكِلْ أمر العباد إلى ربهم لا يكون لك هَم، إِلَّا فيما يصلحك ويقرّبك من ربك ومن نبيك ففي هذا رضَى ربك ورضانا وراحتك العاجلة والآجلة، والدنيا يا ولدي متاعها قليل، ولا يشغل قلبه بها عاقل، وفي الحديث: (الدُّنيا ملْعُونةٌ ملْعُونٌ ما فيها إِلَّا ذِكْرُ اللهِ) يعني: ما أُريدَ به وجه الله فهذا الذكر حقيقة وغيره هباءً منثوراً يرجع وبالاً على صاحبه، اربأ بنفسك ونزِّهها عن كُلِّ ما يسخط ربك تكسب لها شرفاً عاجلاً وآجِلاً، قال صاحب «الزُّبَد»(١):

مـن نفسـهِ شريفـةٌ أبيّـه ... يربـأ عـن أُمُـورِهِ الدّنيّـه
ولم يـزَلْ يجنـحُ للمعـالي ... يـسهرُ في طلابهـا الليـالي

(١) هو العلامة أحمد بن حسين بن حسن بن رَسْلاَنْ، وُلِدَ برملة فلسطين سنة (٧٧٣ هـ). وتوفي ببيت المقدس في شهر شعبان سنة (٨٤٤ هـ).

واعمُرْ أوقاتك بالقراءةِ وذِكْرِ اللهِ، والتّفكُّرِ في آلائِه ونعماه واشكره عليها يزيدك ويرضاك، واعلَمْ أَنَّ كُلَّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلَّا أمر بمعروفٍ أو نهي عن منكر، أو ذكر الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: غُص على باطنِ الكلام وسرّح فكرك في كُلِّ ما تسمعه مِنَّا لأنَّ المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يبرز شيئاً عبَثاً خُصُوصاً معَ بروز الشفقة لِمَنْ تحبه، كل ظاهر له باطن ، ولِكُلِّ حق حقيقة ، ومَنْ لا أدرك يتأدَّبْ، لأنَّ فوق عقله وعِلمه مراتب لا تتناهَى، وأهل الحصر في حصر، ما عرفوا ظُهراً ولا عصر، والله الله في قراءة الورد اللطيف لسيدنا وحبيبنا ومولانا عبدالله بن علوي الحدَّاد كل يوم بعد صلاة الصبح وشِلُّوه مرّة بصوتٍ خفي والرّاتب بالليل الحذَر تتركون ذلك، والحذر تبتدون في أمر، وتفسحون تستصعبونه خُذوا الأشياء بقوّةٍ وحُسن توكُّل على الله، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١٣]، كل ما يزيد الإيمان مفتاحه التوكّل، والثقة بالله، والعمل على السِّيرة المرضيّة الطريقة العلوية البيضاء النقية، فالله الله يا أولادي لا تخلّون الوقت يمضي عليكم بلا شي، شُوفوا عُمر الإنسان رأس ماله، والدنيا مزرعة الآخرة ما هي بالفلوس فقط، بل في جميع الحركات والسكنات، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧] وكم آتا اللهُ العبدَ الضعيفَ مِنْ نِعَمٍ يمكنه التقرُّب إليه بكُلِّ نعمة منها ، شيء متصلة وشيء منفصلة، والسعيد مَنْ وُفّق، اللهُمَّ لا تحرمنا خير ما عندكَ لشرِّ ما عندنا، والفِكر كحل البصيرة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: اللهَ اللهَ في والدك ولو كانَ مستكفي، ومَنْ قدرت له بشيءٍ مِنْ أرحامك لأنَّ المولى سبحانه يقول في الحديث القدسي: (أنا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وشَقَقْتُ لها اسْماً مِن اسْمِي فمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُه ومَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُه)(١) ، وكذلك هي مثراة في الأموال يعني تكثر الأموال (ومنسأة في الآجال) يعني تُطوِّل العُمر، والله الله في تقوى الله وحضور الجُمع والجماعات، ومجالس الخير، ومحبّة الخير وأهله، وإذا سمعت بأحدٍ مِنْ أهلِ الصلاح، خُصُوصاً مِنْ أهل البيت المطهَّر، فاذهَبْ إليه واطلُبْ الدُّعاء منه، والله الله في الأدَبِ معَ الكبير والصغير، لأنَّ سرّ الله في خلقه مستور، ولا تستحقر أحداً مِنَ المسلمين، وأحسِن الظنَّ بربِّك

(١) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي .

وبخلقه، واقبل النصيحة مِنْ أهلها، ومِنْ غير أهلها، لأنّها ضالَّة المؤمن يأخذها من حيث وجدها، واصبر على كل ما تشوفه ثقيل على نفسك، شف الخير فيه.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: احذر مِنَ الكلام في حقِّ أحد مِنَ المسلمين في حُضُوره أو غيبته لا سيما القريب وإِنْ أساءَ إليك، فأفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح يعني المقاطع، وخوض الإنسان فيما لا يعنيه يكون سبباً في منعِ الأرزاق وفي الأثر: (إذا رأيتَ وَهْناً في بدَنِكَ واقْتاراً في رزقِكَ فاعلَمْ أنّكَ تكلَّمتَ فيما لا يعنيك)(١) فالحذَر الحذَر مِنْ أكل لحوم المسلمين أحياء وأمواتا، واعرِضْ أعمالك على ميزانِ الشريعة، وانظُرِ المخلوقات بعينِ الحقيقة، واستمسِكْ بالعُروةِ الوثيقة، وهي اتباعُك سيدَ العشائر:

محمـــد المبعـــوث بالهدايـــةْ والحق والتَّحقيـق والولايـةْ
إنسانُ عينِ الكَشْفِ والعِنايةْ ورُوحُ معنـى جُملـةِ المظـاهر

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الكون معمور ولا شيء يظهر فيه عَبَث، كل قضاء فيه فِكرَة، وفيه عِبرَة، وتحته أشياء عِلْمها وراء عِلم المخلوقين، تفرَّدَ بعِلمها الخالق، شُفْ واسكُتْ، فيافوز مَنْ سَلِمَ ورَضِيَ، شعراً:

دَع المقـــادير تجـــري في أعنّتِهَـــا ولا تَبِيـــتَنَّ إلَّا خَـــالِيَ البَـــالِ

وَقَالَ آخر:

لا تقُـلْ فـيما جـرَى كيـفَ جـرَى كـــل شيءٍ بقـــضاءٍ وقَـــدَرْ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: اترُكِ الخواطر والشكوك عند الضيق، واستغفرِ اللهَ منها إِنْ طرأتْ لأنَّ الشك في حصول الفرَجِ من الله ذنب كبير، وانتظار الفرَجِ مِنَ الله عباده، والعسر يتبعه يُسران، بنصِّ القُرآن المجيد الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٢] واللُّطف مقرون بالقَدَر، والظفَرُ مقرون بالصبر، والرَّاحة في التسليم، والله عليم حكيم رؤف رحيم.

---

(١) ورد ذلك عن مالك بن دينار.

مِنْ أَقْوَالِ العارِفِ باللهِ مُحَمَّد بن أَحْمَد ابن مُحَمَّد المِحْضَار الحُسَيني[1]

(١٢٨٠-١٣٤٤هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ من ضمن كلامه في أثناء قراءة الحبيب عمر بن إبراهيم السقاف عليه في بلد قرسي[2] في رسالة «النفائس العلوية في مسائل الصوفية» للإمام عبدالله بن علوي الحدَّاد يقول الحبيب عمر: سمعت الحبيب مُحِمَّد المحضار يقول في عتابٍ كأنّه على بعض أولاد السَّادة: إنَّ أحد الصحابة رضوان الله عليهم قال لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ بعض الخواطر تخطر لي ولأنْ أبقى بنَفَسٍ في النَّهَار أهوَنُ عَلَيَّ مِنْ وجُود هذه الخواطر كيف أنه لم يثبت في موقفه، فهذا الإمام علي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يقول لإبنه محمد بن الحنفية عند قيام معركة صِفِّين: (يا محمد تزولُ الجبالُ ولا تزُلْ عَضَّ علَى نَاجِذِكَ[3] وأعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ ، تِدْ في الأرضِ قَدَمَكَ ، ارْمِ بِبَصَرِكَ أقصَى

---

(١) المولود بقرية الجبيل مِن قُرى وادي دوعن الأيمن سنة (١٢٨٠هـ)، وقد توفّي من ألَمٍ في مُؤخر رأسه يطولُ أمده وتزداد شدَّته ونُزُولاً على إلحَاحِ المقرَّبين في إجراء عملية جِرَاحِيَّة بمدينة سورابايا ثَبَتَ للأطباء أثناء فتح جُمجمته بدون مُخدِّر وهو يُرَدِّد: (الله لطيف) إلى نهاية العملية التي كانت بها القاضية والانتقال إلى الدَّار الآخرة قريب منتصف ليلة الثلاثاء (٢٠) شوَّال سنة (١٣٤٤هـ) وفي عصر الثلاثاء كان تشييعه في مَشْهَدٍ عظيم قدَّره بعضهم بخمسة عشر ألف نسمة مُتقاطرين مِنْ جِهَاتِ سورابايا الأربع وفي مسجد عمفيل عقب الصلاة عليه سَارَتْ بِهِ الجُمُوع المتزاحمة إلى مدفنه بقبّة السيد حسين الحبشي حيث مَدْفَنُ صديقه العلامة السيد محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي رحمهم الله رحمة الأبرار .

(٢) تقع شرق إندونيسيا بالقرب من مدينة سورابايا .

(٣) النواجذ أقسى الأضراس أو كُلّها أو الأنياب والنَّاجِذ واحدها، قيل إذا عضّ الرجل على أسنانه اشتدَّتْ أعصاب رأسه وعظامه ولهذا يوصى به عند الشدّة ليقوى ، والصحيح أنَّ ذلك كناية عن الحمية ، فإنَّ من عادة الإنسان إذا حمي واشتدَّ غيظه على عدوه عضَّ على أسنانه. وقوله كرّم الله وجهه: (وأعرِ اللهَ جمجمتك) أمر مِنْ أعار أي أبذل جمجمتك لله تعالى كما يبذل المعير ماله للمستعير. وقوله:(تد) أي ثبتها من وتد يتد. وقوله: (ارم بصرك) أي أحط بجميع حركاتهم. وقوله: (وغُضّ بصرك) أي غض النَّظَر عَمّا يُخيفك منهم أي لا يهولنّك منهم هائل.

القومِ ، وغُضَّ بَصَرَكَ ، واعلَمْ أنَّ النَّصْرَ مِنْ عِندِ اللهِ سُبحانَهُ) وبعدها قال الحبيب محمَّد المحضار في التعقيب على قول الإمام علي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: (تزول الجبال ولا تزُل) فقال رَحِمَهُ اللهُ: ما هي الجبال ؟ ما هي إلَّا رمل وحجر، وقلب المؤمن أشد صلابة وثباتاً مِنَ الجبال.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يصدع بالحق بأسلوبٍ حَسَنٍ مع القبول التَّام عند الخاص والعام كما إنّه يقبله مِمَّنْ كان ويقول رَحِمَهُ اللهُ: (إنَّ الحقَّ أكبر مِنْ كُلِّ إنسان) مع أنَّ له مَدركاً واسعاً عند تصادُمِ الأقوال وحُجّة دامغة يخرس عند سماعها كل منطق ، قال العلامة علي بن حسين العطاس[1]: سمعته مرَّة يتكلَّم على قول بعض الفقهاء: إنَّ الصَّلاةَ على الآلِ مكروهة في التشهد الأوَّل ثُمَّ قال: (ويُعلِّلون ذلك بطُولِ الفصل) قُلتُ له: نعم، قال رَحِمَهُ اللهُ: (سُبحانك ياعظيم الشان) .

وكان مِنْ عادته أنه يُردِّدُ هذه الجملة في سياق كلامه يجعلها كفصل الخطاب بعدها قال الحبيب محمَّد المحضار رَحِمَهُ اللهُ: وكَمْ يستغرق مِنَ الوقت قَوْلُ المتشهِّدْ (وعلى آلِ محمَّد) ؟ وهل التشهد الأوَّل كُلّه إلَّا سُنَّة إنَّ مِثْلَ هذه الأقوال لا تتناسَبُ مَعَ محَاسِنِ الشريعة الغرَّاء لو رَحِمَ القَائِلونَ بها أنفسهم وأمّتهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : والوقت معمور بالنسبة لقراءة كتاب «البُخَارِيْ» عاودناها قريب وقد بلغنا العِتق عسى لنا منه نصيب، وفيه سهم مُصيب، والرَّاجِي ما يخيب، والمطالعة في «إيثار الحق على الخَلق» وفي كتاب «الإتقان» أحيان أحيان والأخ محمد بن علي طالع «تاريخ ابن جرير»، كُلّه في رمضان سَرى إليه سِرّ الأخ الجليل، محمد[2] بن عقيل، في السُّرْعَةِ والتَّحْصِيل،

---

(١) صاحب كتاب «تاج الأعراس» .

(٢) هو العلامة المحقِّق محمد بن عقيل بن يحيى (١٢٧٩هـ- ١٣٥٠هـ) وصفه شيخه ابن شهاب بقوله: (هو من بيت علم ومنبع الذكاء ومغرس الفطانة، وُلِدَ في بحبوحتها وتربّى في مهدها ونشأ في حجرها) اهـ، وُلِدَ في المسيلة سنة (١٢٧٩هـ) ونشأ تحت كفالة والده حتى بلغ السادسة عشرة وتوفي والده سنة (١٢٩٤هـ). حفظ كثيراً من المتون، وأخذَ عن عمِّه محمد بن عبداللاه (ت: ١٣٠٨هـ) وأكثر انتفاعه بالسيد العلامة أبي بكر بن شهاب الدين ، سافر سنة (١٢٩٦هـ) إلى سنغافورة وجاوه واشتغل بالتجارة، وكانت له رحلات إلى بلدان عديدة كالصين والفلبين واليابان وبورما وسيلان ومصر والشام وتركيا وأوروبا وساح في كثير مِن الأصقاع. سعى في تأسيس المجلس الاستشاري الاسلامي في سنغافورة وتولى رئاسته، وأصدر بها صحيفتين

وكُتب المذكور لا تزال بإجمالٍ وتفصيل، ويسلِّم عليك، والحق يعلو، ومَنْ يعانده يرغم بالأنف والفَمْ، خُصُوصَاً مَنْ لَمْ يعْلَمْ ولاَ يَفْهَم، ولا أحَد على الحقِّ يَكْبُر، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] وقد أرسل لنا نقل كتاب صاحب الاستانه صدَرَ معَ هذا أنظره ورجِّعه، وعساك تنقله، وأرجو طوالع المطالعة طَالِعَه، والأحوال بها تُحب مُقبلة وبها تطلب رَاجِعَهْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله يفتح للجميع مِمَّا فتَحَ به على لِسَانِ الأئمة علوم كأمثالِ البحار إلى آخر ما لا آخر له، ومِنْ دُعَاءِ سيِّدي الوالد (أحمد بن محمد المحضار) ويأتي به في القنوت: (اللَّهُمَّ إنّا نسألك العِلم اللَّدُنِّي، والمشرَبِ الصَّافي الهَنِي، اللَّهُمَّ لا تعقْنا عَنِ العِلمِ النَّافع بِعَائِق، ولا تقطعنا عَنِ الشَّوقِ إلى لِقَائِكَ بِقَاطِع، ياأرحمَ الرَّاحمين).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فضل شهر رمضان: (ورمضان شهر التَّخَلِّي والتَّحَلِّي والتَّجَلِّي ومِنْ دُعاء سيدي الوالد أحمد بن محمد المحضار: (يامُتجلِّي ارحَمْ ذلِّي واجبر كسري واجمع شملي بأهلي ، وارحمنا برحمتك الخاصّة الجامعة ومغفرتك الواسعة التي تُبدِّل السيئات حسنات ، ياكريم العفو ، آمين آمين آمين) والله يُوفِّر الحُظوظ مِن كُلِّ خير يتفضَّل به على خواص عباده في

(الإصلاح) و(الإمام). وفي أواخر عمره عاد حضرموت موطنه وأقام بالمكلا ولكنَّ الحكومة أمرته بمغادرة البلاد إلى عدن في سنة (١٣٤٧هـ) ومكث بعدن مدة ثُمَّ انتقَلَ بطلَبٍ مِنَ الإمام يحيى حميد الدين إلى الحديدة في سنة (١٣٤٩هـ) فأقام بها إلى وفاته صباح الثلاثاء (١٣) ربيع الأوّل سنة (١٣٥٠هـ). من مصنّفاته «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية» طبع مرات عديدة بالهند والعراق وبيروت وإيران. «تقوية الإيمان» طبع. «العَتَبُ الجميل على أهل الجرح والتعديل» طبع. «أحاديث المختار في معالي الكرَّار» مخطوط. ذكر السيد ضياء أنه يوجد في مكتبةِ مسجد الملكة (أروى) الصليحية بصنعاء. «ثمرات المطالعة» ينيف على العشرين مجلداً، قيل : إنه طبع منه مجلدان بمصر، في حياته، وأمَّا بقية الأجزاء فيقال : إنَّ منها جزأين خطيين بصنعاء، ويجهل مصير بقيتها ولعلَّ لدى أحفاده شيئاً منها. وترجم له السيد علوي بن طاهر الحدّاد في مجلّة (الرابطة) سنة (١٣٥٠هـ)، والسيد ضياء شهاب في تعليقاته على «شمس الظهيرة» ومنه نقلت هذه الترجمة: [١/٣١٩- ٣٢٣] أنظر كتاب «منحة الإله» للحبيب سالم بن حفيظ ، اعتنى به وعلّق عليه الأستاذ الباحث محمد بن أبي بكر بن عبدالله باذيب.

كُلِّ زمانٍ ومكان وخُصُوصاً في رمضان ، ياقديم الإحسان ، يا الله بشي بلا شي ، واسئلوا الله من فضله ، والتعرُّض للنفحات سبب لحصولها ومفتاح قفولها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُؤكِّداً على العناية بحفظِ القرآن الكريم والإتقان في قرآءته: فبعد الشِّيبان، ماعاد سمعنا مَنْ يُحسن قراءةِ القُرآن، الله المستعان، وأنا أتمنَّى على الله أن يُسهِّل مَنْ نسمَع منه تلاوة كتابه، مِمَّنْ دَخَلَ مِنْ بابه، ومِنْ أهل الأداء المُتقَنْ، والصُّوتِ الحَسَن، آمين.

ومِنْ دُعاء سيِّدي الوالد أحمد بن محمد المحضار: اللَّهُمَّ ارزقني حفظ القرآن العظيم وفهم معانيه، والتحقُّق به والعمل بما فيه، ياأرحم الرَّاحمين.

ولَمَّا زار رَحِمَهُ اللَّهُ مدرسة لتعليم الأولاد وصف ما رآه وسمعه في مكاتبة يخاطب بها الحبيب علوي بن محمد الحدَّاد: ومدرسة الأولاد معمُورة ، معنىً وصورة ، فيها مائة وعشرين ولد ظهرت عليهم آثار الفتوح ، والباب مفتوح ، لاقونا نهار الوُصُول صُفُوف صُفُوف ، وأسمعونا مخارج الحروف ، والولد علي بن حسن قائم بالوظيفة ، جزاه الله خير ، وعنده المعلِّمْ جبران مِنْ تريم ، قديم ومنظر ومخبر الأولاد المتعلِّمين يروقُ النَّاظرين ، ويُشوِّق السَّامِعِين ، وقد بكيت لَمَّا سمعتهم يتلون العقيدة، وحروف العتيدة ، الظاهر أنَّ الزَّمان مقابل، والخير واصل، والمقصود حاصل، وذكَّرني ما رأيت وسمعتُ حديث (كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ)(١) وظهر مصداقه رأي عين ، الحمد لله.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن حياة القلوب: وحياة قلوبنا وقوالبنا بحياة الشريعة المطهرة، لاحياة لها إِلَّا برؤيتها منصورة، وراياتِها منشورة، على أنَّا والحمد لله نكره الباطل وننكره بالنية والقول، ولكن لا يتم إِلَّا بالفعل ، وهو قريب بذي القوّة والحول والسَّطوَة والطَّول وقد قلَّ النَّاصر أو عُدِم ، ولا عاصم من أمرِ الله إِلَّا مَنْ رحِم ، على أنَّا والحمد لله من نصر ربنا على يقين ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر:٥١] وَقَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥٢] والزَّمان

(١) رواه البخاري ومسلم.

اسـتدار والفَلَـكْ دَارْ الله أكـبر خرِبـت خيـبر ، ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الصافات:١٧٧] ، وإنَّا فروع الشجرة التي أثمرَتْ بكُلِّ خير قال لسان العترة التي قد طهرت:

ظَلَمُوهَـــا حَقَّهَـــا فَاسْتَنْـــصَرَتْ   برَسُـــولِ الله حَتَّـــى نُـــصِرَتْ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ مُخاطباً الحبيب علي بن عبدالرحمن الحبشي[1] مِنْ ضمن مكاتبة أرسلها إليه يقول في آخرها مُحَذِّراً مِنْ كتابةِ الآيات القُرآنية على الجَرَائِد والمجَلاَّت لاسيما في بلادِ الأعجام: (مُلحَق والحق أحَق وصَلَتْ رسالة على قولهم (مجلّة) عسى مُجلي الآجله ، عليها اسم الحبيب وبعض الإخوان ، والكل على الخير أعوان والله المستعان ماقمتم فيه دفع مَفْسَدَة أو جلب مصلحة تساعدكم فيه القُدرة القاهرة لأعدائكم غير أنَّ مثل الجرائد المجلاَّت وأشباهها مِمَّا يُمتهَن فأُحِبُّ لو لم يُكتَبْ فيها شي من الكتاب والسُنّة ، وإذا بدَتْ حاجة لذكر شي فعلى سبيلِ الإشَارَة مُجملاً ، خُصُوصَاً واللِّسان عَجَمِي والرَّسم أجنبي ...إلخ ومِنَ الشَّواهِدْ على مانبّهت عليه أَنَّ مُقابل صحيفة البسملة الكريمة والحمد لله والتسليم صور أعجام أو عُبّاد أصنام هذا مِمَّا لا يُجيزه العقل ولا النَّقل ، ومثل الحبيب لا يحتاج إلى تنبيه ، هذا على فرض أَنَّ لكم مدخل فيه ، وربَّنا يُوفِّق الكُل لِمَا يُرضيه ، ويجعلنا مِمَّنْ يُحِبّه ويَرتضيه ، ويبلغنا مانُؤَمِّله منه وفيه ، والأخ يعتني بأخيه ولا يزال يُوصِينا ونُوصِيه.

(١) هو العلامة الدَّاعي إلى الله على بصيرة الحبيب علي بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد الحبشي قال عنه السيد العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف في كتابه «إدام القوت» : وُلِدَ في بتاوي بجاوه في جماد الثانية سنة (١٢٨٦هـ)، وخرج إلى حضرموت سنة (١٢٩٨هـ) وأخَذَ عن أراكينها، وأقام مُدَّة خمس سنوات ببور يطلب العلم ويتردَّد إلى مدائن حضرموت للأخذ والتلقي، ثُمَّ عاد إلى جاوه، وحجَّ أربع مرّات، وبيني وبينه ودٌّ وإخاءٌ، ولبس مني ولبستُ منه، وله بجاوه شأنٌ عظيم، وله لسانٌ في الوعظِ باللغة الجاويّة، وانتفع بهِ خلائق، وأسلمَ على يده كثيرٌ، ناشرٌ للدعوة إلى الله، وله تواضعٌ وخُلُقٌ حسَنٌ، ودمعةٌ غزيرةٌ انتهى ما تمَّ نقله مِن «إدام القوت» بتصرّف يسير. توفي بجاكَرتا كُوَيتان، سنة (١٣٨٨هـ).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) أيضاً: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[غافر:٥١-٥٢] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٩] والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلَّا على الظالمين وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين ومَنْ أحبَّهم في الصالحين ومَن أبغضهم معَ الرَّجيمِ اللَّعين: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة:٦٤] ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة:٧٤] أتْبَاع كُلّ نَاعِق(٢) لهم الصواعق، وقد جاءوا مِنْ شـاهق، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨] وفي الحديث القُدسي: (مَن آذى أو عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)(٣) وفي التَّنزيلِ العزيز مخاطباً لأهل الرِّبا: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩] ومِنَ المعلوم، لدى العُمُوم، إنَّ اللهَ جَلَّ جلاله ما آذَنَ أحداً بحَرْبٍ إلَّا إثنين: (مُرْبِي، أو معادي ولي).

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا كَانَ الوعيد وارداً فيمن آذى أحد الأولياء مِنْ حيث منطوق اللفظ الذي عَمْ، فكيف بكبار الأولياء لهم موالي وخَدَم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] هذه الآية نزَلَتْ في سيدنا علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ السبب فيه خاص، وفي غيرهِ عام، وذلك لَـمَّا سأل سائل في مسجد الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) من مكاتبة عظيمة أرسلها للسيد العلامة والداعي إلى الله الحبيب علي بن عبدالرحمن الحبشي رحمه الله.

(٢) إشارة إلى قول الإمام علي عليه السلام: (الناس ثلاثة : عالم ربّاني، ومتعلِّم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم فيهتدوا ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيق فينجوا). انظر كتاب «الكنز الثمين» .

(٣) رواه البخاري في « صحيحه » .

وفيه جُملة مِنَ الصحابة لم يعطه أحد منهم شيئا وسيدنا علي في الصَّلاة مَدَّ يده وهو راكع وأعطى السائل خاتمه، وكم له مِن فاتحةٍ وخاتمه[١]، وقد فسَّرَ الآية حديث غدير خم: (مَن كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه اللَّهُمَّ وَالِ مَن والاه وعَادِ مَنْ عَادَاه ...) إلخ ما قالاه مولاه ومولاه، ولبعض المحبين شرح في مجلَّد على حديث الموالاة، ولَـمَّا كان مولى القوم منهم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:١١] ولَـمَّا كان القُرآن يُفَسِّر بعضه بعضاً قال

---

(١) أكدَّت أكثر كُتب التفسير على نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة:٥٥] في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك عندما تصدّق بخاتمه وهو راكع في صلاته. انظر « التفسير الكبير» للفخر الرازي. وقال الزمخشري في كتابه «الكشَّاف» في تفسيره لهذه الآية: (إنها نزلت في علي كرَّم الله وجهه حين سأل سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه مرجاً في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته).

قلت: فإنْ قلت كيف صحَّ أن يكونَ لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإنْ كان السبب به رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أنَّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية مِنَ الحرص على البر والإحسان وتفقُّد الفقراء حَتَّى إنْ لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها) قال حسّان بن ثابت رضي الله عنه:

أبا حسنٍ تفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيءٍ في الهدى ومسارعِ
أيذهبُ مدحيك المحبَّر ضائعاً ... وما المدح في ذات الإله بضائعِ
فأنتَ الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... فدتك نفوس القوم يا خير راكعِ
بخاتمك الميمون يا خير سيِّدٍ ... ويا خير شارٍ ثُمَّ يا خير بايعِ
فأنزلَ فيك الله خير ولايةٍ ... فأثبتها في محكمات الشرائعِ

وكذلك هذا الاستعمال وارد في لغة العرب وفي القرآن شواهد على ذلك منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣] وقد أجمع المفسرون على أنَّ القائل هو (نُعيم بن مسعود الأشجعي) وحده، فأطلقَ الله سبحانه عليه لفظ (الناس) وهو مُفرَدْ. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة:١١] ذكرَ المفسرون: أنَّ الذي بسط يده إليهم رجل واحد مِن بني محارب يقال له (غورث) وقيل: هو (عمرو بن جحاش) مِن بني النضير. انتهى.

تعالى أيضاً: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة:٥٥] الآية المتقدِّمة ويُفَسِّره أيضاً الحديث الشريف قال ﷺ: (مَن كُنتُ مَولاه فعَليٌّ مَولاه) ...إلخ ما جاء عَنِ الله وعن رسولِ الله، ومِن شَوَاهِدِ الحال والمقال والأفعال قول ذي الجلال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧] ومنه قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠] وفي هذا الميدان قال مَنِ اطمئنَّ قلبه بالإيمان:

آلُ النَّبـــيِّ لهـــم في ذَاتِ نـــسبتهم ... سِرٌّ عظـيمٌ لـــهُ في المجـد غايَـاتُ
والأوليـــاءُ وإنْ جَلَّـــتْ مـــراتبُهم ... في رُتْبَـةِ العبـدِ والـسَّادَاتُ سَـادَاتُ[1]

وَقَالَ سيدنا الحبيب عمر البار في وصف أولئك الأبرار:

وإنْ قلّــوا وذلــوا ســوابقهم قويّـــه ... صغير القـوم فـيهم سَبَقْ قُطْبَ المزيَّـه

هذا مِنْ شواهد قولي: إنَّ كبار الأولياء من خَدَم أهل البيت، فضلاً عن صغارهم، وحسبنا كتاب الله وكلام رسوله، ومِنَ الشَّوَاهِدِ وهي كثير لا يَقْدِرُ على عشر عشر عشرها مَنْ حَسَب، ولا مَنْ كَتَب، قول مَن أحب، الشيخ المحب محمد بن محمد العَزَب، في الحبيب المحبَّب، وعلى الملاء الأعلا مُقَرَّب:

ركـبَ الـبراق وسـار تحـت ركابـه ... جبريـل يمـشي كـي ينـال الـسؤددا

وَقَالَ المحبُّ الآخر ولا لها آخر:

قـــال لي قائـــل: رأيتُـــكَ تهـــوى ... آلَ طــــه ودائـــــماً تجتبـــــيهمْ
صـارَ فرضـاً عليـك تـستغرقُ المـدح ... جميعـــاً فـــيهم وفي مَـــنْ يلـــيهمْ
قلـت: مــاذا أقــولُ والكـونُ طـرا ... يـــستمدُّ النـــوالَ مِـــنْ نـــاديهم
أنـــا لا أســـتطيعُ أمـــدحُ قومـــاً ... كـــان جبريـــلُ خادمـــاً لأبـــيهِمْ

---

(١) هذه الأبيات للشيخ العارف بالله عبدالرحيم البُرعي من ضمن قصيدة قالها في مدح الرسول الأعظم محمد ﷺ.

قـال تعـالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩] ﴿كُلًّا نُّمِدُّ ...﴾ [الإسراء:٢٠] إلخ ، وكلامنا لمن يحبنا ومَنْ أحبَّنا فهو معنا ، ومَنْ نحبه فهو مِنَّا ، وقد تَسري المحبَّة حَتَّى إلى جَماد، قال الحبيب المصطفى ﷺ: (هذا أُحُد جبلٌ يحبّنا ونُحِبُّهُ)[1] والعكس أيضاً كما ورَدَ في الجبلِ الآخر، وأهله أهل طينة الخبال، أتبَاع الدجَّال، فلا لهم مِنَّا كلام، ولا عليهم سلام، يقولون ماشاءوا ...إلخ ما قال سيدنا الإمام الحدَّاد، وقد أُوذيَ ذلك الإمام كغيره مِنَ الآباء والأجداد، وانتهت النَّوبة إلى مَن بعدهِمْ، مِنَ الأولاد، لتحقُّق الوراثة وأسرارها، في جميع أطوارها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣١] وفي معنى النَّبي الولي قياساً على مَا كَانَ معجزة لنبي، جَازَ أن يكونَ كرامة[2] لولي، ...إلخ .

قال ابن شهاب العلوي[3]:

---

(١) رواه البخاري ومسلم. ومِن الإعجاز العلمي: أَنَّ شكل جبل أُحد والذي يبلغ طوله حوالي سبعه كيلو متر على شكل اسم محمد ﷺ.

(٢) الكرامة: هي أمر خارق للعادة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مُلتزِم بمتابعة النبي ﷺ ، مَصحُوب بِصحِيحِ الاعتقاد والعمل الصَّالِح. وقد أثبت القرآن المجيد الكرامة لأولياء الله، فمن ذلك قصّة مريم وما كان يجده زكريا عندها مِنَ الرزق، وقصّة أهل الكهف، وقصة الذي عنده علم مِنَ الكتاب، وقصة أم موسى وإرضاعه، وامرأة فرعون، وقصة موسى والخضر بالإضافة إلى إشاراتٍ متعدِّدة. وقد ثبتَ في الحديث الشريف قصّة عمر رضي الله عنه والصحابي سارية، وقصة أسيد بن حضير وقراءته القرآن، وقصة الرجل الذي أضاء له سوطه أو أصابعه، وقصة أهل الغار الثلاثة، وقصة صاحب جريج، وقصة الساحر والملك، وغير ذلك مِمَّا يلتمس في مظانه مِن كُتبِ الرِّجال وهو كثير.

(٣) هو العلامة المحقِّق والشاعر الكبير المفلق الفقيه الأصولي أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين، أحد أكبر عُلماء أهل البيت بحضرموت من اليمن، وُلِدَ بحصن (فلوقة) من ضواحي مدينة (تريم) بحضرموت سنة (١٢٦٢هـ)، ونشأ بها وأخذ عن شيوخها ومِنْ أشهرهم أخوه الأكبر: عمر المحضار بن عبدالرحمن بن شهاب، والسيد محمد بن إبراهيم بلفقيه، والسيد حسن بن حسين الحدَّاد، والسيد علي بن عبدالله بن شهاب الدِّين، والسيد حامد بن عمر بافرج، والشيخ محمد بن عبد الله باسودان، وله مشاركة في

كرامـــاتهم كـــالمعجزات وإنَّهَـــا   لمنهـا وشـبه الأصـل لا يقتـضي ظُلـما

يقول لسان حال ومقال الشيبان، وأهل العرفان، في كُلِّ مكَانٍ وزمان، سيدنا الإمام الحدَّاد، بعد أن ذكَرَ الحبيب الأكبر، ثُمَّ الأئمة مِنْ أهل البيت، ثُمَّ الأكابر مِن أولادهِم، السَّادة العلويين، في (على رِيم)[1]:

مَـــوَارِيثُهُمْ فِينَـــا وفِينَـــا عُلُـــومُهُمْ   وَأَسْرَارُهُـــمْ فَلَيَـــسْأَلِ المُتَرَامِـــي

وقد خُصَّ مِن تلك الوراثة بالنَّصِيبِ الأوفر، فيما بَطَنَ وظهَر، أخينا الحبيب القريب، مِن أهلِ التقريب، علي بن عبدالرحمن الحبشي القائم بالدعوة النَّافعة التَّامَّة، الخَاصَّة والعَامَّة، في بلد بتاوي، حَتَّى حسده أهلِ الحَسَد، ومَنْ كَانَ مِنْ أهله يحرق قلبه والجَسَد.

قال الشاعر[2]:

اصْـبِرْ عـلى مَـضَضِ[3] الحَـسُودِ فـإِنَّ صـبرَكَ قاتِلُـهْ

كالنَّـــارِ تأكُـــلُ بعْـــضَها إِنْ لَـــمْ تَجِـــدْ مـــا تأْكُلُـــهْ

عدد مِنَ العلوم ولقد صنَّفَ في العلوم الآتية: أُصُول الدِّين، أُصُول الفقه، والفقه، والهندسة، والمنطق، والطبيعيات، والبديع، والأنساب، والأسانيد، توفي ليلة الجمعة العاشر من جمادى الأولى سنة (١٣٤١هـ) بحيدر آباد الدكن رحمه الله رحمة الأبرار مع الآل الأطهار. والبيت الذي ذكره الحبيب محمد المحضار مستدلاً به على إثبات الكرامة لأهل الله الصالحين هو من ضمن قصيدة طويلة قالها ابن شهاب ممتدحاً مفتي الشافعية بمكة المحميّة السيد أحمد بن زيني دحلان وهي مِن غرائبِ الاتفاق لأنَّ النَّاظِم رحمه الله حرّرها في الأستانة سنة (١٣٠٣هـ) وأرسلها إليه وفي آخر تلك السنة هاجر الممدوح رضوان الله عليه إلى المدينة المنوَّرة وتوفي بها في (٤) مِن شهر صفر سنة (١٣٠٤هـ) فتحقَّق بذلك غالب ما فيها مِن الإشارات ، بدأ فيها بقوله:

دعتـك لـك البُـشرى إلى عرشـها أسـما   لترقَـى عـلى مـا فيـك معراجهـا الأسـمى

(١) يشير إلى القصيدة المشهورة والتي صدرها : على ريم وادي الرقمتين سلامي.

(٢) وهو أبو تمّام.

(٣) المضض: وجع المصيبة.

وَقَالَ آخر:

إِنَّ العَـــرَانِينَ[١] تلْقَاهَـــا مُحَـــسَّدَةً   ولَـــنْ تَـــرَى لِلِئَـــامِ النَّـــاسِ حُـــسَّادَا

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخاطباً للحبيب علي بن عبدالرحمن الحبشي: فَطِبْ نفساً، وقَرَّ عيناً، فإِنَّ جدَّك المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (لا تزال طائفة مِن أُمَّتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم مَن ناوَأهُمْ حَتَّى يأتي أمر الله)[٢] والشجاعة صبر ساعه، ومَنْ آذاك مِنْ حِزْبِ الشَّيطان، فيأخذهم الذي تدَلَّى على نَصَارَى نجرَان:

يـــامُنْتَقِمْ ياشَـــديد الـــبَطْشْ هيَّـــا دراكْ   عَجِّـلْ لأعـداء دِيـنِ المـصطفى بـالهَلاَكْ

فِي الحَـــال والمـــالْ عَجِّـــلْ ســـمح في ذَا وَذَاكْ

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول سيدي الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد: (مَنْ قَامْ لله بالقُدره كلامه يتم) أي يبلغ، وذكرت مسئلة الكفاءة ومَنْ تعرَّضَ لها مِن أهلِ الخسران، وانكفأ بهم صراط النِّيران، نقول لمن يعقل، لا لمن لا يعقل، و(ما) هُنا هي: ما وما وإِنْ أمكن ابعث لنا ما قلت وقيل لك: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] أَنَّ مَنْ كان خادم جدّهم جبريل، وأتى بتطهيرهم التَّنزيل، لا يكافئهم غيرهم وإِنْ كان جليل، وأَمَّا ملك الدُّنيا ومثله معه فلا يُسَاوِي مِن ذلك الفضل نقير ولا فتيل، ولا أقل مِن ذلك القليل، فآية التَّطهير تُنَادِي الخلق أجمعين:﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ

(١) العرانين: جمع العرنين- بالكسر- وهو السيد الشريف.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد، والحاكم أيضاً مِن حديث ثوبان مرفوعاً وروى الحديث بزيادةٍ فيه بلفظ: (لا تزال طائفة مِن أمتي على الدِّين ظاهرين ولعدوهم قاهرين لا يضرهم مَن خالفهم إلا ما أصابهم مِن لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا: وأين هم؟ قال: ببيتِ المقدس وأكناف بيت المقدس) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في «المسند». وفي روايةٍ: (ظاهرين على مَنْ نَاوَاهُمْ) فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ظاهرين على مَن ناوَأَهُمْ) فهُوَ بهمزةٍ بعدَ الواو: أي عاداهُم، وهُوَ مأخوذٌ مِن: نَأَى، ونأوا إليه؛ أي: نَهضوا للقتال. انظر «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي (١٣/ ٦٧).

لِلطَّيِّبَٰتِ...﴾[النور:٢٦] الآية، وآية ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾[التوبة:٩٥](١)، ومثلها مِنَ الآيات تقول: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور:٢٦] وكون مَن لا يُذْكَرْ رِجس وركس، تفريع على هذه الأدِلَّة، ومنها حديث: (أَلاَ لا إِيمان لمن لا محبَّة له أَلاَ لا إِيمان لمن لا محبَّة له)(٢) ولِكُلِّ ناوٍ ما نوى، ولِكُلِّ عامل عمله.

مِنْ أَقْوَالِ العارِفِ باللهِ عبد اللهِ بن مُحْسِنٍ ابن مُحَمَّدٍ العَطَّاسِ الحُسَيني (صاحب بوقور)(٣)

(١٢٦٢-١٣٥٣هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]: قولُ الإنسان: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥] دعوى منه للعبادة، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥] تبرُّؤٌ من دعواه، فالعابدُ والمعبودُ حقيقةً هو اللهُ تعالى، وما للإنسان إِلَّا ثوابُ العبادة وثمرتُها، مثالُ ذلك: إذا أعطاكَ سيفاً وشبكاً وَقَالَ لك: خُذ هذا واصطَدْ به الصيدَ، وما تصطاده فهو لك، والسيفُ والشَّبَكُ حقِّي، وما لك إِلَّا ما تصطادُه بهما، فمثال الشبكِ والسيفِ: التوفيقُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨]: إنَّ الخشيةَ شرطٌ في العِلمِ النافع، فإذا وُجِدَ العلم ولم توجد الخشية فليسَ من أهل العلم النافع،

---

(١) وكذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة:١٢٥]. والرِّجس: هو كل قذَرٍ وقد يُعبَّر به عن الحرام والفِعْلِ القبيح واللعنة والكفر. قال الزَّجَّاج: الرِّجس في اللغة اسم لكُلِّ ما استقذر مِن عمل. «لسان العرب».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ووجدته بلفظ آخر يفيد نفس المعنى وهو: (والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حَتَّى يحبكم لله ولقرابتي) أخرجه أحمد في «المسند»، والبغوي.

(٣) المولود ببلدة (حورة) من قُرَى الكسر الشهير بعروض آل عامر مساكن نهد بحضرموت يوم الثلاثاء في الـ(١٠) من شهر جمادى الأُولى سنة (١٢٦٢هـ) والمتوفَّى ظهر الثلاثاء آخر يوم شهر ذي الحجة سنة (١٣٥٣هـ)، ودُفِنَ في بلدة بوقور بالقرب من جاكرتا عاصمة إندونيسيا.

والخشية في العلم لا تأتي مِن جِهَةِ الكسب، بل مِنْ جِهَةِ الفَيض الإلهي، ومتى وُجِدَتِ الخشية في القلب فاضَ نورُها على الظاهر، والعلمُ بالله مقرونٌ بالخشية.

وَقَـالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨] أي: مُحسنون في تقواهم، وأمَّا المعيّة: فداخلون فيها كلُّهم: المتقي والمحسنُ في تقواه وغيرُ المحسن، لكنَّ المحسِنَ في تقواه له مَعِيَّتانِ: معيّةُ التقوى، ومعيّةُ الإحسان. وأوَّلُ مقاماتِ التقوى: لا إله إلا الله، وبعدُها لا تُحصى مقاماتُ التقوى، فكل مطلوبٍ شرعيٍّ هو مقامٌ مِن مقاماتِ التقوى.

وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [التوبة:٥٥]: فما وجهُ تعذيبهم بها في الدنيا معَ أنَّ ظاهر حالهم يدلُّ على كمال نعيمهم في الدُّنيا بأموالهم وأولادهم؟ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ تعذيبهم بها في الدُّنيا هو اشتغالهم بها عن الله وعن معرفة الحق.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ مَن قال مِنَ المفسّرين: إنَّ الساجدين هُم الصحابة في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٩]، وقَصَرَ المعنى على ذلك فقد تحجَّر واسعاً، بل إنَّ الساجدين هُمُ الذين ظهَرَ فيهمُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بخُلُقٍ مِن أخلاقه أو عمَلٍ مِن أعماله أو علم من علومه أو سرٍّ من أسراره، ويدخل في هذا آباؤه إلى آدمَ من باب أوْلى لظهوره فيهم ومنهم حسّاً ومعنًى، فلا يجوز أن يكون فيهم غيرُ مسلم، وهو الخيار وهُم الخيار، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أنا خِيارٌ من خِيار)[1]، ثُمَّ يدخل في الساجدين أصحابُه، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، لأنّه ما من واحدٍ منهم إلاّ وقد تخلّق بخُلُقٍ من أخلاقه أو عمَلٍ من أعماله أو علم من علومه أو سرٍّ من أسراره، فهو مظهرُ تقلُّبِه فيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ يدخل فيه أهلُ بيته خصوصاً، لا ختصاصهم في الانتساب إليه حسّاً ومعنى، ثُمَّ يدخل باقي الأُمّة عُمُوماً، فما مِنْ مظْهَرٍ مِن مظاهرِ الخير إلّا وهو مِن تقلّباته ومُمَدٌّ مِن نُورِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه البخاري والحاكم في «المستدرك».

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨] : أيِ لا يُبصرون ما بهِ مِنَ الكمالات، أثبَتَ لهم نظرَ الأبصار ونفى عنهم الإبصار الحقيقي.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنِ البَلاءِ الحَسَن المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال:١٧]، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البلاء الحَسَن: هو الذي يصحب الإنسانَ اللطفُ فيه، ويحصل له الأجر بواسطته، ويخِفُّ عليه موقعُ المكروه بسببه.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧]: لِمَ خصّصَ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة:٨٧] وباقي الأنبياء ألَمْ يُؤتِهِمُ البيّنات؟ فأجابَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: إنَّ آيات عيسى خصّها بالذِّكر لكونها لم تكُنْ مثلَ آيات الرسل الآخرين، مثلَ: إحياء الموتى، وإبراء الأكْمَه والأبرص، فإنَّ الآيات تقع على حسب حال المرسَل إليهِمْ، حتى ذكروا أنه في وقت سيدنا عيسى كثُرَ الأطباء، فجاءت آياتُه بإبراء الأكْمَه والأبرص وإحياء الموتى على مُقتضَى ما هُمْ عليه، وهكذا كُلّ رسولٍ، آياتُه تأتي على حسب قومه المرسَل إليهِمْ، ونبينا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم أكبرُ معجزاته القرآن الكريم، لكونهم في غايةٍ من الفصاحة والبلاغة في اللغة العربية، حتى قال لهم الحق: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣]، فعجَزوا.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث: (نيّةُ المؤمن خيرٌ مِن عمله)(١): أي إنَّ عملَ المؤمن قد يكون في ظاهره قليلاً، ولكنَّه ينوي –بالصُّورة التي أقامها– ما يَنتُج منها مِنَ الأعمال الكثيرة، فبهذا الاعتبار يكون الذي نواه أكثرَ مِنَ الذي عمله.

وأشَارَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى معنى حديث: (إذا ماتَ ابنُ آدم انقطَعَ عملُه..)(٢): إنَّ عمَلَ الإنسان غيرُ سعيه، فالعملُ هو: كُلُّ ما باشره الإنسان بنفسه، وذلك هو الذي ينقطع بموته، وأمَّا كُلُّ ما

---

(١) رواه البيهقي وغيره.

(٢) رواه البخاري في «الأدب»، ومسلم، وأبوداود، وغيرهم.

سعى الإنسانُ له وتسبَّب فيه مِمَّا يصل الإنسانَ مِن ثوابٍ وقراءةٍ ودُعاءٍ وغيرِ ذلك فهو مِن سعيه؛ لأنّه هو السَّبب فيه، فلولا وجودُ الصِّفة التي كانت سبباً لذكرهم له بالدُّعاء والقراءة مثلاً لَمَا ذكروه، فبهذا الاعتبار كُلُّ عمَلٍ يُعمَل بعدَه وهو سببه فهو سعيٌ له يُثابُ عليه.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث: (الحِدَّةُ تعتري خِيارَ أُمّتي)[1]، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المرادُ مِنَ الحِدَّة هنا الغضبُ لله عند انتهاك محارمه، وأمَّا إذا كانت الحِدَّة في غير ذلك فليست محمودةً بحالٍ وإنَّما هيَ حماقَة.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حِكمة توصيته صلى الله عليه وآله وسلم بالنساء قُربَ وفاته؟ فأجابَ بقوله: لوجود الضَّعف فيهِنَّ ولكونهنَّ سبباً في وُجُودِ الذُّريّة، والحقائق في النَّسَب أيضاً راجِعَةٌ إليهِنَّ.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عدم صلاته صلى الله عليه وآله وسلم على الميت المديون؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لكون دعائه صلى الله عليه وآله وسلم مقبولاً، وذِمَّةُ المديون معلَّقةٌ بالدَّين، فإذا دعا له سقَطَ حَقُّ المَدِين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العِلم عِلمان: **عِلم خشية ونُور**، وهذا كلَّما ازدَادَ منه الإنسان ازدادت معرفته بنفسه، وتحقَّق أنه لا يعلم من العلم شيئاً. **وعلم اللسان**: كلَّما ازدادَ منه الإنسان ازدَادَ دعوى وظَنَّ أنهُ لا يوجد في العلم مثله.

والعِلْمُ ثلاثةُ أقسامٍ: **علْمُ يقينٍ**: وصاحبُه على هُدىً من ربِّه، فلو صدرَ منه شيئاً تداركَه اللطفُ الإلهيُّ كما قالَ قائلُهم: (طلبْنا العلْمَ لغيرِ اللهِ فأبى العلْمُ إلَّا أنْ يكونَ لله). **وعِلْمُ الفُسُوقِ**: فصاحبُ هذا العلْمِ يُتْرَكُ حالُه، لأنَّ ذلك مرادُ اللهِ فيه. **وعِلْمُ جِدَالٍ**: فصاحب هذا العلمُ لا تنبغي مجادلتُه إلَّا مَنْ عَلِمَ أَنَّ مجادلتَه قد تعيَّنَتْ عليه، وأنّهُ قادر على إقامة الحُجّة عليه، وعلى قطعه بها وإلَّا تركه وشأنه وهو الأفضل.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلوب بعض أهل الجهات مثل الحَجَرِ، لا يخرج منه الماء إلَّا بالضرب، وبعضهم مثل النَّارجيل إذا لم تكسرها لم تتوصَّل إليها ، وأمَّا أهل حضرموت فحقّهم الصبر والرياضة.

---

(١) رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وسأله الحبيب علوي الحدَّاد عن معنى قولهم : الطرق إلى الله بِعَدَدِ أنفاس الخلائق، وقال له : إنَّ الوالد عبدالله[١] بن هادون[٢] بن أحمد المحضار يقول بهذا الاعتبار، ويكون الشيخ طريقةً مِنَ الطرق الموصلة إلى الله فما معنى قولهم لا بُدَّ مِنَ الشيخ؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الأنفاس التي تُوصل المريدَ إلى الله لا بُدَّ له من معرفتها ليصل بها إلى الله، وما دام يجهلها فلا بُدَّ من مُعَرِّفٍ له بها ولا مُعرِّف له إلَّا الشيخ فعلى هذا لا بُدَّ مِنَ الشيخ، ثُمَّ إنَّ هناك أشياء لا يعرفها إلَّا الشيخ فلا بُدَّ للمريد منه والذي يأتيه بواسطة الشيخ لا يقدر عليه هو لأنَّ هِمَّة الشيخ عظيمة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الحبيب علي بن حسن العطاس في مدح أهل البيت مِنْ قصيدةٍ طويلة: وأهل قلب الجرائم للمحبِّين حسنات

يعني أَنَّ المحبِّين لأهل البيت بسبب محبتهم فيهم يكون قربهم ، وإذا تقرَّبوا إليهم أحبّوا طريقتهم ، فإذا أحبّوا طريقتهم تابوا ممَّا كانوا ملابسين له من الجرائم ، لأنَّ الاتِّباع لا يكون إلَّا بعد التوبة ، وبسبب التوبة تنقلب سيئاتهم حسنات، فقال له الحبيب علوي بن طاهر الحدَّاد[٣]، أَنَّ الحبيب عمر بن حامد مُستشكل هذا البيت غاية الإشكال ولو سَمِعَ كلامكم هذا بانْحَل إشكاله، فقال سيدي : ما هو إلَّا هذا المعنى لأنَّ المحبّة تؤدي إلى الاتِّباع والاتِّباع لا يكون إلَّا بالتوبة ، وبالتوبة تُبدَّل السيئات قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا

---

(١) قال عنه جده الإمام أحمد المحضار : (وبن هادون من ثقات الرجال) ، وقد قرأ على جده الكثير من كتب الفقه وقرأ عليه «الصحيفة السجادية» للإمام زين العابدين ويرويها جده بالسند المتصل من طريق السادة آل بني علوي .

(٢) ولد الحبيب هادون بن أحمد المحضار ببلدة القويرة سنة ١٢٥١هجرية ، سماه والده أوّلاً محمداً وبقي اسمه إلى سن العاشرة ولـمَّا تلقى خبر وفاة شيخه الحبيب الداعي إلى الله ورسوله هادون بن هود العطاس سماه باسمه (هادون) تبركاً ومحبة لشيخه ، وسافر إلى جاوة طلباً للمعيشة والدعوة إلى الله حتى جاءه الأجل المحتوم وهو في جزيرة (فلمبان) مسموماً على يد رجل صيني سنة ١٢٨٤هجرية وعمره ٣٣ سنة .

(٣) وُلِدَ بقيدون سنة (١٣٠١هـ)، وتوفي بجوهور في ماليزيا سنة (١٣٨٢هـ)، وصنَّف المصنّفات الرَّائعة النافعة، التي لم يُسبَق إليها. انظر «الدَّليل المشير».

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠] فقلتُ له: الوعيد الشديد للذين يُبغضون أهل البيت الذي ذكَرَهُ الحبيب عبدالله الحدَّاد بقوله:

والذي يبغض أهل البيت يُبشر بتنكيدْ في حياته وفي موته عقوبه وتشديدْ

هل هو على إطلاقه؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، إنَّمَا هو مخصوص بمَنْ يُبغضهم لذواتهم إذا بغض السيد لكونه من أهل البيت دخلَ في هذا الوعيد الشديد، وأمَّا إذا أبغضهم لوصف مِنَ الأوصاف المذمومة التي تلبَّسَ بها فلا يدخل في هذا الوعيد الشديد.

وسأله الحبيب علوي الحدَّاد: لِمَ قال الحبيب عبدالله الحدَّاد: (أهل اليقين لعينهِ ولحِقِّهِ) ولم يذكر علم اليقين؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأنَّ عين اليقين، وحق اليقين لا يكونان إلَّا بعد علم اليقين فاستغنى عن ذكره لأنَّهما نتيجته وهو الأصل.

ثُمَّ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُخاطباً للحبيب علوي: إذا أخبرت أحداً وقلت له: فلان في البيت فإنهُ يُصدِّقك لكونك ثقة وهذا مثال علم اليقين، ثُمَّ إذا ذهبتَ إلى بيته ودخلتَ عليه ورأيته فهذا مثال حق اليقين، والناس يتفاوتون فيه وهذا مثالنا مع الحبيب المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو المخبِر لنا عن ربنا، وعاد مرتبة رابعة وهي حقيقة اليقين ولا تكون إلَّا لنبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجاه المذموم هو الذي يطلبه الإنسان بنفسه لنفسه، ووَصَفَهُ لنا الحبيب عبدالله الحدَّاد بقوله:

ولا تطلُبَنَّ الجاه يا صاحِ إنّهُ شهيٌّ وفيه السم مِنْ حيث لا تدري

وأمَّا إذا قام العبد لله في مثل هذا المقام فلا ذم ولا ملام، وكذلك الكرامة التي يطلبها الولي وكان السبب في إظهارها ينقص بها مقامه، وإنْ ظهَرَتْ بلا طلَبٍ منه فلا ينقص مقامه لأنّه ليس له اختيار في إظهارها، وصُحبة العارف بالله تنفعك في الدُّنيا والآخرة لكنّها في الآخرة مثل الشمس فهي وإنْ لم تَصِلْ إلى درجتها فضياؤها وإشراقها يصلك.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للإنسان إذا طلَبَ شيئاً من المطالب يسأَلُ اللهَ العافية، لكن العافية عافيتين: عافية ظاهرة، وعافية باطنة، **فالعافية الظاهرة** هي: الحفظ من الأمراض والأسقام، **والعافية الباطنة**: هي الحفظ من أن يُدْخِلَ عليها المالَ الحرامَ، أو شبهه، والحفظ مِنْ أن تكون النِّعَمُ التي أنعمَ الله بها عليه مصروفة في معاصي الله، وفي ما لا يُرضي الله، فإنْ حَصَلَ له الحفظ

مِنْ ذلك وإلَّا فليسَتْ عافية حقيقة لأنَّ عاقبتها غير محمودة لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، فإذا سأل الإنسانُ ربَّه العافية فليسأله العافيتين: العافية الظاهرة، والعافيةَ الباطنة.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بن عبدِ الرَّحْمَنِ ابن عليٍّ السَّقَّافِ الحُسَيني(١)

(١٢٧٨-١٣٥٧هـ)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: أعمال الباطن مثل مُكابدات النَّفس ومُجاهداتها، وأعمال الظاهر مثل الصدق والورع والزُّهد في الدُّنيا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا جَالَسْتَ الملوك فاحْفَظْ لسانك، وإذا جالست الأولياء فاحفظ قلبَكَ، لأنَّ الأولياء ينظرون إلى البواطن.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل البيت النَّبوي لهم الفضل والشرف على كُلِّ الناس، ولهم المزيد على المسلمين، لأنَّ الله فضّلهم على غيرهم وجعلهم جُزءًا مِنْ أجزائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحُبّهم على الناس واجب، بِنَصِّ قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، أي: قُلْ لَهُم يا محمد ما أُريدُ منكم أجراً إِلَّا محبّتي ومحبَّة قرابتي، وفي الحديث الآخر: (مَنْ أحبَّهُم فبحُبِّي أحبَّهم، ومَنْ أبغضَهم فقد أبغضَني)، قال الحبيب عبدالله الحدَّاد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَآلُ رَسُولِ اللهِ بَيْتٌ مُطَهَّرٌ مَحَبَّتُهُمْ مَفْرُوضَةٌ كَالمَوَدَّةِ
هُمُ الحَامِلُونَ السِّرَّ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَوُرَّاثُهُ، أَكْرِمْ بِهَا مِنْ وِرَاثَةِ

وحبيبكم محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ با يشتق منكم إذا ما فَرَّحتوه وكَرَّمتوه، الإنسان ينظر في نفسه إذا أحد أكرَمَ ولدَك وحَبَّهُ وفَرَّحهُ با تفرح منه، أولاد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثلكم، إذا أحد أَكْرَمَ أولاده وحَبَّهم يا بخته بالجزاء والمحبّة والإيناس مِنَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويا سعادته ويا فوزه ويا بُشْرَاه، قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (النُّجُومُ أَمَانٌ لأهلِ السَّماءِ، وأهلُ بيتي أمانٌ لأهلِ الأرْضِ، فإذا ذهبَتِ النجومُ أتى

(١) المولود بمدينة سيؤن في (١٩) مِنْ شهر شعبان سنة (١٢٧٨هـ) والمتوفّى قبيل مغرب شمس يوم السبت في (٤) مضَتْ مِنْ شهر محرَّم الحرام سنة (١٣٥٧هـ) ودُفِنَ بقُبّة والده بمدينة سيؤون.

أهلَ السَّماءِ ما يُوعَدونَ، وإذا ذَهبَ أهلُ بيتي أتى أهلَ الأرْضِ من الآياتِ ما يُوعَدون)(١). وأهلُ البيتِ عليهم لا يحيدون عن سَنَنِ جدِّهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يتخلَّفون عن أعمال أهلهم وسلفهم وما هُمْ عليه، لأنّهم اتّبعوا النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا حادوا عن طريقته، ما خذوا كذا ولا كذا، غير كما قال الحبيب عبدالله الحدَّاد:

وَمَضَوْا عَلَى قَصْدِ السَّبِيلِ إِلَى العُلا ... قَدَماً عَلَى قَدَمٍ بِجِدٍّ أَوْزَعِ

والوالد عبدالرحمن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:

طَريقُهم مدارُها يا صاح ... على عقيدةْ سلفِ الصَّلاحِ

وسَلَفِ الصلاح هُمْ: لي تقرأون مناقبهم وسِيرَهم وشمائلهم، تسمعون كان يقول كذا، وفَعَلَ كذا، ولَهُ مِنَ الأعمالِ بالليل كذا، والنهار كذا، طريقهم سهلة جَمْ، جمعها الحبيب علي الحبشي بقوله:

وَهَا هِيَ أعمالٌ خَلَتْ عن شَوائبٍ ... وعِلْمٌ وأخلاقٌ وكَثْرَةُ أَورادِ

وقبله هذا البيت:

وإِيّاكُمْ مِنْ صُحبةِ الضِّدِّ إِنَّني ... رَأَيتُ فَسَادَ المَرْءِ صُحْبَةَ أَضْدَادِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لا يستغني الإنسان على ذكائِه وفطنتِه وعقلِه، بل يجمعُ ذكاءَه إلى ذكاء أخيه المؤمن، وفطنَتَهُ إلى فطنةِ أخيه أيضاً، وعقلَهُ إلى عقلِه، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨] وَقَالَ لنبيِّه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: الأسماع ملآنة مِنَ العِلم، ملآنة مِنَ الوعظ، لكن العمل قعَد بنا، تخلَّفنا عنِ العمل، لا معنا خشوع ولا ورع حاجز ولا زهد ولا تحرِّي في المأكل والملبَسِ، معَاذْ بانقول الأبواب كلّها مُقْفَلة، المفاتيح فوقها، والحجاب عاده إلَّا قليل، أمَّا لو صُكَّت والعياذ بالله الأبواب، بعيد علينا فتحها، الله لا يغلقها دُوننا.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥٩٢٦)، والطبراني في «الكبير» (٦٢٦٠) والروياني في «مسنده» (١١٥٢).

قال الحبيب عبدالله الحدَّاد رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَحْمِلُ نَفْسِي مَا اسْتَطَعْتُ عَلَى اقْتِفَا سَبِيلِهِمُ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي الرَّمْلِ

مَنْ منكم با يحمل نفسه على اتِّباع سلفه كما عبدالله حدَّاد، وشُوه سهل الحمد لله، أعطانا الله كتابه تفصيلاً وإجمالاً، وأعطانا السُّنَّة تُبيِّن لنا المُجمل، وأعطانا الفَهم، ولكن أين التالي؟، وأين المستمع؟، وأين الرَّاغب؟، وأين العامل؟، وأين المستيقظ ؟.

قال الحبيب عبدالله الحدَّاد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

لَقَدْ عَزَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ مُوَافِقٌ يُعِينُكَ فِي مَجْدٍ وَيَنْهَاكَ عَنْ سُفْلِ

إِذَا قُلْتَ خَيْراً قَالَ: لَبَّيْكَ مُسْرِعاً وَإِنْ قُلْتَ شَرّاً قَالَ: أَقْلِيكَ أَوْ تَقْلِي

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إذا عَمِلَ الإنسان عَمَلاً مِنْ أعمالِ البِر كصلاةٍ وصدقةٍ وتلاوةٍ، تجده يشُوبه بالعُجب، يقول: أنا لقّيت كذا كذا ركعة، كذا كذا تسبيحة، مِنْ أين با يجي نِحِنْ البلاء، وأنا لقّيت كذا وأنا صليت لله كذا ركعة، كلّها أعمال مُكدَّرة بالعُجب، يدخل علينا الشيطان، شو العُجب يسلب النعمة التي خوَّلك الله إيَّاها، قال الله ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، مَنْ يأمَن مكر الله؟، مَنِ اللي وفقك للقراءة؟ مَنِ اللِّي وفّقك للقيام والصيام؟ كلّها نِعَمٌ مَنَّ عليك المولى بها جلَّ وعَلاَ، شو السلف يشوفون التقصير في أعمالهم ويخافون أن يدخلها عُجب أو غيره معَ أنَّ أعمالهم مؤيّدة بالجد والتشمير وسالمة مِنَ الشوائب، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١] وفي الآيةِ الأُخرى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [القصص:٥٤]، قال الشيخ عمر بامخرمة[1]:

مَنْ لبس مسدره غبرا فرا الغرب وافرا وان حمَلْ مسبحَه واقبَلْ بلا قلب يقرا

قال لي منزله داخل وهو قِيم برّا فاحْتلقن اللِّحى وامْسَوا في الفتنة أسرى

لا ادركوا لذَّة الدُّنيا ولا فوز لخرى

---

(١) هو الشيخ العارف بالله عمر بن عبدالله بامخرمة، توفي سنة (٩٥٢هـ).

وجرى معه ذكر الحضور فقال رَحِمَهُ اللهُ: سُئِلَ الحبيب علي بن محمد الحبشي عنِ السبب في كون الإنسان إذا حضر في مجَالِسِ الأكابر مِنَ العارفين يحصُل له حضور وتزول عن قلبه الوسَاوس، عَكْس حاله في الصلاة وهو في حضرةِ الله. فقال: لأنَّ مجالس العارفين يكون التَّعرُّف مِنَ الله إلى الإنسان، وفي الصلاة يكون التعرُّف مِنَ الإنسان إلى الله، وفرق بين التعرُّف إذا كان مِنْ تحت وبين ما إذا كان مِنْ فوق.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ بعد الإنشاد بقصيدةِ الشيخ عمر بامخرمة رَحِمَهُ اللهُ التي مطلعها:

إليـكَ إليـكَ القـصدُ يـا اللهُ يـا أحَـدْ ... إليـكَ إليـكَ الوفـدُ يـا اللهُ يـا صَـمَدْ

قال رَحِمَهُ اللهُ: هذه القصيدة للشيخ عمر بامخرمة، قال العُلماء بالله: إنَّ فيها الاسم الأعظَمُ، وهي على أربعةِ أقسام: أوّلها التجاء وافتقار، وأوسطها مدح وشكر للغني القهَّار، وبعدها تضرُّع وافتقار، وآخرها مقام الصوفية الأبرار، قال فيها: (أَمَا هذه نَجْدٌ ابقَ فيها ولا تعد) ، والقصيدة بعيدة الأطراف، والكلام عليها يستدعي مجلَّدات عِظَام، أوّلها: (إليكَ إليكَ القصد ياالله يا أحد) لا إلى أحد غيرك، (إليك إليك الوفد يا الله ياصمد):

إليـكَ فأنـتَ العِـزُّ والكنْـزُ والغِنَـى ... ومُلتجـأُ اللاَّجـينَ والـذُّخْرُ والـسَّنَدْ

وبعدها:

فيَـا حَـيُّ يـا قيُّـومُ يـا مَـنْ تَوجَّهَـتْ ... إليـــهِ وجُـــوهُ الآملـــينَ ولَمْ تُـــرَدْ

أي لم ترجع خَلِيَّة:

أَغِثْنــي أجِــرنْي مِــنْ عــذابِكَ سـيِّدي ... ومِـنْ طلَبِـي غَـوثُ الخلائِـق والمـدَدْ

أي أغثني مِنْ طلَبِي غوث الخلائق والمدد، وأجرني ياسيدي مِنْ عذابك.

مـدَدتُ إليْـكَ الكَـفَّ أَلْـتَمِسُ الغِنَـى ... ولَمْ أَبْغِ نَحْوَ النَّاسِ ياذا الجَلالِ مَدْ

أي مددتُ إليك كفِّي ألتمسُ غناك لي مِنْ فقري، وليس لي حاجة بالناس ما مددت كَفِّي إلَّا إليك. والغِنَى ما هو غِنَى في التوسعة في الرِّزق، ولا غِنَى الدنيا لي نطلبه نحن، وإنما هو الغنى الذي يطلبونه القوم مِنْ ربهم، اللَّهُمَّ أغنني بحلالِكَ عن حَرَامِك، وأمَّا نحن مُقتصرين في طلبنا الغِنَى على التوسعة في الرزق وكثرة الدنيا، هِمَمُنا قاصرة على الدّرهم، والدِّينار، والمصرا، والبهَارِ.

ثُمَّ قال الشيخ عمر با مخرمة رَحِمَهُ اللهُ:

فجُدْ يا كريمَ الوجْهِ لي واقْضِ حَاجَتِي ... وهَبْ لِيَ يا مُغني المُقِلِّينَ بسْطَ يَدْ
إلى مَنْ تكِلْنِي يا مَلاذي وَمَوْئِلي ... إلى نَفْسِي أَهْلَكُ أو تَكِلْنِي إلى أَحَدْ
مِنَ الخَلْقِ يارَبِّ أَضِيعُ وَلَا وَلَا ... ولَكِنْ إليكَ الملتجا والرَّجا وَقَدْ
قَصَدْتُ بحَاجَاتِي إِليكَ ولَيسَ لي ... سِوَاكَ، وَهَلْ رَبٌّ سِواكَ لها يُعَدْ؟

وبعدها تَوسَّل بأسمائه العِظَام، فقال:

بحُرمةِ باسمِ اللهِ لا تَحْرِمَنَّنِي ... عَطَايَاكَ يا رحْمنُ حُلَّ لي العُقَدْ
وزِدْني مَزِيداً يا رَحِيمُ يكونُ لي ... مِنَ الدِّينِ والدُّنيا مزيداً بغيرِ حَدْ
فمَنْ تُغْنِهِ فَهْوَ الغَنِيُّ ومَنْ تكُنْ ... وُجُوداً له يا مُوجِدَ الكُلِّ قَدْ وَجَدْ
ومَنْ كانَ في أَحْوالِهِ بكَ حَاضِراً ... لَدَيْكَ فماذا فاتَهُ ما الَّذِي فَقَدْ؟

أي أيُّ شيءٍ فاته؟ وأيُّ شيءٍ فقده ثُمَّ رجعَ يتبجَّح تحدُّثاً بالنعمة، فقال:

أَنَا عَبْدُكَ المَنْسُوبُ بينَ أَقَارِبِي ... إِلَيكَ، وَهَلْ عَبْدٌ يُهانُ إذا عَبَدْ؟

لا، ما يُهَان، إنما هو يُكرَمُ وينال فوق مراده ويحظَى بآماله، والمعنى: أني عبدك المنسوب إليك بين أقاربي، وهو أحسن وصف للنبي ﷺ ومِنْ بعده خلفائه قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء:١] والآية الأخرى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]، يتحدَّث الشيخ بالنعمة خلافة عن النبي ﷺ، نسَبَ نفسه إلى عبادةِ مولاه، فاستغنَى به عَنِ الخلق:

وَهَلْ يَجْمِلُ المَوْلَى تَغَافُلَه إذا ... بَدَتْ حاجةُ المملوكِ أو ذاكَ يُعْتَمَدْ
فَدَبِّرْ أُمُورِي الكُلَّ تدْبيرَ مُشْفِقٍ ... رَحيمٍ يُراعي عَبْدَهُ إنْ قامَ أَوْ قَعَدْ

كما هي صفاتك: الشفقة، والرّحمة، واللطف، والرأفة، والحنانة بعبدِكَ الضعيف.

وحِطْنِي ولَاحِظْنِي وأَلْقِ محبّةً ... عَليَّ بِودٍّ منكَ تَبْقَى إلى الأَبَدْ

أي حِطني بالسَّعادة والحِفظ واللُّطف، ولاحظني بعينك التي لا تنام، وألقِ عليَّ محبّة منك لي بودٍّ يبقى إلى الأبَدْ. والمحبّة مقام كبير، ويعيش صاحبها عيشاً هَنِيَّاً في الدنيا والآخرة،

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة:٥٤]، أوّلاً هو ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] تابعاً، أو الآية الأخرى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، أوّلاً هو، ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩] تابعاً.

يـــا الله بـــذرّه مِـــنْ محبّـــةِ الله　　أفنَـى بهـا عـن كُـلِّ مـا سِـوَى الله

وَقَالَ الشيخ عمر بامخرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القصيدة الأخرى:

مطربه قال محبوب القلوب الوفَا حَلْ　　والذي جيتنا به مِنْ قدا الدِّين قابَلْ
عندنا يـا عُمَـرْ مَـنْ رَادْ يَعْمَـلْ فيَعْمَـلْ　　لا كثيره يُفرِّحنـا ولا نِـسخط إنْ قَـلْ
وإن جفَـا أوْ زَلْ مـا الزلّـه تزيله إذا زَلْ　　ذِه صـفتنا بهـا المحبـوب مِنّـا يُعامَـلْ
مـا نخلِّيـه فـيما فيـه خِلّـه إذا حَـلْ　　غـير نمهلـه لي شُفناه مِنْ نهجنـا مَـلْ

ثُمَّ قال:

فإنّــك لي مــا زلــت بــل لم تــزل ولا　　تـزال بلُطفِ الـصُّنع تُطلق ما انعقَـدْ
وكـم لـكَ يـا ذا الجُـودِ والمجْدِ والعُـلا　　لطـائفُ لا تُحـصى لمُحْـصٍ ولا تُعَـدْ
فيَـــا دَائِـــمَ المعْـــرُوفِ لا تَقْطَعَنَّـــهُ　　وتَمِّمْ وعَمِّمْ واصلح الرُّوحَ والجَسَدْ
وأهـــلِي وأولادي وأهـــلَ مـــودَّتي　　أنِلْهُـم غِنَـى الـدَّارين عَفْـواً بـلا نَكَـدْ
وقُلْ: هَـاكَ يـا عَبْدي وهَـاكَ مُضاعَفَاً　　هَنيئـاً مَريئـاً مُـرْغِماً كـلَّ ذِي حَـسَدْ
فبابُـكَ مَقْـصودي وجُـودُك مَـوْرِدي　　وخيرُكَ معهودِي وجَدْواكَ لي عَمَـدْ
ولكـــنَّما فَقْـــري وضُرِّي أَصـــارَني　　إلى بـــثِّ شـــكوايَ إليـــكَ ولا أَوَدْ
إذا كـــانَ شـــكوايَ إلى مَـــنْ بـــأمْرِهِ　　تقوَّمـتِ الأكـوانُ وامتـدَّتِ الـمُدَدْ

أي أنَّ الذي ألجأني إلى بثِّ الشكوى إليك فقري وضُرِّي وأنت أمرتني أن أرفَع ما بي إليك، وإلَّا فأنتَ أعلم بي وبما أصابني ولا حاجة للشكوى لولا أنت أمرتني بها:

ومــا ذاكَ إلَّا مالــكُ المُلْــكِ ربُّنــا　　ومالكُنــا في يومِنــا الـدُّنيويْ وَغَـدْ

ثُمَّ رجَعَ إلى حال الصوفيّة والغنى بالله والاستغناء عنِ الناس، فقال:

فـيمِّمْ فِنَـا أبوابِـه وانطـرِحْ وقُـلْ　　أمَـا هـذه نَجْـدُ ابْـقَ فِيهـا ولا تَعَـدْ

قوله: (لا تَعَدْ) يعني لا تتعدَّاها.

أَقِـمْ في حِمَاهـا بـين مَاهَـا ونَبْتِهـا　　ففيهـا لأهـلِ الجِـدِّ أكـبرُ كُـلِّ جَـدْ

وغِبْ عن سِواها وانجذِبْ وانقطِعْ بها ... إلى مَـنْ بهـا تَحْظَـى بِفَذْلَكَـةِ العَـدَدْ

أي بجمع العَدَدَ وجُملته.

وتملُـكُ مُلْكَـاً لا يَبيـدُ وتَنْتَهـي ... إلى مَقْعَـدِ الصِّدْقِ الـذِي عَـزَّ وابْتَعَـدْ

على غيرِ أهلِ الصِّدْقِ فالصِّدْقُ يافتى ... أَسَاسٌ لنيلِ القَصْدِ في كُلِّ مُقْتَصَدْ

فكَمْ قامَ لا بالصِّدْقِ شَخْصٌ فما شَفا ... غليلاً وكَمْ نالَ الصَّدُوقُ وقَدْ رَقَدْ

وكَـمْ قَـدْ رَأَينـا مِـنْ جَبَـانٍ مُحَقَّـرٍ ... أَشَارَ بأَيْدِي الصِّدْقِ فَاسْتَأْسَرَ الأَسَدْ

جبان مُحقَّر قال للأسَدِ بأدنى وجهَة: تعال، فأتى إليه الأسَد مُتذَلِّلاً مخطُوماً ويش يقود الأسَد؟ ويش يجيبه مِنْ مكانه؟ ويش يُقابله؟ لكن الصدقَ يُذلِّل صعب الأمور، ويُوطِّئ الرؤوس الصّليبة، قال الشيخ عمر بامخرمة:

وذي نجـدَةٍ مـشهورةٍ وشـجَاعَةٍ ... لقِلَّـةِ حِفْـظِ الصِّدْقِ مِنْ أَرْنَبٍ شَرَدْ

أي ذي قُوّة وعزيمة ونجدة وشَجَاعة مشهورة، شرَدْ مِنْ أرنَبٍ لِقِلَّةِ حِفظ الصدق، والصدق سُلَّم إلى كُلِّ خير، وينال به الإنسان كل خير، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] والآية الأخرى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر:٣٣]. أورَدَ الإمام القُشيري وأَبُو طالب المكي في «قُوته» والغزالي في «الإحياء» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، حديث: (الإخلاصُ سِرٌّ مِنْ أسراري استودعْتُه قلْبَ مَنْ أحبَبْتُ مِنْ عبادي)، والمحبّة شأنها عظيم، إذا أحبَّك مولاك خافَكَ كل شيء، رجعت تتكلَّم به وتُبصر به وتسمع به وتبطش به، كما في الحديث القُدسي.

يـا اللهْ بِـذَرَّهْ مِـنْ مَحَبَّـةِ اللهْ ... أَفْنَـى بهـا عَـنْ كُـلِّ مـا سِـوَى الله

ويقولُ قائلهم: لو غابَ عنِّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَرْفَةَ عين ما أعددت نفسي مِنَ المؤمنين.

ويقول الآخر: إذا أحرمتُ بالصلاة فافعلوا فِيَّ ما شِئتم.

فكُنْ قـائِلاً بالـصِّدقِ واعمَـلْ بـهِ ودُمْ ... عليـهِ وسَـائِرْ مَـنْ بِـهِ جَـدَّ واجْتَهَـدْ

وسَلْ ربَّكَ التوفيقَ ما عِشْتَ واستعِنْ ... بـهِ فهـوَ نِعْـمَ المـستعانُ لِمَـنْ قَـصَدْ

فيـا اللهُ يـا ربَّـاهُ يـا مُنتهـى الرَّجـاء ... أَعِـذْنَا وأَيِّـدْنَا إلى مُنتهَـى الأَبَـدْ

وسخِّرْ لنا الأسْبابَ واشرَحْ صُدُورَنا بخيرٍ فَجَاهُ المـصْطَفى أَكْمَلُ العُـدَدْ

والعارفين بالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أُعطوا مقاماً عظيماً في الدُّنيا، ومقَاماً عظيماً في الآخرة.

مِنْ وَصَايا وَأَقْوالِ العارِفِ باللهِ أَحْمَدَ بن مُحْسِنِ ابن عَبْدِ اللهِ الهَدَّارِ الحُسَيني[1]

(١٢٧٧-١٣٥٧هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ في وصيّته للسيد حامد بن محمد بن سالم السّري: **أوصيك** بتقوَى الله وطاعته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والعَمَلِ بما في الكتابِ والسُّنّة، والسلوك على قَدَمِ سيِّدِ المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقَدْ أنتجَ لهم هذا الاتّباع على ذلك القَدَمِ الوُرُود على بحرِ سِرّ سيِّد الوُجُود، وصَارَ بالوراثةِ لهم مورود، فيالها مِنْ وِراثَةٍ مُحَمَّديّة وخُصُوصيّة أحمديّة، خصَّتْ بها الربوبيّة، النفوس الطاهرة الزّكيّة، مِنْ فُرُوعِ الحضرةِ المحمّديّة، ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩]، تأمَّلْ في مَرْجَعِ الضمير وعَوْدِهِ في قوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ ﴾ [الواقعة:٧٩] وهُنا مَنْزَعٌ لطيف يفهمه كلّ حبيبٍ شريف، ذي مقام منيف، ومَنِ اتَّقَدَتْ في باطنه مصابيحُ الأنوار، فَهِمَ دقائقَ الأسرار، حِكْمَةُ حَكيم، ومِنّة كريم، أَشْرَقَتْ في الباطنِ النُّور، ليتّضِحَ بِهِ كُلّ مُنوَّر، ولولا ذلك لَمَا صَحَّ العُبُور، ولا زَالَتِ الستور، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨]، فسيِّرِ القلبَ بالفرح، وسيِّرِ الرُّوح بالشوق، وشائق المعالي يبذلُ في طلَبِهَا كُلّ غالي ولا يُبالي، كيفَ لا وفيها بُغية الطالبين، ومُنية آمال المؤمِّلين، ومنها مقاصد القاصدين، فَحُقَّ أن تُشَدَّ إليها رحال الموحّدين، ويستبق إليها رَكْب السائرين، ليَخْلَع عليهِمْ خِلَعَ الوِصَال، ويتجلَّى لهم بدرُ الكمال، ويسقونه مِنْ شرابها الزُّلال، الذي تاهَتْ بِهِ عقول الرِّجال، قَـومٌ ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

---

(١) (صاحب المكلا) المولود بمدينة سورابايا جاوا في (٢١) مِنْ شهر جُماد الآخر سنة (١٢٧٧هـ) المتوفّى بالمكلا سنة (١٣٥٧هـ) صباح يوم الأحد في (٣) من شهر ذي القعدة ودُفِنَ في ذلك اليوم بعد صلاة العصر.

[الأحزاب:٢٣]. فافهَمْ معنَى الانتظار، ومعنَى قوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب:٢٣] وحَدِّدِ النَّظَرَ، ودَقِّقِ الفَهْمَ في ذلك، يظهَر لَكَ سِرّ صدق المساعدة، واستدَامَةِ الفَيْضِ الأقدَسِ عليهِمْ، إِنْ هيَ إِلَّا قِسَمٌ قد جَفَّ منها القَلَمُ، في سَابِقِ القِدَمِ، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء:٢٠] والعطَاء غير مَحْصُورٍ، فالتَّقَيُّدَات مِنْ صِفَاتِ العبد، والإطلاق مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبيّة، كما تعلَمْ ذلك.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصيه بتلاوةِ القرآن والتأدُّب به والتّأمُّلِ لمعانيه: **وأُوصيك** أيضاً بتلاوةِ القُرآن كلام الله القديم الأزَلي، مُتأدِّباً عندَ التلاوة، ومُعَظِّماً له، وأشهَدِ المتكلِّمَ في كلامه تظهَرْ لك الألفاظ وتبدُو لكَ القباب، وتُفْتَحُ بمفاتيح هيَ أسبابٌ، ويُنادي مُنادي الأحباب: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحِجر:٤٦] ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزُّخرُف:٧١]، فأيُّ شهيّةٍ أشهَى مِنْ لِقَاءِ المحبوب، وأيُّ لذَّةٍ ألَذُّ مِنْ لَذَّةِ المشهُود، وشَتَّان بين مَنْ قَصْدُه الحُور والقُصُور، ومَنْ طلبه رفع الستور، ودَوَامُ الحُضُور:

لا تقنعَنَّ بِدُونِ العَين مَنزِلَةً ... فالحُبُّ مَنْ يَكْتَفِي بِالظِلِّ والأَثَرِ

وأُوصيكَ بقراءةِ الحديث النّبوي، فما بعد كلام الله إِلَّا كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو دواءٌ وشِفَاءٌ للقلوب، ويكفيكَ أَنَّهُ كلام مَنْ لا ينطِقُ عَنِ الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٤-٥]، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وأوصيك بِقِرَاءَةِ كُتُبِ السَّلَفِ، فإنَّ قراءتها مِن سير الباطن عِندَ أهلِ النُّور، وهيَ تُصَفِّي الباطن، وتُشوِّقُ الرُّوح إلى المعَاني، لأنَّ بعضَ السَّلَفِ وضَعَ سِرَّهُ في كُتبه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأُوصيك بالصلاةِ على النَّبي فإنّها طب القلوب والأجسام، وسببٌ في قُربِ المصلِّي بها منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبها تتفرَّجُ الكُرُوب، ويحصُلُ للمصلِّي بها تيسير رزق الأرواح والأشباح، وكذا هيَ نُور له على الصراط معَ الجَوَاز، فيالها مِنْ مِنّةٍ ما أعظمها، ومَوهبةٍ ما أكرمها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وأُوصيك** بالإكثارِ مِنْ ذِكْرِ (لا إله إلا الله) ليلاً ونهاراً وقياماً وقعوداً، وفي سائِرِ الحركات والسكنات، فإنّها الأُمُّ وهي المفتاح والختام، ولها التأثير العظيم في إزالةِ الحُجُبِ

والموانع القلبيّة، وهيَ سراج المريد يستضيء بنُورها في الأكوان، فلازِمْ عليها، واستكثِرْ منها، حتى تبرُزَ لك مستورات الغيوب، وترى ما يسرُّك في سلوكك، فبالمجاهدات تقع المشاهدات، ومَنِ استفتَحَ الباب فُتِحَ له، والمقامات تحصُلُ ببذلِ المجهود، والأحوالُ تأتي مِنْ عَينِ الجُود، ولا تلتفِتْ إلى الغير، فكُلُّ ما سِوى الله غير، قُلْ وجّهتُ وجهي للذي فطَرَ السموات والأرض، فيَرى منه وإليه، وبهِ وعليه، واحذر من رجَالِ العَبَثِ، وهي الخواطر التي تلعبُ بالقلوب، ولا تلتفِتْ إليها، ولا تَعْبأ بها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالخير كل الخير في الاتباع، والشر كل الشر في الابتداع، ومَنْ لا تبع سلفه لازِم ما يَنْدَم ويَتْعَب.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمَنْ صفَتْ سريرته استنارَتْ بصيرته، والوَاقِفُ معَ صُوَرِ الأكوان مَحْجُوبٌ ومَتْعُوبٌ، وأشَدُّ العذاب الحِجَابْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه البضاعة غالية وطريق الوُصُول إليها كادَتْ تُدرَس، وقَلَّ سالكوها إلَّا مَنْ وفّقه الله وهداه إليها، قال الشيخ أبو مَدْيَن[1]:

واعلم إنَّ طريق القوم دارسة وحَالُ مَنْ يدَّعيها اليوم كيف ترى

أشَارَ الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى قلّة سالكي هذا الطريق، لأنَّ سالكها كادَ يكون كالإبريز لعزّة وجُوده، وإلَّا فالمراتب بأهلها معمورة، وإذا أرَادَ الله انحلال العَالَمِ تولّى الرُّتبة المجاذيب فيقع الخَلَلُ، واليوم نحمد الله أهل التمكين موجودون، والسِّر المحمّدي يتوارثه أهله كما قال ولد علوي:

مَوَارِيثُهُمْ فِينَا وَفِينَا عُلُومُهُمْ وَأَسْرَارُهُمْ فَلْيَسْأَلِ المُتَرَامِي

الله يجعلنا وإيّاكم من المحفوظين الذين رعتهم العناية.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ذرّة في الوُجُود، إلَّا وهيَ تُسبّح الملِك المعبود، وعارفة بربّها، وقد حصَلَ لبعضهم سماعها فغابَ عن إحساسه، ولَمَّا صحا وكَمُلَ زاد فرحه، وعلا بين أجناسه، فهَلْ يحصُلُ الفزَع إلَّا مِنْ محسُوس، وهل شيء يجهل الملِك القُدُّوس، مَنْ همُّه أثَر النّظَرِ، وأقلقه

(١) هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، صوفي أقام بفاس، توفي سنة (٥٩٤هـ).

سماع الخبر، تقطّع في مفاوز المخاطرات، ولم يلتفِتْ إلى الآفات، فالمقرَّبْ مسرور بقُربه، والمحب مُعذَّب بحبِّه، أساس هذا الشأن على الجِدِّ والاجتهاد، وقطع المألوفات والاعتيادات، ما نأى عنه من حيث العِلم ولا اتّصَلَ به مِنْ حيث الذَّاتِ، الأجسام أقلام، والأرواحُ ألواحٌ، والنُّفُوسُ كؤوسٌ، والحقُّ مُطّلِعٌ على السرائرِ والظواهرِ، في كُلِّ نَفَسٍ وحَالٍ.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عَبْدِ البَارِي بن شيخ العَيدَرُوسِ الحُسَيني[1]
(١٢٩٠-١٣٥٨هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]: المعيَّة هذه لها معانٍ خاصّةٍ وعامّة، **فالعامّة**: في كُلِّ شيءٍ ومع كل شيءٍ مِنْ حيوان أو جَمادٍ أو شجر وحجر؛ لولا معيَّةُ الحق فيها ما استقَامَتْ ولا ثَبَتَتْ. **والخَاصّة**: معَ أهل الإحسان والإتقان وأهل علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين، لَمَعَهُم مِنَ اللَّمع واللحظ، تقول: عددَ لمح العيون ولمع العيون.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]: قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]: قال أهل الظاهر: هُمْ أولوا العقول، وَقَالَ أهل الإشارة: هُمْ الآخذون مِنْ كُلِّ شيءٍ لُبَّه والتاركونَ قشرَه. واللُّبُّ: هو القُربُ مِنَ اللهِ والأُنسُ به، والقشر: هو ما سِوى الله مِنَ الأكوان وغيرها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦]: إنّه قدَّمَ الخيريّة قبل المِثْلِيّة، وهذا مِنْ رحمته للأُمّة ولطفه بِهِمْ، فمَا مِنْ قطبٍ يموت أو بَدَلٍ يذهب إلاَّ وخليفته موجودٌ، إمَّا أرفعُ منه أو مثله.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:١٩] أي: حَفِيٌّ بِهِمْ، وقيل: معناه لطيفٌ بِهِمْ في العرْض والمحاسبة، وقيل: الذي يَنشر مِنْ عباده المناقب، ويستر عليهِمْ

---

(١) اسمه الكامل: عَبْد البَارِيْ بن شيخ بن عيدروس بن عبدالله بن شيخ العيدروس، المولود بمدينة تريم الغَنّاء سنة (١٢٩٠هـ) بالسحيل والمتوفى بها (تريم) في (١٥) مِنْ شهر محرَّم الحرام سنة (١٣٥٨هـ).

المَثَالِبَ، وإِنْ شئتَ قلتَ: اللطيف الذي لا يُعاجل مَنْ عصَاه؛ ولا يُخيِّب مَنْ رجَاه، وهو الذي أوقدَ في أسرارِ العارفين مِنَ المشاهد سراجاً، وجعَلَ لهم الصراط المستقيم منهاجاً، وأجزَلَ لهم مِنْ سحائب برده ماءً ثجّاجاً، وبالجُملة فهذا الاسم جامعٌ لمعَاني الأسماء الجماليّة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣] أُنظُر إضافتَهم إلى اسم الجَمال إشارةً إلى لُطفه بهِمْ، ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان:٦٣] إنما هي أرض الطاعة وأرض الزهادة وأرض المعارف واللطائف، ﴿هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]: ليناً وتواضعاً، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الفرقان:٦٣]: هُمْ أهل الجهل المركَّبْ وأهل البسيط ﴿قَالُوا۟﴾ [الفرقان:٦٣] لهم، ﴿سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]: لُطفاً ورأفةً ورحمة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] : الرِّزق الذي لا يحتسب شيءٌ لا يُعبَّر عنه، لو حصلَ له فَهم أو علم أو عمل فهو مِنَ الرِّزق الذي لا يحتسب.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث: (عُلماءُ أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل)(١): الكاف تمثيليّة، أي أنبياء معنىً لا صورة، فلا ينبغي أن يُدعَى أحدٌ بالنَّبي؛ لأنَّ النُّبوّة انقطعَتْ بنبينا ﷺ، أي صورتها، وأمَّا معناها فباقٍ لِمَنْ قامَ بالدَّعوة إلى الله. قالَ القائل:

فعالِمُنا مِنهُمْ نَبيٌّ ومَن دَعا ... إلى الحَقِّ مِنَّا قَامَ بالرُّسْلِيَّةِ

أي بالتَّبعيّةِ له ﷺ؛ لأنَّه حوى لِمَا تفرّق في الأنبياء والرُّسل، بَلْ هُمْ مِنْ نُوره.



---

(١) جزَمَ برفعِه الرّازي وابن قدامة والإسنوي والبارزي واليافعي، وليسوا محدِّثين، أمّا أهل الحديث كابن حجر العسقلاني والسخاوي وغيرهما فقد جزموا بأنه لا أصلَ له، انظر «المقاصد الحسنة» ص٣٤٠.

مِنْ أَقْوَالِ وَسِيرَةِ العارِفِ باللهِ عَبْد اللهِ بن هَادُون بن أَحْمَدَ المِحْضَارِ الحُسَيني[١]

(١٢٧٦-١٣٥٨هـ)

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الخوف مِنَ الله والمراقبة له وقد اشتهرَتْ عند الخاص والعام والصغير والكبير قولتُه المشهورة التي يصيح بها في وقت الأسحار مُناجياً للإله الغفَّار مُعترفاً بالتَّقصير مُتهماً نفسه بقلَّةِ التشمير خائفاً مِنْ سُوءِ المصير قائلاً وفرائصه ترتعد: (يا ويلي مِنْ قبري) وهذه هي صفات كثير مِنْ كُمَّلِ الرِّجال الصالحين الذين لا يعرفون ما هو الحال الذي سيقْدُمون عليه مع إكثارهم مِنَ المجاهدات وفعل الطاعات والعبادات والخوف مِنْ رَبِّ الأرض والسماوات والإخلاص والصدق معَ الله ومع ذلك يتهمون أنفسهم بذلك.

وقد اشتهَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالعِبَادةِ والزُّهد والورع، ولا يقبل أموال السلاطين، ولا هداياهم، وكان لسانه يلهج بتلاوةِ القرآن العظيم، ولا يزال يتنقَّلُ مِنَ القرآن إلى الذِّكر، وتلاوة الأوراد، ويحب الإصلاح بين قبائل حضرموت، وله جاه عند عَامَّة الناس ووجاهة عند الأُمَراء، والحُكّام، والإجلال والاحترام مِنَ السلاطين، وما زالَ على حالته مِنَ الصَّلاحِ، والتَّقوى، والزُّهد، والورع، إلى أنِ انتقَلَ إلى جِوَارِ رَبِّهِ وقد صلَّى عليه شيخنا الجليل الحبيب مُصْطفَى المحضار[٢].

فمن أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفاً لمقَامَاتِ السَّلَفِ الصالح: كُلُّ مَنْ تولّى مقاماً له ثُلث في سِرِّ المقام، وإذا مشى بالمقام إلى الأحسن كل ساعة يزيد السِّر عنده، حتى يجتمع له السِّر كامل، وإذا ترَكَ طريقة السَّلَفِ الصالح، كل ساعة ينقص منه شي مِنَ السِّر حتى ينفيه المقَام.

---

(١) المولود بالجبيل سنة (١٢٧٦هـ) ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات وتوفي منتصف ليلة الثلاثاء مِنْ شهر ربيع الثاني بالقويرة سنة (١٣٥٨هـ)، ودُفِنَ بجوار عمه حامد بن أحمد المحضار في القبة.

(٢) انظر كتاب «الدَّليل المشير» للسيد العلامة أبي بكر الحبشي.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مصر لَمَّا كان بها: مصر يكاد أوّل الليل يخسف بها الأرض وآخر الليل يعرج بها إلى السماء.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفاً عَمّه الحبيب مصطفى المحضار[١]: عَمِّي مصطفى إذا كتَبَ جاه الوارد مِنَ السماء.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: عَمِّي مصطفى كما الخضر نرى أشياء وآراء يأتي بها في الظاهر عوجاء ولا نوافقه عليها ، ولكن سرعان ما تنكشف الأمور على صحّةِ وصواب ما قاله فنرجع نسلِّم له كل ما يقوله ويفعله.

وَقَالَ العارف بالله الحبيب أحمد[٢] مشهور الحدَّاد بأنَّ الحبيب عبدالله باهادون: إذا جاء إليه الطالبون والمستمِدُّون وطلبوا منه الدُّعاء يقولُ لهم: خاطركم ، فيقولون له: كيف خاطرنا ونحنُ جئنا نريد منك مدد؟، فيقول: وأنا أُريدُ منكم المدَدَ، ما ساقتكم إليَّ إلَّا النيّةَ الصالحةَ، وهذه النيّة هي (المفتاح) ونحنُ نبغى ندخل وإيَّاكم في نيّتكم.

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عبد اللهِ بن عُمَرَ بن أَحْمَدَ الشَّاطِرِي الحُسَيني[٣]

(١٢٩٠-١٣٦١هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبيل دخول رمضان: هذا رمضان مُقبل علينا بغينا رجوع وإقبال وتوبة صادقة مِنْ جميعِ المعاصي، شوفوا رمضان يجب علينا حفظه بالإقبال والعِبَادَة والطاعة، ولا

---

(١) وستأتي ترجمته وكلامه.

(٢) هو العارف بالله أحمد مشهور بن طه بن علي الحدَّاد وُلِدَ ببلدة (قيدون) سنة (١٣٢٥هـ)، وتوفي عشيّة يوم الأربعاء الموافق (١٤) من شهر رجب الفرد سنة (١٤١٦هـ). وقد أفرد له بالتأليف نجله السيد حامد في كتابه «الإمام الدَّاعية الحبيب أحمد مشهور الحَدَّاد صفحاتٌ من حياته ودعوته» .

(٣) شيخ (الرباط) بتريم، المولود بمدينة تريم في شهر رمضان المبارك سنة (١٢٩٠هـ) المتوفّى بها ليلة السبت الموافق (٢٩) جمادى الأول سنة (١٣٦١هـ) وقد أرّخ عام وفاته بحساب الجُمَّل الشيخ محمد بن عوض بافضل بقوله: (عين تريم انتقَلْ) (١٣٠-٦٥٠-٥٨١)ودُفِنَ بمقبرة زنبل.

يُشغل نفسه بشي ويتوب ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠]، تُوبوا مِنْ صِدْق، عَامِلْ مَولاك خَلِّ الخَلق، إِنْ مدحوك فتنة، وإنْ ذمُّوك فتنة، وكُلّها فتنة، (لَلّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ العَقِيْمِ الوَالِدِ، ومِنَ الضَّالِّ الوَاجِدِ، وَمِنَ الظَّمْآنِ الوَارِدِ)[1]، المولى يفرح بتوبتنا أعظم مِنْ هؤلاء والمولى كريم يُضاعف لنا الأعمال، خلقنا لنربح عليه إذا همَّ الواحد مِنّا بالحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة وإنْ عملها كتبها عشر حسنات، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صفية ووجد عندها نوى أربعمائة أو أربعة ألف نواة تُسبِّح الله به فقال لها: (إني قد سبّحت الله بأكثر مِنْ هذا : سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض،...) إلى آخره وكذلك الصدقات في رمضان أمرها عظيم وثوابها مُضاعف والناس في حاجة يجب على كل مَنْ عنده فضل مِنَ المال[2] يتعهّد الفقراء والمساكين، كانوا السابقين إذا رأى أحدهم الفقير وضعَ يده على بطنه أعطاه، وأهلنا كما قال الحبيب عبدالله الحَدَّاد:

فقيرهمُ حُرٌّ وذُو المال مُنْفِقٌ رجاء ثوابِ الله في صَالِح السُّبْلِ

وَأَمَّا الآن يجي الفقير يطرِّب ويصيح وعَادْ نِحِن ما نستمع شُونا خالفنا القرآن يقولُ لنا: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضُّحى:١٠]، ويحذر الإنسان مِنَ الغيبةِ والنَّمِيْمَةِ والكذب ، واغْتَنِمُوا الفرصة والحَيَاة، ما معنا إِلَّا رمضان بغيناه للآخرة ، واحذروا مِنَ التَّهاون بالصوم، واتركوا مجالسَ الأسواق، خُصُوصاً بعد العصر، يغتنم الإنسان الفرصة، اللَّهُمَّ يامَنْ وفَّقَ أهل الخير للخيرِ وأعانَهم عليه، وفِّقنا للخير وأَعِنَّا عليه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنَّ لِرَبكم في أيَّام دهركم نفحات أَلاَ فتعرّضوا لها)، الإنسان يتعرَّض لنفَحَاتِ الله، شو لله نفحات، ولله عطايا، ولله منوحات، على عباده تلقَّاها مَنْ تلقَّاها، وَأَخَذَها مَنْ أَخَذَها، وفين تحصل وتنزل هذه النَّفَحَاتُ، تنزل في مجَالِسِ العِلم، ومجالس الخير،

---

(١) رواه الدّارقطني في «العِلَلِ الواردة» .

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ كان عنده فضل مال فليجد به على مَنْ لا مَالَ له، ومَنْ كان عنده فضل ظهر فليجُدْ به على مَنْ لا ظَهْرَ له)، حديث صحيح.

مثل هذه المجالس وأمثالها، حَدْ يفوِّتْ هذا المجلس العظيم، مائدة عقَدَها الحبيب الأعظَمْ ﷺ، حد ما يحضرها، ما العاقل وما اللَّبيب إِلَّا مَنْ تَغَانَمَ صحّته، تغَانَم شبابه، تغَانَمْ عافيته، قبل لا يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران:٣٠] ، فجميع ما نفعله مِنَ الأعمال الخيرية يحضر في ذلك اليوم وتُشكر على ذلك جم جم، مثل هذا المجلس شو بعد بانشكر عليه، النبي ﷺ خرَجَ ذات يوم فوجَدَ هؤلاء يُسبِّحُون، وهؤلاء يذكرون الله تعالى، وهؤلاء كذا، وهؤلاء كذا، وناس يتذَاكرون في الحلالِ والحَرَامِ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (كُلّهم على خير)(١)، ولكنّه جلَسَ عند مَنْ يتذاكرون في الحَلاَلِ والحَرَام، وَقَالَ ﷺ: (إذا مَرَرْتُم برياضِ الجنَّةِ فارْتَعُوا فيها قالوا: وما رِياضُ الجنَّةِ؟ قال: حِلَقُ الذِّكْرِ)(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في إحدى مواعظه: قال تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران:١١٠] بواسطته ﷺ، ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران:١١٠] والناس لَمْ يزالوا في غفلاتهم وبطالاتهم، لا أَمَرُوا بمعروفٍ، ولا ائتمروا به، ولا نهو عَنِ المنكر، ولا انتهوا عنه، بَلَغَتْنَا دعوة الحبيبِ الأعظَمِ ﷺ على أَلْسِنَةِ العُلماء ورَثته ﷺ، يا خيرَ دِين، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، والشريعة المطهّرة بيضاء نقيّة ظاهرة ما عليها قتام، ولا غبار، وكُلٌّ يسمع ويعرف، والمذكِّر يُذَكِّرْ، والدَّاعي يدعو، ولكِنْ شغَلَتْنَا أموالنا، وأهلونا عَمَّا نحنُ بصدده، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩]، أهوال عظيمة جم، ولو لَمْ يكُنْ إِلَّا الموت، والسكرات، والقبر، لكفَى.. وأخذ الرُّوح مِنْ شعرةٍ واحدة، أشدُّ مِنْ كذا وكذا ضربة بالسَّيف.. ارحموا أنفسكم يا إخواني، أَلا رَاحِمٌ نفسه، أَلاَ ذَاكِرٌ رمْسَه، نفسك متى دَعتك إلى شهوةٍ حَالاً باشَرْتها بها، مِنْ حَلاَلٍ أَوْ مِنْ حَرَامٍ إِلَى متى؟!!

كُلُّ امرِئٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ   والموتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

(١) أخرجه السيوطي في كتابه «الحاوي للفتاوي» .

(٢) أخرجه أحمد في « مُسنده » .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأدب كلمة جامعة للتَّقوى، تقوى القلوب، وتقوى القَوَالِبِ، والدِّين كلّه أَدَبٌ، ولا شُرِعَتِ الشرائع، ولاَ الأحكام، إلَّا للأدَبِ، ولا يُعْرَفُ العبدُ إلَّا بأدَبِهِ معَ ربِّه.. ويكفينا في الأدَبِ، قول الشافعي: (اجْعَلْ عِلْمَكَ مِلْحَاً، وَأَدبَكَ دَقِيْقاً).

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللّهِ عَلَوِي بن مُحَمَّدٍ بن طَاهِرِ الحدَّادِ الحُسَيني[1]

(١٢٩٩-١٣٧٣هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سلفنا رضوان الله عليهم يعتنون ويهتمُّون بتربيةِ أولادهِم قبل تعليمهم العلمَ ليرسَخوا على العمل، فيجيء العلمُ وقد صارَ الخير والطاعةُ عادةً لهم، ولهذا كانوا يوقظون أولادَهم الصغار آخر الليل ليألفوا قيامَ الليل.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العُقَلاءُ ثلاثة: عاقلٌ لنفسِه، أي الذي ينفع نفسَه بعقلِه وينفعُ الناس، وعاقلٌ لنفسِه فقط، وعَاقِلٌ للناس فقط.

وتنقسمُ العُقَلاءُ أيضاً إلى أربعة: عاقلٌ بالفِعلِ والقول، وهو: الذي يُطابقُ قولَه فعلَه، وعاقلٌ بالقَولِ فقطْ، وعاقلٌ بالفعْلِ فقط، وخَالٍ مِنَ الْكُلِّ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا محمد الهادي[2]؛ اكتبْ هذه القولَةَ مني واحفظْها عنِّي، أَلاَ وهي: (مَنْ تَعَلَّقَ بالخَلْقِ انْقَطَعَ عَنِ الخَالِقِ).

---

(١) المولود بقيدون في شهر رجب سنة (١٢٩٩هـ) ونشأ وتربّى بها، والمتوفّى صباح يوم الخميس في الـ (٢٣) مضت من شهر محرَّم الحرام سنة (١٣٧٣هـ) ودُفِنَ في اليوم الثاني بعد صلاة الجمعة بمدينة (بوقور) مِنْ جاوه الغربية.

(٢) هو العلامة الأديب، الأستاذ محمد بن سقاف بن زين بن محسن بن سقاف بن أحمد بن حسن الهادي باعلوي الحسيني وُلِدَ بمدينة (تريم) في (١٥) من شهر شعبان سنة (١٣١٨هـ)، كان رحمه الله من المعتنين بجمع كلام شيوخه ومواعظهم، وغرر نصائحهم وتوجيهاتهم. فمِمَّا جمعه: كلام شيخه الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس (ت: ١٣٥٨هـ)، وكلام شيخه الحبيب عمر بن عبدالله الحبشي (ت:١٣٦١هـ)، وكلام شيخه الحبيب علوي بن محمد الحدَّاد المذكور، توفي الحبيب محمد الهادي في جاكرتا، بعد عمر طويل قضاه في التدريس، ونشر العلم، والعبادة والذكر، وخدمة شيوخه، وأهل مجتمعه، وكانت وفاته يوم السبت (٢٨) مِنْ شهر جماد الآخرة سنة (١٣٨٠هـ)، بمدينة بوقور.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَتْعَبَ النّاسَ أربعةُ نفرٍ؛ وهُمْ:

١- المطالبُ بالحقوقِ لنفْسِه.

٢- وصاحبُ الوسْوَسة؛ كالذي إذا رأى أحداً يتكلّم أو يبرزُ مع أحد يظنّ أنه عليه.

٣- وطالِبُ الجَاهِ والمقامِ عند الناس.

٤- الذي هِمّتُه كبيرةٌ، ويدُه قصيرة، أو كما قال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانَ المتقدِّمون مِنَ الرِّجَالِ العارفين بالله كُلّما ازدادوا معرفة بالله ازدادوا تواضُعاً واعترافاً، وأَمّا أهلُ الزَّمَانِ هذا فتغلُبُ عليهم الدَّعاوي، ومحبّةُ التّرفّع، كالدُّخَان؛ فإنه لا يرتفعُ ولا يصعَدُ مِنَ الأشياءِ إلّا هو ، وَأَمّا كُلُّ ثقيلٍ فيهبِطُ إلى الأرضِ، قال الشاعر:

تواضَعْ تكُنْ كالنّجْم لاحَ لِناظِرٍ عَلَى صفَحَاتِ الماءِ وهو رَفِيعُ
ولا تَكُ كالدّخَانِ يعلُو بِنَفْسِهِ عَلَى صفَحَاتِ الجوِّ وهو وَضِيعُ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَفَادَنا الحبيبُ محمد بن أحمد المحضار: أنْ نقولَ عند ابتداءِ رفع اليدين للدعاءِ: (ربَّنا ربَّنا) خمس مرَّاتٍ لأنّها في مَقْرأُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾إلخ [آل عمران:١٩٠] خمس مرّاتٍ، وبعدها ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٩٥].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمَنْ أَرادَ أن يعشقَ جَمالاً فلا جمال أحسن مِنْ جَمالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومَنْ أَرادَ أن يعشَقَ أخلاقاً فلا أخلاق أحسن مِنْ أخلاقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يستغني عنه جميعُ الوجودِ بل هو نُورُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بُنِيَتِ المَشَاهِدُ على قَوَاعِدِ العَقَائِدِ، لا تُخَرِّبُوا أَسْوَارَ الاعتقادِ، بِمَعَاوِلِ الانْتِقَادِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَذّةُ الانتصار لا تُوَازِي ذِلّةَ الاعتذار، أي: انتصارُ النّفسِ في شفاءِ غيظِكَ مِنْ أحدٍ -مثلاً- ثُمّ تعْتذِرُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أهلَ النُّفُوس! لا تتداخلوا بين أهلِ القلوبِ، فإني رأيتُ كثيراً مِنْ أَهْلِ هذا الزّمانِ إذا تنازَعَ اثنانِ مِنَ الصالحينَ تداخلوا بينهم، وأخذوا يتكلّمُون فيهِمْ، فالمتداخلُ

بينهم والمتكلِّمُ فيهِمْ خاسرٌ ومُصابٌ ، فإِنَّ الاختلافَ بينهم يكونُ لأمورٍ؛ إِمَّا لاختلافِهِمْ في التَّجَلِّي عليهِمْ بالأسماءِ، أو لكونهم لا يقولونَ إِلَّا الحقَّ ولا يُداهنونَ لبعضهم البعض.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النُّفُوسُ شرٌّ، فاحذروها.

وسُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنَى الحديثِ المشهور: (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُون بَيْنَهُ وَبَيْنَها إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْه الكِتَابُ...)[١]، إلى آخره فأَجَابَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِضَرْبِ مَثَلٍ لفهْم المعنى المراد، بقولِه: إنَّ مَنْ يسقط مِنْ سريرٍ قصير مثلاً يسلَمُ غالباً، ومَنْ يسقطُ من شجرةِ نارجيلٍ طويلة مثلاً، لا يسلَمْ غالباً، فكذلكَ مَنْ يعيشُ في خيرٍ وبِرٍّ وطاعةٍ وعبادةٍ يموتُ على ذلك، وبالعكس والعياذُ بالله، وقد ينعكسُ الحالُ لأجل إطلاقِ القدَر، والحقُّ جَلَّ وعلا مُطلَقٌ في أقدارِه، أو كما قال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحثِّ على التَّفقّه في الدِّينِ: إنَّ التَّفَقُّهَ فيه أهمُّ مِنْ كَثرةِ الأورادِ، والقليلُ منها مع العِلْمِ أفضَلُ، وأورَدَ حديثَ: (لَفقِيهٌ واحِدٌ أَشَدُّ على الشيطانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ)[٢]، وَكَانَ الحبيبُ أحمدُ بن عمر بن سميط فَقَّه أهل شبام، حتى سُقاتهم وأهلُ الطرقاتِ، فالدَّاخلُ من أهلِ شبام إلى المسجد يعرفُ أهلَ الجماعةِ، أَهُمْ في التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ أمْ التشهُّد الأخير، لأنه يعرفُ التورُّكَ مِنَ الافتراشِ[٣]. ولهذا يقولُ أحدُ الحبايب: إذا رأيتَ أحداً مِنْ أَهْلِ شبام يُصَلي فصَلِّ وراءه. وَأَلْزَمَهُمْ الحبيبُ أحمدُ قراءةَ «فَتْحِ الرَّحمن» وحِفْظَه، حَتَّى في الطريق معَ الجنائزِ وغيرها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأسرارُ لا يطّلعُ عليها إِلَّا الأحْرار.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه الترمذي والطبراني في «الأوسط» والدار قطني في «سننه» .

(٣) التورك يسن في التشهد الأخير غالباً وصفته : أن يجلس على وركه الإيسر وينصب رجله اليمنى ويضع بطون أطراف اصابعه على الأرض ورؤوسها إلى جهة القبلة ويخرج يسراه من جهة يمينه. والافتراش هو أن يجعل كعب رجله اليسرى فرشاً له ويجلس على باطنها وينصب قدمه اليمنى قائمة على أطراف الأصابع .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للإنسانِ في هذا الزَّمان الإكثارُ مِنْ قراءة سورةِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق:١] ، وسورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، وينبغي أيضاً أن يجعلَ له ورداً منهما، لأنّه كثُرتْ فيه الشياطينُ والخنّاسون وخواطرُ السوء.

ومما كان يُوصي به رضوان الله عليه كثيراً في هذا الزَّمان أيضاً ويجيزُ فيه: الإكثارُ مِنْ اسمه تعالى (اللَّطيف)، وأقلُّه (مائة وتسعةٌ وعشرونَ مرّةً)، كُلَّ يومٍ، بعدد حرُوفه بحسابِ الجُمَّل، ويقولُ: ينبغي الإكثارُ منه لا سيّما في هذه الأزمنةِ، لأنها كثُرَتْ فيها المكثّفاتُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا سلفُنا رضوان الله عليهِمْ يُقدِّمون الأكبرَ سِنّاً في المشي، وفي المجْلسِ، وفي ترتيبِ الفاتحة، ونحو ذلكَ، لا في نحْو إِمَامَةٍ، ومجلسِ عِلْمٍ، فإنّهم يُقَدِّمُون مَنْ فيه أهليّةٌ، وإِنْ كَانَ أصغَر سِنّاً، أو كما قال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للإنسان إذا طلَبَ مِنْ ربه أمراً دنيوياً أن يطلبَ معه أمْراً أُخرويّاً، ذاك حظُّ النَّفسِ، وهذا حظ القلبِ، صُلْحاً بينهما، وإِنْ تصالحا فالصلحُ خير!. هكذا طالبُ الدُّنيا ، وكذلك طالبُ الأُخرى؛ ينبغي لَه أن يعطيَ الجِسْمَ حظَّه!، أَمَا تَرى الإنسانَ وقْتَ الأكلِ لا تكونُ معه الخواطِرُ، لأنَّ كُلاًّ أَخَذَ حظَّه ، فالقلبُ بالتقوّي على الطاعةِ ونحوها، والجسمُ والنفسُ بالشِّبَع والشهوةِ، بخلافِه وقتَ الصلاة، كما أفادنا بذلكَ الحبيبُ عبدالله بن محسنٍ العطاس، أو كما قال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدَ أن أمَرَ المنشدَ بالإنشاد بشيءٍ مِنْ كلامِ السلفِ: إِنَّ المنشدَ يحتاج إلى ثلاثةِ شروطٍ:

الأوّل: أن يكونَ حسَنَ الصّوت.

والثاني: أن يكونَ له إلمامٌ بعِلْمِ النَّحْو.

والثالثُ: أن يعرفَ المناسبة في المجلسِ وفي الأوقات. فالمنشدُ في أيّام الأعياد مثلاً يأتي بما يُناسبها، وهكذا غيره. وكانَ الوالدُ رضوان الله عليه إذا أنشَدَ المنشدُ بحضرته ولم يُحْكِمِ الإنشادَ أو لحنَ فيه مثلاً يقولُ له: طِبْتَ، ولا يقولُ له : أحسنتَ!.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السرورُ التّامُّ هو أن يكونَ الإنسانُ على حَالَةٍ يرضَى بها الله، ولهذا وصَفَ الله الكافرَ والفُجَّار بقوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان:٢٧] كما قالَ أهلُ العِلم: إنّها اللذّةُ التي لا تُحمَدُ عاقبتها، وضِدُّها النِّعمةُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للإنسانِ إذا أَخَذَ شيئاً مِنْ أظفاره أو شعوره أن يدفنَهُ في الأرض، أمَّا المرأةُ فيجبُ عليها ذلك، وكذلك يجب على الرجلِ، إذا كانَ المأخوذُ مِنْ مَحَلِّ العَورة. ثُمَّ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورأينا كثيراً مِنْ مشايخنا وشيباننا إذا أخذُوا شيئاً مِنْ ذلك يشهّدونَهُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، ثُمَّ يدفنونه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ...﴾ [النور:٢٤] إلى آخرها، وكما تشهدُ عليهِمْ تشهَدُ لهم، أو كما قال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لطالِبِ العِلم أن لا يخلوَ عن هذه الثلاثة الكتب؛ وهيَ «نهايةُ ابن الأثير»، و«الإتقان في علوم القُرآن» ، و«مقدّمة ابن خلدون».

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومِنْ حِكَمِ الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي رضوان الله عليه قولُه: (مَنْ لا تقيَّدْ ما قيّد). وقوله: (الحكمُ يُقيَّدُ والحالة تُطلَقُ).

مثالُه: إذا كانَ عندك أحدٌ تنبغي مُراقبته وأنتَ ضعيفٌ لا تُطيقُ ذلك، فلا تُراقبه لأنَّ حالتَك لا تحمِل.

ومنها قولُه: (الشريعةُ لا تحكمُ على الطبيعةِ) مثالُه: العاجز عنِ القيامِ في الصلاةِ مثَلاً، فالشّريعةُ أمَرَتْه بالقيامِ، والطبيعةُ بضدِّ ذلكَ، فلم تحكُم عليها.

ومنها قولُه: (ظُهُورُ النَّقْصِ في مراتبِ أهل الكَمال ابتلاءٌ وامتحانٌ على الناس).

ومنها قولُه: (النّاظرُ حاضرٌ)، أي كمَنْ حبَسه عذرٌ مثَلاً عن حضورِ مجمعٍ خيريّ، وهو ناظرٌ إلى ذلك المجمَع بعينِ التّعظيمِ والحُرمة، ويحبُّ الحضورُ فيه، غير أنه لم يتمكَّن منه لعُذرٍ قامَ به، فهو حاضرٌ ، ودليلُه من الحديثِ المشهور؛ فإنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قسَمَ لأُناسٍ من الغنيمَةِ وهُمْ لم يحضروا.



مِنْ مُكَاتَباتِ وَأَقوالِ العارِفِ باللهِ مُصْطَفَى بن أَحْمَدَ بن مُحَمَّدٍ المِحْضَارِ الحُسَيني(١)

(١٢٨٣-١٣٧٤هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النيّة الصالحة تُبلِّغ المقصود، وتفك الرُّصُودَ، ومَنْ تَعَلَّق بأَهْلِ البيت اعْتَمَرَ لَهُ البَيتُ، وأَضَاءَ لهُ الزَّيتُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفتيلَةُ المصباح والزَّيت محَبَّةُ أهل البيت.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومَنْ تَعَلَّقَ بِحَبْلِ أهل بَيتِ النُّبوَّة، وصَبرَ على المِحْنَة، أَوْصَلَهُ ذَلِكَ الحَبل إلى الجَنَّة، وَمَنِ انْعَزَلَ، وَعَنْهُ انْخذَلَ، فَحَالَتُهُ عَزِيْرَةٌ، وَانْقَطَبَ عَنِ القَطِيْرَةِ، هذا حَاصِلُ الأمرِ ومُجْمَلُهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَه، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، ولِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ، يُحَدِّثُون ويُجَدِّدُونَ، ولِلنَّاسِ يُسَدِّدُونَ، وَلاَ يُشَدِّدُونَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يوم يستتر الإنسان في جحْرِهِ، كَمَا الطَّير في وَكْرِه، أَحْسَنُ وأَسْتَرُ، مِنَ المَحْذَرِ، والمِطْلاَعِ وَالمَنْدَر، مَسْتُور ما حَدْ رَآه، وَلاَ بَاعَهُ وَلاَ اشْتَرَاه، وأنْ تَسْمَعْ بالإنسان خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ(٢).

---

(١) المولود بالقويرة سنة (١٢٨٣هـ) المتوفّى صباح يوم الأربعاء (٨) شهر رجب، سنة (١٣٧٤هـ)، ودُفِنَ بها بجوار والده في القبة.

(٢) يُضْرَبُ لِمَنْ يكون خَبَرُهُ خيراً مِن منظره، وفي ذلك إشارة إلى المثل العربي الذي يقول: (تسمع بالمُعَيدي خير من أن تراه) ومُعَيد اسم قبيلة. وكان المُعَيدِيّ يُغير على مال النعمان بن المنذر وكان النعمان يطلبُه فلا يقدر عليه وكان يعجبهُ ما يسمع عنهُ مِنَ الشجاعة والإقدام إلى أن أَمَّنه. فلمَّا رآه استزرى منظره لأنهُ كان دميم الخِلقة فقال: (تسمعُ بالمُعَيدِيّ خير مِنْ أن تراه)، وقد قاله النعمان في ضمرة بن ضمرة التَّمِيمي، وكانَ دميماً، والمعيدي: تصغير مَعَدِّي (منسوب إلى معد). فأجابه: أبَيت اللَّعن إنَّ الرِّجال ليست بجُزُر. وإنما المرء بأصغريهِ قلبه ولسانه. فأَعجبَ النعمان كلامُهُ وجعلهُ مِنْ خُواصّه إلى أن مات.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي هذا الوقت الدَّعاوي بلاوي، والسكوت منها أولى، كما نشوف هاهنا عندنا، فتحوا دَعَاوي ونشبوا فيها، وندموا على فتحها، لعاد تخارجوا ولا خَارَجَتْ، والصبر أَحْسَن، وتجي مِنْ عِنْدِ الله أحسن.

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تلوِ على شيءٍ مِنْ فقه أهل الوقت، عشار ولا دثار، فإِنَّهُمْ جَمَعُوا العِلمَ بالتَّحَارِيف، وكثرة التَّصَارِيف، ولَمْ يزالوا يُحَرِّفُونَ، ويُغَيِّرُون ويُصَرِّفون، وظَنُّوهُمْ النَّاس يَعْرِفُونَ، وَمِنْ أَزْهَارِ العِلم يَقْطفُون، وهُمْ إِلَّا بِمَا معهم مِنَ الكلام يَتَوَسَّمُون ويَتَحَرَّقُونَ، وبأَشْدَاقِهِم يَنتفُون، ﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطفِّفين:٢-٣].

فهذا حال بعض أهل الجهات، لَمْ يعرفوا إِلَّا هَاتْ، لو قيل لأحدهم : رَجُلٌ مَاتَ، عن بنين وبنات، وعري عن الزَّوجات، والآباء والأمَّهات، لم يقولوا : الأمرُ هَيِّنٌ، وللذَكَرِ مثل حظ الأنثيين، بل ينوِّعوا الكلمتين، ليطلبوا أجرتين، فعليهم ما على القُرُود، بل والنَّصارى واليهود، وكانوا على حُطَامِ الدُّنيا في جُهُود، والله وخلقه شُهُودٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخاطباً أهل السفر المقيمين في غربتهم: وأنتم يا أهل السفر مَنْ قدر بحال يذكر أهله وأقاربه لايخطيهم، ومَنْ أخطأ أقاربه ما قضى مآربه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النساء: والحريم زاد فُضُولهنَّ، وخَفَّتْ رجولهنَّ، يكِدّنَّ أكثر من الرجال، ولو لهُنَّ رجال، ما سَابقنَ الرجال.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعلم علم الخشية والنُّور، يُورث الطاعة والهيبة، ما يُورث الرَّكزة، والرَّكزة تُورث اللكزة، واللكزة تذهب العزّةَ، والعزةُ لله ولرسوله وللمؤمنين، اللّهم اجعلنا منهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض مكاتباته عن مدينة تريم وأهلها: وتريم حَرَمُ الإقليم، ما يليق بها إِلَّا التشريف والتكريم، مِنْ جميع سُكَّانها وجيرانها، سادتها وحلاّنها، وحضرِها وبدوها يعرفون لها الأدَب، وأوَّل ما كان السادة أولى بمعرفةِ الأدب لتريم، وإذا عرفوا حقَّها أهلها، واحترموها وأكرموها وبالغوا في إكرامها اقتدت بهم العَامَّة والدولة من بعدهم يعرفون مقدار تريم،

ويعطونها حق التكريم، ومِنْ بعدهم القبائل، إِنْ عرفوا حق تريم، وإِلَّا بايقع ذبح بالشَّريم، ولا أحد يرضى يكون سبب لصوعة تريم، ومن رضيَ بهذا السبب، وظنَّ أنهُ في مَتَبْ، هبَّتْ به المهَبْ، وضاع وطق، ومَنْ خالف انتذق، يكون مَنْ كان ولو سيِّد شريف، والواجب مِنَ السادة لبلادهم، ولبلاد أهلهم التجليل والتكريم والتشريف.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بركتها : وأَمَّا بركتها فهي مقسومه، وبين الجميع معلومه، كل بقسمه، مشكوك في سهمه، وكل يجي قسمه إلى داره، ويعم صغاره وكباره، وزيادة مَنْ تردّد إليها وتظهَّر عليها، اللّهم اجعلنا من المتردِّدين إليها والمتظهِّرين عليها، لأنها بلدنا القديمة، وطريقنا المستقيمة، والأمان على المقيمين بقارتها، والحاملين رايتها، والفاهمين عبارتها، وبشارتها ونذارتها، سادات أجلّه، والقدوة والقبلة، ومَنْ تجب إليها بسببهم الرِّحلة، أموات وأحياء، زينة الدِّين والدنيا، نفعنا الله بموتاهم، وبارك لنا في أحياهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مُكَاتَبَةٍ أرسلها للسيد العلامة جعفر[1] بن علوي بن محمد المحضار أثناء طلبه العِلم في رِبَاطِ تريم: الحَمْدُ لله إلى تريم ورباطها، ووسيع بساطها، ولذيذ سماطها، وعبدالله الشاطري مفتاحها ورباطها، ووكاها وضباطها، ومَنْ بغى عِلم صافي عَنِ الشوائب، ومجمع سَادَاتٍ وَحَبَائِبَ، يا حيًّا به إلى هذا الرباط، وبا يفتك منه القماط، إذا دخل يقع فهيم، ومعتقد ومستقيم، با يخرج منه عليم، ومَنْ بغى كثرة الكلام، وأضغاث أحلام، وضياع أيَّام، لا يُقارب هذا الرباط، لأنه رباط بُني للعِلْمِ النَّبوي، السَّلَفِي الْعَلَوِي، وعبدالله الشاطري ما يحتمل غيره، ولا يُراجع غيره، ما خلاف عِلم صافي المنهَل لشاربه، مبذول لطالبه، فَمَنْ قصدُه بالنيّةِ الصالحة، أَمْسَتْ عليه أنوار العلوم لائِحَة، اللَّهُمَّ ارزقنا حَظًّا مِنْ هذا الرِّبَاطِ، وأَشْبعنا مِنْ ذَلِكَ السِّمَاطِ، فإِنَّا لَهُ مُتَشوِّقين، ولِعِلْمِهِ مُتَعَشِّقين، ويا ما نُودِّي بالإقامةِ فيه، ولو حين بعد

---

(١) هو السيد العلامة النَّحوي الكبير جعفر بن علوي بن محمَّد بن الإمام أحمد المحضار وُلِدَ في بندواسه بإندونيسيا سنة (١٣٣٧هـ)، (١٩١٦م)، وتُوفي بحرضرموت في مدينة سيؤون عصر الأحد ودُفِنَ بِمَقبَرة آل الحبشي عصر الاثنين في (١٢) مِن شهر صفر الخير سنة (١٤٢٢هـ)، رحمه الله رحمة الأبرار مع الآل الأطهار. مِن مؤلفاته «الرِّحلة المحضارية إلى النَّجَف والكُوفة والبلاد الكربلائية» مطبوع طبعة دار المنهاج.

حين، ولكن بانجذب قسمنا منه على يد ولدنا المبارك، الذي في جميع علوم هذا الرِّبَاطِ شَارَكَ، وأَقْبَلَ عليها بكُلِّيّة دَوَاعيه، وسمعَ داعيه، الولد الفهيم، الحريص على تحصيل العِلم والتَّعليم، وصدَقَ في الرِّحلةِ له وعليه، وعمّه الحبيب البقيّة نُور المكَانِ، وقَابِض السُّكَّانِ، الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري عَوَّلَ في جميع مقصوده عليه، الولد جعفر بن علوي ابن الأخ محمد ابن الوالد أحمد المحضار ونَحْنُ فرحانين بعَشْقته في الطلَبِ، إِذْ جَعَلَ الله إِلَى عَمِّهِ عبدالله الشاطري المنقَلَبَ، فهذه نعمة جسيمة، مالها قيمة، عِلم مِنْ تريم، ورباط يكفل المقيم، وأستاذ مُستقيم، فهذه أشياء لَمْ تُجَدْ في جميعِ الدُّنيا، ما نغبط بها مكة ولا مصر، ولا جميع أهل العصر، وقليل تريم جَمْ، وسَيله يخطي العَلَم، عِلم سلفنا الذي نالوا به الولاية، وبلَغُوا بِهِ النَّهَايَة، عِلم بِلاَ سَفْطَهْ، أَشْبَه بالفخْطَة.

... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَجْرُونَ في المجد لاَحِق، عَنْ سَابِق، وسَبقُوا السَّوَابِق، ورَجَعَ بِهِمْ كُلّ آبِق، بعلمهم المعروف، وبالخشية والنُّور موصوف، ما هي علوم المِراء أَلَمْ تَرَ، أَلَمْ تَرَ، ضياع الوقت في الزَّرَاء، وأُمْ حبوكرا، وعلوم أضداد، وفريق، ماهي لنا على طريق، وعلومنا إِلَّا معروفة، وبين أهلها موصوفة، لا تعريض ولا تطويل، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ﴾، وحَصَلَ التَّنزُّل والتَّنزِيلْ، وافْتهَمَ المَعْنَى الجليل، بِلاَ قَالٍ ولاَ قيل، ولا ضد ولا دخيل، شمراخ في الخيل، وانْتَظَمَ القصيد، وَأَصْبَحَ البُر عَصِيد.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصِي الحبيب جعفر بالاجتهاد والعشقة للعِلم: (والسلام يَا وَلَدْ جعفر شفنا فرحانين بعشقتك للقراءة، والعَشْقَة بَابُ اللِّقَاح، ومَنْ لاَ عَشِق مَا لَقَح، ومَنْ لَقَحَ أَنْتَجَ المَعَارِفَ وَالعُلُومَ، وإذ قَدَّرَ الله لكم الوصول إلى الطلول، اغْتَنِمْ ساعاتها، واغْتَنِمْ فرصتها، وهي إِلَّا فُرَص مَنِ اغتنمها حَصَّلها، ومَنْ ضيَّعها ضَاعَتْ عليه، والفَرَاغُ أَكْبَرُ وسيلة لطلَبِ العِلم، واغتنامه نِعَم كبيرة، والعَشْقَة مَدَارُ الطلَبِ، بل طلب كل شيء.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مكاتبةٍ أرسلها لبعض طلبة العلم برباط تريم في (١٤) من محرَّم الحرام سنة ١٣٤٨هـ: الْحَمْدُ لله ونسأله الفُتُوح لطالبين الفتوح، وطوّلوا في طلَبِ العِلم برباط تريم الميموح، وعبدالله الشاطري قيم لهم بغبوق العِلم والصبوح، وكل أصبح بها قُسِمَ له مِنْ ربِّهِ

مَمْنُوحْ، سبّوح سبّوح، ربّ الملائكة والرُّوح، الأولاد المباركين، وفي سبيلِ الله غازين، وفي العِلمِ مُجتهدِين، وفتَحَ الله عليهِمْ فتُوح العارفين، والإخلاص واليقين، ويمسون كاملين، وعلى الله دالّين، ويُعلّمون الجاهلين، معَ الورع وحُسن الاستقامة في الدُّنيا والدِّين، الأولاد محمد المحضار، ومحمد بروم، وعبدالرحمن البار، وحسن مقيبل، والأولاد آل باعقيل حفِظَ الله الجميع وفتَحَ على الجميع، وباركَ في الجميع، والسلام على الجميع، وعلى عمّكم أخينا الغيث الماطري الحبيب عبدالله الشاطري وعلى والده وأولاده وعلى جميع طلبة العِلم في الرِّباط وهذا لكم كُلّكم والله يفتح لكم كلكم، ويمنحكم كلّكم، ويرزقكم كلّكم، ويردّكم بعد التَّفَقُّه في الدِّين إلى أهلكم كلّكم، والقصد الانتباه يا عيال، واحفظوا الأوقات الْغوَالْ، والسَّاعَاتِ الْعوَالْ، فإنَّ الطَّلَبَ غَالْ، ولا يُدْرَكْ ولاَ يُنَالْ، إلَّا بمواصلةِ الأيَّام واللَّيَالْ، وأعطه كُلّك يعطيك بعضه، والعِلم يحتاج جُهد، مِنَ المهد إِلَى اللَّحد، والمقصود منه فتح الْبَابْ، وإذا انْفَتَحَ الْبَابْ، وَلَجُو الطُّلاَّبْ، وسَنَة واحدة مِنْ مُجْتَهِدٍ نبيهٍ صَمْصُوم، ذَاكِي رَاغِب تفتح له الباب، وتُقبّضه أطراف الكتاب، ومَنْ قبَضْ الطَّرَف، أَوْصَلَهُ إِلَى قُلّة الشَّرَف، وأنتم يا أولاد قد سرتم وتغرّبتم، ورحلتم وتنقّلتم، فاصدقُو الحمله، واعرفوا قدر النقله، فإنَّ للرِّحْلَةِ سِر، في تيسير العُسر، إذا اغتنموها الرِّجال، بالْبُكَرِ والآصَال، وصبروا قليل ليستريحوا كثير، والصبر الصبر، الجُوده الجُوده، والجَيِّد مَنْ صَبَر، ومَنْ لاَ صَبَر ما اخْتَبَر، والعِلم العِلم ولاَ حَيَاة إِلَّا بالعِلم، ولاَ ضَرَّ الناس إِلَّا قِل العِلم، ويوم هوّنوا في العِلم اهتانوا، ولو أَنَّ أهل العِلم صَانُوه صانهم، ولَكِنْ هَانوه فَهَانَهُمْ، ولَكِنْ إنْ شاء الله يحصل الإقبال، ويتباركون الأشبال، ويحصل لهم النَّفع والانتفاع، وينفعون أهل هذه البِقَاع، إذا اغْتَنَمُوا وقت الطَّلَب، وَأَدْمَوا شخيب الحَلَب، ورضعوا أخلاقه ولا ارتضعوا خلافه، فبالعِلم ترتفع الرِّجَال، وَتَجُولُ في المَجَال، وَكَمْ قد ضاعوا بقِلّ العِلم بكُلِّ حَال، وأنتم يا رجال، قد أَتَاحَ الله لكم الفُرصَة، نعمة منه عليكم، وهديّة منه إليكم، فاغتنموها أي اغتنام، وفارقوا لأجلها لذيذ المقام، فبِمفارقة الكَرَى تَحْمِدُ القوم السُّرى، وفوَاتُ الفُرَص، يُورث الغُصَص، وكَمْ قد فَاتَتْ فُرَص، وخَرَجُوا أهلها مِنَ الوَلَهِ بِلا حِصَص، فاللهَ اللهَ في الانتباه، وكُلٌّ يحفَظُ لأيَّامِ صِبَاه، واغتنموا هذا السيد الباذل

نفسه للعِلم، ومُداراة أهل طلب العِلم، فكَمْ قد انطلقوا مِنْ رباطه مربُوطون، وبالجَهْلِ مُقمَّوطُون، فأصبحوا في جِهَاتِهِمْ قُدوَه، واتّخذوهم أُسوَه، وأنتُم نرجُو الله لكم أن تكونوا عُلماء بلادكم فُضلاء أخيار، أخذتوها مِنْ تَحْتِ القَطَار، وانْقَطَرْتُمْ بالقِطَارِ، بَيْضَاء نَقيّة كَرَابِعَةِ النَّهَارِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مكاتبةٍ أرسلها للحبيب العلامة محمد(١) بن سالم(٢) بن حفيظ: الحمد لله وحفظ الله أخينا السيد الفضل ، الذي عليه الله تفضَّل، وعليه مُعوَّل، وأَصْبَحَ في تريمٍ دَارِس، درس المدارس، ولَهَا حَارس مِنَ الدَّوَارِس، وأَصْبَحَ ريِّس في تدريسها، ذَلِكَ الفضل مِنَ الله ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل:٥٣] وهذه أكبر نعمة، عِلم وتعليم وعُلْمَه، وفي تريم، محل كل عظيم، أَصْبَحَ مُحَمَّد بِهَا جَالِس، وفي ذلك ﴿فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] أخونا والولد المحفوظ بِحِفْظِ الحفيظ، رأس التَّيقظة والتَّيقيظ، لِكُلِّ غافل عليه تنهيض، الولد الأَمْجَدْ محمد بن أخينا العَلَم العَالِمِ الصالح السَّديد اليقيظ، سالم بن الوالد حفيظ، لاَ زَالُوا محفوظين، ومكلمين، وفيما أودعهم الله مِنَ العِلمِ والتَّعليم في تريم مُجَمِّلين، واصلين مُوصلين، والسلام عليك يا محمد وعلى والدك وأولادك البَرَرَة، الأولاد الخيرة، العُلماء إِنْ شاء الله، وأَبُوهم عَالِم، وجدّهم عَالِم، وجدّهم الشيخ بوبكر فخر العَوَالِم، وببركتِهِ يُمسي أمرهم نَاظِم، وصَالِح حَاكِم، ولا زلتم بعافية، ونَحْنُ والجميع بعافية. وكتابكم وصل وفرحنا به جم، وذكرت العيال والدُّعاء لَهُمْ بالخُصُوص، فَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوص، عُلَمَاء عَامِلِيْن، على سُررٍ مُتَقَابِلِين، سُرر العِلمِ والْعَمَل، إِلَى آخِرِ الرَّجَزِ والرَّمَل.

---

(١) هو السيد العارف بالله الشهيد السعيد محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحُسيني وُلِدَ بقرية (مشطة) سنة (١٣٣٢هـ)، (مفتي الدِّيار الحضرمية)، المخطوف مِنْ قبل السلطة الشيوعية الحمراء بجنوب اليمن سابقاً سنة (١٣٨٦هـ).

(٢) العارف بالله العَالِمِ العَامِل الحبيب سالم بن حفيظ بن عبدالله بن عيدروس بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحُسيني، وُلِدَ بجاوه بـ (بندواسة) في (٢٥) من شهر شوّال سنة (١٢٨٨هـ)، وتوفي في رجب بـ (مِشْطة)، بحضرموت سنة (١٣٧٨هـ). كان معمَّراً صالحاً مُسنِداً ألحق الأحفاد بالأجداد والأواخر بالأوائل، وصنّف كتابه «مِنْحَةَ الإله في الاتصال ببعضِ أولياه» ، فسَدَّ فرَاغاً كبيراً في تراجم شيوخه. رحمه الله رحمة الأبرار معَ الآل الأطهار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكره للمدارس ومن ينفق عليها من السادة آل الكاف: وذكرت المَدَارِس وتعديلها وتبديلها، مِنْ تعليم التَّلَف، إلى عنوان الشَّرَفْ، بمُلاحظة أهل حُسن الصفات، والملتفتين إليها بِحُسْنِ الالتفات، إخواننا بني الكاف، الإخوان أبوبكر، وعمر، وإخوانهم، تقبَّلَ الله منهم صالح الأعمال، وأمَدَّهُمْ بطُولِ الأعمار، وجمعنا بالجميع في تريم وعينات، ومشطة وجميع الأبيات، إنه قريبٌ مُجيبُ الدّعوات، وقد فرحنا مِنْ إخواننا الكَافْ، بنشرِ عُلُوم الدِّين، وعُلُوم أهلنا الأوّلين، فقد أحسنوا بالحُسنَى، وبتركِ القصيدة التي ما تُغَنّى، وبعض القصيد مَا يُطابق الصوت، وخُصُوصاً في حضرموت، بلادِ الأسلاف، وعِلمهم وعَمَلهم غير خَاف، تلقّوه عن أهلِهِمْ، إلى جدّهم إلى ربّهم، ما جاءوا به مِنْ أُوروبا، ولا يَليقُ بِنَا حق أُوروبا، وذكر أُوروبا سَخْطَه، ومِنَ الشيطان قَشْطَهْ، ويُورث مِنَ العين السّقْطَه، ومَنْ لَهُ عَشْقَه بحق أُوروبا، يروح إلى أُوروبا، هذا بَيْتِ الْقَصِيد، وما يثبت في الرَّصِيد، وإنْ شاء الله هرفة زايلة، ويا رادّ الضّالّه، احْفَظْ علينا حقّنا، وحق أهلنا، لا تَشُوبه الشَّوَائِبْ، بهذِهِ النَّوَائِب، والعَمَد على الحَبَائِب، إخواننا الكاف الأَطَائِب، لا يُضيِّعون الدُّنيا إلَّا في صلاحِ الدِّين، الدِّين المُحَمَّدِي، العَلَوي السَّلَفِي، الذي تَلَقَّوه الآبَاء عَنِ الآبَاء، إِلَى خَيْرِ الآبَاء، إِلَى قُوس قابا، وفي الحديث: (اللَّهُمَّ أعنِّي على دِيني بدُنياي وعلى آخرتي بتقواي... إلخ)[1] والدُّنيا مَنْ جَعَلَهَا في إصلاحِ الدِّين، صلُحَتْ بها الدُّنيا والدِّين، ومَنْ ضيَّعَهَا في الطَّمَاشَة، أَشْبَهْ بالْغَشَاشَه، وَفَرَّتْ بِهَا المُهَب، وَأَصْبَحَتْ مَاشِيْ، والله يردّنا إليه، ويرُد حق أهلنا إلينا، ومَنْ أَعَانَ على ذَلِك، يا بخته بها هُنَالِك، والسلام على جميع حبايبنا بتريم، بالتَّخْصِيصِ والتَّعْمِيم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُحَذِّراً مِنَ التلبُّس بالمذاهبِ الشيطانية: الحمد لله المبدي المعيد، الفعّال لما يريد، ونسأله التسديد، والحفظ من الشتات والتبديد، فقد ظهر في زماننا مِنَ القول والفعل العديد، مايحيِّر الأفكار والعقول وتمسي من ذكره خميد، أشياء ما تخطُر ببال، وتخِرُّ منها الجبال، ويمسي القلب بِها قعيد، كلام قبيح، بل كفر صريح، نسعى إليه يوم الوعيد، ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق:٣٠] ويوم تقبل ﴿كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق:٢١] مِنْ خَلق

---

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء».

مامسهون منهم إلا الانزلاق عن التوحيد، وأهلهم زيان، معروفين في العقيده السنيّه البعيدة عَنِ التَّعقيد، وقد مَضَتْ بِهِمْ قُرون طويلة وهم غارقين في بحر التوحيد، حتى جاء هذا الوقت بهذا الصوت النكيد، والاعتقاد والخبث البعيد، ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[لقمان:١٩] في الزَّفيرِ والنَّهيق، والتَّلكيع والتَّطريد، ومادرينا مِنْ أَيْنَ نَزَغْ؟، وَمِنْ أَيْنَ نجمه بَزَغْ؟، وفي أي سماء له ترديد؟، وتحديد وتصعيد، لهذه العصابة العربية، والنُّفُوس الذي يغلب على ظنّنا أنّها أبية، ترضى بِهذا الإنحطاط، والسفاط والخراط، والخروج به عَنِ التَّوحيد، بهذا المذهب انخرطوا، وبه انصفطوا، وفي الْفِتْنَةِ سقطوا، وأمسوا عَنِ التَّوحيد بعيد، يحبون طردهم وجهادهم، وتخلي منهم بلادهم، ويمسون بعيد، وجهادهم حسبما ذكره بعض العُلماء أَوْلَى مِنْ جِهَادِ الإفرنج في التأكيد، بل سمعنا بإسلام كثير مِنَ الكُفَّار في هذا الوقت الجديد، وكيف الكفّار يسلمون ويدخلون في دِينِ الله أفواجا، وهؤلاء يمرقون منه فما هو إلا حال نكيد، مايستاهلون هذه الملّه، عسى لهم شلَّة، وإِلَّا يهديهم الله ويرجعون إلى الإسلام غير بعيد، وهم يظنُّون أنّهم معانقين للإسلام وهُمْ عنه بعيد، وأقبح ما كان بَدَّعُوا أهل الإسلام، ببغضِ أهل البيت، ومتى ما جاء هذا المذهب ببغضِ عيال النَّبي، بايقبل بإيش نهار الوعد والوعيد، نهار تعبر فاطمة على أهل الموقف[١] ويقول الله هذه فاطمه بنت محمد واردة إلى الجنَّة وليعلم كل محب لها ولأولادها، يدخل معها الجنَّه بلا حساب ولا تشديد، فكيف بحال أهل البغض لهم ذيك الساعه إذا سمعوا هذا النِّداء بايفرحون أوبايندمون ؟ أو مع أهل ثاني نداء ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ

(١) عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ياأهل الجمع نكّسوا رءوسكم وغضُّو أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط فتمر ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع) أخرجه أبوسعد محمد بن علي بن عمر النقاش في فوائد العراقيين، وخرّجه تمّام عن علي عليه السلام مختصراً ولفظه قال: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب غُضُّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر) وخرّجه إبن بشران عن عائشة مختصراً أيضاً ولفظه (إذا كان يوم القيامة نادى مناد يامعشر الخلائق طأطئوا رؤسكم حتى تجوز فاطمه عليها السلام) انظر كتاب «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» للعلامة محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري .

﴿كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق:٢٤] مبغض لأهل البيت حَرُّهُ في العذَابِ الشَّديد، وخسروا الدُّنيا والآخرة وأمسوا طريد، هذا حاصل الكلام، مَنْ فَهِمَ يفهم، وَمَنْ تَعَامَا عنه خرجنا مِنْ عذره، والله الموفّق للتّسديد.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبعض الناس رغبوا في المَذَاهِبِ الشَّيطانيه، وتَلَبَّسُوا ببغضِ السَّادة، فهذه حاله مانرضى بها لهم، وذولا أهل البيت، ماعَادَاهُمْ أَحَدْ إِلَّا وجَرِبَ، ولا بيت إِلَّا وخَرِب، وذلفه للقريب والبعيد، والفسل تنعاه أُمُّه، ونحن مانسخى بهم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعِلم والتَّعليم، يُحيي القلوب، وإِنْ كانت قلوب أصحابنا صاحية، وسَلِيْمَة مِنَ السَّخِيْمَة، وقد اختارها لهم جدّهم، وقِدْها أَحْسَنْ مِنْ بَعْضِ العِلم، خُصُوصاً الحَادث في هذا الزَّمَانْ، لَفْلَفُوا[1] كلمات مِنْ مَذَاهِبَ شَتَّى، خارجة عن علوم أهل السنة، وابتلوا بمطالعة تواريخ، أضحوا بها عن سيرة أهلهم مساليخ، وفتحوا أبواباً مُغْلَقَةً، مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الزَّنْدَقَة، وابتدوا بها بعض السادة، وَقَالَوا : جِينا على شي، وظَنُّوا أنَّهم على شيء، وهي إِلَّا سَوْقَات سَامِجَة، وعن قَوَاعِدِ الحَقِّ خَارِجَة، لَمْ يتديَّنْ بها جدُّهم الفقيه المُقَدَّمْ، ولاَ مَنْ تأَخَّرْ ولاَ مَنْ تَقَدَّمْ، وأحدثوها زقور جُهَّال، ما يعرفوا إِلَّا القيل والقَال، وإذا لَمْ ينتهوا عَمَّا ارتكبوا سلَّطَ الله عليهم أراذل مِنْ جَاهِلٍ، أو معه طرف مِنَ الْعِلْمِ الضَّار، وظَهَرَ المِضْمَار، و بَرَزُوا الجَمَاعَة، وخرجوا لهم القاعة، وَقَالَوا لهم بريزكم، وحكمنا مرفدين لكم، وقد رفدوا لهم ترفيد، فلوس حَاشَتْ منها النُّفُوس، حَتَّى أنكروهم مِنَ النَّسَب، ويا للهِ العَجَب، و لو سكتوا عنهم، ومالوا منهم، لَمَا كَثُرَ القيل والقَال، ولاَ فَشَى خِرَاطِ الأَنْذَال، وأمسوا عِنْدَ النِّعَال، ولَكِنَّهُمْ كَبَّرُوا رُؤوسهم بالمُجَاوَبَات، وَالمُحَاوَرَات، وكثر السَّفَالات والفَسَالاَت، ولَوْ قالوا : جواب الأحمق سكوته، وخلُّوا الحضرمي بحضرموته، إن كانوا سلموا مِنْ جِيْفَتِهِمْ، وانْطَفَتْ نَارُهُمْ في لِيْفَتِهِمْ، وهذا تأديب يؤدِّب الله بها عبادَه ، ويؤذي السادة باللَّفالف، واللَّفالف بالسادة، لِحَتَّى يرجع كل على سِيرته، وتصلح سريرته، السَّادة والعَامَّة، حِكمة بَالِغَة تَامَّة، ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [المائدة:٧٣].

---

(١) لفلفوا: جمعوا من هُنا وهناك.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ السبب في انتشار هذه المذاهب الفاسدة إعطاؤها أكبر مِنْ حجمها، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا سببها وسبب انتشارها، وظهور نارها وشرارها، إلَّا المجاراة في الكلام، لحتى طَالَتْ وسَبَحَتْ، وقومها افتضحت، وكثر الكلام نَمَّاهَا، وأُمّ العمى في عَماهَا، وبعض أولاد السادة القوا كثر كلام شغلهم، وياريت الله شلّهم، ويفك علينا منهم، أو يتوبون مِنْ دلّهم، ولو تركوا تطويل الكلام إنْ كان ربحوا، ومن دائهم صحوا، بل جعلوه دَيْدَنْ، لحتى تَمَكَّنْ، ولا عندهم من كثر الكلام، ولا بتغيُّر المقام، وعندهم كُلّه سوا السفطه والمقام، أولاد نبغوا، ولا عندهم اذا امترغوا، يطيِّرون بالكلام في الأوراق، كالصواريخ يلفلفونها من بعض التواريخ، وينقمون على الناس بكلام مائل، ماتحته طائل، ولا مقصودهم إلَّا الجواب، ولو بغير الصواب، هتكاً لجانب السادة، وقد جرت به العادة، وهذا مقصود السادة، ما كأنَّهم سادة، بل ولاهم سادة، ولعلهم ملفلفين، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف المخلَّفين، ويظهرون انهم مضادِّين، وهم في نفس الأمر أشبه بالمساعدين، إذا خبأت نيرانهم، أضرموها بخرطانهم، ظانِّين كثر الكلام يطفيها، وهو إلَّا يصليها، وقد انْجَرَّ بنا الكلام، إلى كثر الكلام، ونَحْنُ نُوصي بقل كثر الكلام، حتى وقعنا في كثر الكلام، ويوم وقعنا في كثر الكلام، ليته وقع في كتاب آخر غير كتاب الشيخ سعيد لأنه عن هذا بمعزل، في جده والهزل، وكلامه جزل، ونحن بمعزل، راح بي الكلام في هذا الكتاب، ظناً مني أنه لغير الشيخ سعيد، وأنه لأحد السادة بجاوه، وقَلَمِي سَارِح، وفي بحره سَابِح، له ولغيره، لأنهم تعدوا الحد، وخرجوا عن الحد، ولا بالوا بأحد، وتجاوزوا الحد ، راضيين بالجواب العيف، يدوّرون له من الغبي، ويبحثون له بقرن ظبي، أبكمهم الله وأصمَّهم، وأعمى أبصارهم ، وخرَّب ديارهم ، وأخلى أوكارهم، وكسَّر أقلامهم، وأخطا سهامهم...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخاطب الشيخ سعيد بن صدِّيق جَان[1]: وودّيت لكم

---

(١) هو العلامه الفقيه المشارك سعيد بن صدِّيق بن محمد سعيد جان السليماني الحنفي النقشبندي الهندي ثم المكي. تعود أصوله إلى الهند حيث قَدِمَ جده الشيخ جان السليماني منها وجاور بمكة المكرمه وتوفي بها سنة (١٢٦٧هـ) وكان شيخاً جليلا تسلّك على يده كثيرون من مريدي النقشبنديه ومن جملة مريديه

ياشيخ سعيد بكتاب مبسوط، موزون مضبوط، كلام لائق بكم، وصالح لجنابكم، لكن لا يجي على الكلام اللائق، إِلَّا العارفُ الذَّائق، ونحن ناس لا معرفة ولا ذوق، ولا نعرف التَّحت مِنَ الفوق، فلهذا نخاطب هذا بخطاب هذا، ولا عاد جينا على هذا ولا هذا، ما غير رمينا هذا على هذا، وقلنا : ما معنا إِلَّا هذا ياهذا، وأنتم استروا هذا، واذا راقت معي الحواس، وتفرَّغت من هذي الناس، سأسطِّر لكم رسالة مسطورة، في رقِّها منشورة، حاوية المعنى والصُّورة، ولا

العلامه الشهير السيد محمدخليل القاوقجي الحنفي (ت١٣٠٥هـ) ودفن الشيخ جان بتربة المعلا قرب ضريح سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وأما الشيخ سعيد فقد ولد بمكة المكرمه في مطلع القرن الرابع عشر الهجري وأخذ عن علماء مكة المبرزين الذين عاصرهم، وكانت له دروس بالمسجد الحرام ثم لما جاءت الحرب السعودية هاجر وكان اتجاهه صوب جنوب اليمن ونزل في (بندر المكلا) وتوطّن بها حتى وفاته. وكان له في المكلا صولات وجولات في ميادين العلم، فكانت له دروس في المكتبة السلطانية الضخمة المعروفة، وكان يحضر دروسه جمع من طلاب العلم والمعرفة، منهم الشيخ العلامه عبد الله بن أحمد النَّاخبي. ودرّس الشيخ سعيد في مدرسة الفلاح الوطنية بالمكلا أيضاً التي افتتحها السادة آل الدبّاغ الذين هاجروا من مكة لنفس السبب الذي حمل صاحب الترجمة على المغادره منها كما يعلم ذلك من تراجمهم في كتاب المرحوم (عمر بن عبد الجبار) وقد كان الشيخ سعيد على جانب كبير مِنَ العلم والأخلاق والتواضع، محبا لأهل البيت مبجلا لهم وكان من أعز الناس وأقربهم منه السيد العلامه عبد الله بن طاهر الحداد، والسيد العلامه علوي بن محمد المحضار وكلاهما أصهر إلى الشيخ سعيد وتزوج عنده، وفي زواج الحبيب علوي بن محمد المحضار يقول الحبيب مصطفى المحضار على سبيل التَّوريه والبسط:

علـوي تـزوج في البنـدر   خـذ لـه مـن الإنـس جنيـه

يعني بقوله (جنيه) أي (جانيه) نسبه لبيت (جان) وللشيخ سعيد مصنّفات منها: «الجوهر الفريد في عقائد الإسلام والتوحيد» على طريقة السؤال والجواب طبع سنة (١٣٤٦هـ) بالهند وكان مقرراً لطلاب مدرسة (الفلاح) بالمكلا ، رسالة لطيفة تسمى «تفسير الآيات القرآنيه بالآيات الكونيه» نقلت ذلك بتصرف من (تعليقات الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب على كتاب «منحة الإله» الذي قام بالاعتناء به والتعليق عليه في طبعة جديدة ومنقّحة وقد وفقه الله في خدمة إحياء تراث السلف الصالح وترجمته لكثير مِنَ العلماء في حضرموت فجزاه الله خير الجزاء.

نفكِّر فيها هذا ولا هذا، إن شاء الله تعالى، وهذا قد تسطّر، وانكتب وتحرّر، فاقبلوه على مافيه من كثر الكلام، وإِنْ لم يكن لنا على المراد والمرام، لأني شطحت فيه بما لا يعناكم، ولا هو من قواعد مبناكم، ولكن لا يخلو من فائدة، علينا وعليكم عائده، ونحن نحب نشره إن وقع لكم أو لغيركم، لأنَّ النفوس زاهقة، مِمَّا تكتبه الفئات المارقة، وفي بحار الجهل والعمى غارقة، فقد كدَّروا المياه، وصفْوَ الحياة، فهذه المعاشاة والمناواة، وهذه الخرطان والكلام الزائد، وإرساله في جرائد، عسى لهم الجراد، والسيوف الحداد، فقد طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، بما ليس تعتاده البلاد والعباد، وجعلوه مراد، وزخرفوه بألسنة حداد، وحقيقته خراط وعناد، حاسبينها فَصَاحة، وهي إلاَّ وقَاحَة، أخزاهم الله، وحفظنا الله، وكسَّر أقلامهم، وغيَّر نظامهم، ورَدَّ علينا مانعتاده من حق أهلنا، من علوم وأعمال، ووصل واتصال، وحُسن ظن بالرِّجَال، وكرم بما تيسَّر، وأخلاق حسنة، وترك ما لا يعني، وعدم الجواب للجهول وإِنْ قال : إِيَّاكَ أعني، فَقُلْ له: وعنك أغضي، وأخلاقهم مشروحة، وفي الكتب مطروحة، ومضى حالهم جميل، حتى جاءت هذه الأوقات، وهذه الفئات، وجابوا لنا السوقات، أورثتها البوقات، وكلمات دفرات خوقات، تقشِّب بالشعرات، ويا خزوة عيال السادات، يوم يرضون بهذا الهدير، ويدخلون خيولهم في مواكب الحمير، عسى لهم الستر الذي ما له أَمَد، تحت قَامَه وَمَد، بحق ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والنبي محمد.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصفه لغيل باوزير وذمِّه للتمباك الذي يزرع فيها والقات الذي يُزرع في اليمن: والغيل محلَّه، وريِّض بأهله، ساحات واسعه، قريبه وشاسعه، وأنهار جارية، وأثمار سارية، لولا عشقتهم في هذا التمباك، ماشفناه أورث لهم إلا ضعف وضَنَاك، ويمديهم يعتبرون بتجارته، وفائدته وخسارته، ويمديهم يجربون، ولعلهم مايفهمون، النقص ظاهر، والغَيَار شاهر، ورجع فائدتهم المزيز، شي قزيز، ماشفنا أحد ربح منه، ولا حد استغنى منه، من طلع رقدتين[1]، انتكس في أربع رِقَد، وكم قد شفنا وسمعنا، ويمدي أهل الغيل يفهمون، ويسمعون، ومن هذه الثغرة يرجعون، خبّه قفا ذيب، تعب وتعذيب، والذِّيب الكبير التُّمباك،

---

(١) مثنى رِقْدَة وهي الواحدة من درجة سلم الدار.

وبِهذا الوصف مانباك، والغيل إِلَّا غيل الرحمه، وكانوا أهله في نعمه، مايزرعون إِلَّا المزارع المباركه، وكلهم بِها متنعِّمين، مايزرعون إِلَّا حق الجنّة، قال الشيخ عمر: كل ماهو في الجنّه، في الغيل مثله، ونحن نشهد ونعتقد، أن لاشي تمباك في الجنّه، ليش ياأهل الغيل ترضون، بذي ماهو في الجنّه، والتمباك قالوا من بول إبليس، وتصبحون من الصبح تفحسون بول إبليس، عاد شي طب، عاد شي انتباه، عاد شي تجربه، عاد شي فكره، بغينا بانِجَرِّب الغيل، أربع سنين، بانفسح في هذه الشجره، وبانلقي الذي يعتاد في الغيل.

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله يرد للناس عوائدهم المعتاده، في دينهم، ودنياهم، وحراثتهم، وتعود لهم بركاتهم، ذي يعتادونَها، وهذا الحال يتبدَّل، يبدِّله الله بلا تعب، ولا أذوة[1]، ببركة السلف يصلح الغيل، وتعود بركات الغيل، وعوائد الغيل، وعند الله مفاتيح الفرج.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخاطب المشائخ بغيل باوزير: وعسى أخوالنا المشائخ التمباك عندهم عزيز، وقد جو المزيز، وفي الحقيقةِ مزيزه خطر، وشي نكر، فيه وعد ووعيد، ومن السلف تهديد، لأنّ عاقبته غير محموده، ومَنْ مات وهو يشربه، قالوا: يا تَعَبه، وهذا التمباك حال بين الناس، وبين كثير من الخير، لا فضل في ابن آدم ولا في طير، قال الشيخ سعد: (لي يزرع التمباك، ماألقى خير)، وإِنْ شاء الله العاقبه خير، ماتدري إِلَّا وآن زواله، وهبَّتْ رياح اضمحلاله، وبقي الغيل منه صافي، وماحصَل من حراثته كافي، والله يصلح غيارها، ويزيل أضرارها، ويمسي الغيل جنّة، والتمباك عين الخنّة:

تمباك في نفسه وحاسب إنّهْ يُغني وكُلّ الفقر عَادْ مِنّهْ
والله يُهيء للقنوع مِنّهْ وترتدعْ كُلّ الجهات مِنّهْ

لأنَّ ضرره في الجهات طار، وكلُّه أخطار، وقد عمّ الجهات كلّها، ويامَنْ لها جَلّها، ودمِّر التنابيك كلّها، ونرجو الله أن يهيء أسباب دماره، مِنْ غيل باوزير، وإذا دُمِر مِنَ الغيل، بايدمُر مِنْ جميع الأرض، لأنّ الغيل معظّمه، ولعلّ تمباكه أحسن من غيره، والله يطير طيره، ويبدِّلنا

(١) بمعنى أذية.

بغيره، بزراعات نافعات، وعافيات، وشَبَع للجهات، والأوادم والبهائم، وباتشوف الخَير، يوم يكثر، وباتشبع الناس من أرضهم، وباتكفيهم أرضهم، طُعم وطَعَام، وسمن وسمين، وبايصطحُّون في أجسادهم، وباتستقوى عظومهم، والرجل معاد باتكفيه حُرمه، ولا حُرمتين، باتجيه قوَّتين، وأَمَّا التُّمباك منحلة للجسم، ولا منه مسَد، بل ضعف في الّلحم والعظم، وياريتهم بايجرِّبون.

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحكومتهم غرَّها طمع السَّراب، والتمباك خرَاب، ولا منه فائده، وإِنْ تسادوا بفائده، ما منّها عائدة، ويعلمون، ويفهمون، أَنّ فائدته كما دخّانه، إِنْ دخانه ينقبض، فائدته تنقبض، وكل مَنْ دَخَلَ فيه ربض ربضة، ما لها قومة، وكلا يعرف أمسه من يومه، وقد غثّينا بأهل الغيل، ونعلم أنّ عشقتهم في التمباك كبيرة، وألقوه في كل مطيرة، وإيش بايفزعهم مِنْ مزيزه، حتى جمالهم تمز، وقد استحكمت فيهم عشقته، وعسى ماالحريم تمز، افقهوا[1] لنا مِنْ مزيز الحريم، شوفوه غاية التَّحريم، وأنت يامحسن بونمي[2] ما تذاكر في التُّمباك ومضرَّته، وقل منفعته وخسارته، وهذه أشياء أعتلَّتْ بها الناس، ضحك عليهم فيها الخنَّاس، التُّمباك، والتَّامبول، وعند أهل اليمَن القَات، وهو أعيف وأَضر، وأخبَثْ، وأخسَر،

---

(١) افقهوا: أي انتبهوا واحذروا وما شابه ذلك.

(٢) هو السيد العلامه محسن بن جعفر بو نمي وُلِدَ (بغيل باوزير) سنة (١٣٠٦هـ) وكان مِنْ أوائل الطلبة الذين التحقوا برباط الشيخ محمد بن عمر بن سلم عند افتتاحه بالغيل سنة (١٣٢٠هـ) وكان حريصاً على حضور الدروس التي يلقيها الشيخ العلامه ابن سلم والاستفادة منها وكذلك كان من أكثر الطلبة انتفاعا به وأوسعهم ثقافة في المجالين الديني واللغوي. وكان رحمه الله: شغوفاً بالقراءة والمطالعة حتى لا يكاد يُرى إلا وفي يده كتاب ولم يعرف عنه أنه فترَ عَنِ القراءة أو صدف عن المطالعة أو انصرَفَ عن إلقاء الدروس العَامّة والخَاصّه في فترةٍ مِنْ تاريخ حياته. بل كان كُلَّما تَقَدَّمَتْ به السِّن كان أكثر تفرّغا للعلم والتَّحصيل، وأشد ملازمة للقراءة والدرس. تولَّى وظائف قضائية في المكلا وغيل باوزير ثُمَّ عُيِّنَ مدرساً في المعهد الديني الحكومي وكان يشرف على إدارة رباط العلامة ابن سلم بالغيل ويقوم بالتدريس فيه. توفي رحمه الله بغيل باوزير في شهر شعبان (١٣٧٩هـ) ودفن بجوار ضريح أستاذه العلامه ابن سلم. نقلته من كتاب «حضرموت فصول في الدول والأعلام» تأليف الشيخ عبد الله بن أحمد النَّاخبي.

وذي يأكلونه أشبه بالبهائم، وكلّها عِلَل، وأمر جَلَل، ولا منّه بداه إِلَّا بالمهدي، والله يصلح ويهدي.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ اليمن وحُكَّام العَرَب(١): وأخبار اليمن ارتبَكَتْ، وناقتها بَرَكَتْ، ونودِّي بِدَوْلَةٍ لأقاليم العَرَب، تقضي الأرَب، و أَمَّا دُول العَرَب، لا صَلاَحَ وَلاَ خَرَب، و لا لها كاف و لا نُون، و لا شرع و لا قانون.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولبعَد عرفنا المكسَبْ مِنَ الخَسَاره، عادهم في الحياره، لا فرّوا إلى ارتفاع، ولا حطّوا في القَاع، بين الحِفظ والضَّيَاع، ديوله عَرَبْ، ماتَقضِي أَرَبْ، ولا بَدَا العَرَب، جو في مَتَبْ، وهذا باب اذا فتحناه بانخنِق، ولعاد حَاجَة للخنبقَه، وإلى الله مُنتهاها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: والذي أراه أَنَّ دول العَرَب سَكَاحِل، لا لهم سياسَة ولا قانون، أن يخربون أو يبنون، كلُّه عندهم سواء، السواء والغوى، وهذا الوقت قالوا: إلى الرَّفاهيَّه بلا معنى، وبغو عَسَل بلا مجنىَ، واحلُب لَبَنْ ياتيس، ولا تقول ياهيس، وملَكُوا نواصيهم الفرنج، ولعاد وظيفة قبطان ولا صرنج، وكُبرت في عيونهم النَّصارى، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم:٥٥]، قال الوالد أحمد المحضار: دول العرب استلَّتْ وذَلَّتْ، وبواريها ابتلَّتْ، وعُرَاها انحلَّتْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذمِّهِ تقريب الأجانب إلى حضرموت وبلاد المسلمين: ومَنِ اتَّفَقَ بِكَافِر، كأنّه بالكَرَامَةِ ظَافِر، وياخزوة المسلمين، وفرحهم بالكافرين، أَمَّا في الآراض البعيدة، قُلنا في

---

(١) ترجع كلمة العرب: إلى اسم يعرب بن قحطان جد العرب – الذي أوَّل مَنْ ألهمه الله اللغة العربية فإليه يُنسب الإقليم، واللغة، والأُمّه، التي تتكلم بلغته. فيقال اللغة اليعربيه، والإقليم اليعربي، والأمة اليعربيه، ثُمَّ حذفت الياء للتَّخفيف فصارت عرباً مِنْ أصل يَعْرُبْ. وينقسم العَرَبْ إلى ثلاثة أقسام: **العرب البائدة:** هم قوم عاد وثمود المذكورون وقد أبادهم الله جميعا ولهذا سموا العرب البائدة، وقد أرسل الله إليهم النبي هود والنبي صالح عليهما الصلاة والسلام. **العرب العاربة:** هم أبناء يعرب بن قحطان المتتشرون في اليمن والحجاز ووادي الأحقاف ومن ذريتهم ملكة سبأ بلقيس زوجة النبي سليمان المذكوره قصتها في القرآن الكريم. **العرب المستعربة:** هم أبناء النبي إسماعيل بن إبراهيم الذي ولد في مكه وتكلّم بلغة العرب، ومن نسلهم قبائل قريش الذين أكرمهم الله بخاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

طلب معيشة، وأمَّا في هذه السواحل وبرورها، وتقريب كفورها، فالخيبة لجارها ومجرورها، ومَنْ سعى فيهِمْ، فهُم مِنَ الفَسَالَةِ على شفيرها، وذَا بَاب معَاد بانطوّل فيه الكلام، ونعود إلى خصامٍ، وخلّهم وربّهم يسدّون، ولا عاد بانقول عن سبيله يصدُّون، وبأشياء يستبِدُّون، والذين فتحوا هذا البَابَ، فتحوا بَابَ الخرَاب، ومسعِف الجهه ومستورها، وأزاحوا مستورها، وكشطوا قاموسها، وكسّروا ناموسها، ومهّدوا لدابّوسها، وجذب فلوسها، وأركبوا بغولها على خيولها، وأصبحوا يخنّزون، وردّوا الرُوس ذَنَب، وحلَقوا غزير الشَّنَب، وردّوا الأذناب رؤوس، ولا عطر بعد عروس[1].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وياراد الضّالّة، والحجّة المائلة، احْفَظْ ضالّتنا، وأصلح مائلتنا، ونظِّف هذه البلاد، من جميع الأضداد، فإنها يارب بلاد المسلمين، وأحقَر بلاد العالَمِين، وأفقر بلاد المشرقين، وأضعف بلاد المغربين، مخدع آل باعلوي، ولا أحد إليها يلوي، ولا هي على بال أحد، من قرُب أو بعد، ولا إليها شَطَّه، لولا تفهيم كَمْ مِنْ بَطَّه، حسَّنوا إليها الشطّه، لكنه ضرب على غير صيد، وقدّامهم حَيد، لا ينتقِب، ولا يستطح، ومَن قَصَده يفتضح، كثيراً ماأسمع الوالد أحمد المحضار يقول: مَنْ جاء إلى أرضنا افتَضَحْ، وعَلْجُوم ارتَضَحْ، ومَنْ دَخَلَ خَرَجْ، والصبر مفتاح الفَرَج.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن فلسطين واحتلالها مِنْ قِبَلِ اليهودِ الغاصبين: وأخبَارُ البحر تَمُوج، وفلسطين بين الماء والطين، وكُلَّاً منها تقرَّب، وهي إلى العَرَبِ أَقْرَب، بلادِ العَرَبْ، جدود بعد جدود، وحَاشَا على الله يعطيها اليهود، إخوان القُرود، مابدا وقعوا حكومَه، أُمَم مَهْكُومَه، بدا رباح وقع سُلطان، وخُصُوصاً مَنْ ضُرِبَت عليهم الذلَّة مِنْ قَدِيْم الزَّمَان، أخبرنا بِهاالرَّحمن في القُرآن، على لسان ولد عدنان، سيدنا محمد صفوة الرَّحمن، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على طُولِ الزَّمَان، وعلى آله وأصحابه وساداتنا العلويين الذي طَابَ بِهِمْ الزَّمَان، وعلينا معهم وفيهم يارحيم يارحمن.

(١) وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ في ذَمِّ ادِّخار الشيء وقت الحاجة إليه، فالعروس لا تدّخر عطرها. فلهذا يقولون: (لا عِطْرَ بعد عروس).

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ مُحَمَّدِ بن هَادِي ابن حَسَنٍ السَّقَّافِ الحُسَيني(١)

(١٢٩١-١٣٨٢هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد قول الحبيب علي بن محمد الحبشي: (حَبّه إذا بَارَكَ المولَى تلقِّي حُبُوبْ): العَمَل الواحد إذا صَفِيَ وبَارَكَ الله فيه يحفظ لَكْ سائر الأعمال، وتحصُلُ بِهِ البركة في الأهلِ والمال والعيال وسائر الأحوال، وسلفنا رضوان الله عليهِمْ عملوا قليلاً، فاستراحوا كثيراً، وأَمَّا العَمَل بلا صَفَاء ولا إحسان وإِنْ كَانَ كثيراً فهو هباء منثورا، قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[المُلك:٢] لَمْ يَقُلْ : أكثرُ عَمَلا، وَقَالَ تعالى:﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٤]، والمراد بحُسنِ العَمَل : تنقيته مِنْ نحوِ الكِبر والعُجب والحَسَد والرِّياء ورؤية النَّفس وغير ذلك مِنَ المهلِكَاتْ، ولا يقبل الله مِنَ الأعمال شيئاً إِلَّا بالإخلاص، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزُّمَر:٣]، رأى بعضهم الحسن البصري بعد وفاته فقال له: ما فَعَلَ الله بك؟ فقال: حاسبني ربي، فخجلت منه حين قال لي: إنك مرّة في عُمرك بينما أنتَ في أثناء صلاتك، رأيت كثرة الناس حولَكْ فأحسنت آخر الصلاة مِنْ أجلهم، فوعزَّتي وجلالي لولا أنك أخلصت لي في أوّلها لَمَقَتُّكَ، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحسن البصري هذا أَخَذَ العِلم عن سيدنا علي كَرَّمَ ٱللَّهُ وَجْهَهُ وتربّى على يد أم سلمة زوجة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لأنه إبن لجاريتها فهو مسّهُ الرِّق مِنْ جهةِ أبيه وأُمه، ولكنّه بلَغَ المجد العظيم الذي أشَارَ إليه شيخنا الحبيب علي بن محمد الحبشي في قوله: (واطلبُوا المجد لي فيهِ المماليك سادَاتْ)، الله يصفِّي لنا الأعمال، ويهدينا فيمن هَدَاه، ويرعانا فيمَنْ رعَاه، ويُدخلنا في سِلْكِ أصفيَائِه وأوليائِه.

---

(١) المولود بمدينة سيؤن سنة (١٢٩١هـ) المتوفّى بها عصر الأربعاء (١٥) مِنْ شهر رجب سنة (١٣٨٢هـ) وارّخ بعضهم تاريخ وفاته (محمد بن هادي، مولاه عنه راضي).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: الظهور قصم الظهور، والناس ما ركبوا ظهراً إِلَّا أدبروه، ولا جواداً إِلَّا عقروه، ولا يحضرون المجالس والرَّوَح لغرض النفع والانتفاع، بل يقولون: نذهب إلى المجلسِ الفُلاني أو الرَّوحَةِ الفلانيّة، عِندَ العَالِمْ الفُلاني نتروَّح، وذا يقول: نمضي ساعة في الوقت، وذا يقول: رُبَّمَا يغلط فنحصي عليه غَلَطه، ما يقصدون بحضورهم المجالس نيّة صالحة، ما لهم قُوّة رابطة، كدّرُوا صفَاء الوقت، ودَخَلَ معهم الشيطان، ومُنِعُوا المَدَدْ، لعَدَمِ المَشْهَد، وبقدر صفَاءِ الطويّة، تقع العَطيّة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: تغيَّرَتِ السِّيَرْ، وتنكَّرَ الوقت، بمخالطة أهل الغفلة المشغوفين بحُبِّ الشهوات، والأُمُور الدّنيَّات، فإنه يسرق الطبع مِنَ الطبع، فمَنْ جَالَسَ ذَاكِرَاً ذُكِر، أو غَافِلاً غَفَلَ، أو طائعاً أَطَاع، أو خبيثاً ضَاع، والشَّرَف كل الشرف في اتِّباعِ السَّلَف، والتَّلَف كل التَّلَف في ضياعِ سيرةِ السَّلَف.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: العُزلة خير مِنْ جليس السُّوء، وأمَّا الجليس الذي يُذكّرك بآخرتك فهو خير مِنَ العُزلة، وقد قال الحبيب عبدالله الحدَّاد:

مُظــاهرةُ الإخــوانِ أمــرٌ مُقــرَّرٌ عليه يدورُ الشَّأن فاستوصِ بالخِلِّ

وإنْ لم تجِدْ جليساً صالحاً فعَلَيكَ بمُلازمةِ الكُتبِ النَّافِعَة، فإنّها نِعْمَ الجَلِيس، ونِعْمَ الأَنِيس، خُصُوصاً كُتب السَّلَف مثل كُتب الحبيب عبدالله الحدَّاد، وكتب الحبيب عبدالله بن حسين، لأنَّ كتبهم مُنَقّاه، فلو كنتم تجلسون أنتُمْ وأهلكم وعيالكم تقرؤون فيها لَمْ تَخِيبُوا، وحصَلَتْ لكم بركة ذلك، والعِلم والنُّور والفتح مِنَ العَزيزِ الغَفُور، لَمَّا كانَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رحمةً بأُمّته لم يمُتْ حتى تركهم على المهيعِ السَّوي، وبيَّن أمرهم الخَفِي والجَلِي، أخبرهم بما ينفعهم معَاشَاً ومعَاداً نكاحاً وأكْلاً وشُرباً ولبساً وغير ذلك، وجزى الله العُلماء المتقدِّمين عَنَّا خَيراً دَوَّنُوا أخبَارَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأخبارَ الصحابَةِ والعُلماء الأخيار، وبيَّنوا لنا أفعالهم وأقوالهم، عسى الله يهدينا ويُرشدنا لمتابعتهم، في الأفعال وسائرِ الأحوال، وقد قال سيدنا الحبيب عبدالله الحدَّاد: (طريقةُ السَّلَف رَضِيَ اللهُ عَنهُم هي طريقة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنَّهم لم يضع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدَماً إِلَّا وضعوا محلّه أقدامهم، وقد كان وادِينا وادي حضرموت مشحوناً بِهِمْ:

بِهِـمْ أصبحَ الـوادي أنيساً وعَـامِراً أَمِينــاً ومحميّــاً بغــيرِ حُــسامِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مراتب العِلم خمس:

الأولى: الصمت.

والثانية: الاستماع.

والثالثة: الحفظ.

والرابعة: العَمَلْ.

والخامسة: نشر العلم، وهذا العلم الذي ينتفع به صاحبه وينفع الناس، ومَنْ يُعلِّم وقلبه مُتلبِّس بشيءٍ مِنَ الأدناس سيسري ذلك إلى الآخذِين عنه نسألُ اللهَ السلامة، والعِلم يهتفُ بالعَمَل فإنْ أجابه وإلَّا ارتحَل، وطريقة أسلافنا العلم والعَمَل، وليسَ عندهم تكلُّف في طريقِ الوُصُول، إلى البَرِّ الوَصُول، كالقيام على رِجْلٍ واحدة، أو ربط نفسه، بل يعملون بِلاَ تكَلُّفٍ، ولَمَّا عملوا أعطاهم الله، عِلم ما لم يعلَمُوا، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] والعِلم اللَّدُني ليسَ يُوجد بعلم السّلَم والإجارة، والنَّحو والبيان، ونحو ذلك فقط، وإنَّما هو عِلم غَيبي ليسَ في السطور، بل مِنَ العَزيزِ الغَفُور، إلى الصدور.

... إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: والإنسان إذا توجّه بكُليّته إلى مطلَبٍ أعطاه الله ذلك، وما بلغوا إلَّا بصدقِ الرّغبة والوجهة كالشافعي وغيره وإلَّا فهُمْ مثلنا آدميون يأكلون مثل ما نأكُلُ ويشربون كذلك ولكن توجّهوا بصدقِ الرّغبة ولم يلتفتوا إلى الدُّنيا، حصّلوا المطلوب، وكما سمعتم إمامنا الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا وصَلَ مكة جلَسَ في خَيمةٍ له عندَ الحرَم وأنفقَ جميع ما معه ولَمَّا وصَلَ إلى داره قالت له والدته: سمعنا أَنك معك كذا وكذا مِنَ المال وما خرجتَ إلَّا لطلَبِ العِلم، فقال لها: نعم، ولكن ما جئتكم إلَّا وقد أنفقتُ جميع ما معي، ولم يبقَ معي شي، فقالت له: الآن امكث عندنا، ولَمَّا وصَلَ عندها قال لها: ما العَشَاء؟ فقالت: ما معنا عَشَاء ظنناك تأتي لنا بعَشَاءٍ معك، قال لها: ما جئت بشيءٍ، وخرَجَ يستدين لهم عَشَاء تلك الليلة ، ولَمَّا بلَغَ الخَبَرَ الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أرسَلَ إلى الشافعي يقولُ له: إنَّ لي جَاهاً كبيراً وسأرسل إليك مِمَّا عندي وأنت أنفقه عندك فكان يُقَسِّمُ ما يجده ، وكان أحياناً يلبس الثياب الخشنة، وأحياناً يلبس الثياب الفاخرة، ولكنّه قد رَاضَ نفسه على ذلك حتى إنه جلس ذات يوم عند

رجل مُزيَّن عنده رجل لبس أفخرَ الثياب وكانت ثياب الشافعي رثّةً لا تُساوي شيئاً فازدراه الرّجُل المزيَّنْ فأنشأ الشافعي يقول:

عَـلـيَّ ثيـابٌ لـو تُبـاعُ جميعُهـا ... بفِلْسٍ لكَـانَ الفِلْـسُ مـنهنَّ أَكْثَـرا
وفـيهنَّ نَفْـسٌ لـو تُقـاسُ بمثْلِهـا ... نُفُـوسُ الـوَرَى كانَـتْ أَجَـلَّ وأَخْطَـرا

وله أيضاً:

لَـئِنْ كَـانَ ثَـوبِي فـوقَ قيمَتِـه الفِلْـسُ ... فَـلِي فِيْـهِ نَفْـسٌ دُوْنَ قِيْمَتِهَـا الإِنْـسُ
فَثوبُـكَ بَـدْرٌ تَحْـتَ أَنْوَارِهَـا الـدُّجَى ... وثَـوبِيَ لَيْـلٌ تَحْـتَ ظُلْمَتِـهِ الـشَّمْسُ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِذَا رَاضَ الإنسان نفسه لَمْ يَضرّه شيء فإِنْ وَجَدَ لَبِسَ، وإنْ فَقَدَ لَمْ يَتَحَسَّرْ عليه، فَوُجُوْدُهُ وعَدَمُهُ عِنْدَهُ سِيَّانِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط : إِنَّ صَاحِبَ الرِّبا وكاتبه وشاهده والمُعين عليه ولو بماء قربة تنقع به الدَّوَاه، كل هؤلاء كافرون لِنِعَمٍ كثيرة منها نعمةِ العَين، ونِعَمةِ اليد، ونعمةِ القَلَم، ونعمةِ الأرض التي أقلّته، والسماء التي أضلّته.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صُحبة طالب العِلم، لِمَنْ لا يُحب العِلم، وإنْ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِكْ غير محمودة، فإنَّ المرء مِنْ جليسه وكُلّ قرين بالمقارن يقتدي، وكُلُّ صاحب ما يُنَشِّطك للعِلم لا خَيْرَ في صُحبته، فَلاَ تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ حَسُنَ حاله، ويدلّك على الله مقاله، كَمَا قَالَ الحبيب عبدالله الحَدَّادُ:

واصْحَبْ ذَوِي المَعْرُوف وَالعِلم وَالهُدَى ... وَجَانِبْ وَلاَ تَصْحَبْ هُدِيْتَ مَنِ افْتَتَنْ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : طالب العِلم إذا لم يكُنْ معه أدَب، يضيع علمه بِلاَ فائدة .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : العِلم علمان: علمٌ ظاهر: وهو ما أوجبه الله على كُلِّ مسلم ومُسلمة مِنْ صغيرٍ وكبير وحُرٍّ وعبد وذَكرٍ وأُنثى كعِلمِ الصلاة والصوم والوضوء والحيض والنفاس، وغير ذلك مِمَّا هو مذكور في الفروع الفقهيّة ، قال صاحب «المختصر الكبير» : (الحمدُ لله الذي فرَضَ علينا تعلُّم شرائع الإسلام، ومعرفة صحيح المعاملة وفاسدها، لتعريف الحلال والحرام ... إلخ). والعِلم الثاني: هو العِلم بِدَسَائِسِ النّفس، وغوَائِلها، كالعُجب والكِبر والحَسَد والبغض، والهوى، وجميع الأشياء المذمومة الخبيثة، وقد أشَارَ إليه صاحبُ «الزُّبَد» فقال:

وَعِلْـــمِ داءٍ للقُلُـــوبِ مُفْـــسِدِ   كَالْعُجْـــبِ والكِـــبْرِ وَدَاءِ الحَـــسَدِ
وَمَـا سِـوَى هـذا مِـنَ الأَحْكَـام   فَـرْضُ كِفَايَـةٍ عَـلَى الأَنَـامِ

فعَلَى الإنسان أن يُصَفِّيَ باطنه مِنْ خَبَائِثِ النَّفس وغَوَائِلها، مثل: محبّةِ الدُّنيا، وغيرها، وإذا صفّى باطنه مِنْ هذه الرّذَائِل والخَبَائِث، حَلاّه الله بالأوصافِ الحَسَنة، كالشفقة والرّحمة لعبادِ الله ونحو ذلك.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِمَّا يُرقّق القلوب، ويُقرّبُكَ إلى علاَّمِ الغيوب، أربعة أشياء:

(**أحدها**): حُسْن الظَّن بالله، وبِعِبَادِ الله؛ لأنَّ حُسْنَ الظَّن مطلوب، ولَوْ أَحْسَنْتَ ظنّك بِشَخْصٍ، وهو لَيْسَ كَمَا تظنّه أَعْطَاكَ الله على حسب ما ظننته، وإنْ لَمْ يَكُنْ كذلك، قال ابن بنت الميلق[1]:

والمَـرْءُ إنْ يعتقِـدْ شَـيْئاً ولَـيْسَ كَـمَا   يَظُنُّــهُ لَمْ يَخِـــبْ، واللهُ يُعْطِيـــه
ولـيسَ ينفـعُ قُطْـبُ الوقْـتِ ذَا خَلَـلٍ   في الاعْتِقَــادِ وَلاَ مَـــنْ لا يُوَالِيـــه

(**ثانيها**): ذكر الموت لأنَّ ذكر الموت لا يكون في كثيرٍ إلَّا قلّله، ولا قليل إلَّا كثّره، والعبد إذا أكثَرَ مِنْ ذِكْرِ الموت، واستشعَرَ قُرْبَ الأَجَلِ، لَمْ يَعْصِ الله تعالى، ولَمْ يَغْفَلْ عنه طَرْفَةَ عين، وإذا تَفَكَّرَ الإنسان في ضَعفه، وأَنّهُ خارج مِنَ الدُّنيا قَهْراً، وأَنّهُ مُقبل على تلكَ الغصص فلم يهنأ العيش، فالدُّنيا دار فناء، والآخرة دار بقَاء، وإذا دخَلَ أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار، يقولُ الله لأهلِ الجنة: (يا أهل الجنة خُلُود فلا موت)، فيعظم بذلك فرحهم، ويقول لأهلِ النار: (يا أهل النار خُلُود فلا موت)[2]، فتعظُمُ بذلك حسرتهم، نسألُ اللهَ السلامة مِنْ ذلك.

---

(١) هو الشيخ العارف بالله ناصر الدِّين محمد بن عبدالدَّائِم بن محمد الأنصاري الشَّاذلي المعروف بابن بنت المِيْلَق، وُلِدَ سنة (٧٣١هـ) وتوفي سنة (٧٩٧هـ) قاضٍ مصري، كان شافعياً شاذلياً، واعظاً بليغاً، باشَرَ القضاء (١٢) سنة بولاية من السلطان برقوق، له مصنّفات منها: «الأنوار اللائحة في أسرارِ الفاتحة». «الأعلام» (ج٦ : ص١٨٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(**ثالثها**) : الجلوس عندَ المحتَضِر عند نزع رُوحه لأنّك ترى يديه ورجليه وأوصاله ومفاصله ترتعد وتَرَاهُ في كَرْبٍ شديد، فإذا رأيت ذلك تذكّرت ما أَنْتَ مُلاَقيه مِنَ الغصص.

(**رابعها**) : تشييع الجنائز لأنّكَ إذا شيَّعتَ الجنازة أُعطيتَ قيراطاً مِنَ الأجر، والقيراط مثل جبل أُحُدٍ، وإذا صلّيت عليها أُعطيت قيراطاً آخَر ، وإذا حضرَ الإنسان الجنازة فليسكُتْ، ويترك اللَّغو، والهَذَيَان والكلام، لأنَّ ذلك غير مطلوب حتى إنَّ أهلَ العِلم قالوا : إنَّ مُذاكرةَ العِلمِ، ومدارسةَ القُرآنِ، في تلك الساعة غير مطلوبة، بل المطلوب مِنَ الإنسان أن يتفكّرَ في حالِ الميت، وما يُلاقيه ، وفي نفسه أنه سيصير إلى ما صَارَ إليه ذلك الميت، فعند ما يوضع ويُحمَل في العيدان يتفكَّر أنه صائر إلى مثل ذلك وعند طرحه في القبر وما هو مُلاقيه مِنَ الأهوال، مِنْ سُؤال الملَكَين وغير ذلك، يتفكّر إنه مُلاقٍ مثل ذلك، وإذا تَمَّ الدّفن يفعل ما أراده، مِنْ مُذَاكَرَةٍ ومُدَارَسَةٍ فليصبر مُدّة التَّشييع قليلاً، وأَمَّا بعد ذلك ففي الوقت سِعَة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانَ أسلافنا يربّون أولادهم بتربيةٍ حَسَنَة، انظُروا إلى تربيةِ الحبيب عمر بن سقاف لولده (علي) كانَ الحبيب علي بن عمر ليسَ معه رِداء خاص، بَلْ كَانَ معَهُ رِداء هو وأعمامه، مَنْ أَرَادَ منهم الخروج أخذه وكان مُساوياً لأعمامه في السِّن لكون الحبيب عمر أكبر أولاد الحبيب سقّاف، وكانَ يأخُذ بيد جدّه الجد سقاف لشيخوخته إذا أَرَادَ الخروج أوِ الرجوع مِنَ المسجد، حتى أنه ذات يوم وهو قابض بيد جدّه شكَى إليه وَقَالَ له: ما معي رِداء إِلَّا أنا وأعمامي إنْ خرَجَ بِهِ أحدهم وأخذه بقيتْ، وإنْ خرَجْتُ وأخذته بقوا وأُريد لي رِداءً خاصّاً، فقالَ لَهُ جَدّه: افتح التيحة، وما فيها خُذه وسر به إلى الحَائِك، يجعل لك به رِداء ففتحها، ووَجَدَ فيها ثلاث أَوَاق .

ثُمَّ قال الحبيب محمد بن هادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والثلاث الأَوَاق في ذلك يكون بها رِداء حَسَن فأَخَذَها وخرَجَ بها مُسرِعاً ولَـمَّا بعض الدّرَج اتّفَقَ بوالده الحبيب عمر فقال له: يا علي أينَ تُريد؟ وكانَ الحبيب عمر مُهَاباً لا يستطيع أحد معه الكذب، فقالَ لَهُ: أُريد عند الحَائِك أعطَانِي جَدِّي ثلاث أَوَاق أجعَل لي رِداءً قال له: هاتها وأنا أعطيك الرِّدَاء فأعطَاه إيّاها، وأَخَذَها

الحبيب عمر وأنفقَهَا في نفقةِ الدَّار، وكَانَ إذ ذَاكَ قَائِماً بنفقته، ثُمَّ دَعَى الحبيب علي وأعطاه كتاب «الإرشَاد»، وكتَبَ على ظهره أبياتاً وهي هذه:

بُنـيَّ عَليّـاً كـرِّرِ الحِفـظ والدَّرسَـا ... وإيَّـاكَ إيَّـاكَ التـساهُلَ لا تنـسى
وتحقيقـك «الإرشـاد» أعظـم رُتْبَـةٍ ... تـشيخُ بهـا قَـدْراً تفُـوقُ بهـا الإنـسَا
وإنْ كُنـتَ حفِّيظـاً وتُـصبحُ ناسـياً ... فيا حسرتي أمسيتُ أخسرهم بخسا
وإنْ أنـتَ ضـيَّعتَ الزَّمـان تكاسُـلاً ... منعتُـكَ مني الـوُدّ والقـدر والأُنـسا
وإنْ قُمتَ بـالتّحقيقِ للعِلـم والهُدى ... رُفِعْتَ مكاناً فـارَقَ الشكل والجِنْسَا
فـدُونك والمـولى ينيلُـكَ مـا تـشا ... توجَّه بصدقٍ واحكُمِ الفرع والأُسّا

وَقَالَ له: خُذ هذا الرِّداء وتحفَّظ فيه كل يوم وائتني بالحِفظ وإلَّا أوجعتك ضَرْباً، فجلَسَ يتحفَّظ حتى طلَعَ جدّه الحبيب سقاف إليه ووجده يقرأ ويتحفَّظ في «الإِرْشَادْ» قال له: يا علي ما هذا اليوم معك؟ قال له: هذا الرِّداء أعطاني إيَّاه والدي، وَقَالَ: خُذْ هذا الرِّداء تحفَّظ فيه وإلاَّ أوجعتك ضَرْباً فعند ذلك بكَى الحبيب سَقَّاف، وَقَالَ لَهُ: يا علي إنَّ أَبَاكَ يُحبّك، الرِّداء الحقيقي هو ما أعطاكَ إيّاه، ما رداء الشريف إلا العِلم، وأمَّا أنا فما أعطيتك إِلَّا رحمة الشيوخة، وأَخَذَ الحبيب محمد بن هادي يتمثَّل بِقَولِ الشاعر:

إذا المرء لم يُدْنِسْ مِنَ اللَّوم عِرْضَهُ ... فكُـلُّ رِداءٍ يرتَدِيـه جَميـلُ

اللهُمَّ قنِّعنا بما رزقتنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا، وصَفِّ بواطننا مِنَ الخَبَائِث، مِنَ الكِبر والعُجب ومُتابعة النَّفس والشيطان والدُّنيا والهوى، وحلِّها بالأوصافِ الحسنة برحمتك يا أرحم الرَّاحمين، اللهُمَّ لا تُمكِّنِ الأعداء، لا فينا، ولاَ مِنَّا، ولا تُسلِّطهم علينا بذنوبنا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: تأدّبوا، والزمُوا الأدَب معَ الصالحين، قال الشيخ عمر بامخرمة:

إنْ أردتَ الـسلامة ... تـأدَّبْ تـأدَّبْ تـأدَّبْ

أي تأدَّبْ للشريعة، وتأدَّبْ للحقيقة، وتأدَّب للطريقة، وقيراط معَ الأدَب، خير مِنْ سبعين ألف قيراط مِنْ غيرِ أدَب، والله الله في اتّباعِ السَّلَف، في الأعمال والأقوال، وفي سائرِ الأحوال، فإِنَّ الخيرَ كلّ الخير في اتباعِ السَّلَف، والشرّ كلّ الشر في مخالفة السَّلَف، وعمل السلف محصُور في مُتابعةِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأقوالِ والأفعالِ وسائرِ الأحوال، لأنَّهُ لا يضَعْ النبي

صلى الله عليه وآله وسلم قدَماً إِلَّا وضعوا محلّه الأقدَام، في الإقدامِ والإحْجَام، قال قُطْبِ الإرشَاد الحبيب عبدالله بن علوي الحدَّاد:

ومضوا على قصدِ السبيل إلى العُلى ... قَـدَماً عـلى قَـدَمٍ بجِـدٍّ أَوْزَعِ

وكَانَ علمهم مقروناً بالعَمَل، ومَنْ أَرَادَ تفصيل طريقة سادتنا العلويين فليقرأ في كتبهم ودواوينهم وتراجمهم ومناقبهم وكلامهم المنثور والمنظوم ككتُبِ الحبيب عبدالله الحدَّاد، والحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، ومناقب الحبيب علي بن عبدالله، ومناقب الحبيب سقاف[1] بن محمد، وغيرها، فإنَّهُ يجد ما يشفيه مُفصَّلاً، وأمَّا إنْ أردتَ طريقتهم المجمَلة، فهيَ فيما قاله الحبيب عبدالله بن علوي الحدَّاد في قصيدته:

وقد درَجَ الأسلافُ مِنْ قبلِ هَؤلاءْ ... وهِمَّتُهم نيلُ المكارمِ والفَضْلِ
لقد رفضُوا الدُّنيا الغَرورَ وما سَعَوا ... لهـا والـذِي يـأتي يُبادَرُ بالبـذْلِ
فقـيرُهُمُ حُـرٌّ وذو المـالِ مُنفِـقٌ ... رجاءَ ثوابِ اللهِ في صالحِ السُّبْلِ

إلى أن قال:

لباسُـهمُ التَّقْـوَى وسيماهُمُ الحيَـا ... وقَصْدُهُمُ الرَّحْمَنُ في القَولِ والفِعْلِ
مقـالُهُمْ صِـدْقٌ وأَفْعَـالُهُمْ هُـدًى ... وأسرارُهُـمْ منزوعـة الغِشِّ والغِلِّ
خُـضُوعٌ لمـولاهم مُثُـولٌ لأَمْـرِهِ ... قُنُوتٌ لـه سُبْحانَه جَلَّ عَنْ مِثْلِ

وطريقةُ السَّلَفِ أقوَمُ الطُّرق، كانوا مُتحَلِّين بالرِّضا والقناعة والزُّهد والنفع والانتفاع والعِلم والعَمَل، وكانوا مُرتّبين أوقاتهم في الدِّينِ والدُّنيا، وكانوا يصفُّون بواطنهم، مِنْ نحو الحَسَدِ والغِل، ويحلّونها بنحو الرحمة والشفقة، كما في كتبهم، وكلامهم المنثور والمنظوم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مُجالسة الأخيار تُحيي القلوب والدِّين، ومُجالسة الأضداد تخلُق الدِّين حَتَّى يصيرَ كالثوبِ الخَلِق، والشيء البَالي، ومُجالسة الصالحين تنفع في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) هو الإمام الكبير سقاف بن محمد بن عمر الصافي السقاف وُلد في مدينة (سيؤون) سنة (١١١٥هـ)، ووفاته بها في يوم السبت (١١) شوّال سنة (١١٩٥هـ).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ولا أَقَلَّ لطالب العِلم مِنْ أن يقومَ قبل الفجر ولو بنصفِ ساعة، وأَمَّا إذا قامَ بعدَ الفجر فقد بالَ الشيطان في أُذنيه[1]، ومَنْ بالَ الشيطان في أُذنيه أصبَحَ وهو خبيث كسلان، وقد قال الشيخ أحمد ابن حجر: إنه يبول بولاً حقيقياً وإنَّما لم يجب تطهيرهما لأَنَّهُ يقع في الباطن، والإنسان إذا نوى قيام الليل وتوجّه بصدقٍ يناله، انظروا إلى الذين يصلّون الصبح أيَّام قراءة «البُخاري» ، يأتُونَ قبل الفجر ، وهل كُلّهم يقومون قبل الفجر في بقيّة الأيَّام ، لا بل بعضهم، ولكنّهم لَمَّا توجّهُوا وصدَقوا في التّوجّه نالوا ذلك، نحنُ عندنا مَنْ يقوم بعدَ الفجر، ولا يقدر أنْ يقومَ قبله، وأيَّام «البُخاري» إذا جئنا نُوقظه قبل الفجر نجده مُستيقظاً هذا كُلّه مِنْ صدق الوُجهة، والإنسان إذا توَجَّه في شيءٍ مِنَ الأشياء وجده وناله.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: اجتهدوا في مُطالعة كتب الفقه والتَّفسير وقراءة النَّحو والصرف، لأنَّ النحو يُقال إنه أَبُو العلوم، والصرف أُمّها، ومَنْ لا عنده النحو، ولو كانَ فقيهاً يَقْصُر عِلمه، لأنَّ النَّحو يفك العبارات، ويُعرَفْ به معنى الآيات، وهذا الوقت قصُرَت الهِمَم في طلَبِ النَّحو، وهوّنوا فيه، وأَمَّا كُتبِ الأدَب، فلا نقولُ لكم لا تقرأوا فيها، نحنُ ما نُريدُ منكم أن تُوجّهوا هِمّتكم فيها، اقرأوا منها قليلاً إنْ معكم مخرَج، أو يوم عيد، أو حصلَ معكم ملَل، اجعلوا تعلّقكم بعِلمِ الأدَب كالملح للطعام، واجتهدوا في طلَبِ العِلمِ النافع، وكرّروا الحِفظ والدَّرس، ومَنْ معه كتب يُطالع فيها، لا يتركها مطروحةً في الرَّف، ولو كان كل واحد يُطالع كل يوم ملزمة مِنَ «الخضري» مثلاً، وملزمة مِنْ «فَتْحِ المعين» ، أو غيره، لكَانَ كُلَّما سُئِلَ عن مسألةٍ في النَّحو أفتَى بها مِنَ «الخضري» مثَلاً، أو في الفقه أفتى بها مِنْ «فتح المعين» مثَلاً، والإنسان إذا نظَرَ إلى المسألة أوّل مرّة فهمها، وإذا نظَرَ إليها ثانياً ثبَتَتْ عنده، وهكذا كُلَّما نظَرَها، أو سمِعَها تزيدُ المعرفة، وترسخ في القلب، فعسى الله يُقوِّي الهِمَم، ويُعليها، وينقلنا مِنْ

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ : (من نام عن الفريضة حتى أصبح فقد بال الشيطان في أذنه) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» بهذا اللفظ وعلى هذه الرواية تبين أن المراد من نام عن صلاة الفجر وليس من نام عن قيام الليل.

هذا الحَال، إلى أحسن حَال، ويُبلِّغنا درجة الرِّجال، مِنْ أهلِ الكَمال، ونحشر معَ الَّذين أنعَمَ الله عليهِمْ مِنَ النَّبيِّين، والمرسلين، والشهداء، والصالحين، يا أرحمَ الرَّاحمين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم السبت ١٨ شهر رجب سنة ١٣٤٢هـ: ينبغي لِكُلِّ إنسان التَّحَلِّي بخصلتين: القناعة، والاقتصاد، فمَنْ قنَعَ بالفوز بالآخرة غَنِمْ، وفي الدُّنيا سَلِمَ مِنَ الدَّين، والمَداخِلِ الخبيثة، كالرِّباء وحِيَله، ومَنْ لم يقنع ويقتصد توسّع، ومَنْ توسَّع احتَاج، ومَنِ احتَاج حمَّل نفسه على المداخِلِ الخبيثة، فالاقتصاد شان كبير، ما عَالَ مَنِ اقْتَصَد.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

لَا تَحْسَبِ المَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

المجد يُريد مُجَاهَدَات، ورياضات، وأعمال، وتصفية الباطن مِنَ الخبائث والرّذائل، ما حصَّلوا رفيع المقامات بالهُوينا، وللصدق والمحبّة علامة، قال الحبيب عمر بن سقاف:

لا تَدَّعِ فالصِّدْقُ لَه عَلائِمْ ... ما حَازَها مَنْ في الظَلامْ نائِمْ

إلَّا الذي لله فيه قَائِمْ ... أو سَائِحِ مِنْ شَاهِقٍ لِشَاهِقْ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة السبت ٣ من شهر رمضان سنة ١٣٤٢هـ مُشيراً إلى بعض التلامذة: يافُلان ، السَّفيه عندَكَ مَنْ ضيَّع المال، ومَنْ ضيَّع العِلم والعمَل والآداب لا يُسمّى سفيهاً، وأيّهما أشرف المال أو العِلم؟، المال تحرسه، والعلم يحرسك، والمال ينقص بالإنفاق، والعِلم يزيد، فإذا كانَ كذلك فمَنْ ضيَّعَ الخير والعِلم فهو أحَق بالحَجْر مِنْ صاحِبِ المال، لأنَّ العِلم نفعه مُستمر أبَدَ الآبَادِ، وإنَّما حجره معنوي عَنِ العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وما يترتَّب على تحصيلها مِنَ القُربِ إلى الحَيِّ القيّوم، وعن ما يعطيه الله الوكيل، مِنَ السِّرِّ والذِّكرِ الجميل، أُنظروا إلى من قبلنا مِنَ العُلماء الذين صرفوا أوقاتهم في طلَبِ العِلم ونفع العباد، بقيَ ذكرهم إلى زماننا هذا، مثل الشافعي والنَّووي وابن حجر والخضري والكسَائي[1]، وغيرهم، فلا يزال ذكرهم، وينتفع الناس بعلمهم، ويستضيئون بنورهِمْ، وهُمْ في قبورهم، لأنّهم بذلوا جهدهم، وهِمّتهم في طلب العلوم، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد:١٧] وأمَّا أهل الدنيا أربابِ

(١) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي شيخ القُرّاء والنحو توفي سنة (١٨٩هـ).

الآلاف والمئات، إذا ماتوا قُسِّمَ مالهم بين ورَثَتِهِمْ ولم يبق لهم ذكر، فالعلم أشرَف وأحَقُّ بالقبض مِنَ المال، وأنتم إذا قرأتم كِتَاباً، أو سمعتم تقريراً في مسألَة نسيتم ذلك، وإذا سألناكم عن ذلك لا تأتون بشيء، ضيّعتم العِلم ولكن نطلب منكم مِنْ بعد هذه الليلة أن تنتبهوا مِنْ نَومِ الغَفَلاَت، وتتعرّضوا للنَّفَحَات، واحرصوا على حِفْظِ الأوقات، واصرفوها في الطاعات، وجِدُّوا في طلَبِ العِلم، واحرصُوا على المسَائِل.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد قراءة هذه الآية: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩] : إمَّا يخلفه الله هناك في الآخرة فيَدَّخِر له به الدَّرَجات، والمقامات، وإمَّا يُوفقه الله لخُلُقٍ حَسَن، وأعمال صالحة في الدنيا بسببه، أو يعوِّضه بدل ذلك في الدنيا شيئاً بعَشْر أمثال ما تصَدّق به، الحَسَنة بعَشْر أمثالها.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ في ليلة السبت ٢٨ من شهر رمضان سنة ١٣٤٣هـ بعد ما قُرِئَتْ عليه هذه الآية: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزُّخرُف:٧٠] : لِمَ خصَّ في هذه الآية الأزواج بالذِّكر فقط، وفي بعض الآيات ذكَرَ الأولاد والأهل؟ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لأنَّ هذه الآية تقدَّمَهَا قوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ [الزُّخرُف:٦٧] والزَّوجة مِنَ الأخلاء للإنسان، لهذا خَصَّها بالذِّكر، وَقَالَ عندَ قراءة هذه الآية: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزُّخرُف:٧١] في هذه الدُّنيا أواني الذهب والفضّة حرام لا يجوز استعمالها للذَّكَرِ والأُنثى، وأمَّا في الجنة فآنيتهم مِنْ ذَهَبٍ وفِضّة وغير ذلك مِنَ الجوَاهر، لأنَّ الجنَّة دار ثواب وجزاء، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزُّخرُف:٧١]، مِنَ المـأكَلِ والمشْرَبِ، وغير ذلك، وأقَل أهل الجنة درجةً مَنْ له سبعون ألف خَادِمٍ، وما تشتهيه نفسه تجده، والجنّة وإنْ كانت لا يُوجَد فيها جوع ولا ظمأ، لكن أكلهم أكل تَفَكُّه وزيادة نعيم، وأعظَم مِنْ ذلك رضاء الرحمن (أُحِلُّ عليكم رِضْواني فلا أَسْخَطُ عليكُم أَبداً)(١)، وأعظم مِنْ ذلك رؤية العزيزِ الغَفَّار بالأبصار، لم يكن شيء ألَذ مِنْ رؤيةِ الله هذا هو النَّعيم السَّرمدي الذي لا موت

(١) رواه مسلم.

فيه ولا ينتهي أَبَدَ الآباد، وأمَّا نعيم الدنيا فإنه مُنقطعٌ، إمَّا بفناءِ مال صاحبه، أو بموته وتركه للوَرَثة، فإنْ كانت معه وصية أُخرِجَتْ مِنَ الثلث واقتسموا الباقي مِنْ مالٍ ونخلٍ وغيرهما، وخرَجَ ماله عن مُلكه، ولم يبقَ إلَّا الحساب ثُمَّ العقاب، أو النَّعيم والثواب مِنَ الكريمِ الوهَّاب، وإنْ لم يكُنْ معه وصيّة وله أولاد محاجير أو غائبون أو غيرهم ممَّنْ هو ليسَ مُطلَق التصرُّف، فإنه لا يجوز لهم أن يستعملوا شيئاً مِنْ أَوَانيه حتى السراج يجب عليهم إطفاؤه، وإنْ لم يُطفئوه أَثِمُوا، وأَمَّا نعيم الجنّة فما له نهاية كما ذكرنا وفيها (ما لا عَينٌ رَأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ)[١] وأهل النار في عذابٍ دائِم، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزُّخرُف:٧٥] يا أهل الجنة خُلُود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، فأينَ المشمِّرون للجنة ؟ فهي الدَّار الحقيقية، أَمَّا الدُّنيا فإنّها عارية عندنا ما هي دار مقَر، بل دار سَفَر، وقد قال رسول الله ﷺ: (كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عَابِرُ سبيل)[٢]، وَقَالَ الحبيب عبدالله الحَدَّاد:

وَمَا هَـذِهِ الـدارُ بِـدَارِ إِقَامَـةٍ   وَمَا هـيَ إلَّا كـالطريق إلى الـوَطَنْ

الوطن الحقيقي الآخرة، وأوّل منزل مِنْ مَنَازِلِ الآخرة القبر، إنْ تنعَّمتَ فيه فما بعده أنعَم، وإنِ اشتَدَّ عليك فما بعده أشدّ منه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قراءة هذه الآية ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣] : مَنْ منكم رأى ليلة القدر في هذا الشهر، فإنْ لم يكُنْ أحدٌ منكم رآها فإنَّ ناساً رأوها وأي شيء منعكم مِنْ رؤية ليلة القدر التي هي خير مِنْ ألف شهر فيها تتنزَّل الملائكة والرُّوح؟، ما هو إلَّا الذنوب حجبتكم عنها وعن رؤية الملائكة ، فتِّشوا على أنفسكم أو مِنْ سُوءِ الأدَب، إذا خرجت قلت : أُريدُ المسجد للصلاة وإذا وصلت المسجد قعدت تتكلَّم في المسجد بكلامِ الدنيا ورُبّما حملك على المحذور وخرجت مِنَ الدَّار للثواب رجعت بالعقاب، وإنْ صلّيتم معَ

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري والترمذي وأحمد.

الغفلة صليتم بلا حضور، قال الحَسَنُ البَصْرِي[1]: (صلاةٌ لم يَحْضُرْ فيها القَلْبُ فهيَ إلى العُقوبةِ أَسْرَعُ)، ما المقصُود ؟ مُجرَّد صلاة فقط ، بل لا بُدَّ مِنَ الآداب، (إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُم وأموالِكم ولكنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُم وأعمالكم)[2] وسُوء الأدَبِ في المساجد والمدارس ومجالس الخير، يُخشى على صاحبه العَطَب، كَمْ مِنْ إنسانٍ عطب، وهو غير عالِمٍ بنفسه، يُريد الثواب رجع بالعَطَب، ويُريدُ الرِّضا رجَعَ بالسّخَط، واحترام المساجد والمدارس مِنْ تعظيم حُرُمَاتِ الله، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، لماذا بُنِيَتِ المساجد؟ ما بُنِيَتْ إلا للعبادة والصلاة والقراءة، ما بُنِيَت للَّعب والمزاح، وما لا يليق بها، والفقير من حين عقلت ما لعبت في المساجد أو في مجالس الخير، وإذا سمعت بمجلس خير حضرت وأصغيت بسمعي، لِمَا يُقال خصُوصاً إذا جاء بعض الحبائب الظاهرين والمنظور إليهم أحضُرُ بأَدبٍ وأنصِتُ وأستمِعُ، وإذا سمعتُ شيئاً حفظتُه، أهمَلَ أهل الوقت الأدَب، ضاعَتِ الآداب عليهم، ومَنْ جاء يُعلِّم عَلَّم في صَحَّ ولَزِمَ، أو في رفع ونصب وجزم، ولم يُعَلِّمْ في الآداب، ولم يَعْلَمُوا أنَّ الآدابَ هي الأسَاس الذي عليه المدَار، فعَنِ النبي ﷺ: (مَا تَجَالَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَلَمْ يُنْصِتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِلَّا وَيُنْزَعُ مِنْ ذَلِكَ المَجْلِسِ الْبَرَكَةَ)[3] ذكره في «الجامع الصغير» .

وَقَالَ العزيزي: فعلى الجليس أن ينصِتَ عندَ كلام صاحبه حتى يفرغ مِنْ خطابه، وفيه ذم ما يفعله غوغاء الطلبة في الدرس الآن.

وَقَالَ الحفني[4] قوله: (فلم ينصت بعضهم...) إلخ معلوم أنَّ ذلك في كلامِ الخير والمباح لا في غيبة ولا نميمة ، وفيه ذم ما يقع مِنَ الطلبة في الدّرس مِنَ الغَوغَاء أي تكلّم

---

(١) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، مولى زيد بن ثابت، تابعي إمام أهل البصرة توفي سنة (١١٠هـ).

(٢) رواه مسلم (٦٧٠٨) .

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤٧٣).

(٤) أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني الشافعي وُلِدَ سنة (١١٠١هـ) ودرس بالأزهر له مؤلفات كثيرة ، توفي سنة (١١٨١هـ).

بعضهم معَ بعض، وعَنِ النبي ﷺ: (أَكْرِمُوا أولادَكُم وأحْسِنوا أَدَبَهُم)[١]، في «العزيزي» : أي علِّمُوهُمْ رياضَةَ النَّفْسِ، ومحاسِنَ الأخلاقِ ، قال العلقمي: والأدَبُ هو استعمالُ ما يُحْمَدُ قولاً وفعلاً ، وقيل: هو تعظيمُ مَن فوقَكَ والرِّفْقُ بمَنْ دُونَكَ. وقيلَ للحسن البصري: قد أكثَرَ الناس في عِلْمِ الأدب فما أنفعها عاجلاً وأوصلها آجلاً؟ فقال: الفقه في الدِّين، والزُّهد في الدُّنيا، والقيام بما لله عليك. وتوضيحه: أنه إذا عُدِمَ الفقْهُ وقَعَ فيما لا ينبغي ، وإذا لم يزهد في الدنيا لم يُمكنه القيام بما عليه مِنَ الأحكام لشغله بحفظها وتحصيلها وجهات كسبها.

وَقَالَ عبدالله بن المبارك[٢]: نحنُ إلى قليلٍ مِنَ الأدَب أحوَجُ مِنَّا إلى كثيرٍ مِنَ العِلم. وَقَالَ بعضهم: ترك الأدب يُوجب الطَّرد، فمَنْ أسَاءَ الأدَبَ على البساط رُدَّ إلى الباب، ومَنْ أسَاءَ الأدَبَ على الباب رُدَّ إلى سياسة الدَّوَاب.

ثُمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ مُشيراً إلى نفسه: رأيتُ كثيراً مِمَّن يحب اللعب والمزاح في المساجد كُلّهم عُطِبُوا وكُنتُ أيَّام تعلُّمي القرآن عند المعلِّم سعيد بايمين رأيتُ أُنَاسَاً يلعبون ويُسيئُون الأدَب في مسجد الجد علي بن عبدالله كانَ مآلهم أنهم سافروا وتشتّتوا وماتوا غُرباء ، وكذلك الوالد كثيراً ما يقولُ لي: يا ولدي كان ناس يلعبون في مسجد الجد طه بن عمر ولا يحترمونه حتى أنَّ بعضهم إذا أرَاد أن يُصلي ومعه عناق جعله في ردائه ودخَلَ به المسجد، وبعضهم يشوي اللَّحم فوق قبب المسجد كُلّهم أُصيبوا وعُطِبوا وهَلَكُوا وتشتّتوا ، والذي يلعب في المسجد يُقالُ له: ظالِم، مثل مَنْ ظَلَمَ شخصاً يأخُذ حقه بل هذا أظلَم منه لأنَّ ذاك إنما ظلَمَ حيّاً يمكن أن يطلب العفوَ منه أو يرد مظلمته فيعفو عنه ويتوب الله عليه، والذي يلعب في المسجد إنَّما ظلَمَ أمواتاً بنو المساجد للعبادةِ والصلاة وأسرجوا السرُج، وفرشُوا الفُرُش، وتصدّقوا راجين الثواب مِنَ الله قد أخرجُوا عزيزهم لله، وأنتَ لو شخص قال لك:تصدَّقْ لامتنعت وأبيت على مالك،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٩) .

(٢) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح المروزي من العلماء الزهاد أهل الحديث عالم خراسان ، ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ١٨١هـ بهيت وهي مدينة معروفة على نهر الفرات دفن بها لما رجع من الغزو .

وجئت تلعب وتفعل ما لا يليق فيها، فأنتَ ظلمتهم، ولو كُنتَ تعبَّدتَ أو قرأتَ فيها لوصَلَ إليهِمْ الثواب ، ولَـمَّا كُنتَ جعلتها للعب ما حصّلوا شيئاً، ولكن إذا كنتَ لا تقدر تُلازم الأدَب في المساجدِ والمجالس فاخرُجْ وخلِّ غيرك يجي يتعبَّد في مكَانَكْ لأجل أن يُحصِّلوا الثواب، فجلوسك في دارك خيرٌ لكَ من حضورك لأنَّ جلوسكَ في دارك أقلّه يكون لا لَكْ ولا عليك، وأمَّا إساءة الأدَب فهي عطب، وقد تكلَّم على آداب دخول المسجد الإمام الشعراني[1] في «العهود» فقال: أُخِذَ علينا العهد العام مِنْ رسولِ الله ﷺ أن نُطِيلَ الجلوس في المسجد ونُخَفِّفَ الجلوس في السوق، ولِكُلٍّ منهما شروط، **فشروط الجلوس في المسجد** أن تكُونَ حركاته وسكناته وخواطره كُلّها محمودة فإنْ لم تكُنْ محمودة فمِنَ الأدَبِ تخفيف الجلوس، لأنه ما دَامَ في المسجد فهو جالس بين يدي الله، شعَرَ أو لم يشعُرْ، ومَنْ لَمْ يُجالس الملوك بالأدَب، أسرع إليه العَطَب.

قلت: وهذا الأمر قد غلبَ على غالب الناس المقيمين في المسجد مِنَ المجاورين، والجالسين فيه، والمتَرَدِّدين فيجلسون ويجرون قوافي الناس مِنَ العُلماء والصالحين والوُلاة والقُضَاة والشهود والظلمة والتّجّار ويذكرونهم بالنقائص في حضرةِ الله عزَّ وجلّ فمثل هؤلاء كالبهائم بل البهائم أحسنُ حالاً منهم ، ومِنْ هنا كان سيدي علي الخوّاص[2] رَحِمَهُ اللهُ لا يدخل المسجد إلَّا عندَ قول المؤذِّنْ حيَّ على الصلاة فحينئذ يأتي المسجد فقيل له: ألاَ تأتي المسجد مرّة قبل الوقت؟ فقال: مثلنا لا يصلح لإطالة الجلوس في حضرةِ الله فنخاف أنّا نأتي لنربَحَ فنخسَرَ، فينبغي لِكُلِّ مؤمن مُراعاة الأدَب في المسجد فإنه بيت الله الخاص، ولا يُبادر بالوقت إلَّا إنْ عَلِمَ مِنْ نفسهِ القُدرة على كف جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل مذموم حتى عن سُوء الظن بأحدٍ

---

(١) هو الإمام أبُو المواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الشافعي وُلِدَ سنة (٨٩٨ هـ) وتوفى سنة (٩٧٣هـ)، أكثر تصانيفه في التصوف وآدابه وتراجم رجاله، فمنها «الطبقات الكُبرى» ، و«الوسطى» و«الصغرى» في تراجم الأولياء، «تنبيه المغترين» ، «العهود المحمدية» ، وغيرها من المؤلفات التي بلغت نحو ثلاثمائة. رحمه الله تعالى.

(٢) أحد أعلام التصوف الإسلامي في القرن العاشر الهجري توفي بالقاهرة في آخر جمادى الآخرة سنة ٩٤٩هـ ودفن في زاوية الشيخ بركات الخياط.

مِنَ المسلمين حتى بالاهتمام العظيم بأمرِ الرِّزق والمعيشة فإنَّ ذلك مِنْ أقبحِ الصفات لِمَا فيه مِنْ رائحةِ الاتهام بالحق تعالى بأنه يضيعه وهو يرزقه من حين كان في بطن أُمه حتى ضربه الشَّيب .

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نُريدُ منكم أن تُلازموا الأدب في كُلِّ مجلس خير، إنْ حضر الشيخ أو لم يحضُر اجعلوا أدبَكم كُلّه لله، ومثال الملازم للأدَبِ مثال مَنْ جاء إلى مَنْ يُقسِّم شيئاً ومعه وِعاءٌ نظيف، فإنه يعطيه مِمَّا معه، ومثال سيء الأدَب كمَنْ جاء ومعه وعاء موسّخ فسيردّه ويعطي غيره، ووعاء السِّر القلب، ولا الأسرار إلَّا لِمَنْ صفّى السرائر.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحث عل اتباع السلف : فمَنْ أرَادَ الاعتلاء على مَنَصَّةِ الاستقامة، والفوز في الدَّارَين بالغِنَى والسلامة، فليحْمِلْ نفسه على الاقتداء بِهِمْ في أفعالهم وأقوالهم وزيّهم وهيئتهم ولباسهم المعنوي والحِسِّي وفي كلِّ أحوالهم فإنّهم مالوا إلى المكارم، وفازوا بالمغانِم، وعزَفَتْ نفوسهم عنِ الدنيا الفانية، واقبلوا على الله والدَّار الباقية، وطُوبى للفَانِي إذا تعلَّقَ بالبَاقِي، ويا خسَارَة الفَانِي إذا مالَ وتمسّك بالفَانِي.

مِنْ مُذَاكَراتِ وَأَقْوالِ العارِفِ باللهِ عَلَوي بن عَبْد اللهِ بن عَيدَرُوسِ بن شَهابِ الدِّينِ الحُسَينِي(١)

(١٣٠٣-١٣٨٦هـ)

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ اللهَ قرَنَ الصلاة بالزّكاة فمَنْ صلَّى ولم يُزكِّ لا قبولَ لصلاته، وقرَنَ شُكره بشكرِ الوالدين فقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، فمَنْ شكرَ الله ولم يشكر والديه لا قبول لشُكره، وقرَنَ طاعته بطاعةِ محمد ﷺ فقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢] فمَنْ أطاعَ الله ولم يُطعِ الرَّسولَ لا قبول لطاعته.

---

(١) المولود بمدينةِ تريم سنة (١٣٠٣هـ) ببيت أهله المعروف بحارة النويدرة والمتوفّى بها صباح يوم السبت في (١٢) من شهر رمضان المبارك سنة (١٣٨٦هـ)، ودُفِنَ بِمَقْبَرَةِ زَنْبَل.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ الشيخة سُلطانة[١] بنت علي تقول: ياويلنا ياويلنا ياويلنا على قِلِّ تعظيمنا لأهل البيت ، وتقول: لو كَانَ في لحمي دواء لأهل البيت لَبَرَيْتُهُ لهم ، وَقَالَ الشيخ فضل بن عبدالله صاحب الشحر: خَرَجَتْ مِنِّي كلمة حمِدتُ الله عليها وهي: مَنْ لا يُحْسِنُ الظنَّ بأهلِ البيت ما فيه خير، وَقَالَ الشيخ حسين بافضل: إِنَّ أدنَى أهل البيت يكون ذَهَب، وأوسطهم يكون جَوهَر، وآخرهم إكسِير، قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (كلُّ نَسَبٍ وسَبَبٍ مُنقَطِعٌ يومَ القيامَةِ إلاّ نَسَبي وسَبَبي)[٢] وفي روايةٍ: (وصهري) قال الحبيب عبدالله الحدَّاد: كانوا الناس يحبون مصاهرة أهل البيت، وأَمَّا اليوم صاروا إِلَّا قنَاتِير ، قال القائل:

يــا أهــل بيــت رســول الله حُــبُّكُمُ فَــرْضٌ مِــنَ اللهِ في القُــرآن أنزلَــهُ
يكفــيكُمُ مِــنْ عَظِــيْم الفَــضْلِ أنَّكُــمُ مَــنْ لا يُــصَلِّ عَلَــيْكُمْ لا صــلاةَ لَــهُ

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مثَلَ أهلِ بيتي فيكم مثلُ سفينةِ نُوحٍ مَنْ ركبَها نجَا، ومَنْ تخلَّفَ عنها هلَكَ)[٣]، قال الحبيب عبدالله بن عمر بن يحي: أي مَاتَ على سُوءِ الخَاتِمَة.

---

(١) هي الشيخة سُلطانة بنت علي الزبيدية نسبة إلى آل الزبيدي وهم قبيلة بني حارث الكندية. وقيل من مذحج. وُلِدَت ببادية (العر) وهي العراء شرقي قرية (مريمة) إلى نهاية الحوطة المعروفة اليوم بحوطة سلطانة. أكثر اتصالها وارتباطها بالشيخ عبدالرحمن السقاف وأولاده ولها فيهم العديد من المقالات والعبارات والثناء الجميل في مدح أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أُطلق عليها اسم (رابعة حضرموت) لانشغالها التام بأعمال الطاعات والعبادات صلاةً وصوماً وأذكاراً وهي في سن اليفاع وكان هذا الاسم مناسباً لحالها ومقامها فهي أخذت طريق التصوف منذ نعومة أظافرها. ولقد كانت تتميَّز بالطهارة والنزاهة والشرف. وكانت تتبادل مع المشايخ الحديث في مسائل العلم وتأتي إلى تريم وتتدارس العلوم، وكانت تتصف بسرعة بديهتها وحسن جوابها. وكانت تعتني بالفقراء وتأوي المحتاجين وأهل الفاقة والعوز وقد قامت ببناء رباط متكامل في نواحي بادية قبيلتها. وقد كانت حياة الشيخة سلطانة مضرب المثل للمرأة الصالحة وجامعة بين العِلْمِ والعَمَلْ. تَوَفَّتْ في منزلها الكائن في حوطتها ودُفِنَتْ هُناك بعد أن شيَّعتها حضرموت في موكبٍ مَهِيب سنة (٨٤٣هـ)، رحمها الله رحمة الأبرار مع الآل الأطهار.

(٢) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي.

(٣) رواه أحمد وأخرجه الطبراني في «الأوسط» و«الجامع الصغير»، وأبو يعلى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن إقبال الناس على مجالسِ الخير وفائدة التَّذكير: نحنُ يالمتأخرين صلحت لنا أشياء ما صلحت للمتقدِّمين ، وعاد نحن لو حصّلنا وُلاَة حقيقة لكَانْ صلحت الأشياء كُلّها ، لو حضروا شيابتنا هذه الجُمُوعات بايغتبطون بها، شُو أهل البرزخ يغبطونكم على هذه الجموعات، يمكن مِنْ مُنذُ زمان طويل ما يجتمعون هكذا ، وشو نحن محفوظين عاد نحن بها ، وهذا مِنْ تنفُّسِ الزَّمان، شونا خائف إنَّ الواحد يقوم منكم ويُسكتونه، وباتبكون، وباتحملون لكم منديل فوق منديل مِنَ البُكاء على فَقْدِ الرِّجال.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ كثيراً ما يستشهد في وعظه ومذاكراته بأبياتٍ مِنْ ديوان الإمام عبدالله بن علوي الحدَّاد وكان يقول: هذه الرُّطَبْ حقيقة، وهذا الرُّطَب لي ما يتغيّر، وشو ذكر أهلنا وسلفنا يكفينا عَنِ القُوت، بغيتو نحن نجلس أيَّام وليالي على ذكر أهلنا با نجلس، ولا بانحس بجوع ولا غيره، قال الحبيب عبدالله على لسانكم يا أهل البيت:

نَعْـرِفُ البَطْحَـا وَتَعْرِفُنَـا   وَالـصَّفَا وَالبَيْـتُ يَأْلَفُنَـا
وَلَنَـا المَعْـلاَ وَخَيْـفُ مِنَـى   فَـاعْلَمَنْ هَـذَا وَكُـنْ وَكُـنِ
وَلَنَـا خَـيْرُ الأَنَـام أَبُ   وَعَـلِيٌّ المُرْتَـضَى حَـسَبُ
وَإِلَى الـسِّبْطَيْنِ نَنْتَـسِبُ   نَـسَباً مَـا فِيـهِ مِـنْ دَخَـنِ

إلى أن قال:

ثُـمَّ لاَ تَغْـتَرَّ بِالنَّـسَبِ   لاَ وَلاَ تَقْنَـعْ بِكَـانَ أَبِي
وَاتَّبِـعْ فِي الهَـدِي خَـيْرَ نَبِـي   أَحْمَـدَ الهَـادِي إِلَى الـسَّنَنِ

ما حَدْ أظهَرْ مناركم يالعلويين مثل عبدالله حَدَّاد، ولا تقدرون تجازونه، لكن خلّوا نحن نعطي السِّيادة حقّها كما وصَفَ الحبيب عبدالله قال:

وأَمَـانِ العِـتْرَةِ الـشُّرَفَا   مِـنْ بَنِـي الزَّهْـرَا وَآلِ عَـلِي
وَبَنِـي عَلْـوِيِّ قَادَتِنَـا   جَـامِعِيِّ العِلْـمِ وَالعَمَـلِ

إلى أن قال:

الْكِـرَام المُطْعِمِـيْنَ لِمَـنْ   أَمَّهُـمْ فِي الخِصْبِ وَالمَحَلِ
مِثْـلِ مَوْلاَنَـا المُهَـاجِرِ لُـذْ   بِـابْنِ عِيْسَى الـسَّيِّدِ البَطَـلِ

وَعُبَيْــــدِ اللهِ يَتْبَعُـــــهُ   عَلَـوِيْ المَـذْكُورُ فِي سُـمَلِ
وَعَـــلِيٌّ شَـــيْخُنَا وَأَتَـــى   بِالْإِمَـامِ الجَـامِعِ الحَفِـلِ
وَالفَقِيـــهِ الحَـــبْرِ عُمْـــدَتِنَا   وَالعَفِيـفِ المُحْسِنِ البَـذِلِ
لِمَوَارِيــثِ الرَّسُــولِ حَــوَوْا   وَأَمِـــيرِ المُـــؤْمِنِيْنَ عَـــلِي
وَمِــنَ الــسِّبْطَيْنِ قَــدْ وَرِثُــوا   ثُــمَّ كَــمْ حَــبْرٍ وَكَــمْ بَــدَلِ
لُـــذْ بِهِـــمْ فِي كُـــلِّ نَائِبَـــةٍ   وَادْعُ ذَا العَرْشِ بِهِمْ وَسَلِ

لكن عبدالله حدَّاد ما نام في المرْباه[1] قال:

وَأَحْمِلُ نَفْسِي مَا اسْتَطَعْتُ عَلَى اقْتِفَا   سَـبِيلِهِمُ حَتَّـى أُوَسَّـدَ فِي الرَّمْـلِ

قال الإمام الغزالي: (لا يغترّ الإنسان بالنَّسَب). قال: مثاله إذا أكَلَ الوالد شي هل يسري أكله لولده؟ أو شرب شي هل يسري شربه إلى ولده؟ لا، والإنسان هكذا لا يقول : آبائي رجال، ويَتّكِلُ على ذلك ويترك العمل، خل ما يجيك منهم إلَّا زَائِد، قال بعض العارفين: (لا يغتر الإنسان بالمكانِ الزَّين ويقول : قدنا في تريم ، ينظر إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في الجنة لَمَّا عصَى الله وأكَلَ مِنَ الشجرة أخرجه الله مِنَ الجنة، ولا يغتر بالعلم فإنَّ بلعام بن باعوراء كان مُستجاب الدَّعوة وكان تجتمع في مجلسه اثناعشر ألف مَحْبَرَة تكتُبْ منه، ولَمَّا أَرادَ الله شقاوته معاد نفعه علمه، ونزلَتْ فيه ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾[الأعراف:١٧٥-١٧٦]، ولا يغترّ الإنسان بِكَثْرَةِ العِبَادَة، ينظر إلى إبليس لَمَّا تكبّر دحره الله ولعنه، ولا يغتر الإنسان برؤيةِ الصالحين، إنَّ أُنَاساً مِنْ قريش رأو محمد مثل أَبُو جهل وأبُو لهب وغيرهم ولا نفعهم رؤيتهم لمحمد لأنَّهم ما رأوه بعَيْنِ التَّعظيم، وكانوا يسمّونه (يتيم أبي طالب)، ولا يغترّ الإنسان بالنَّسَبْ ينظر إلى نوح لَمَّا أراد أن يتشفّع في ولده ما قَدَرْ، قال الله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[هود:٤٥-٤٦].

---

(١) المرباه: المكان الذي يختبي فيه الإنسان.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحبيب عمر بن زين بن سميط: إنَّ الإنسان إذا غيَّر زيّه، تتغيَّر سيرته، وإذا تغيَّرَتْ سيرته، يتغيَّرْ دِينه، قال القائل:

إنْ لَمْ تكُونُــوا مِــثْلهم فتَــشَبَّهُوا　　إنَّ التَّــشَبُّهَ بِــالكِرَامِ فَــلاَحُ

مَنْ أدّبَ ابنه وهو صغير، سُرَّ به وهو كبير، قيل: إنَّ رَجُلاً مِنَ العارفين ، رأى واحداً مِنْ تلامذته يسير خلفه وكُلَّما رفَعَ الشيخ قَدَمَهُ، وضَعَ التلميذ قدَمه عليه، فالتفَتَ إليه الشيخ، وَقَالَ له: هذا ما ينفعك، ولو سلخت لك جلدي ما ينفعك، إِلَّا الاتباع، والسلوك في الطريق، قال الحبيب علي حبشي:

مَنْ لا سلَكْ في طريق أهله تَهَيَّمْ وَضَاعْ
فَيَـا فُـرُوع النَّبـي سِـيرُوا عَـلَى الإِتِّبَـاعْ
خَلُّوا الْقَدَمْ بِالقَدَمْ واحْذَرُوا الابْتِدَاعْ

وفي الأُخرى يقول:

إلى المسلَكِ المحمـود أرشِـدُ أوْلاَدِي　　ومَنْ يقبلُ الإرشادَ مِنْ أهلِ ذَا الوَادِي
وأحـدُوهُمُ حـدواً يُحـرِّكُ عـزمهم　　وحـسبُهُمُ أني لهُـمْ لم أزَلْ حَـادي

شعر:

إذا كنـت تنـوي سـلوك الطريـق　　فـشمِّرْ مـعَ القـوم تلقَـى الحبيـبْ
صُـمِ الـدّهرَ وافطُـرْ عـلى طِيبِـهِ　　ورَاعِ الكَوَاكِــبْ إِلَى أَنْ تَغِيـبْ

السقاف يقول: (شوارع تريم شيخ مَنْ لا له شيخ) لأنّك تجِدْ مَنْ ينصحَكْ، ومَنْ يدلّك على الخير، ويردّك إلى الطريق، حَتّى في شوارع تريم، فكيفَ بمساجدها، وزَوَاياها.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أهل العِلم: ما شي يغيظ النَّبي مثل التَّشَبُّه، (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[1]، عاد المتقدِّمين يتشبّهون بقبائل على ما فيهِمْ مسلمين، وأَمَّا اليوم أولادنا تشبّهوا إِلَّا بنصارى، وأحبّوا ما أحبّوه النّصارى، وقلّدوهم في كُلِّ شي، النّصارى يحلقون لحاهم، حلقنا لحانا، النصارى يلقون نبزة ألقينا نبزة، ورَاهم ما قالوا: بانقلّدكم يالمسلمين.

---

(١) رواه أبُو داود (٤٠٣١).

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وشُو هذه تريم لا تقيسونها بالجهات هاذيك، شُو بعض الأولاد بغو تريم تكون قطعة مِنْ عدن، أو مِنْ مصر، أو مِنَ العراق، ونحنُ يا أهل الزَّمان افترقنا فِرَقْ، فبعض مِنّنا يحبُّون ما عليه النّصارى، وبغو أولادهم يكاد يتنصّرون، وبعض يحبُّون ما عليه آل العراق، وآل مصر، وبعض مِنّنا يُداهنون إذا جاؤوا عند العصريين، ورِوحُوا الصّانّه قالوا: انتُوا على الحق، وإذا جاؤوا عند ذولا قالوا لهم: انتوا على الحق، وفِرقة يبكون، ولا أدري باتقع على كُور[1] مَنْ مِنّنا، وشُو غيارنا كُلّه مِنَ الجمعيّات هذه شوها لي سلَبَتِ السِّر منكم يالعلويين، وباتعرفون قدر كلامي هذا، لا تقولون عَمَّنا علوي مغَفَّلْ، عمّكم علوي ما هو مغفّلْ، هذا زمان خُري[2] زمان عَصْرِي، لَمَّانْ عَصَرُوا السِّر مِنّنا. قال الحبيب علي حبشي:

حـيَّر بعقـلي وفي مثلـه تحـير العقـول
ميل الفروع الزّكيّه عن طريقِ الأُصُول

لا عاد سِيرة، ولا سريرة، ولا عِلم، ولا عَمَل، ولا أخلاق، إلَّا إنْ باتجمعون كلمتكم، على ما يصلحكم، ويصلح عيالكم وبلادكم.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في كُلِّ مكان القيتوا جمعيّة وآه جبتوه لنا هل خرَجَ مِنْ جمعيّتكم مُفتي، أو عَالِمْ، أو دَاعِي.

... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا بكم إلَّا الاستحسانات، والجمعيَّات، يُعلِّمُونهم الجراءة، وقِلّة الأدَب، ماشي دِين با يدخل، الدَّاخل با يسأل عن طلاق، وعن عِدّة، وعن نكاح، وفرائض، با يدخل با يسأل عن الانقليزية؟، وإلَّا شي مِنَ العلوم هذه لي تشمّمون أولادكم إليها؟ ما با يصل أحدكم خمسين أو ستين سنه، إلَّا وبا يقلي هذه الأشياء كُلَّها ولا با يكون له سلوة إلَّا كلام أهله وسلفه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحبيب عمر بن زين بن سميط رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بعضُ الأولياءِ سرُّه في أولاده، وبعضُهم في أوراده، وبعضُهم في تصانيفه، وسيدُنا الحبيب عبدالله الحَدَّاد حصَلَ لهُ

---

(١) على كور مَنْ: أي على رأس مَنْ.

(٢) بمعنى آخر.

ذلك كُلّه. وكَانَ يحكي عَنِ الحبيب عبدالرحمن أيضاً أَنَّ الولد الذي ما طاع يسير جاء وقت مسيره ولا سار قال: يلقون له الوشر يفوّر الوشر في ماء وإذا قِدْ الولد يستكهله يضعونه فيه، والدِّيم كذلك مُجَرَّبْ للولد لي ما يسير إذا خرّجَ الدِّيم[١] الذبَّاح يجون به ويطرحونه فيه ، شفنا كثير من الأولاد طرحوهم في الدِّيم وبعد ما طرحوهم فيه ساروا، قال عَمِّي بوبكر بن شهاب: لأنَّ الولد إذا طرحوه في الدِّيم يحصل معه فزَع وبواسطة الفزَع هذا يمشي الدَّم في عروقه ويسير، قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط: إِنَّ الماءَ البَارِد في الصَّيف يُخَرِّج الحمد مِنْ صَمِيمِ القلب وأنه يقتل الدُّود الذي في البطن.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لاَ تَظُنُّون أَنَّ الصحَابَةَ كُلُّهم عُلَمَاء، لاَ، غايتهم ثلاثين، أو عشرين عَالِمِ، والبقيّة ساروا بالسَّير لِي سَارَ بِهِ محمد ﷺ: (صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي)[٢]، كَانَ الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر يقول لأولاده: صلُّوا مثل صلاتي، واتلُوا مثل تلاوتي، ونحنُ كان الظاهر هذا بانحكمه، وأَمَّا البَاطِن على الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: قال الحبيب أحمد جنيد[٣] في شرح قصيدة مدهر[٤]: وَاحِد مِنْ آل با سباعي رَثَى الحبيب عبدالرحمن بن عبد الله بلفقيه بأبيات قال:

---

(١) الدِّيم : جلد الذبيحة.

(٢) رواه البخاري .

(٣) السيد العلامة والبحر الفَهَّامة العارف بالله أحمد بن علي بن هارون الجُنيد وُلِدَ بتريم، توفي بها في عيد شوَّال سنة (١٢٧٥هـ)، مِنْ أَهَمِّ مُؤلفاته قيامه بشرحِ الأرجوزة للسيد مدهر، في كتابٍ أسماه «الرّوض المزهر شرح قصيدة مدهر» .

(٤) أنشأها الحبيب العارف بالله عبدالله بن جعفر مدهر باعلوي المتوفي سنة (١١٦٠هـ) بدلهي بأرضِ الهند يوم (٢٤) من شهر رجب الأصَب، والأرجوزة التي أنشأها عدد أبياتها (٩٩) بيتاً، وهي نظم لرسالةٍ مُختصرة لعلي زين العابدين بن محمد المصطفى العيدروس توفي سنة (١١٢٧هـ)، وقد جمعت الأرجوزة قبائل السادة بني علوي، وتعديد مناقبهم. نقلته مِنْ مجلّة النُّور العدد الرَّابع بعنوان (الرّوض المزهر شرح قصيدة مدهر)، قراءة تاريخية تحليلية للدّكتور حمد يسلم عبدالنُّور رئيس قسم التاريخ بمركزِ النُّور للدراسات والأبحاث تريم حضرموت.

وجيـه ديـن الله مُـونس ربعنـا عَنَّـا ظعَـنْ
مِنْ بعد ما قد غَابْ عَنَّا حارب الطَّرْفِ الوَسَنْ
قُل للشوَافِعْ مذهب ابنِ ادريس جَامِعْ كُلّ فَنْ
مـعَ وجيـه الـدِّين في زَنْبَـلْ ببـشَّارِ انْـدَفَنْ
مَـنْ للمُوطأ والبُخاري هُـو ومُـسلِمْ والـسُّنَنْ
الـلي يبـيِّن كـل مـشكل باللطافـه واللـسَنْ
لكـن أرجـو الـسِّر مـا بـين الثلاثـه قـد سَكَنْ
في عيدروس وحبيبنا احمد بن علي هو والحَسَنْ
والرّابـع المخفـي خـشينا لـو ظهرنـاه اشْـتَحَنْ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَادْ في الوَادِي رِجَال، إِذَا مَات رجَّال، أخلفه رِجَال، وأَمَّا اليوم كُلّما مَات واحد، ما حصّلنا بديله، لو هو حتى صاحب حِرفَة، قال الحبيب عبدالله الحَدَّاد: (باموت وأنا مستأمن الخليفة أحمد بن زين)، والثلاثة لي ذكرهم باسباعي في أبياته : **الأوّل:** الحبيب عيدروس بن عبدالرحمن بلفقيه، **والثاني:** الحبيب أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم، **والثالث:** هو الحبيب حسن بن عبدالله الحَدَّاد[1]، **والرَّابع** المخفي ذكره : الحبيب أحمد جنيد ولعلّه أحد مِنْ آل سهل مولى الدَّويلة.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الحبيب عبدالله الحَدَّاد: وكانوا سلفنا إذا رأوا الوَلَد ذو نُسُك وطَالِب عِلم وخَيِّر، غايتهم يقولون: هذا (وَلَدٌ مُبَارَكٌ)، ما يزيدون عليها، وَقَالَ الحبيب أحمد بن حسن العطاس: مَا حَدْ مَدَحَ الحبيب عبدالله ورَثَاه مثل أَبُو رَيَّا، وكانَ أَبُو رَيَّا هذا، لَهُ اعتقاديّة كبيرة في أَرْبَعَةٍ مِنَ السَّادة الْعَلَويين: في الحبيب عبدالله الحَدَّاد، وفي الحبيب عبدالله بن علوي العيدروس صاحب بور[2]، وفي واحد مِنْ مناصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم، وفي واحد مِنْ آل العيدروس آل الرّملة مِنَ الحبائب آل عبدالله بن شيخ.

---

(١) وُلِدَ بمدينة (تريم) في أوّل ليلة مِنْ شهر رجب سنة (١٠٩٩هـ) وتُوفي بها ليلة الخميس في (٢٧) مِنْ شهر رمضان المبارك سنة (١١٨٨هـ).

(٢) توفي سنة (١١٥٠هـ).

ثُمَّ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكانوا شيابتنا يُحِبُّون كلام بُورَيَّا[1]، وكذلك أَبُو عَامِر، ومِنْ قَصَائِد أَبُو رَيَّا قال:

يقول أبورَيَّا : هي إلاَ حَيَاهْ ... مَنْ ضَمّ شي ولّى وخَلاّهْ
وتسل فيها واعط رأسك ملاَهْ ... واتْرُكْ كلفها والمصَالاَهْ
وإنْ كان شفت الوقت ما له حلاه ... وضاق بك تقلوب وكلاه
فاحذر تقول إلاَّهْ فشَى الظلم إلاَّهْ ... فوِّض وسَلِّمْ الأمر لله

وفي الأُخرى يقول:

يقول بُولثنين مَنْ هو فَلِيسْ ... مَا هُوْ كَمَا مَنْ يَسْحَبِ الكِيسْ
ما دري ورا الخاطر يقع له نفيس ... خَزَى اللهُ الشَّيطَانْ وابْلِيسْ

وَقَالَ أيضاً:

يقول بُو لثنين مَاشِي قَصَرْ ... رِزْقِي مِنَ المولى مُيَسَّرْ
يصُبْ فوق الرأس مثل المَطَرْ ... وَلاَ مَعِي حِرْفَه وَمَتْجَرْ

ومِنْ كلام أَبي عَامِر:

يقول أَبُو عَامِرْ : مِنَ النِّقْمَهْ رِيَاسَهْ في سِقَلْ

يقول أَبُو عَامِرْ : ضَيَاعِ الشُّورْ مِفْتَاحِ الغِيَارْ
مِنْ أَوَّلِ الْفِتْنَهْ كِبَارِ الْقَومْ ماتَنْهَى الصِّغَارْ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحبيب عبدالله الحَدَّاد: أنَّ مُقرأين مِنَ القرآن ينبغي للإنسان يتلوهن ويتدّبرهن: **الأوّل**: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:٢٢] وفيه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨] **وثاني مُقرأ**: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:١٧] وفيه يقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [الروم:٢٠] فينبغي للإنسان أن يتفكّر فيهنّ، قال سيدي عبدالرحمن بن علي في قصيدته: (والفِكر

(١) هو الشاعر الشعبي المشهور محمد بن علي الحارثي المكنّى (أبو ريّا).

كحل البصيرة)، وكانَ الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار تلميذ الحبيب عبدالله الحدَّاد يخرج مِنَ الرُّوحة وعَادْ ساعة أو ساعه إلاّ ربع مِنَ المغرب، ويطلع إلى السطح أو إلى مكان مُرتفع وينظر إلى الأرض والجبال والسماء ويُفكِّر في خلقها، ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]، (تفكُّر ساعة خير مِنْ عِبَادَةِ سنة)، وكان كثير مِنْ سلفنا يجعلون لهم وقت مخصوص للتّفكُّر في مَخْلُوقَاتِ الله.

وكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيراً ما يأتي بهذه الآية في دُعائه وهي: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكروا عن سيدنا عبدالقادر الجيلاني، وسيدنا عبدالله الحدَّاد، والحبيب أحمد بن زين الحبشي، أنَّهم كثيراً ما يأتُون بها في دعائهم، قال بعض المفسرين: الحسنة في الدُّنيا: (العلم)، والحسنة في الآخرة: (الجنة)، قال الحبيب عبدالله: الدُّنيا صارَتْ معَ أهل الزَّمَان كالبقرة إنْ جوها مِنْ جِهة رأسها نطحتهم، وإنْ جوها مِنْ جِهة رجولها رمحتهم، وعادها ألقَتْ لها شوك في جوانبها، معَاذْ قَدَرْنَا عَلَيها بالكليّة.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ اللَّيث بن سعد لا يتكلّم كل يوم حتى يتصدّق بثلاثمائة وستين صدَقَة ، وكان دخله كل يوم ألف ريال ينفقه كُلّه في سبيلِ الله، ولاَ وَجَبَتْ عليه زَكَاة، جاء إليه رجل وطلَبَ منه قليل عَسَل في دَوَاء قدر رطل فأعطاه تنكه كاملة فيها أرطال كثيرة، فقالوا له: شفه إلّا طلَبْ قليل في دواء وأنتَ تعطيه هذا كلّه فقال لهم: هو طلب على قدر حاجته ونحنُ أعطيناه على قدر ما عندنا.

ويُحكى: أنَّ رجلين دخلا على الإمام مالك صاحب المذهب ، فقابلهم الإمام مالك وبعد لَمَّا خرجوا وقدهم في الطريق، قال أحدهم للآخر: آه هو مِنْ شيخنا، فسمعهم الإمام مالك فدعا منهم وَقَالَ لهم: آه تقولون ومَنْ شيخكم؟ فقالوا له: شيخنا اللَّيث بن سعد فقال لهم: سواء[1] كلامكم، ما حد كما شيخكم اللَّيث بن سعد مرّة طلبنا منه قليل صبغ نصبغ به

(١) أي صحيح.

ثيابنا فأرسل لنا صبغ كثير صبغنا به ثيابنا وثياب جيراننا ولي عاده بعناه بألف وَقَالَوا: إنه أفقه مِنَ الإمام مالك. وكان يقول: لو شئت لأمليت شحنة مَرْكَب كُتب، قال الشعراني: أنَّ ملكاً مِنَ الملوك احترقَتْ عليه خزانة ملآنة مِنَ الكُتب فاهتَمَّ الملك مِنْ حرقها، فقالوا له: لا تهتم ابن الحدَّاد[1] با يمليها لك مِنْ حفظه فأملاها له ابن الحَدَّاد مِنْ حفظه في ثلاث سنين. وكانَ الشيخ زَكَرِيَّا الأنصاري يُرَدِّد محفوظاته التي حفظها في الصِّغَر، وهو في عشر المائة، أو قال في عشر التسعين، وكانَ إذا رأى شاهداً في قصيدة لشيء يحفظ القصيدة كلّها لأجلِ الشاهد.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ﷺ: (مَنْ آذى مُسلماً فقد آذاني ومَنْ آذاني فقد آذى الله)[2]، مَنْ رَوَّعَ مُسْلِماً فكأنَّما هَدَمَ الكعبة[3]، تُرَوِّع مسلماً، تخوّف مسلماً، أو تظلمه، أو باسط على أموال ظُلْم يجوز لك منين ؟، اليوم عبرت بقوّتك، وسيطرتك، وفلوسك، وفي الآخرة با تروح فين؟، الظُّلم كَمْ دَمَّرْ، والعدل كَمْ عَمَّر، قال ﷺ: (مَنْ عادى لي ولِيَّاً فقد آذَنْتُه بالحَرْبِ)[4]، قال الشعراني في «الطبقات»: إذا أَرَادَ الله سلب إيمان مؤمن سلّطه على أن يُؤذي ولياً لله، قال سيدي عبدالرحمن بن علي: (ولا تُصَاحِب قط آكل الرأس) قالوا هو: مُغتاب العُلماء، والأولياء، وإِنْ عاده يتكلَّم ويقدح في أصحابِ رسول الله المصيبة الكبيرة، مَنْ أنتَ؟! هؤلاء رَبّاهُمْ الحِجْر النَّبوي. قال الشوَّاف:

فالسَّبْ فيهِمْ يا انسان   تَحْقِيق ينزع ليمان

---

(١) هو أبوبكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن الحدّاد المصري، وُلِدَ يوم موت المزني، تفقّه على أبي سعيد محمد بن عقيل الفريابي ومنصور بن إسماعيل الضرير واجتمع بالصيرفي والاصطخري، وكانَ عارفاً بالحديث والأسماء والكُنى واختلاف الفقهاء واللغة، صنّف في المذهب كُتُباً منها الباهر في الفقه والفروع والمولدات وهو مشهور بين الأصحاب وأكثروا مِنَ الاعتناء به، توفي يوم الثلاثاء مِنَ المحرّم سنة (٣٤٥هـ). المصدر «تهذيب الأسماء» [٢/ ١٩٢، رقم: ٢٩٠]، «طبقات الشافعية الكبرى» [٣/ ٧٩، رقم: ١١٤].

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط».

(٣) روَّعَ مسلماً: أي أخافه. قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أخَافَ مُؤمناً كانَ حقاً على الله أن لا يُؤمنه من أفزاع يوم القيامة) رواه الطبراني في «الأوسط».

(٤) رواه البخاري.

مِـنْ كـل مُـسلم لـو كَـانْ مُـــؤمن وطـــايع لله

قال الحبيب عبدالله الحَدَّاد:

فَذُو الْقَدْحِ فِيهِمْ هَادِمٌ أَصْلَ دِينِهِ وَمُقْتَحِمٌ فِي لُـجِّ زَيْـغ وَبِدْعَـةِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ واحداً قَدِمَ مِنْ عَلْوَى إلى تريم فعجب بعض الحبائب سَمْته، ووقاره، وسكينته، فقالوا لَهُ: تُجَالِسْ مَنْ؟ فقال لهم: أُجالس أحمد بن زين الحبشي، فقال لهم واحد: (مُجَالَسَةُ الفُحُول، تُزَكِّي العُقُولْ). وكان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط يقول: (شُو حَدْ يُنَوِّرْ وقته، وحَدْ يبُور وقته). وكان يقول: (التَّوفيق عزيز)، ولكنَّه بايقتنص بالْهِمَّة ولهذا ذكره الله في القرآن في موضعٍ واحد، قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، مرّة أرسلوا عَانِي مِنْ تريم أحد مِنَ الدّلَلْ إلى شبام إلى عند الحبيب أحمد بن عمر بن سميط فجاء الدّلاَّل وحَصّلْ الحبيب في المسجد يُحُزِّبْ ما بين المغرب والعشاء فدخَلَ الدّلاّل إلى المسجد ورَكَعَ تحيّة المسجد وبعد أعطى الحبيب أحمد الخط وقعد بجانبٍ في المسجد فجاء عنده المُقْرأ فشرعَ يقرأ حفظاً مع القراءة الزينة والصوت الحَسَنْ فأَعْجَبَتِ الحبيب أحمد قرآءته فلَمَّا تَمَّ أَوَّل مُقرأ قال لَهُ: اقرأ ثاني مُقرأ وثالث مُقرأ حتى يكاد أنه يقرأ الحزب كُلّه ، فبعد ما صلّوا العِشَاء قَفَا الحبيب أحمد وسلّموا مِنَ الصلاة تركّبْ عليهِمْ الحبيب ونزَلَ على آل شبام وَقَالَ لهم : شُو ذا دَلاَّل مِنْ دَلَلْ تريم يحفظ القرآن مَعَ الصوت الحَسَنْ والقراءة المُرتَّلة ، ومكَث يُذاكرهم إلى الساعة أربعة بالليل ، وبعد سَارَ الدّلاَّل معَ الحبيب أحمد إلى داره وأكرمه إكراماً كبيراً وكان عند الحبيب أحمد المذكور بِرْكة للوضوء ، وكانَ إذا جاء إليه العَالِمِ الكبير يقول له: كيه باشُوفك لَمَّا تتوضأ جاء عنده الحبيب عبدالله بن عمر بن يحي وَقَالَ له: كيه با نشوفك لَمَّا تتوضأ مقصوده با غيره يشوفه أَمَّا بن يحي قده ملان عِلم، قال بعض العارفين: إنَّ دعوةَ الحبيب أحمد بن عمر بن سميط طرقت المسامع أكثر مِنَ الحبيب عبدالله الحَدَّاد، قيل للحبيب أحمد بن عمر المذكور : لا تكلِّف نفسك جم في الدّعوةِ إلى الله ، فقال لهم: الصحابة بَذَلُوا أموالهم وأرواحهم لإعلاء كلمة الله وأنا كيف ما كلِّف نفسي وغايتنا إِلَّا أتكلَّم بلساني، جاء إليه واحد وَقَالَ له: أدعُ لي يا حبيب

أحمد بغيت لِي وَلَدْ فقال له الحبيب أحمد: إِذَا حَدْ با يتمنَّى وَلَدْ بحيث إنه إِذَا مَاتْ تكون ثُلمة[1] على الدِّين.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء:١٣]، يقول: اقْرأ الفضايح لِي القيتها قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ للقبْرِ ضَغْطَةً ولو كانَ أَحَدٌ ناجِياً منها لنَجَا منها سَعْدُ بن معاذٍ ، اهْتَزَّ لموتِه عَرْشُ الرَّحمنِ)[2]، قال بعضهم: اهتزاز عَرْشِ الرَّحمن به أي: فرح الملائكة بقدومه. قال الحَدَّاد: (والقبر إمَّا روضة نعيمه) وفي الأخرى يقول:

حَتَّـى إِذَا امْتَلَـؤُوا بِـشْراً بِـمَا ظَفِـرُوا ... وَمُكِّنُـوا مِـنْ عُلاَهَـا أَبْلَـغَ المِكَـنِ
نَـادَاهُمُ هَـادِمُ اللَّـذَّاتِ فَـاقْتَحَمُوا ... سُبْلَ المَمَاتِ فَأَضْحَوْا عِبْرَةَ الفَطِنِ
تِلْـكَ القُبُـورُ وَقَـدْ صَـارُوا بِهَـا رِمَمـاً ... بَعْدَ الضَّخَامَةِ فِي الأَجْسَامِ والسِّمَنِ
بَعْـدَ التَّـشَهِّي وَأَكْـلِ الطَّيِّبَـاتِ غَـدَا ... يَـأْكُلْهُمُ الـدُّودُ تَحْتَ الـتُّرْبِ واللَّـبِنِ
تَغَـيَّرَتْ مِـنْهُمُ الأَلْـوَانُ وَانْمَحَقَـتْ ... مَحَاسِـنُ الوَجْـهِ وَالعَيْنَـيْنِ والـوَجَنِ

وفي الأخرى يقول:

البِـــدارَ البِـــدارَ قَبـــلَ الفَـــوَاتِ ... إِنَّـــما أنـــتَ عُرضَـــةُ الآفَـــاتِ
بَـادِرِ الفَـوتَ قَبـلَ أنْ تَقطَعَنَّـكَ ... دُونَ مـا تبتَغِـي حُتُـوفُ المَـمَاتِ
مـــا أَرَاكَ مُـــشِمِّرَاً واللَّيـــالي ... سَـوفَ تُـدنِي إِلَيـكَ مـاهُوَ آتِ

قال ولد حسين:

العُمر وَلَّى وهَـمّ الناس أَكْلِ الرَّضيح ... ما فِكرهم غير حول المقْضَمَهْ والسّفِيح
ما كأنّهم عن قريبٍ وارِدِين الضَّريحْ ... يَا أَيُّها الناس هَلْ مُصْغ لِقَولِ النَّصِيح
بـاجْهَرْ بِصَوتِي وبَـا نَـادِي وبـادْعُو وصـيحْ

---

(١) الثلمة: الموضع الذي قد انثلم أي: انكسر. وثلمة لا تسد: خسارةٌ لا تُعوَّض أو فراغٌ لا يُملأ.

(٢) رواه أحمد .

وفي الأُخرى يقول:

يــارب كُــنْ لِي يَــا مُعِــينْ   إِذَا رَشَــحْ عظــمُ الجَبِــينْ

قالوا: ما يبلغ الإنسان أربعين سَنَة إِلَّا وَاللِيْ يعرفهم موتى أكثر مِنْ اللِي يعرفهم أحياء، وكَانَ المتقدِّمون إذا بلَغَ الوَاحِد منهم أربعين سَنَة طَوَى الْفِرَاشْ، وإذا بَلَغَ الإنسان أربعين سنة وعاد هَمّه في الدنيا يأتي الشيطان ويمسح على وجهه ويقول: بأبي هذا وجه لا يفلح إلى يوم القيامة، كانَ في المتقدِّمين واحد نبَّاش ينبش القبور قالوا: نبش ألف قبر ينبشهم ويشل الكفن حقّهم وبعد تاب ورجع، وجاء عند أحد العارفين بالله وَقَالَ له: أنا نبشت ألف قبر فوجدتهم كلّهم تحوّلوا عَنِ القبلة، فقال له العارف بالله: عرفتَ لماذا تحوّلوا عنِ القبلة قال: إنه حصل معهم شك في الرِّزق، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نحنُ خائفين يا أهل هذا الزَّمان أن يحصلَ معنا شك في الرَّزّاق، واحِدْ لَمَّا مَاتْ بحثوا لَهُ قبراً فوجدوا فيه ثعبان، فجاؤا إلى عند ابن عبّاس يسألونه ويُخبرونه بأنّهم بحثوا للرجل هذا قبراً فوجدوا فيه ثعبان، فأَمَرهم يبحثون له قبراً آخر فوَجَدُوا فيه ثعبان، وهكذا إلى سبعة قبور، وكُلَّما بحثوا قبراً وجَدُوا فيه ثعبان فدَفَنُوه فوق الثعبان، فَرَجَعُوا وسألوا أهله عن حالته، فقَالوا: إِنّهُ كَانَ مَعَهُ مَال ولاَ يُزَكّيه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالوا: إِنَّ مَلِكاً مِنَ الملُوك بَنَى دَاراً وشَيَّدهُ وَزَخْرَفهُ فلَمَّا بَنَاه، عَزَمَ أهل البلاد كلّهم[1] باهم[2] يشُوفون الدَّار وجعَلَ بوَّاباً على الباب يسأل كل مَنْ خرَجَ عنِ الدَّار وعن بِنَاه فقالوا: كلّهم يا خير دَارْ، إِلَّا نفرين، قالوا: في الدّار هذه عَيبان فدَعَاهم الملِك وَقَالَ لَهُمْ: ما هي العيبان لي في الدَّارْ؟ فقالوا له: أَوَّلاً إنه يَخْرَب، وإِنَّ صاحبه يموت، فقالَ الملِكُ: سَوَاء كلامكم ، فزَهِدَ الملِكُ في الدُّنيا وأَقْبَلَ على الله وأثّر فيه الكلاَم[3].

---

(١) عزَمَ أهل البلاد: أي أقَامَ لهم وليمة ودَعَاهُم إليها.

(٢) أي يريدهم.

(٣) قصّة الملك التي ذكرها الحبيب علوي بن شهاب ذكرها الشيخ العارف بالله عبدالله بن أسْعَد اليافعي في كتابه « رَوض الرَّيَاحين » .

مِنْ أَقْوالِ العارِفِ باللهِ عَلَوِي بن عَبَّاسٍ المالِكِي الحَسَنِي[١]

(١٣٢٥-١٣٩١هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) : قال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ إنَّ الرَّجلَ يحبُّ أن يكونَ ثوبُهُ حسَناً ونعْلُهُ حَسَناً فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجمالَ، الكِبْرُ: بَطْرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)[٢].

قالَ رَحِمَهُ اللهُ: الكبر ينقسم إلى قسمين: إمَّا أن يكون صاحبه مُستحلاً للكبر فهذا هو الذي لا يدخل الجنة، وأَمَّا مَنْ يعلم ويعتقد أَنَّ الكِبر حرامٌ وهو مُتلبِّس به غير مستحله فهو معصية عظيمة مِنَ الكبائر، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (لا يدخل الجنة) لَهُ احتمال أنه لا يدخل الجنة مَعَ السابقين الأوّلين وإنما يدخلها بعد التَّطهير، وأمَّا ظاهر الحديث فهو لا يدخلها أبداً لأنه الداء الذي أُبعِدَ به إبليس لعنه الله. وقيل: إنَّ الكِبر بطر الحق ، وهو جحد الشيء بعد معرفته أنه حق، ومنه لو سُئِلَ رجل عن رجل صالح أو عالم أو فاضل كيف حاله ؟ فقال: لا أعرفه ، فهذا بطر الحق ، لأنَّ نفسه أبَتْ أن تُبيِّن فضل ذلك الرجل أو علمه أو غير ذلك مِنَ الخيرات.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ينقسم النفاقُ إلى قسمين أعاذنا الله منهما جميعاً: أكبر، وأصغر ، أَمَّا **الأكبر** هو أفعال المراءاة مِنْ صومٍ وحجٍّ والمعاملة لموافقة الإسلام في الظاهر، وتكذيبه في الباطن وهو النفاق الاعتقادي وهو كفر والعياذ بالله، وصاحبه يدخل النار دخول خلود وتأبيد

---

(١) اسمه الكامل : علوي بن عَبَّاس بن عبدالعزيز بن محمد المالكي الحَسَنِيْ المدرِّس بالمسجد الحَرام ، المولود بمكة المكرَّمة سنة (١٣٢٥هـ)، وفي رواية سنة (١٣٢٨هـ)، ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وأتمّه وهو في سِنِّ العاشرة من عمره وصلى التراويح إماماً في الحرم، توفي ليلة الأربعاء (٢٥) مِنْ شهر صفر سنة (١٣٩١هـ) ودُفِنَ عَصْر يوم الأربعاء بِمَقْبَرَةِ المعلاة بمكّةِ المكرّمة وقد شيّعه الألوف من أهل مكة والمقيمين من الأطراف ، انت جنازته مشهودة بحيث امتلأ الشارع من باب المسجد الحرام إلى مقبرة المعلاة وكان أهل مكة يقولون إنَّ جنازة السيد علوي المالكي أعظم وأكبر جنازة شهدتها مكة في هذا القرن.

(٢) رواه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠] فهذه الآيات تدل على خلوده في النار وكثير من الآيات دالّة على خلودهم في النار وهذا القسم يُسمّى إلحاد وزندقة. والقسم الثاني يُسمّى **النفاق الأصغر**: وهو الذي يكون صاحبه مؤمناً مُصدِّقاً بأركانِ الإيمان ولكن إيمانه ضعيف وتصديقه ركيك، فهو بارتكابِ خصال النفاق يكون عاصياً ، أمره إلى الله إنْ شاءَ عفا عنه، وإنْ شاءَ أدخله النار دخول تطهير لا دخول تأبيد وخُلُود، ولأنه عاصٍ واعتقاد أهل السُنّة والجماعة لا يُكفِّرون بارتكابِ المعاصي ، ويُكفِّرون مَنِ اسْتَحَلَّ أمْراً مُجمعاً على تحريمه ، أو يُحَرِّمُ أمراً مُجمعاً على حِلِّهِ، فبِذَا يَكُونُ كافراً ، والكافر مُخلَّد في النار ، وإلَّا فهو تحت المشيئة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] وفي الحديث النبوي: (آيةُ المنافقِ ثلاث: إذا حدَّث كذَبْ، وإذا وعَدَ أخلَفْ، وإذا اؤتُمِنَ خان)(١) ، ولها رابع وهي: (وإذاخَاصَمَ فَجَرْ) ، الفُجُور هو طلق اللِّسان بالسِّبَابِ والزِّيادة في الجواب بالسَّبْ، مثاله : سَبَّ أَبَاه وأُمّه ، جاء الجواب بسب مثل جوابه وزَادَ عليه بسَبِّ قبيلته وأرضه وغير ذلك.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى في سورة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٣] : الاستغفار هو طلب المغفرة مِنَ الله عَنِ الذَّنْبِ الماضي، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٣] هُنَا بمعنى الواو أي وأن استغفروا ربكم وتوبوا إليه في المستقبل، والتوبة معروفة لها ثلاثة شرائط: إذا لم يتعلّق به حق لآدمي وهيَ: النَّدَم، والإقلاع، والعزم أن لا يعود إلى الذنب ، وإنْ كانَ فيه حقوق لآدمي اشتُرِطَ فيه شرطٌ رابع وهو: رد المظَالِمِ بدرجاته.

(١) رواه البخاري ومسلم.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: الذُّنوبُ أربعةُ أقسام:

القسم الأوّل: ما كان قبل الإسلام فهو يُغفَر بالدخول في الإسلام إذا حسُنَ أي ظاهراً وباطناً أي منفي النفاق عنه.

[القسم] الثاني: ذنوب المنافقين فهؤلاء لا تُغفَر بالدخول في الإسلام يعني في ظاهره وهو ليس بمُحسِن لنفاقه والعياذ بالله فهو مؤاخذ بها قبل الإسلام وما بعده، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم للسائل الذي قال: أنؤاخَذُ بها عمِلْنَا في الجاهلية؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أَمَّا مَنْ أحسنَ منكم في الإسلامِ فلا يُؤاخَذُ بها، ومَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بعَمَلِه في الجاهليةِ والإسلامِ)[1].

القسم الثالث: المعاصي في الإسلام فهي موقوفة على توبةٍ صادقة بشروطها وإِلَّا فهي تحت المشيئة.

القسم الرَّابع: ذنوب المرتد والعياذ بالله من ذلك وهو الرجوع إلى الكفر، والمرتد إلى الكفر مُؤاخَذٌ بها عمله قبل الإسلام وبعده وما عمله من الحسنات في الإسلام هبَاءً منثوراً لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] وإذا رجَعَ إلى الإسلام ثانياً فهو على عمله الجديد وقيل: إنَّ الله يُثيبه على حسناته قبل الردّة فضلاً وإحسانا مِنْهُ تعالى. وأَمَّا الكافر فهو مُعذَّبٌ للكفر، ومُحاسَبٌ على فروع الشريعة العمليّة لقوله تعالى حكايةً عنهم: ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدَّثر:٤٣-٤٥] أي نُكذِّب وننم ونغتاب مُستحلِّين لذلك.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: للصلاة أربع مراتب أي في الجَزَاء عليها وهي:

(**المرتبة الأولى**) أن يتركها الإنسان مع الإنكار لوجوبها فهو كفر، ومنزلة أهلها سقَر، ودليله قوله تعالى حكاية عن الملائكة الكرام المخاطبين لهم وجوابهم على الملائكة قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدَّثر:٤٢-٤٤].

(١) رواه مسلم.

و[**المرتبة**] **الثانية:** أن يتركها مع الاعتراف بوجُوبها فهذا منزلة أهلها وادي في جهنَّم يُقال له: (غيّا) تستعيذ منه جهنَّم ودليله قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

المرتبة الثالثة: ترك فعل الصلاة في الأوقاتِ المخَصَّصَة لها، واشتغالهم بما يُلهيهِمْ عنها مِنْ أشْغَالِ الدنيا وغيرها مِنَ اللَّهو، ويصلّونها في غَيْرِ أوقاتها المعلومة، فهؤلاء منزلتهم وادٍ في جهنَّم يُقَالُ له: (الويل) ودليله في قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤-٥].

المرتبة الرّابعة: المحافظة على الصلاة، وأداؤها في أوّلِ أوقاتها، على الوجه الشَّرعي فمنزلتهم في جَنَّة الفردوس الأعلى، ودليله قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:٩-١١].

وكان يُحَذِّرُ مِنْ طلَبِ العِلم لغَرَضِ الدُّنيا، وللتَّنافس عليها، يقولُ رحمه الله: إنَّ بعض حمَلة الشهَائِد الذين لا يطلبون العِلم لِذَاتِهِ وإنما لشهائدهم هُمْ أَجْهَلُ مِنْ حِمَارِ الحَكِيم.

وَقَالَ رحمه الله: للصبر أربع درجات:

(**الأول**): الصبر عَنِ المعاصي وهو صبر الأصاغر.

(**الثاني**): الصبر على فعلِ الطاعات وهو صبر المجتهدين.

(**الثالث**): الصبر على الإبتلاءات وهو صبر المخبتين.

(**الرابع**): الصبر عن فُضُولِ الدُّنيا والشهوات وهو صبرُ الصادقِين.

وَقَالَ رحمه الله: قال الإمام الشافعي: لو ما أنزَلَ الله إلَّا سورة العصر لكَانَتْ حُجّة كافية إذ قال تعالى فيه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر:٣]، والإيمان هو: العِلم، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر:٣] وهو العَمَل بالعِلم، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [العصر:٣]، وهو تعليم العِلم، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:٣] وهو الأمر بالمعروف والنَّهي عَنِ المنكر، وهو محتاج إلى الصبر، والصبر لَهُ

ثَمَرَة، وثَمَرَته إدراك المطلوب، ومَنْ عَجَزَ عَنِ الصبر خسر وندم، وقصر عَنِ مطلوبه لا محالة، وتشهد لهذا آية سورة السجدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

مِنْ وَصَايا العارِفِ باللهِ حَسَنِ بن مُحَمَّدٍ فَدْعَق الحُسَيني المَكِّي(١)

(١٣٠٩-١٤٠١هـ)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيته لأولاده وأولادهم على الخصوص وللأمّة المحمّديّة على العموم: ومِمَّا أوصي به أولادي وأولادَهم ما تناسلوا بعد ذلك التَّمَسُّك بكتابِ ربهم وسُنّة حبيبهم الأعظَم، واقتفاء آثار أسلافهم العلويين.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومِمَّا أوصيهم به تصفية قلوبهم مِنَ الأدْرَان، وحفظُها مِنَ الآفَات، والتوادُّ والتعاضُد والتَّسانُد في الحق بالحق، والصبرُ على ذلك، وحُسن العِشْرَة فيما بينهم وبين أزواجهم وأهلهم وجيرانهم وخلاّنهم؛ فقد قال ﷺ: (خَيرُكُم خَيرُكم لأَهْلِه وأَنا خَيرُكُم لأَهْلِي)(٢)وحقوقُ الجوار والخلاّن معلومة، والمحبّة في الله أمرها عظيم، وثوابها جزيل؛ كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظِلَّ إِلَّا ظلُّه. وأن يكونوا -بسبب ما أنعمَ الله عليهِمْ مِنَ النعمة الوافية الكُبرى غير المكتسبة، وهي انتسابهم لِمَنْ بعثه الله لهداية البشَر، وتَمَّمَ الله به مكارم الأخلاق- مِثَالاً حسَناً، وقُدوة صالحة للأُمّة المحمَّديّة في الأخلاقِ المرضيّة، وتتوفَّر فيهِمْ خلافة الدَّعوة إلى الله تعالى عن جدّهم الأعظَمْ ﷺ، كما دَرَجَ عليه أسلافهم رضوان الله عليهِم؛ قال ﷺ: (ذهَبَ حُسْنُ الخُلُقِ بخيرَي الدُّنيا والآخرة)(٣). ثُمَّ مِمَّا أوصيهِمْ به خاصّةً

(١) اسمه الكامل : حسن بن محمد بن عمر بن عبدالله فدعَق الحُسيني المكي (المدرس بالمسجد الحرام) المولود بمكة المكرَّمة سنة (١٣٠٩هـ) ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون على يد الشيخ محمد بن عبدالله بافيل الحضرمي، وتوفي بها سنة (١٤٠١هـ).

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) قال العراقي : أخرجه البزَّار والطبراني في «الكبير» .

وسائر الإخوان والمسلمين عَامَّة المواظبة على إقامَةِ الصلاة في الجماعة؛ إِنْ لم تكُنْ في المسجد تكُنْ معَ أهلهم وأولادهم ، وتفقدهم في إقامتها وتصحيحها حيث قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢] وتعليمهم ما يجب معرفته مِنَ العَقَائِد الإسلامية الصحيحة، وتعريفهم سيرة الحبيب الأعظم، والخُلفاء الرّاشدين والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم؛ حيث إِنَّ في ذلك تقوية للإيمان وتثبيتاً للقلوب ، وقد قَصَّ الله تعالى على نبيِّه أنباء الرُّسل السابقين لتثبيت فُؤاده؛ كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠] ونحنُ أولى بهذا التثبُّتْ، وهو أعظَمُ الرُّسل، وسيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظَم السِّيَر، وكذلك سِيرة الصحابة والسلَفِ الصالح.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإِنَّ مِمَّا يُساعد على تحصيل كل خير؛ توزيع الأعمال على الأوقات، والدِّقّةِ في ترتيب وظائفها. قال سيدي بقيّة السلف ومفخرة الخَلَفِ قُطب الدَّعوة والإرشاد الحبيب عبدالله بن علوي الحَدَّاد في حِكَمِهِ الجليلة: (ما أحَد عَرَفَ قِيمة الوقت إِلَّا إثنين: الصوفيّة عرَفوه وحفظوه للآخرة، والأوربيون عرفوه للدُّنيا).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومِنَ المهِمْ في ذلك أن يُواظِبَ الإنسان في الصباح والمساء على أهم ما ورَدَ في السُنّة مِنَ الأحزاب والأوراد مِنَ السُّور والآيَاتْ والدَّعوات والتّحصُّنَاتْ؛ كقراءة سُورة ﴿يس﴾، التي هي على ما ورَدَ (قلب القرآن)[١]، وسورة السجدة[٢]، وتبارك الملك ليلاً؛ فقد ورَدَ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (أنه كان لا ينام حتى يقرأها)[٣]، وسُورة الواقعة التي هي سُورة

---

(١) لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يس قلبُ القرآن، لا يقرؤُها رَجُلٌ يُرِيدُ بها وَجْهَ اللهِ؛ إلاَّ غُفِرَ لَهُ)، رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابنُ ماجه والحَاكِم، وقالَ: صحيحُ الإسناد.

(٢) عن جابر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا ينام حتى يقرأ (ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك) رواه البخاري.

(٣) قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ سُورةً من القرآن، ثلاثون آية، شَفَعَتْ لرجُلٍ حتى غُفِرَ له، وهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، رواه أصحابُ السُّنَن الأربعة وابنُ حبّان في (صحيحه) والحاكمُ، وقالَ: صحيحُ الإسناد. وفي روايةٍ للحاكِم: (وَدِدْتُ أنّها في قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ). وفي أخرى له وللنسائي: (مَنْ قرأَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ كُلَّ لَيْلَةٍ فقد أكثَرَ وَأَطْنَبَ، وَمَنَعَهُ اللهُ مِنْ عذابِ القَبْرِ). وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر) حديث حسن رواه ابن مردويه.

الغِنَى، وسورة الإخلاص[١]، والمعوّذتين ثلاثاً[٢] صباحاً ومساءً، وعند إرادة النَّوم ، وكذا قراءة الورد اللَّطيف لسيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحَدَّاد صباحاً ومساءً، وراتبه المشهور مساء ، وفي الورد اللطيف خُلاصَة ما ورَدَ في السُنّة مِنْ أَذْكَارِ الصباح والمساء مِنَ التَّحَصُّنَات والأذكار المضَاعَف ثواب قارئها في الآخرة. ومَنِ اطّلعَ على تخريج ما وَرَدَ في أذكاره مِنَ الأحاديث لا يسعه أن يتركه.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأهَمْ ما يُعينهم على ذلك: التحابُّ والتآلف، وعدَم التَّشَاحُن والتَّبَاغض، وعدم الإصغاء إلى الفَتَّانين بينهم مِنْ نِسَاءٍ ورِجَال. والوَاجِبَاتُ العينية معروفة، والمحرَّماتُ معلومة؛ فقُومُوا أيُّها الأولاد والإخوان والمحبُّون بما أوجَبَ الله عليكم، واجتنبوا ما حَرَّمَ عليكم تَظْفَرُوا بِخَيْرِ الدَّارين. ثُمَّ إِنَّ مِنْ آكَدِ الوَاجِبَات: برّ الوالدين، وقد جعله الله تعالى قرين الأمر بعبادته، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣] الآية. ومِمَّا يُطلَبُ شرعاً صِلَة الرَّحم والإحسان إلى الجيران، وتعظيم العُلماء وحَمَلَة القُرآن، وإكرام ذي الشيبة المسلم؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ما أكرَمَ شابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ.. إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ)[٣]. والاهتمام بأمرِ المسلمين، والدُّعاء لهم دَوَاماً بصلاحِ أحوالهم؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ومَنْ لم يهتَمَّ بأمرِ المسلمين فليَسَ منهم)[٤]، وتوقير الكبير منهم.. والرَّحمةُ بالصغير؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ليسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يرحَمْ صغيرَنَا، ويَعْرِف شَرَفَ كَبِيرِنا)[٥]. تأمَّلُوا هذا التَّهديد الشديد؛ نسألُ اللهَ

---

(١) قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (قل هو الله أحد تَعْدِلُ ثُلثَ القُرآنِ) رواه البخاري.

(٢) قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لبعضِ أصحابه: (اقْرأْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] والمُعَوِّذتَينِ حينَ تُصبحُ وحينَ تُمْسي ثلاثَ مَرّاتٍ، تَكْفيكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ)، رواه أبو داود والنسائي والترمذي بالأسانيدِ الصحيحةِ، وقالَ التِّرمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيح.

(٣) رواه الترمذي وقال: غريب.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» .

(٥) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي، قال الترمذي: حديثٌ حسَنٌ صحيح.

العافية والرَّحمةُ لسائر المخلوقات؛ كما في الحديث المسلسَل بالأوليّة: (الرّاحمونَ يرحَمُهُمُ الرَّحمن تبارك وتعالى؛ ارحَمُوا مَنْ في الأرضِ يرحَمْكم مَنْ في السماء)(١).

وليجعل كُلُّ واحد لنفسه كُلّ يوم ساعةً مِنْ وقته للتَّفَقُّه في الدِّين، وإنارة قلبه بالمنهجِ المستقيم؛ فيُطالع في الكُتب الدِّينية ما قُسِمَ له مِنْ وقته في التَّفسير، ويومٌ في الحديث، ويومٌ في الفقه، ويومٌ في السِّيرةِ النّبويّة، ويومٌ في الأخلاقِ المرضيّة ويومٌ في سِيرةِ الصحابة وسلفنا خاصّةً. هذا وإِنْ أمكَنَ الاجتماع لذلك يكون أوقع وأنفَعْ.

ومِنْ أهَمِّ ما أُوصي به المواظبة على الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، سبعاً وعشرين مرّة، صباحَاً ومَسَاءً.

مِنْ مُكَاتَباتِ وَمُذاكَراتِ العارِفِ بالله عَبدِ القَادِرِ ابن أَحْمَدَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ الحُسَيني(٢)

(١٣٣١-١٤٣١هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ: فوالله ما أُعطيَ أحدٌ أفضل مِنَ العِلم، ولا شغَلَ ذُو وظيفة، أحسَنُ مِنْ وظيفةِ العِلم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨]، وبقوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٧٤]، وبقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (إِنَّما بُعِثْتُ مُعَلِّماً)(٣)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (الأنبياءُ لم يُورِّثوا ديناراً ولادرهماً إنما ورّثوا العلم)(٤)، وقد حَامَ حول هذا شوقي رحمة الله عليه إذ قال:

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) المولود بمدينة سيؤن في شهر جمادى الآخر سنة (١٣٣١هـ) ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، والمتوفّى بجدّه سحر يوم الأحد في (١٩) مِنْ شهر ربيع الآخر وصُلِّي عليه في الحَرَمِ المكي ودُفِنَ بِمَقْبَرَةِ المعلاة سنة (١٤٣١هـ).

(٣) خرج صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يوماً على أصحابه فوجدهم يقرأون القرآن ويتعلّمون فكان مِمَّا قال لهم: (وإنما بعثت مُعلِّما) وقال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (إنَّ الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً وميسراً). وفي رواية أبي داود: (فما رأيت معلماً قط أرفق من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم).

(٤) أخرجه أبو داود وابن حبان في «صحيحه» وابن ماجه والدارمي.

قُــمْ للمعلِّــم وَوَفِّــه التبجــيلا   كَــادَ المعلِّــم أن يكــونَ رسُــولا
أعلمــت أفـضل أو أجـلَّ مِـنَ الـذي   يبنــي وينــشئ أنفــساً وعُقُــولا

إِنَّمَا دائماً ينبغي أن تلاحظوا أَنَّ المدَّعين للعِلم كثير، والمترسِّمون به قليل، ورُبَّ مُترسِّمٍ به أضر عليه من غيره، لاقتناعه بقِشْرِهِ عن لبابه، والمقصود مِنَ العلم ومِنْ كُلِّ الأشياء إِنَّمَا هو اللُّبَاب، ولباب العِلم هو العمل به، وترويض النَّفس حتَّى ترتاح وتطمئن وترغب في الأخلاقِ الفاضلة، ولذا قيل:

لا تحــسبنَّ العِلْــمَ ينفــعُ وحْــدَه   مــا لَمْ يُتَــوَّجْ ربُّــه بخَــلَاقِ

وحسبكم قول المشرِّع الأعظم ﷺ: (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاق)[١]، وقد تسنَّم هذه الطريقة أكابر أهلها حتى عثروا على الحقيقة فأخلصَ الناس لهم الوَلاء، وعُرف صدق دعوتهم مع المولى، فأقبلوا عليه بكلتا يديهم، وانتفعوا بقولهم وفعلهم، والسبب في ذلك أَنْ رأيتهم لا يلتوي على عمودها غير الإخلاص والصدق، وأَنْعِمْ بتلكَ الرَّايَة، فلَهَا إِشْعَاع ووحي قوي دِيني، يفعل في القلوب والناس أكثر مِمَّا تفعل الخمر، وأشد مِنْ عَمَلِ السِّحر، قال حَافِظٌ:

ملــك القلــوب وأنــت المــستقل بــه   أبقى على الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ ابن داود

وقد قيل : إِنَّ لِكُلِّ إنسان إِشْعَاعاً ينتشر عليك مِنْ رُوحه كُلَّما دنوت منه أو جلست إليه، هذا الإشعاع يختلف في القوّةِ والضعف، في الكَثَافَةِ واللُّطف، باختلافِ الرُّوح في الناس كلّهم، وفيه يتبيَّن تأثير أكابر القوم، لأنَّهم كانوا يسمتون سمت الأنبياء في دِينِهِمْ ودُنْيَاهُمْ، فإذا قالوا وعظوا، وإذا فعلوا أرشدوا، وإذا صمتوا كانوا أعلام البَر تدل بالإشارة، أو كمنائر البحر تهدي بالشعاع، وكثير منهم كانوا قليلي الكلام، حينما تُشاهدهم أو تزورهم تتأثَّر منهم، وتخرج مِنْ عندهم وقد غَمَرُوكَ بِسَكِينتهِمْ، وتمكَّنَ فيك إِشْعَاع رُوحهم، وأَثَّرَ فيك صمتهم أكثر مِنْ تأثيرِ غيرهم، مِنْ رِجَالِ الكلاَم، وفُرْسَانِ الفَصَاحَة، فالتَّأثير للقلب إذ له على كُلِّ الأعضاء الغلب. ولَـمَّا تشوَّفَ العُلماء اليوم إلى زَهْرَةِ العَيش، وعِزّ المنصب، انطفأَتْ مِنْ حولهم تلك الرِّسَالَة، فأصبحوا كالناس يقولون فلا يُلتفَتْ إلى قَولهِمْ، ويفعلون فيُتَّهَمُون بالرِّياء، وقد أَحْسَنَ الجُرْجَانِي[٢] إذ قال:

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العلم إنْ كَانَ كُلَّمَا   بَــدَا لي مطْمَــعٌ صــيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَــا

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ، برقم (٨٧٢٩). ومالك في «الموطأ» ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ .
(٢) هو أبُو الحَسَن علي بن عبدالعزيز الجُرْجَانِي قاضٍ مِنَ العلماء، له شعر ورحلات، توفي سنة (٣٩٢هـ).

أَأَشْقَى بِهِ غَرْساً وأَجْنيهِ ذِلَّةً ... إذن فاتّباع الجَهْل قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أهلَ العِلم صانُوهُ صانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ في النُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَذَلُّوهُ فَهَانُوا وَدَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

...إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقدِ انْعَكَسَ الحَالُ اليوم فأَصْبَحَ العُلَماء بِمَعْزَلٍ عَنِ الناس، لا يُلتفَتُ إليهِمْ ولا يهتم بشأنهم، فالنَّاظر اليوم إلى حَالِ العُلماء وما انتهَتْ إليه مِنْ سُوءِ الحَال، وما تردَّتْ فيه مِنْ حضيضٍ، يحزنه أن يرى هذه الطائفة التي خشيَ بأسها الملوك والعُظماء، قد وصَلَتْ إلى دَرَكٍ مِنَ المهَانَةِ والتّحقير، لا يرضاه لنفسه مَنْ له حظ مِنْ حِجَى، أو نصيب مِنْ كَرَامَة، ولكن مَنْ أصلَحَ نفسه استعَادَ مجده، ومَنْ زهد فيما عِنْدَ الناس احترمه الناس، ومَنْ تَهافَتَ على الأغنياء والعُظَمَاء أصبَحَ طَالِباً، وقد كانَ مطلوباً، وسَائِلاً وقَدْ كَانَ مسؤولاً، وصَحَّ فيه ما قيل:

عَرَضْنا أَنْفُسَاً عَزَّتْ عَلَينا ... عَلَيكُم فاسْتَحَقَّ بِهَا الهَوَانُ
وَلَو أَنَّا منعْنَاها لعَزَّتْ ... ولكِنْ كُلَّ مَعْرُوضٍ يُهَانُ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: التقوى ومعناها هي أن يكون الإنسان مع الله في كُلِّ أحواله وحالاته وشاهد عليه وتتفجَّر من درجة التقوى درجة الخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، ويتفجَّر من الخشية مرتبةِ الحياء (الحياءُ من الإيمانِ)[١]، وهي أن تستحي أن يراك الله عزَّ وجل في حَالَةٍ لا تُحب أن يراك فيها.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ومَنْ جلَسَ معَ أهل الصدق وشَرِبَ مِنْ سُؤرهِمْ، ترجمَ بلغتهم، وظهَرَ عليه مِنْ بركتهِمْ، وقد عَزَّ في هذا الزَّمان مَنْ يبحث على هذا الشأن، أو يكون لأهله مِنَ الأعوان، ألهَتِ الناسَ زخارفُ الدُّنيا الفانية، فعادوا منها بالأَمَاني الكاذبة، يحسب الغافل أنه أَدْرَكَ مِنْ دُنياه لذَّاتها، ويعجبه الإنهاكُ في شهواتها، ولم يدرِ أَنَّ حالياتها مَعْجُونة بمرارتها، وفي الواقع أنه ما فَازَ إِلَّا بالحسرة، ولا رَجَعَ مِنْ سوق أرباحه إِلَّا بالخَيبةِ والحيرة، فلم يكن فيما فاته في هذه الحياة إِلَّا نعيم التَّجليَّات، وإفاضة الوَارِدَات، وانخراق بصيرته لمشاهدة المغيّبات، لكان كثير وأي كثير، فكيف ومِنْ وراء ما وعَدَ بهِ القرآن مِنَ النّعيم السَّرْمَد، والقعود معَ محمد وآل

---

(١) وفي «الصحيحين» واللفظ للبخاري عن عبدالله بن عمر: (مرَّ النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي حتى كأنه يقول: قد أضرَّ بك، فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن الحياء من الإيمان).

محمد، والنَّظَر إلى وجه المولى في ذلك المقعَد ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُخاطباً للسيد محمد بن عبدالله بصري السقَّاف: ومِنْ عظيم نعم الله أَنَّ التعلُّق بأهلِ الكمال مِنَ الرِّجال، مُوصِل إلى الرُّتَبِ العوَال، قال حبيبك علي: (ما كَمُل غير مَنْ جَالَس رِجَالِ الكَمال)، على شرط أن يطرح الدّعوى، ويتجنَّب الأهواء، ويُنظِّف الوعاء، ويبقى مُنتظِراً منهم العَطَاء، قال السُّودِي(١):

وارحَـلْ إلى العَـالَمِ الأعـلى عـلى قَـدَمِ   التَّجريد لا تلتفت يوماً إلى سَبَبِ

فشدّ أزرَكْ يا وَلَدي بِهِمْ، واربُطْ حبالك بحبالهِمْ، وألقِ نفسك عليهِمْ، ولا ترفع نظَرَك عنهم، ولا تلتفت إلى سِواهم، فعسى إذا هبَّتِ الرِّياح، أن يحصل لك منها لقاح، تدرك به معنى الرَّاح، الذي يتداوله كبار الأرواح، مِمَّنْ سمِعَ نداء حيَّ على الفلاح، فاستجَابَ لها وأسرَعَ في الرَّوَاح، فما أخَّرَ الناس يا ولدي إلَّا عَدَمُ الاستجابة، يستعمل الإنسان عقله، أو علمه، أو فَهمه، معَ الشيوخ، فيتركونه معَ شيءٍ مِنْ هذا، وما للعِلم مدخَل، ولا للفَهْمِ مدخَل، ولا للعقل مدخَل في شيءٍ مِنْ هذا، ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ضمن مذاكرة في حول الحبيب علوي بن سقاف بإندونيسيا في شهر شعبان سنة ١٣٩٣هـ: بعد ما يأتينا القرآن ويقول لنبيه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨] قال العلماء: إنَّ قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨] وهو الأصل أشركهم في تبعيّته صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، وفي دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، والناس إذا يشتركون مع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فإنهم يفوزون، مثاله: مثال شركات الدُّنيا هذه، إذا اشترَكَ الإنسان معَ نشيط، أو معَ ذي حظ أو مع ذي يُمن، أو مع ذي بركة، فرح بشركته معه واستبشر، لأنه يشُوف الرِّبح يتزايد، وهذه الشركة معَ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، ومحمد أفضل الخلق، وأكمل الخلق، وأشرف الخلق، يقول: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨] شركاء في هذه الدَّعوة، وفي تبليغ هذه الرِّسالة. مزيّة عظيمة، ونعمة كبيرة، وموهبة جسيمة، ولكن بعض الناس رُبَّما لا يدرك بعض أسرار القرآن، فيتخلّف الواحد وينشغل بولده، أو ينشغل بفتوره، أو ينشغل برعوناته، وكيف بايدخل في شركةٍ مع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم؟، كيف

(١) هو الشيخ العارف بالله محمد بن علي بن إبراهيم السُّودي شاعر متصوّف توفي باليمن سنة (٩٣٢هـ).

يتركها الإنسان؟، كيف يغفلها الإنسان؟، كيف يتأخّر عنها الإنسان؟، والدَّعوة هذه ما هو أمر كبير، مَنْ دعى إلى الله في تعليم زوجه كان داعياً، ومَن دعى إلى الله في تعليم بنته كان داعياً، ومَن دعى إلى الله في تعليم جاره كان داعياً، ومَن صلَّى في جماعةٍ بطمأنينة، وأركان وخشوع وحُضُور كانت صلاته دعوة، كل مَن شاهَدَه على هذه الحالة با يتأثَّر بتلك الصلاة، وبا يصلي عليها، ومَنْ رآه يمشي في طريقه وعليه السَّكينة، وعليه الوقَار، يعطي الطريق حقّها، يعطي الجار حقه، ويعطي الرَّحم حقه، ويعطي القريب حقه، ويعطي البعيد حقه، ويعطي الشريك حقه، ويعطي ذا الصلة حقه، كان داعياً، كُلّها دعوة، سواء كانت بالقول، أو كانت بالفعل، كُلّها دعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدعوة إلى الله كما ذكرنا لكم، يشترك فيها مع محمد ﷺ، ويطلع في ديوان محمد ﷺ، ويُكتَب في ديوان محمد ﷺ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: اللهَ اللهَ يا إخواني أن يهتمَّ كل واحد منكم بالدّعوة، ويهتم بالتَّربية، ويهتم بالتَّعليم، ويهتم بالخدمة، ويهتم بالقيام.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: والخير لا يزال في هذه الأُمّة، والبركة لا تزال في هذه الأُمّة، والرَّحمة لا تزال في هذه الأمة، وقد بشّركم محمد ﷺ، لأنَّ هذه الأمة لا يزال الخير فيها، ولا يُدْرَى في أوّلها أو في آخرها، فقد يظهر وقد لا يظهر:

وكَـمْ للهِ مِـنْ نعمـةٍ تبـدُو لـدَينا ... وكَـمْ للهِ مِـنْ نعمـةٍ فِينـا قديمـة

لا تزال النِّعَم تتوافَد، ولا تزال الخيرات تتوافَد، ولا تزال البَرَكَات تتَوَافَد، ولا تزال الإمدادات تتوافد، ولا تزال الرِّعَايَات تتوافد، ولا تزال الهدايات تتوافد، ولا تزال تتوافد الرَّحَمَات، تتوافد عليكم كُلّكم، فمَنْ وسَّعَ لها وُسِّعَتْ له، ومَنْ أدركها أدركته، ومَنْ فتَحَ لها قلبه امتلأ منها، ومَنْ غفَل عنها بقيَ في غفلته حتى يرجع، فترجع إليه الرَّحمة، وأَمَّا الغافل قالوا ما ناله شيء منها، يبقى في غفلته ومتى انتبه عَادْ لَهُ نصيبه، الله يجعل لنا ولكم نصيباً مِنْ هذا المجلس، ومِنْ تلك الرَّحمة، ومِنْ تلك البركة، ومِنْ تلك الخيرات، ويجعلنا مِنْ وُرَّاث محمد، ومِنْ حاملين شريعة محمد ﷺ، ومن القائمين عن محمد ﷺ، ومن المبلِّغين عن محمد ﷺ، ومن الدَّاعين إلى محمد ﷺ، ومن التابعين كلام محمد ﷺ، والناطقين بلسان محمد ﷺ، وعن محمد ﷺ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ عنِ الحُجُبِ وذكر منها: صاحب الذنوب كانت ذنوبه حجاب على قلبه، وصاحب الغفلة كانت غفلته حجاب على قلبه، وصاحب الشهوات كانت شهواته حجاب على

قلبه، وصاحب الموبِقَات كانت مُوبِقَاته حجاب على قلبه، فكلّها هذه حُجُب تحجب عَنِ الكون، وأسرار الكون، وتحجب عن السِّر المودع في الكون، والنور الموجود في الكون، وإذا صفّى الإنسان بشريّته كُلّها وجعلها كُلّها تسير بسير الدِّين الحنيف، وبسير الأوامر التي جابها السيدُ المعصومُ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، قالوا: انكشَفَ له بقدر مشاهدته، ما يُشاهده من ذلك العَالَمْ، ومن خيرات ذلك العالَم، وهذا الإنسان ما خُلِق لهذا الكون، ما خُلق إلاّ لعالَمْ ثاني، وخُلِقَ لشي ثاني، وخُلِقَ لسر ثاني، وخُلِقَ لأمرٍ ثاني، ما خُلِقَ لهذا الحَال، هذا الحال إلا يمر به مثلما يمر المسافر، ذلاّ الكون ذا، يمتَد بالإنسان إلى الستين السنة، والأربعين السنة، والعشرين السنة، والخمسين السنة، والثمانين السنة، وقد قال ﷺ: (أَعْمارُ أُمَّتي ما بينَ السِّتِينَ والسَّبعِينَ وأَقَلُّهم مَن يجوزُ ذلك)[1]، ومن بعدها يُنقلون إلى عَالَمْ ثاني، والعَالَمَ الثاني، قالوا: هو عالَمَ الجَزاء، وفيه يحصل الوفاء، كذلك يُنقَل الإنسان إنْ كانَ يصلح لحضيرة القُدس، نُقِلَ إلى حضيرة القُدس، وإنْ كان يصلح إلَّا للحضيض، وكان قلبه مُعلَّق بالفانيات واللذائذ وماشاكلها يُنقَل إلى ما كان يُناسبها، وما كان يُقابلها مِنْ ذلك العَالَمَ الثاني، وهكذا قال الحبيب عبدالله الحدَّاد:

تَـأْوِي مَـعَ المَـلأِ الأَعـلَى وتكـرَعُ مِـن ... حِيَـاضِ أُنـسٍ كَـمَا تَجْنِـي مِـنَ الثَّمَـرِ
تَـأْتِي إِلَيـكَ نَـسِيمُ القُـربِ مُهدِيَـةً ... عَـرْفَ الجَمَالِ كَعَـرْفِ المَنـدَلِ العَطِـرِ
حَتَّـى جُعِلْـتَ بِـأَمرِ اللهِ فِي قَفَـصٍ ... لِيَبتَلِيـكَ فَكُـنْ مِـنْ خَـيرْ مُخْتَبَـرِ

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا العُلماء يُقرِّرون أَنَّ الهِمّة رائدة التَّوفيق، ويُقرِّرون أنَّ الهِمَّة بريد البشارة، فإذا عزَمَ الإنسان على أمرٍ مِنَ الأُمُور مهما كانَ الأمر، إذا جَدَّ فيه لانَتْ لَهُ شدائدُه، وهَانَتْ صعابُه، وأدركه الله بمعونةٍ مِنْ عِنده، وبتوفيقٍ وبتأييدٍ وبتسديدٍ، فتذلَّلَتْ لَهُ الشِّدَادْ، وسَارَ وتيسَّر لَهُ الأمر، هذا الذي فقدوه الناس في الزَّمَن هذا، والسبب في ذلك أَنَّ الناس نُفُوسهم مائعة أصبحَتْ، وقلوبهم أصبحَتْ ذائبة، فلا ترى الإنسان يعرف حقيقة إنسانيّته، وأَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعَلَ فيه شي ما أعطاه غيره مِنَ المخلوقَات، جعَلَ فيه قُوّة الإدرَاك، وجعَلَ فيه قُوّة الحَاسّة، وجعَلَ فيه كذلك قُوّة العظام العصبية القويّة التي تنُود لها الجبال، وتهتز لها الشوامخ، هذه أصبحت ضعيفة وهذه قالوا: إذا صدَقَ الإنسان فيها ساعده الله بالتَّوفيق كما ذكرنا ، والتَّوفيق هذا قالوا يعمل الإنسان ما يريد معه فتتذلَّل له الصعاب كما يقول المتأخرون

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ورواه الترمذي وابن ماجه.

يأتي بالمحال وما شي بالمحال في أمر الدُّنيا قط أبداً، على الإنسان أن يُجِدَّ، وعلى الإنسان أن يصدُقَ في كل شيء، فإذا أقبَلَ على الله، وصدَقَ مَعَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وآتاه اللهُ بأسبابٍ مِنْ عنده، أَعَانه فيها على العبادة وذلّلها له.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثُمَّ إذا نظرنا إلى الدِّين هذا الذي أقامه سيد البشر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلا شَكَّ أنَّ قيامه بمعونةِ الله، وبحفظ مِنَ الله، وبتأييد وتسويد مِنَ الله، لَكِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بذَلَ في سبيله، أقصَى جهده.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي سبيل الدّعوة ناله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأذى ما قد عرفتوا، رموه بالحجارة، ورموه بالجنون، وأرادوا قتله، ونفوه إلى شعب بني هاشم سنتين وثمانية أشهر، وطردوه إلى المدينة المنوّرة، ولكن ما حصَلْ في عزيمته يوماً مِنَ الأيَّام أيّ كَلٍّ أو وهَنٍ قط، حتى تبعه المستضعفون كما حكى الله: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]، وما كان هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليُقيم الدِّين بهؤلاء، لكن إقامة الدِّين تكون بالأَتباع، وبالقوّة، فبقيَ هو وإِيَّاهم محصور في دار الأرقَمْ يعبد الله سِرّاً حَتَّى نزَلَ عليه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحِجر:٩٤]، وجاءته القُوّة الإلهيّة، والقُوّة الإلهيّة هي البريد كما ذكرناها لَكُمْ، بريد التأييد، وبريد التَّوفيق.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إذا مات ابنُ آدَمَ انقطعَ عملُه إِلَّا مِن ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنتفَعُ به، أو ولَدٍ صالِحٍ يدعُو له)[1]: قال العلماء: والعَالِمُ الدَّاعي إلى اللهِ تجتمع له هذه الثلاثة كُلَّها، فعِلمه هذا صدقة جارية، لأنَّ الصدقة بالعلم أكثر مِنَ الصدقة بالمال، ولا أفضل من صدقةٍ بالعِلم، والأولاد الذين علّمهم ينتسبون إليه، ويدخلون تحت قوله: (أو ولَدٍ صَالِحٍ يدعو له)، والصدقة الجارية هي نشرُ العِلم، (صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له)، كُلُّها قالوا : تجتمع في العَالِم، وفي الصالح أكثر مِمَّا تجتمع في غيرهم، لأنَّ صاحِبَ المال ما تقع له إِلَّا إِنْ تصدَّقَ صدقته، وصاحب الولد-الوالد الذي ما هو عَالِمٍ- ما يقع له إِلَّا ما يجيءُ مِنَ الولد إِنْ كان الولد صالح، وأَمَّا العُلماء هؤلاء تأتيهم كُلّها الصدقات، ولهذا قال العُلماء بالإجماع: إنَّ أعمالَ هذه الأُمّة كُلَّها قديماً وحديثاً إلى قيامِ الساعة تُكتَب في صحائف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لماذا تُكتَبْ في صحائفه؟ لأنه هو المعَلِّمُ الذي علَّمَ الناس، وهو الدَّاعي الذي دعا الناس، وهو الذي أتى لنا بالإسلام. وهو الذي أتى لنا بالهداية فكُل واحد مِنَّا ومِمَّنْ

---

(١) رواه مسلم.

قبلنا ومَنْ يأتي بعدنا إلى قيام الساعة، تُكتَب أعمالُه في صحائفه، وفي صحائف النبي ﷺ، لأنه المعَلِّم الأوّل وغيره كذلك تُكتَب أعمالهم.

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومثل الشيوخ الذينَ عَلَّمُوا، ورَبّوا وهَدَوا، ودعوا إلى الله على بَصِيرةٍ، تُكتَبُ أعمال مَنْ سَمِعَ منهم كلمة، وعَمِلَ بها، أَوِ انْتَفَعَ بها، أو تَأَثَّر بها، كُتِبَتْ ثمرة تلك الكلمة، أو ثَمَر ذلك العَمَل في صحائفهم، ولهذا قالوا: العَالِمُ سيد أهل الأرض، وسيد أهل السماء، والعُلَماء ورثَة الأنبياء، قالوا: في الزَّمَانِ السابق كانت الأنبياء فيه تتوارث، نبي قفا نبي، ونبي قفا نبي، ونبي قفا نبي، حَتَّى جاء محمد ﷺ خاتم الرسل، والنبوّة انقَطَعَتْ بموته، ولأنه انقَطَعَتْ برسالته الرِّسالة، قالوا: أعطاه الله أنَّ عُلماء هذه الأُمّة صاروا كأنبياء بني إسرائيل، قال شُرَّاحُ الحديث: والكاف إنَّما هي للتمثيل، والتَّمثيل قالوا: حالة مِن وراء الحالات، رُبَّما يكون لها شأن غير شأن الأوّل، لأنَّ الكاف ذلاً تدخل للتَّشبيه. قال أبُو الطيب المتَنَبِّي:

كفَاتِكٍ ودخولِ الكافِ مَنْقَصَةٌ   كالشَّمْسِ، قَلَّتْ ومَا للشَّمْسِ أَمْثَالُ

ذلاً الكاف تأتي أمثال، يضرب الله بها، وهؤلاء العُلماء الذي هُم ورثة عَنِ النبي ﷺ، قالوا: يقومون نُوَّاباً عَنِ الحبيب ﷺ في الأمر الباطن، وفي الأمر الظاهر، وفي العِلمِ الباطن، وفي العلم الظاهر، وفي الوِلاية، وفي تبليغ الوِلاية.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خُلِقَ الإنسانُ مِنْ أجل الاتباع للحبيب ﷺ، وإذا سَارَ على قَدَمِهِ ﷺ، رقَى إلى المَرَاقي، التي كان رقَاها أتباعه الكِرَام، حتى يصِلَ إلى ذلك المقْعَد، ما هو المقْعَد؟ المقعَد حكاه لنا ربّنا قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥]، قالوا العُلماء: ولن يضع قدمه ذلك حَتَّى يذوق لَذَّةَ القُرآن، ولَذَّةَ الصلاة، ولَذَّةَ الانتماء للإمام الأعظم ﷺ، فمَنْ وجَدَ لَذَّةً مِن قراءةِ القُرآن، أو وجَدَ لَذَّةً في صلاة، أو وجَدَ لَذَّةً في مجالسِ الخير، أو وجَدَ لَذَّة عند استماع حديثه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، قالوا: هذا الذي يسوغ له، إنه وضَعَ قَدَمه حيث انتدبَهُ محمد ﷺ. وعندها قالوا: يشعر بشيء مثلما قال أحد العارفين بالله: إنْ كان أهل الجَنّة على ما نحنُ فيه، إنّهم لفي عيش طيب، ما هو العيش الطيب؟ في كُلِّ واحد نحنُ نرى أنَّ العيش الطيب، إمَّا لُقمة، أو حرمة، أو برمة، أو منزل يعمره، أو حركة يتحرَّكها في هذه الدَّار، فيعتقد أنّها هي الحياة الطيبة، حكاها لنا ربي قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار:١٣]، قالوا العُلماء: النَّعيم، هذه الدَّار يتنعّمُون بأنَّ الوَاحِدَ إذا قرأ

القُرآن وهو في تلك المرتبة وفي تلك الحالة، كأنّهُ تسمعه مِنَ المتكلِّمْ، والمتكلِّم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا سمعه مِنَ المتكلِّم ، قالوا : فكيف عاده ما يحضر فيه؟، أو كيف عاده ما يلتذ به؟، ... أو كيف عاده ما يخلو به؟، هؤلاء الذين تركوا النَّوم بالليل، وهل شيء ألَذ مِنَ النَّوم؟، يلتذ بِهِ الإنسان لأنَّ الجسم يهدأ ويستريح، ولكنّهم يجدون راحة في تركِ النوم، لأنّهم عندما يخاطبون حبيبهم، وينادون حبيبهم، ويتكلّمُون معَ حبيبهم، يجدون لَذَّة، ويجدون راحة ما تساويها لَذَّةِ النَّوم، ولا تساويها لَذَّة الحياه، ولا تساويها شيء مِنْ هذه المحسُوسَاتْ كُلّها قط أبداً، قال الشيخ العَدَني:

نُصِبَتْ لأهلِ المنَاجَاه في حُندس الليل أعلام

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: والقلب إذا أرَادَ اللهُ له رُؤيا واطِّلاع على شيءٍ مِنْ عَالَمِ الغيب، هَبَّتِ الرِّيح فتقشع عَنِ القلب الغطاء، فإذا انقَشَعَ عَنِ القلب الغطاء، قالوا: شاهَدَ مِنْ عَالَمِ الملَكُوت أشياء غريبة، ما كانت لَهُ على بَالٍ مِمَّا يراه الإنسان، فتلكَ هي الرُّؤيا الصالحة، وما دَامَ الرِّيح تَهُبُّ فالقلب يُشَاهِد، كأنَّمَا هو يقرأ شيئاً أمامه، يُشَاهِد ويُشَاهِد ويُشَاهِد، ويقرأ الشيء أمامه، حتى إذا سكَنَتِ الرِّيح رجَعَ القلب عليهِ الغطاء، ولكنّه في تلك الحالة قالوا : القلب مُنْتَبِه، لأنَّ الحَوَاس ما هي شاغلته، فإذا انتبَهَتِ الحَوَاس شغلت القلب وأخذته معها، ولكن قالوا : كثير مِنْ هؤلاء الذين يُؤثرون الأعمال الصالحة، ويُؤثرون الله على الدُّنيا، ويُؤثرون الدِّين والاستقامة الكاملة، قالوا : لا تشغلهم الحواس، فترى كثير تراه جالس عندَك ولكنّه غائب ما هو حاضر عِندَك، بعيد عنك في عَالَمٍ ثاني، يعتقده الإنسان إنه قاعد وهو ليسَ بقاعد، إنما قلبه عند ربه، قلبه يجول في عوالمه، أو يسبح في فضاءِ الله، في عَالَمِ الملَكُوت، أو في تَيَّارٍ مِنَ الفِكر في المخلوقَات، والآلَة التي جعلها الله، وما خوَّله الله للإنسان، وما خوّله لغيرِهِ مِنَ النِّعَم، وفيها هذه الذي نزَل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] دَلَّنا على أنَّ المولى طلَبَ الفِكر، وهؤلاء الذين يسبحون، قالوا: يخرجون مِن كَائِنِ الدُّنيا وعَالَمَ الشغل، وعَالَمَ الخَيَال، وعَالَمَ الوَهم، إلى عَالَمِ الحقيقة، أو أقرب إلى الحقيقة، فمَنْ كانَتْ زجاجته صافية، وليسَ في قلبهِ عَمَى، قالوا: كانَ في عَالَمِ الحقيقة، لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى

﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] وإنْ كانَ القلب عليه شيء مِنَ الغشاء كَثُفَ أو خَفَّ، قالوا: كانَ أقرب إلى الحقيقة، أو كانَ يسبح في شيءٍ مِنَ الخَيَالِ الذي هو أقرب إلى الحقيقة، ياخذ نصيب وافر، هذا كُلّه بالنسبة للقلوب الصافية، التي ليس بها مرض، لأنَّ القلوب ذكَرَ المولى أنها تمرض، وأنَّ الإنسان يجب عليه أنِ يُعالجها، سُئِلَ ما يُعالج الإنسان؟ قالوا: جسمه، فحكى المولى، قالوا : حَكَى الله في أَرْبَعَةَ عشر آية مِنْ كتابه في ذِكْرِ مَرَضِ القلب، وذِكْرِ العَمَى في هذه الآية، قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] قالوا ذَكَرَ كَذَلِكَ في المنافقين، فقال: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠]، وَقَالَ في حَقِّ نسائه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم لَمَّا أمر بالحجاب وأُمِرَ بالسَّتْرِ لنساء المؤمنين: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢] دَلَّنَا على أنَّ المرض دَائِماً يكون في القلوب، والقلوب تحتاج دائِماً إلى انتباه، وتحتاج دائماً إلى الْتِفَات، ثُمَّ قال العُلماء عليهم الرّحمة وفي مُقَدَّمتهم الإمام الغزالي الذي أحسَنَ القول وأجاد، قال: إنَّ القلوب هذه التي أَشَارَ الله إليها، والتي يذكرها القرآن، والتي يُشيرُ إليها الحديث النَّبَوي في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: (إنَّ الله لا ينظُرُ إلى صُورِكم وأجسامِكم، وإنَّما ينظُرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم)، قالوا: إنَّ النَّظَرَ إلى هذه القلوب ليست القلوب اللَّحميّة، التي هي تُغَذِّي الجسم، وتُقسِّم عليهِ الدَّم، وتُصَفِّي الدَّم، ولها النَّصيبِ الكَامِلِ على تأثيرِ الجسم، لكن قالوا: القلوب التي أَشَارَ الله إليها، لكونها وَصَلتها النفخة ووصلها نصيب مِنْ سِرِّ قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص:٧٢]، تلك قداسة خُصَّ بها هذا الآدمي وحظيَ بها هذا الكائِنِ الحَي ليست لمخلوقٍ غيرَه، وهذه القداسة قالوا: لو لَمْ تَكُنْ فيها إلا نسبة الإضافة. هذا المولى يقول: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص:٧٢] وكان المفسرون ارتبكُوا في هذه (الياء) إلى من؟ وأين الرُّوح التي تُوصَف بالنسبة للمولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟. والمولى يلقيها هكذا لهذا الكائن الحي للإنسان يُسمِّيه ويقول: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص:٧٢]، يصله بِهِ مباشرة بلا واسطة، أفلا يليقُ مثلاً بِمَنْ كُرِّم بهذه أن يعرفها حقّها، وأن يكرمها، وأن لا يدُوسها، وأن لا يُضيّعها، وأن لا يجعلها عرضة للهَوَان، ولا عرضة للعب، ولا عرضة للغفلة، بل لا يُدنّسها بحرَام، ولا يُدنسها بشبهة، ولا يُدنسها بما لا يُرضي الله، ولا يدنسها بما لا يُحب، فمَثَلاً لو جاء واحد وطُلِبَ إلى مَلِكٍ مِنَ الملوك، هل با يدخل عنده بارتداء ثياب ملوّثة؟ ما تسمح نفسه أنه يدخل بثَوبٍ ملوّث، لن

تسمح له نفسه لا، يرى أنَّ الملك لا شَكَّ با ينفرُ منه، وبايطرده مِنَ المجلس. عاده إلا رُبَّما يتزيَّا ويلبس أَحْسَنَ زَيِّه أَوْ أَحْسَنْ ثَوبه، وهذه النَّفْخَة جَاءَتْ مِنَ الملِكِ الكبير مُباشَرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهذا المخلوق، أَفَيَلِيْقُ مِنْهُ أن تكونَ مُدَنَّسَة، وأن لا يُزَكِّيها، وأن لا يُطَهِّرَهَا، وأن لا يُحافِظَ عَلَيْهَا ما قَدَر، حَتَّى لا تَعْمَى، وحَتَّى لا يصيبها مَرَض، وحَتَّى لا تزول منهُ النِّعمة، فكَمْ مِنْ وَاحِدٍ أَصَابَهُ هذا المرَض، فوصفه الله بما هو أسوأ لأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ ذَكَرَ في كتابه في آيَاتٍ كثيرة، قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف:١٧٩] وبعد قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأعراف:١٧٩] يستحقون. ثُمَّ ما رَضيَ المولى أن يكونوا كالأنعام قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩]، أضل مِنَ الأنعام. أيَرْضَى مُسلم أَوْ مُؤمن أو ذُوْ كَرَامَةٍ أَنْ يَصِلَ إلى هذه الرُّتْبَة؟ أعطاه الملِك شيءٌ مُقَدَّس عظيم، يأخذُ به حَتَّى يَنْزِلَ بهِ إِلَى أَسْفَلِ السافلين!. ذَا مَا يَلِيْقُ ياإخواني على كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الْكَرَامَة، وأَنْ يَعْرِفَ هذه النِّسبة، وأن يَعْرِفَ حَقَّ هذا القلب، وأَنْ يَعْرِفَ حَقّ هذه الرُّوح، وأَنْ يَعْرِفَ حَقَّ هذه النَّفْخَة، ولِمَا احْتَوَتْ عليه، ولماذا أُعْطِيها هذا الإنسان؟ ، أُعطيها هذا الإنسان لِيَكُونَ كالبهيمة! ينظر ما لاَ يَحِل، أو يَعْمَلُ مَا لاَ يَحِل، أو يأخذ ما لاَ يَحِل، أن يسلُكَ ما لا يُرْضِي، أو يَعْمَلُ فيما لاَ يَرْضَى، لا ما ينبغي وقد أُعْطِيَ هذه النَّفخة. ينبغي له أن يكونَ أَدَاةً طاهرة مُكَرَّمة، قال الشاعر:

قَدْ هَيئُوك لأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ فَارْبأ بنفسِكَ أَنْ تَرْعَى معَ الهملِ

وهذا الأمر الذي هُيِء لَهُ، هل تعرفون ما هو؟ ذكره لنا المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أبهى مظاهر الذِّكر، وفي أحلاها وفي أكبرها، وفي أقدسها وفي أقومها، وفي أفضلها وفي أشرفها، وفي أنبلها، وفي أعلاها، وفي أميزها، وفي أقدرها كرامة، قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، هذه الخلافة هل وقَفَتْ عند آدم؟ بل تسلسلت، ثُمَّ جاءت آيات الخلافة. وذكر الخلافة لداود وللأنبياء، ولسائر أهل لا إله إلا الله، عموماً مِن سَابِقِ الزَّمَنْ إلى هذا اليوم. كُلُّ مَنْ أَرَادَ أن يتربّعَ كُرسي هذه الخلافة فهو في مقدوره، وفي مستوى جسمه، وفي مؤثرة عقله ومميِّزاته، ما هي ببعيدة عنه قط أبداً.

إذا أراد الإنسان أن يتربّعَ هذه الخلافة قالوا: مبناها على أمرين: الأمر الأوّل: هو ما تعبّدنا المولى به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليصل المخلوق بخالقه الذي شرّفه وكرّمه. مَن عطَانَا التَّشريف

هذا؟ هو الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأَمَّا المخلوق إِذَا وصَلَ إلى الخالق بهذه العِبَادَة وعَرَفهُ حقّ المعرفة، قالوا: كانَ للاتّصال أَثَر، وذَلِكَ الأَثَر هو التَّصريف المعنوي لا التّصريف الحِسِّي، أمَّا التّصريف الحِسِّي في الملكيّات، قالوا: في أن يملك مِنَ البهائم ما يقدر عليه، ومِنَ الدور ما يقدر عليه، ومن المالِ ما يقدر عليه، ومن ظواهر الحياة ما يقدر عليه، هذا في مقدور مَنْ أَرَادَ الله له شيء مِنَ المال، وليس في مقدور مَنْ لَمْ يُرِدْ لَهُ إلاّ القليل، ولكِنْ هذا التّصريف المعنوي الذي يتصرّف به الأنبياء، ثُمَّ أُعطيَ لمن يليهم مِنْ صالحي هذه الأُمّة الذين وصفهم الله بالاستقامة، وأعطاهم معَ هذا التّصريف، قالوا: الولاية، وما معنى الولاية التي يفهمها كثير مِنَ الناس، إذا جاء قال: (فلان ولي مِنَ الأولياء). ما هي بهذا اللَّفظ فقط ، الولاية هي: أن يتولّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبده فيُصيِّرُهُ تحت ظِلاَلِهِ. دوّار أمانته وطمأنينته، فلا يخافُ بؤساً ولا هضماً، ولا مشقّةً، ولا عناءً، ولا تعَباً، ولا شيئاً مِنْ هذا كُلّه ، هذه الولاية. حكى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنا في كثيرٍ مِنَ الآيات، قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] يعني: مَنْ تولاّه الله.وَقَالَ:﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف:١٩٦] وَقَالَ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾[الأعراف:١٩٦] ...إلى آخر الآيات.

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾ [فُصِّلَت:٣٠] قال المفسرون: في الدُّنيا، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت:٣٠] وبعد قال لهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [فُصِّلَت:٣١] ، ثُمَّ قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فُصِّلَت:٣١]، ثُمَّ قال: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فُصِّلَت:٣٢]، قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ آخر هذه الآية أعظم مِمَّا قبلها، لأنَّ هذا هو الذي يُهيِء النُّزُل. ذالحين لو جاء واحد وصافحنا وَقَالَ: تَفَضَّلْ، أو غدوة تعال للغداء إلى عندي، رأى الإنسان أنّهُ قدّره، سبب العزام هذا تقدير، وأنَّ لهُ مكانة عنده، أو أنه بَشَّ له ووقَفَ له وجاء إلى عنده، وهذه المكانة فين؟ ومِنْ أين هذه المكانة؟ ومَنْ أُعطيَ هذه المكَانة؟ يُهيِء النُّزُل، ثُمَّ يدعونا له، هذا المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فُصِّلَت:٣٢]، فليعرف الإنسان أَنَّ الولايَةَ ليسَتْ عائدة إلى العَامّة مِنَ المصلِّين وغير المصلين،

هؤلاء فروع أهل الولاية، أَمَّا الولاية الذين يتولاّهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجعلهم هُمُ الوُلاة، وهؤلاء الذين يقبل الله دعاءهم، وهؤلاء هُمُ الذين يستجيب الله لهم.

...إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه الولاية أَشَارَ إليها الحديث، والحديث رَبَّاني حَكَاهُ لَنَا النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما يحكيه عن ربِّه: (مَنْ عَادَى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّه، فإذا أحببته كُنْتُ سمعهُ الذي يسمعُ به، وبصَرهُ الذي يُبصرُ به، ويده التي يبطشُ بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئِنْ أستعَاذَني لأُعيذَنَّه)(١)، يكفيكم دليل على أنَّ المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَجْعَلُ إِرَادَة العبد الصالح تأتي وفق مُرَاد الله. فَيَمْشِي ذَلِكَ التَّصَرُّف بإِذْنِ الله.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اكتبوا يا أولادي اغتنموا الوقت، واغتنموا الشباب والصحة، كل واحد يحمل دفتراً وقَلَماً، يجعل له سفينةً يكتب فيها ويُقَيِّد فيها إِمَّا فائدة أو مسألة فقهية أو نحوية أو حديثاً أو أبيات شعر أو غير ذلك يُقَيِّدها ويحتفظ بها وبما يشكر عليها وبما يحصل مجموعات كثيرة وهكذا أهلنا وأجدادنا وعلماؤنا لهم سفن كثيرة يُقيِّدُون فيها وأكبرها فيما نعلم سفينة الحبيب الإمام أحمد بن زين الحبشي، سفينة أكثر من عشرين مجلد كبار جمع فيها في الحديث والفقه والطب وفوائد في جميع العلوم ، اطَّلعت على بعضها ، وجعل لها مقدّمة عظيمة جامعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعدد من شيوخنا لهم سفن تحتوي على فوائد منوّعة ومتعددة ، احرصوا على أوقاتكم ، واكتبوا ما تقدرون عليه ، بما تشكرون فيما بعد وفي وقت الكِبَر ، وبما تستفيدون منه أنتم ، وبما يستفيدون أولادكم وأولادهم ومن بعدهم، الله يُوفقكم ويأخذ بيدكم.

انتهى ما كتبته وجمعته ورتبته وانتقيته من كلام أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ونسأل الله أن ينفعنا بدرر كلامهم وأن يجعل نيّاتنا في نياتهم ويربطنا بهم ربطاً لا ينحل في كُلِّ قولٍ وفعلٍ ونيّةٍ وعَمَلٍ ويحشرنا في زمرتهم في أعلى فراديس الجنان من غير سابقة عذاب ولا عتاب ولا فتنة ولا حساب إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على محمد وآل محمد، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تشرّف بذلك الفقير إلى رحمةِ الله العزيز الغفَّار محمد بن عبد اللاه بن حسن بن صالح بن العلامة الأزهري الورع الزَّاهد العالم العامل عبدالله بن هادون بن الإمام أحمد بن محمد بن عمر المحضار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحُسَيني.

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧).

المراجع

- **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى** للعلامة محب الدين الطبري
- **نهج البلاغة** جمع الشريف الرَّضي
- **فضائل الإمام علي** لمحمد جواد مغنية
- **ينابيع المودّة** للحافظ سليمان القندوزي الحنفي
- **الصواعق المحرقة** للمحدث أحمد بن حجر الهيتمي
- **الفصول المهمة** لابن الصبّاغ
- **علموا أولادكم محبة أهل بيت النبي** للدكتور محمد عبده يماني
- **تحف العقول** للحرَّاني
- **اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب** للعلامة محمد عبدالرؤف المناوي
- **مُسند الإمام زيد بن علي** للإمام زيد بن علي
- **مناقب آل أبي طالب** لأبي جعفر محمد بن علي بن شهر أشوب
- **خصائص الأئمة** عليهم السلام للشريف الرَّضي
- **الحسن والحسين** لمحمد رضا
- **الإمام زيد بن علي** محمد ليحي سالم عزَّان
- **القرطاس** للسيد علي بن حسن العطاس
- **فاطمة الزهراء** لتوفيق أبو علم
- **الإمام علي الرِّضا** للدكتور محمد علي البار
- **الفَتحُ الربَّانيُّ والفَيضُ الرّحماني** تأليف سيدي عبدالقادر الجيلاني
- **تاج الأعراس** للسيد علي بن حسين العطاس
- **ديوان بامخرمه** للشيخ عمر بن عبدالله با مخرمة
- **عقد اليواقيت الجوهرية** للسيد عيدروس بن عمر الحبشي



- **العيدروس الأكبر** للسيد أبوبكر بن علي المشهور
- **نفح الطيب العاطري من كلام الحبيب عبدالله عمر الشاطري** لبن حفيظ
- **مفتاح السرائر وكنز الذخائر** للشيخ أبي بكر بن سالم
- **وصايا الأصحاب وهدايا الأحباب** للحبيب عمر بن عبدالرحمن البار
- **ظهور الحقائق في بيان الطرائق** للحبيب عبدالله بن علوي العطاس
- **كلام الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب** جمعه عبدالله بن عمر بلفقيه
- **جواهر الأنفاس فيما يرضي رب الناس من كلام الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي** جمع السيد عمر بن محمد مولى خيله.
- **مجموع كلام الإمام عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم**
- **مجموع الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر العلوي**
- **جني القطاف** للسيد أبي بكر بن علي المشهور
- **هداية الأخيار** للسيد حسين بن محمد الهدار
- **من أعقاب البضعة المحمّدية الطاهرة من ذرية الإمام محمد بن علي صاحب مرباط** لعلوي بن محمد بن أحمد بلفقيه
- **فوائد وفرائد** للسيد حسن بن محمد بن عبدالله فدعق
- **نبذة من كلام الحبيب محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي** لعبدالله بن علوي بن عبدالله العيدروس
- **جراب المسكين** للسيد عبدالرحمن بن أحمد الكاف
- **المجموع السار** لمحمد بن عبداللاه المحضار
- **الكنز الثمين** لمحمد بن عبداللاه المحضار
- **الأربعون حديثاً المختارة من السنة** لعباس علي الموسوي

فهرس كتاب « الدُّرَر الفَاخِرَة مِنْ نفَائِسِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَة »

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة



من إصدارات

دار الأصول

للنشر والتوزيع

